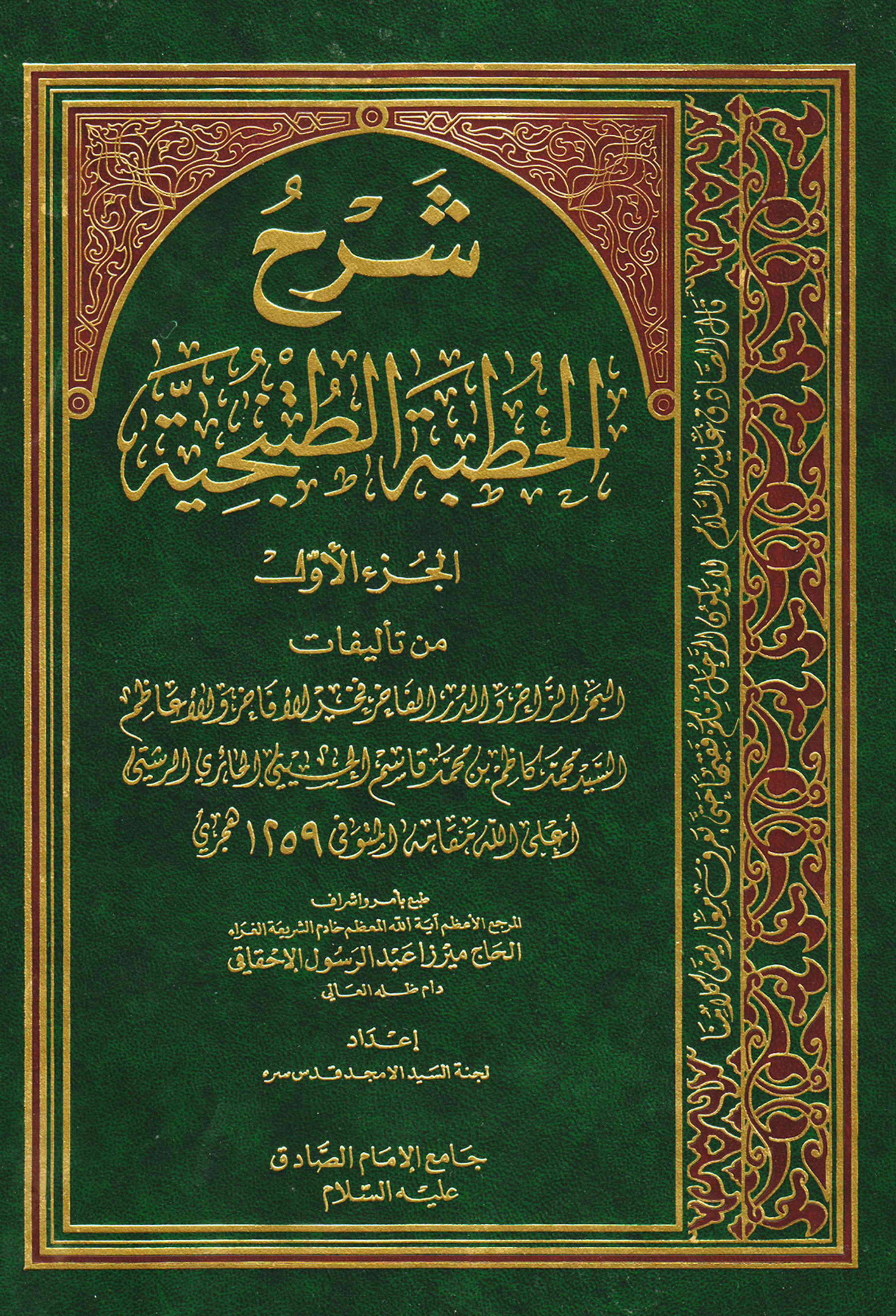


شرح
الخطبة الطتنجية
الجزء الأول
من تأليفات
البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم
السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي
أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري
طبع بأمر وإشراف
المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء
الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي
دام ظله العالي
إعداد
لجنة السيد الامجد قدس سره
جامع الإمام الصادق
عليه السلام



شرح الخطبة الطتنجية

الجزء الأول

من تأليفات

البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم

السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي

أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

طبع بأمر واشراف
المرجع الأعظم آية الله المعظم خادم الشريعة الغراء
الحاج ميرزا عبد الرسول الإحقاقي
دام ظله العالي

إعداد
لجنة السيد الامجد قدس سره
لإحياء تراث مدرسة الشيخ الأوحد الإحسائي
أعلى الله مقامه

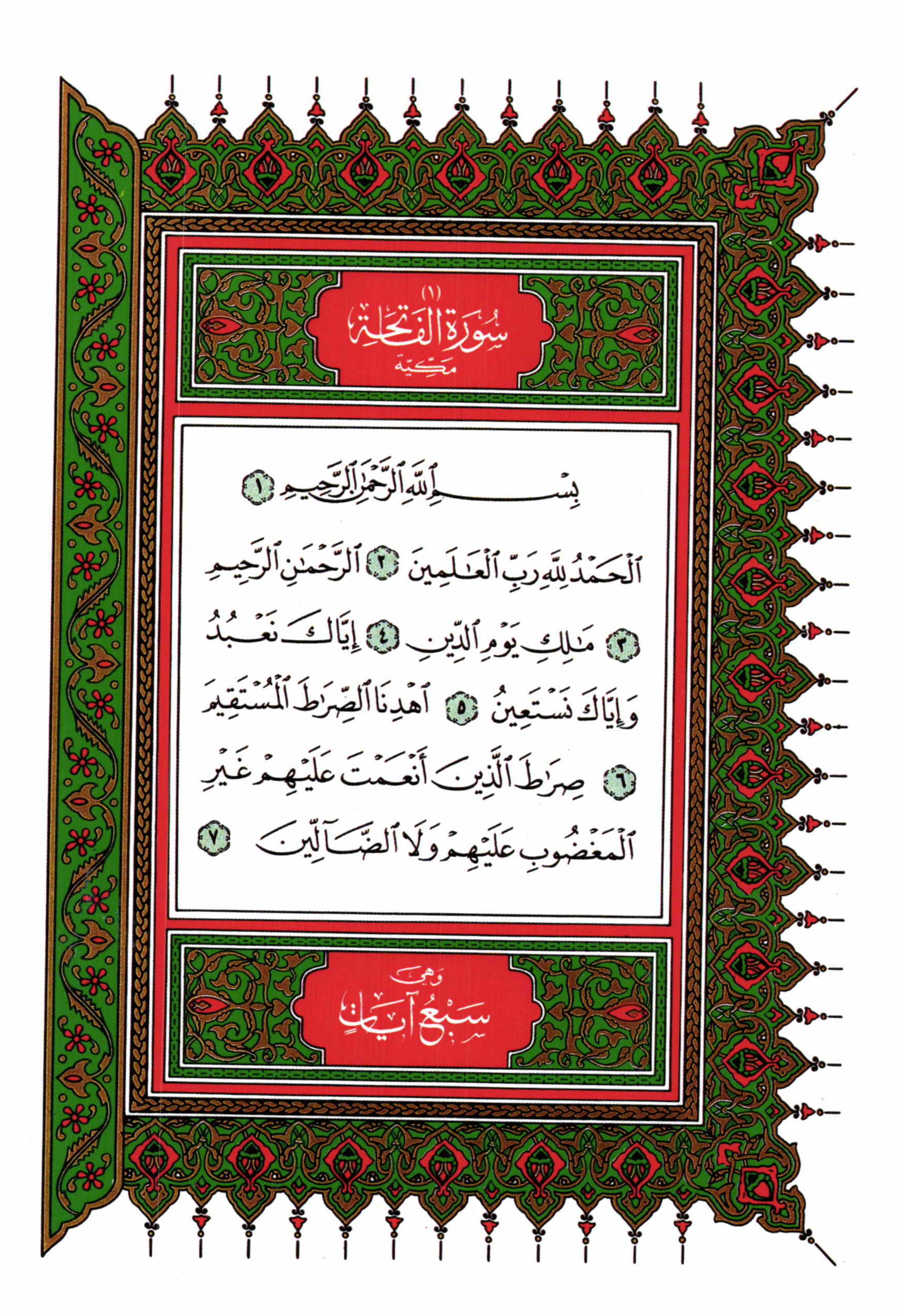
لجنة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصادق
عليه السلام





البحر الزاخر والدر الفاخر فخر الأفاخر والأعاظم
السيد محمد كاظم بن محمد قاسم الحسيني الحائري الرشتي
أعلى الله مقامه المتوفى ١٢٥٩ هجري

الطبعة الاولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)



سُورَةُ الفَاتِحَةِ (١)

مَكِّيَّة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

وَهِيَ سَبۡعُ آيَاتٍ

باسمه العلي الأعلى

الحمد لله الذي فجر ينابيع الحكمة من قلب من أحبه وأخلص له على لسانه، وأظهر آثارها على باطن إسراره وظاهر إعلانه، والصلاة والسلام على من ملأ الله بوجودهم أطراف الوجود وأركانه، وجعلهم سادات جميع من خلق في سائر أكوانه، واللعنة الدائمة على مبغضي الحق وعدوانه.

أما بعد فقد أمرني سيدي ومولاي ومعتمدي ورجاي مرجعنا الأعظم ومن به أستشفع لأمور آخرتي ودنياي، المدافع عن شريعة سيد المرسلين والناشر لفضائل المعصومين، جامع المعقول والمنقول وحاوي الفروع والأصول، وحيد الدهر وفريد العصر آية الله المعظم المجاهد خادم الشريعة الغراء الحاج ميرزا عبدالرسول الإحقاقي حفظه الله وأبقاه وجعلني من كل محذور فداه، أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب المستطاب شرح الخطبة العلية العلوية الموسومة بالطتنجية لمصنفها فخر العلماء المحققين ودرة الفقهاء

المدققين وزينة العلماء المتألهين العالم الرباني والحكيم الصمداني الدر الفاخر والنجم الزاهر نجل الأكابر والأعاظم مولانا السيد كاظم الحسيني الحائري الرشتي أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه ، فامتثلت أمره مع علمي بقصوري وعدم تمكني من أن أقدم لمثل هذا الكتاب ولكن لثقتي بجنابه الكريم أنه لا ينساني من الدعاء في كل الأمور ولا يحرمني من فيض أنواره أطال الله بقاءه ، فأقول وعلى الله التوفيق والتسديد .

إن أعظم نعم الله علينا أن جعلنا من المتمسكين بحبل ولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطاهرين عليهم السلام ، إلا أن أغلب الموالين ليس لهم علم ولا دراية بحقيقة هذه الولاية ، وما ذلك إلا بسبب عدم علمهم بعظم مقام صاحبها ، وأن الله تعالى قد جعل معرفته ومحبته وولايته هي الدين الكامل الذي لا يقبل الله تعالى من عبد عمل إلا إذا أتى به ، ومعرفته هي السبب والسر في تفاوت مقامات المحبين في هذه الدنيا وفي العالم الآخر فإن الإنسان كلما زادت معرفته ويقينه بمولاه عليه السلام كلما ارتفع مقامه عند الله تعالى ، وكلما زادت محبته له زادت محبة الله له ((من أحبكم فقد أحب الله)) وهذا هو ما ذكره مولانا الصادق عليه السلام في هذا الحديث ، عن المفضل بن عمر قال ((قال لي أبو عبدالله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى توحد بملكه فعرف عباده نفسه ثم فوض إليهم أمره وأباح لهم جنته ، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجن والإنس عرفه ولايتنا ، ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عن

معرفتنا ، ثم قال : يا مفضل ، والله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسى تكليما إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى بن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إلا بالعبودية لنا))[1] فتأمل أيها القارئ الكريم في هذا الحديث ليتبين حقيقة ما أجملته في هذه السطور .

واعلم عزيزي القارئ بأنه رتبة معرفتهم سلام الله عليهم لا تنال إلا بالجهاد والعمل ، وقد ضمن الله للمجاهدين أن يهديه إلى سواء السبيل فقال عز من قائل ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[2] واختار هؤلاء المجاهدين حملة يحملون علوم آل العصمة وأسرارهم وينشرونها بين العباد ليبينوا لهم سبل الرشاد ، وجعل لهؤلاء صفات خاصة واستعدادات عظيمة لأن حمل أسرارهم وعلومهم أمر عظيم صعب مستصعب قال إمامنا أبو عبدالله الصادق عليه السلام ((إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا صدور مشرقة وقلوب منيرة وأفئدة سليمة وأخلاق حسنة ، لأن الله قد أخذ على شيعتنا الميثاق فمن وفى لنا وفى الله له بالجنة ومن أبغضنا ولم يؤد إلينا حقنا فهو في النار ، وإن عندنا سرا من الله ما كلف الله به أحد غيرنا ثم أمرنا بتبليغه

[1] البحار ٢٦ / ٢٩٤ ح ٥٦

[2] العنكبوت ٦٩

فبلغناه فم نجد له أهلا ولا موضعا ولا حملة يحملونه حتى خلق الله لذلك قوما خلقوا من طينة محمد وذريته صلى الله عليهم ومن نورهم صنعهم الله بفضل صنع رحمته فبلغناهم عن الله ما أمرنا فقبلوه واحتملوا ذلك ولم تضطرب قلوبهم ومالت أرواحهم إلى معرفتنا وسرنا والبحث عن أمرنا))[1] .

وإن من هذه الصدور المشرقة والقلوب المنيرة والأفئدة السليمة والأخلاق الحسنة هو صاحب هذا السفر الجليل ، الذي كشف الأسرار وأظهر الأنوار مولانا السيد الأمجد كاظم الحسيني الحائري الرشتي أعلى الله مقامه ، فإنه بحق ممن جاهد في سبيل الله ، وإنه لحق مخلوق من طينة رسول الله وذريته صلوات الله عليهم ، وإنه لحق قبل واحتمل ولم يضطرب قلبه ومالت روحه إلى معرفتهم ومعرفة سرهم والبحث عن أمرهم ، فإنه في هذا السفر الكريم بل وفي غيره من أسفاره ، بل لعلك لا تجد كتبا أو رسالة له إلا وهي تشير إلى مقاماتهم وسرهم ومعرفتهم ، ومن سيطالع هذه الكتاب بعين الإنصاف سيرى كيف كشف الله النقاب عن عينه الكريمة ، وكيف ألهمه الله أسراره العظيمة ، فإنه لعمري في هذا السفر بالخصوص وفي غيره بالعموم قد أبرز من أسرار التوحيد والنبوة والإمامة وأسرار الخلقة ، وأبان كيفية السلوك إلى الله تعالى وغيرها من الأسرار العجيبة التي لا يمكن لي استقصاءها ما لم يذكر في كتاب ولم يسطر في جواب وفي كل هذه الأمور مستندا إلى كتاب الله

---

[1] البحار ٢ / ٢١٠ ح ١٠٥

وروايات آل الله حتى أنه عصم نفسه عند سلوك هذا الطريق عن كل زلل وخطأ، حتى أني لما فرغت من قراءة هذا الكتاب وفهمت ما فهمت منه وقفت إجلالا وإكبارا وإعظاما لهذا المثام وقلت قدس الله تلك الروح الطاهرة التي أخرجتني من الظلمات إلى النور.

وقد هيأ الله تعالى لإخراج هذا السفر الكريم أناسا من المؤمنين الموالين الذين أرادوا إظهار الحق والدفاع عن المظلوم، وعملوا بأمر مولاهم ومرجعهم حتى يخرجوا هذا الكتاب المستطاب لطالبي الحق ومريديه، كما سخر الله لطباعة هذا الكتاب من المؤمنين المحسنين من باع دنياه بآخرته وطلب من الله رضاه، ولا يفوتنا هنا أن نذكر من أحيى هذه الآثار الخالدة لا سيما المرحوم المغفور له الحاج سليمان خان أفشار الذي أوقف كثيرا من أمواله من أجل طباعة وإحياء هذه الآثار، وكما لا ننسى هنا مولانا ومرجعنا المقدس الراحل محيي الشهادة الثالثة العلوية وناشر العلوم الحقية المولى المعظم المقدس الميرزا علي الحائري الإحقاقي طيب الله ثراه، وكذلك مرجعنا الراحل الإمام المصلح العبد الصالح الحاج ميرزا حسن الحائري الإحقاقي قدس الله نفسه الزكية، فجزاهم الله تعالى خير جزاء المحسنين.

ولأختم هذه المقدمة بهذه القصيدة التي أنشأها عبدالباقي أفندي العمري في حق هذا العالم الجليل حين ورد من كربلاء المعلاة لزيارة الإمامين الكاظمين عليهما السلام:

أهلا بمن قال إله السما فوق السما لجده أهلا

ومرحبا بابن أب كل من آمن بالله له مولى

ومن أتى في حقه هل أتى نعم وفي أولاده قل لا

ذاك أبو الغر الميامين كم من آية في نعته تتلى

ويا ابن أم هي جرثومة للشرف الأعلى غدت أصلا

شرَّفْتَ بغداد كما شرّف الـ عرش بنعلي جدك الأعلى

قد دستها في قدم ود هام الأوج لو كان لها نعلا

إن حاز قوم قصبات من الـ سبق فقد حازت بك السؤلا

ذاتك للعلم غدت مظهرا فهي له وهو لها مجلى

لم تلق أبكار المعاني سوى فكرك يا كفؤ العلا بعلا

عن فضلك السائر قد أحجمت أهل النهى يا سابقا مهلا

فابن لبون لم يطق صولة في عدوه إن سابق البزلا

حملت أعباء فنون سمت لم يستطع رضوى لها حملا

إليك دهرا قد شكت ثقلها وأنت لا تشكو لها ثقلا

مدينة العلم أبوك الذي كان لها الباب فكن فصلا

أوضحت بالهدى لنا حجة برهانها قد أوضح السبلا

وكدت أن تملي ما خطه ذو العرش في اللوح من الإملا

فلـم نجـد مثلـك يـا ابـن الألى لم نـر في الهـدى لـه مثـلا
مجـدا دمـت لآثـاراهم تبلـي الجديديـن ولا تبلـى

أقل الناس علما وعملا وأكثرهم جرما وزللا
كثير المعاصي والمآثم المسمى من قبل مولاه بأبي المكارم
حسين علي المطوع تجاوز الله عن سيئاته

هذا كتاب شرح خطبة الطتنجية

لجناب مولى الموالي علي بن ابي طالب عليه السلام من تصنيفات اعلم العلماء الراشدين وافضل الفضلاء الكاملين رئيس المجتهدين قطب الموحدين جامع المعقول والمنقول حاوي الفروع والاصول الذي تغمده الله برضوانه واسكنه اعلى غرف الجنان المرحوم المغفور المبرور فخر الاعاظم جناب الحاج السيد كاظم الرشتي اعلى الله مقامه ورفع في الخلد اعلامه

وبه نستعين والمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على اعدائهم ومخالفيهم اجمعين ابد الآبدين ودهر الداهرين

اما بعد فيقول العبد الفقير الفاني الجاني ابن محمد قاسم محمد الكاظم الحسيني الرشتي ان بعض السادة الاجلاء النبلاء حرسه الله تعالى من كل ضراء وبلواء وايده بصنوف النعماء والآلاء بمحمد وآله السادة النجباء النقباء عليهم سلام الله ما انتشر الارض والسماء قد التمس من الفقير بيان الخطبة الغراء العلية العلوية الموسومة بالطتنجية وكشف رموزها ورفع استارها على نهج الحقيقة الواقعية الاولية الالهية وكان في الناس امتنع الوسائل وبعيد المنال لاشتمالها على اسرار وحقائق وبدايع وغرائب تنفر منه الافكار ولم يبلغ الاوهام الا على الاكبر من اسرار ظهورات ولي الله الملك الجبار القهار وقد صعب دونها اسرارا ولي الاخطار والذي يحكم علينا رشح من قطرة من بحار تلك الانوار كثيرة منها البسيطة عبارة ولم اعط بيانا ولا اشارة ومنها ما لا يمكن بيانه لقول مولانا الصادق ما كلما يعلم يقال ولا كلما يقال حان وقته حضر اهله ومنها ما يتوقف بيانها على ذكر المقدمات الغريبة البعيدة عن الافهام فيجب طيها لقوله لا تتكلم بما تسارع العقول الى انكاره وان كان عندك اعتذاره ولعبر كلما انتمعه نكرا وسمعه عذرا ومنها ما يطول بذكر جميع ما يتوقف عليه الكلام فضل المقام مع ما في هذه الخطبة الشريفة من الاحوال والامور الغريبة العجيبة التي كانت مطوية في بواطن القرآن وسائر اخبارهم عليهم السلام بحيث ما فهمها العلماء وطرحوها وامثالها مخففين بانها من وضع الغلاة وحيث كان لا يمكن التوقف في الجواب لعلو الناس وما يوسوس في صدورهم الخناس فاد سلمه الله تعالى الالتماس والح في السؤال فاجبت مسئلته والتزمت طاعته الا اني آتي بما يسهل بيانا ولا يعسر برهانا واعتذر من البسط في المقال وشرح الحال وذكر الاحوال لتبلبل البال وتراكم الاعراض والامراض وانواع الاختلال والفتور لا سيما باسوء والى الله ترجع الامور ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولنمهد قبل الشروع في المقصود مقدمة لتنبيه الغافلين وارشاد المسترشدين فنقول اعلم ان العلماء في هذه الخطبة الشريفة وامثالها من الخطب كخطبة البيان وخطبة الافتخار وغيرهما من الاخبار لخفي معرفتهم بالنورانية وغربتها مقامات المعرفة وغيرها افترقوا على اربع شعب الاول طرحوا هذه الاخبار واسقطوها عن نظر الاعتبار وقالوا انها اخبار احاد لا تفيد علما ولا عملا ومرة لعدم حجية الظن المطلق فلو اردنا ان نستفيد الظن بحقيقة مضمون هذه الاخبار الا انه لا يعول عليه في مثل هذه المطالب من قال بحجية الخبر الواحد فان ذلك هو الخبر الصحيح من اهل الاصول وتلك الاخبار اكثرها ضعيفة سيما الخطب واغلبها في مشارق الانوار للشيخ رجب البرسي وقد حكم العلماء بغلوه وما هذا شأنه لا حجية فيه مع ان هذه الاخبار والخطب تخالفها العقول وتهافتها لامكان عن مكانه واثبات الربوبية للمخلوق واستلزام التفويض الذي اتفق العلماء وفاقا للاخبار الصحيحة الصريحة المحكمة على بطلانه وتكفير القائل به وتخالف الكتاب الصريح حيث يقول الله سبحانه هل من خالق غير الله اروني ماذا خلقوا من الارض وهو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون وقد دلت الاخبار وشهد صحيح الاعتبار ان الخبر اذا خالف الكتاب يجب ان يضرب على عرض الحائط وقد شاع وذاع شيوع الغلاة القائلين بالالوهية

لأمير

الصفحة الاولى من الطبعة الحجرية

١٢٦ هو العلم والايمان والتقوى والعمل الصالح والطهارة ولذا كان الماء طهورا لقوله عز وجل افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها لقوله كمن هو في الظلمات فهو السواد الذي طبع على قلبه قال نعم وما يستوي الاحياء
ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير فاذا ثبت الحق بما ذكرنا ان علينا ثم هو مادة العلم و
منشاه وحقيقته وفطر على اليقين والتقوى في اصل خلقته حسن تاليفه وان النبوة ليست حكم الغالب ... لتزكي وانما حكم الماء
الذي الماء الذي هو ما اراد رحمنا الله بحججها ارض القلوب الميتة وعلى مناسبة فهذه الحقيقة من الامر المناسب الى المناسب لا المباين
ثم لما اراد الله سبحانه اظهار ذوي الحق وحمله النبوة والولاية جعل هذا الطيب الطاهر المخلوق من الماء الذي هو نسب رسول الله صلى الله عليه وآله صهرا
حقيقيا بان زوجه ابنته الحقيقية التي لها مناسبة ذاتية مع ذلك البشر المخلوق من الماء فتكون هي ايضا مخلوقة من الماء بحكم المناسبة
فهي ايضا عين العلم ومعدنه ومنبعه وما كانت مخلوقة من الجسد البشري وانما هي مخلوقة من الماء الالهي الذي بجوده كل شيء حي ثم ان آل
رسول الله صلى الله عليه وآله فنزل لبس منه على الواقعي الحقيقي لا الظاهري المحض فلما امتزجا ... البحران اخرج الله سبحانه منهما اللؤلؤ والمرجان وهما
الحسنان نورا ... حكم الله واستودعا امر الامامة من الطيب ابنة الطيب لا يظهر الا الطيب فالمناسب المناسب لرسول الله صلى الله عليه وآله مناسبته ... القربى
كان الامر ... يكونوا من نسل هذين الطيبين الطاهرين واليه اشار مولانا الحسين في يوم كربلاء الى ان قال لا لشيء كان مني بل ...
... جزى الله ... الخيرتين بعد النبي والنبي القرشي الوالدين ... ثم فاطمة امي وابي ... الخيرتين فضة قد خلصت
من ذهب فانا الفضة وابن الذهبين من له جد كجدي في الورى او كشيخي فانا ابن العلمين فاطم الزهراء امي وابي قاصم الكفر ببدر وحنين
الى آخر الابيات فكان ائمتنا سلام الله عليهم ماخوذين من تلك الصفوة ومن هذين البحرين المخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فهم ليسوا من
نسب هذا التراب البشري المحض وانما هم من نسب الماء الذي به كل شيء حي ولما كان المعاند قد يلبس الامر على بعض العوام المستضعفين بان
ان النسب والذرية انما هي من جهة الاب لا الام الا ... على ما قال الشاعر بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد
والائمة سلام الله عليهم منسوبون الى رسول الله صلى الله عليه وآله من جهة الام لا من جهة الاب فلا يقال لهم ابن رسول الله الا مجازا ابطل هذه الشبهة ودفع
هذا الوهم في سورة الانعام باثبات ان عيسى من ذرية نوح ... من جهة الام لا من جهة الاب وبالجملة برهن على طهارتهم واختيار
جنسهم وانهم طاهرون لا ينكر طهارتهم الا خبيث المولد خبيث الذات خبيث الصفات خبيث الافعال المشرك المرتاب اللهم صل على محمد وآل
محمد وثبتنا على دينك ودين نبيك ولا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب فهذا مقام طهارتهم عليهم السلام
في المقامات البشرية واما طهارتهم في مقام الوجهية فما يقصر الكلام لبيانها ويحسر اللسان الا ذاتها اذ هي مقام ارباب الجمال والحقيقة و
اصحاب الجلال ... ذلك من امر الفاعل ... للفعل ... الفعل عليه مع ... الفعل ... عنه ...
ذكر الفاعل ليظهر المقصود فظهر لنا ان اقصى مقامات البشر ... التقدير ... الطبيعة الانسانية ... نزاهته
وتقديسهم وان اقصى مقامات تنزيه الانبياء وتطهيرهم الحق سبحانه من كل ما سواه جزء من سبعين الف جزء من راس شعرة من تنزيههم عليهم السلام
وهكذا وانا اذكر لك حديثا تعرف منه ما ذكرنا ظاهرا وباطنا ان وفقك الله لذلك روى الصدوق باسناده عن عبد السلام بن صالح الهروي
عن علي بن موسى الرضا عن ابائه عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلق الله خلقا افضل مني ولا اكرم عليه مني قال علي عليه السلام فقلت يا
رسول الله فانت افضل ام جبرئيل فقال يا علي ان الله تبارك وتعالى فضل انبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين و
الفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك وان الملائكة لخدامنا وخدام محبينا يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و
يستغفرون للذين امنوا بولايتنا يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض فكيف لا نكون افضل من
الملائكة وقد سبقناهم الى معرفة ربنا وتسبيحه وتقديسه وتهليله وتمجيده لان اول ما خلق الله عز وجل خلق ارواحنا فانطقنا بتوحيده و
تحميده وتسبيحه ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا ارواحنا نورا واحدا استعظموا امرنا فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون وانه منزه عن
صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا فلما شاهدوا عظم شاننا هللنا لتعلم الملائكة ان لا اله الا الله وانا عبيد ولسنا
بآلهة يجب ان نعبد معه او دونه فقالوا لا اله الا الله فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة ان الله اكبر من ان ينال عظم المحل الا به فلما
شاهدوا ما جعله لنا من العزة والقوة قلنا لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لتعلم الملائكة ان لا حول ولا قوة الا بالله فلما شاهدوا
ما انعم الله به علينا واوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله رب العالمين لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله

بنا

الصفحة قبل الاخيرة من الجزء الاول



تمهيد

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، ولعنة الله على مخالفيهم وظالميهم أجمعين أبد الآبدين ودهر الداهرين .

أما بعد ، فيقول العبد الفقير الفاني الجاني ابن محمد قاسم محمد الكاظم الحسيني الرشتي أن بعض السادة الأجلاء النبلاء حرسه الله تعالى عن كل ضراء ولأواء وأيده بصنوف النعماء والآلاء بمحمد وآله السادة النجباء النقباء عليهم سلام الله ما دامت الأرض والسماء ، قد التمس من الفقير بيان الخطبة الغراء العلية العلوية الموسومة بالطتنجية ، وكشف رموزها ورفع أستارها على نهج الحقيقة الواقعية الأولية لا الثانوية ، وكان ذلك أمرا منيع

الوصال وبعيد المنال ، لاشتمالها على أسرار وحقائق وبدائع ومعاني لم تسمح بها الأفكار ، ولم تحظ لإدراكها الأنظار ، لكونها من أسرار ظهورات ولي الله الملك الجبار القهار ، وقد ضل دونها أسرار أولي الأخطار ، والذي طفح علينا رشح من قطرة من بحار تلك الأنوار ، وكثير منها ليست له عبارة ولم أعط بيانا ولا إشارة ، ومنها ما لا يمكن بيانه لقول مولانا الصادق عليه السلام ((ما كل ما يعلم يقال ، ولا كلما يقال حان وقته ، ولا كلما حان وقته حضر أهله))[1] ، ومنها ما يتوقف بيانه على ذكر المقدمات الغريبة البعيدة عن الأفهام ، فيجب طيها لقوله عليه السلام ((لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، وليس كل ما تسمعه نكرا أوسعته عذرا))[2] ، ومنها ما يطول بذكر جميع ما يتوقف عليه الكلام فتخل بالمقام ، مع ما ظهر في هذه الخطبة الشريفة من الأحوال والأمور الغريبة العجيبة التي كانت مطوية في بواطن القرآن وسائر أخبارهم عليهم السلام ، بحيث ما تحملها العلماء وطرحوها وأمثالها محتجين بأنها من وضع الغلاة ، وحيث كان الأمر كذلك تسوفت في الجواب لعلمي بالناس وما يوسوس في صدورهم الخناس ، فعاد سلمه الله تعالى في الالتماس

---

[1] البحار ٥٣ / ١١٥ ح ١٣٨

[2] لم نجد الرواية كما هي في هذا الشرح المبارك ، ووجدنا هذه الرواية ((إياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك لأن توسعه عذرا)) البحار ٧١ / ٢٢٩ ح ٦ .

وألح في السؤال ، فأجبت مسألته والتزمت طاعته ، إلا أني آتي بما يسهل بيانه ولا يعسر برهانه ، وأعتذر من البسط في المقال وشرح الحـال وذكـر الأحـوال لتبلبل البال ، وتراكم الأعراض والأمراض وأنـواع الاختـلال ، والميسـور لا يسقط بالمعسور وإلى الله ترجـع الأمـور ، ولا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلـي العظيم ، وإني أمهد قبل الشروع في المقصود مقدمة لتنبيه الغـافلين وإرشـاد المسترشدين .

مقدمة

اعلم أن العلماء في هذه الخطبة الشريفة وأمثالها من الخطب، كخطبة البيان وخطبة الافتخار وغيرها من الأخبار كخبر معرفتهم بالنورانية وخبر بيان مقامات المعرفة وغيرها تشعبوا على أربع شعب.

الأولى: طرحوا هذه الأخبار وأسقطوها عن نظر الاعتبار، وقالوا أنها أخبار آحاد لا تفيد علما ولا عملا، ومن قال بحجية الظن المطلق قال وإن استفيد الظن بصحة مضمون هذه الأخبار إلا أنه لا يعول عليه في مثل هذه المطالب، ومن قال بحجية الخبر الواحد قال إن ذلك هو الخبر الصحيح من العدل الإمامي، وتلك الأخبار أكثرها ضعيفة سيما الخطب وأغلبها في مشارق الأنوار للشيخ رجب البرسي وقد حكم العلماء بغلوه، وما هذا شأنه لا حجية فيه مع أن هذه الأخبار والخطب تخالفها العقول وفيها رفع الإمكان عن مكانه، وإثبات الربوبية للمخلوق، واستلزام التفويض الذي أطبق العلماء وفاقا للأخبار الصحيحة الصريحة المحكمة على بطلانه وتكفير القائل به، ومخالفة الكتاب الصريح حيث يقول الله سبحانه ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ

﴿ اللَّهِ ﴾[1] ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾[2] ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] وقد دلت الأخبار وشهد صحيح الاعتبار أن الخبر إذا خالف الكتاب المجيد يضرب على عرض الحائط ، وقد شاع وذاع شيوع الغلاة القائلين بالألوهية لأمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطيبين الطاهرين عليهم السلام كالنصيرية والخطابية والشلمغانية وأمثالهم ، وأغلب رواة هذه الأخبار هم ، فثبت أن هذه الخطب ليست من أمير المؤمنين عليه السلام، ولا الأخبار من أولاده المعصومين عليهم السلام ، وإنما هي من موضوعات الغلاة والمفوضة .

الثانية : توقفوا في تصديقها وتكذيبها حيث رأوا شيوع هذه الأخبار وتكررها وتواردها في كتب الفرقة المحقة ، وورود الأدعية الكثيرة بمضمونها والزيارات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام ، وورود الأخبار الكثيرة بمعناها عن أخبار الثقاة أيضا إلا أن هنا أخبارا بظاهرها تنفي هذه المضامين ويؤيدها ظواهر بعض الآيات مع أن العقل يقصر عن إدراكها ومعرفتها فالتوقف والسكوت فيها أولى لما قال عليه السلام ((الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات))[4] .

---

[1] فاطر ٣ — [2] فاطر ٤٠ — [3] الروم ٤٠ — [4] الكافي ١/ ٦٨ ح ١٠

الثالثة : تلقوها بالقبول وشهدوا على حقيتها لكنهم حاولوا معرفتها بالعقول ولم يستندوا فيها إلى آل الرسول صلى الله عليه وعليهم بباطن دعوتهم ولسان أعمالهم وإن ادعوا خلافه بظاهر مقالهم ، فجروا في بيان هذه الخطب مجرى الصوفية الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، قال الملا محسن في قرة العيون (قال بعض العارفين إذا تجلى الله بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبرة لها وهي أعضاؤه لا يلم بواحدة منها شيء إلا وهو يراه ملما به ، ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد ، ولما انجذبت بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق) إلى أن قال (ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وفي خطبته الموسومة بالطتنجية وغيرها من نظائرهما كقوله عليه السلام ((أنا آدم الأول أنا نوح الأول)) إلى آخر ما قال من أمثال ذلك) انتهى كلامه .

الرابعة : عملوا بمقتضى قوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ

﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[1] فأولئك المؤمنون الممتحنون الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان وشرح صدورهم للإسلام ، وهم المتبعون لقادة الدين الأئمة الهادين الذين يتأدبون بآدابهم وينهجون نهجهم ، فهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان فاستجابت أرواحهم لقادة العلم واستلانوا من أحاديثهم ما استوعر على غيرهم وأنسوا بما استوحش منه المكذبون وأباه المسرفون ، فانقطعوا إلى ربهم وحاولوا قراءة الألواح الآفاقية والأنفسية التي قد نقش الله سبحانه فيها جميع أسراره المخزونة في ملكوته وجبروته ولاهوته ، فعرفوها بتعليم الله سبحانه وتعالى بألسنة أوليائه بعد ما جاهدوا في الله حق جهاده ، فنظروا في العالم والكتاب والسنة من غير معاندة ولجاج ولا قاعدة مأخوذة من غير أهل الحق عليهم السلام ليقبلوا ما يوافقها ويتركوا ما يخالفها أويؤولوا إليها ، ولا استئناس بطائفة ليميلوا بقلوبهم ليمنعهم عن إصابة الواقع بتلون مرآة حقائقهم بلون ذلك الميل ، بل نظروا إلى الكتاب والسنة والآيات الآفاقية والأنفسية بخالص الفطرة وصافي الطوية طالبي الحق والصواب من الله سبحانه بأهل فصل الخطاب عليهم سلام الله في المبدأ والمآب ، فقابلت مرايا قلوبهم عالم النور الذي هو وجه الله سبحانه قال الله تعالى ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[2] فظهرت في قلوبهم صور الحقائق المنتزعة من كتاب الأبرار في عليين ، فنطقوا بالحق والصواب وهو قوله عز وجل ﴿وَٱلَّذِينَ

---

[1] النساء ٦٥ [2] النور ٣٥

جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[1] وهذه كيفيتها وطريقها فعرفوا الشيء الواحد في مقامات عديدة هي خزائن وجوده قال الله تعالى ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾[2] فعرفوه في جميع الخزائن وإن قال تعالى ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾[3] لكنه قال تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[4] وقالوا ((نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون))[5] إذ كلهم محمد أولهم محمد وآخرهم محمد وأوسطهم محمد صلى الله عليه وآله ، ولما كان الشيء الواحد له أطوار وأحوال قال تعالى ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴾[6] طور الإجمال وطور التفصيل وطور البساطة وطور التركيب وطور التصوير وطور التجريد كما قال عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ ﴾[7] وعرفوا كل هذه الأطوار وما تقتضيه الأوطار في عالم الأنوار بتعليم الأئمة الأطهار عليهم السلام صار لا يشتبه عليهم شيء في مقام الاختلاف والكثرة وعدم الائتلاف ، فيعطون كل ذي حق حقه من الأحكام وإن ظهر بألف طور مختلف ، إذ عرفوا اللطيفة السارية في

---

[1] العنكبوت ٦٩ ٢ الحجر ٢١ ٣ الأنعام ٥٩ ٤ الجن ٢٦

٥ الكافي ١ / ٣٤ ح ٤ وهذا نص الرواية كاملا عن أبي عبدالله عليه السلام قال ((يغدوا الناس على ثلاثة أصناف عالم ومتعلم وغثاء ، فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء)) .

٦ نوح ١٣ – ١٤ ٧ يونس ١٩

المجموع الواحد ، فلا يحصل عندهم تعارض ولا تناقض ولا تضاد ، لا في الأكوان ولا في الصفات ولا في الألفاظ والعبارات ولا في أخبار سادة البريات ، ولا في الآيات من المحكمات والمتشابهات فهم مطمئنوا القلب باردوا الفؤاد بالغوا المراد ، يعرفون الغريب من القريب ويأخذون النصيب من المعلى والرقيب ، فلا يحتاجون إلى طرح الأخبار ولا إلى اختلاف الأنظار ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾[1] لأن أهل البيت عليهم السلام علماء حكماء عارفون بمواقع الكلام ولحن الخطاب ، ولم يتكلموا بشيء إلا جعلوا فيه من تسديدهم قرينة تنفيه أوتثبته وإلا لم يكونوا حجة بالغة ، والقول بأنهم يتكلمون بلسان قومهم وما جرت به عادة العرب على نصب القرينة في كل مقالاتهم ولا يمكن لأحد معرفة القرينة لو فرض وجودها باطل لأنهم ما يتركون نصب القرينة إلا إذا عجزوا عن ذلك ، وإلا فمهما يمكنهم لا يتركونها وهو معلوم بديهي لكل عاقل ، وأما عدم الفهم فإنما يتصور إذا لم يمكنه أن يجري كلماته على نهج واحد وطور متسق ، فيختلف في المقال فتختل معرفة كلامه ، وأما الذي يقدر على أن يجري كلماته على اختلافها على نظم محكم متقن مضبوط متسق يتميز مقاله عن غيره لمن عرف السياق ونظم الكلام فلا يترك ذلك وإنما يتكلم كذلك البتة ، ألا ترى القرآن فإنه على نظم وسياق محكم مضبوط لا يشتبه

---

[1] البقرة ٢١٣

بغيره لمن عرفه وقرأه وواظب عليه ، ولا ريب أن الإمام عليه السلام يقدر أن يجري كلامه كما ذكرنا فلا يشتبه بكلام غيره فلا يضره دس الداسين وافتراء المفترين ، إذ في كلامهم عليهم السلام قرائن صدق على حقيته وفي كلام غيرهم قرائن صدق على بطلانه ، ألا ترى إلى الذين أرادوا أن يأتوا في مقابلة القرآن بسورة كمسيلمة وسجاح فأتوا بشيء يقطع كل من سمع القرآن أنه لا يشبهه ولا ينسبه إليه ، وكذلك أخبارهم عليهم السلام عند من يعرف سياقهم ويطلع على نظم كلامهم وعنده موازين قسط من أخبارهم المحكمة ، وقد قالوا عليهم السلام ((إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نور))[1] وقالوا أيضاً عليهم السلام ((إن نخلة مريم إنما كانت عجوة نزلت من السماء فما نبت من أصلها كان عجوة وما كان من لقاط فهو لون))[2] .

والناس لما لم يطلعوا على سياق كلامهم ونظم مقالهم وطور بيانهم ولم يعرفوا كيفية الوزن وأخذ القواعد الكلية من الأخبار المحكمة ورد غيرها إليها ، فوقعوا فيما وقعوا من التحير فاحتاجوا إلى طرح الأخبار واختلاف الأنظار وهم الذين أوقعوا الخلاف فيهم لعلمهم بأنهم في مقام المجادلة بالتي هي أحسن ، فذكروا الشيء الواحد بوجوه كثيرة وأطوار مختلفة غير مؤتلفة ليختلفوا فتسلم رقابهم عن شر الأعادي لكونهم لم يكونوا من أهل ذلك الوادي مثالهم العميان والفيل ، وأما الذي عرف نظام كلامهم وعلم سياق

---

[1] الكافي ١/٦٩ ح ١ ٢ الكافي ١/ ٤٠٠ ح ٦

مقالهم فهو على بصيرة من ربه ، فيجري هذه الأخبار المتكثرة المختلفة مجرى الشيء الواحد الظاهر بالأطوار المختلفة كالتراب الجامع بين الإنسان والحيوان والجماد والنبات ، وفي كل ما يقول ويحكم ويجمع ويفرق مستند إلى كتاب محكم تفسيره ، أو إلى خبر واضح تأويله أو إلى عقل تعرف العقول السليمة عدله ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[1] وهذا معنى قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام كما سبق معناه ((إن المتبعين لقادة الدين)) إلى أن قال ((ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم ، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون وأباه المسرفون وأولئك أتباع العلماء ، صحبوا أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ، ودانوا بالتقية عن دينهم والخوف من عدوهم ، فأرواحهم معلقة بالمحل الأعلى ، فعلماؤهم وأتباعهم خرس صمت في دولة الباطل منتظرون لدولة الحق ، وسيحق الله الحق بكلماته ويمحق الباطل ، ها ها طوبى لهم على صبرهم على دينهم حال هدنتهم ، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم وسيجمعنا الله وإياهم في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم))[2] ، وهؤلاء تلقوا هذه الخطبة وأشباهها من الخطب والأخبار بالقبول وعرفوها وبينوها على ما فهموا من كلمات آل الرسول عليهم السلام كما نبين إنشاء الله في خلال الشرح .

---

[1] المائدة ٥٤

[2] الكافي ١ / ٣٣٥ ح ٣

وأما الطائفة الأولى : الذين طرحوا هذه الخطبة وشبهها من الأخبار وأسقطوها عن الاعتبار ونسبوها إلى الغلاة والمفوضة وغيرهم من الأشرار فلخطئوا جدا واستعجلوا كثيرا ، أما دعواهم بأنها من أخبار الآحاد فليس بصحيح لأنها فوق الاستفاضة بل لا يبعد تواترها معنى لكثرة تكررها وورودها في الكتب في مواضع عديلة والأدعية المأثورة سيما في دعاء رجب المروي عن القائم عليه السلام على ما رواه الشيخ في المصباح ، والزيارات سيما الزيارة الرجبية والزيارة الخارجة عن الناحية المقدسة للحجة عجل الله تعالى فرجه ((سلام على آل يس)) وزيارات أمير المؤمنين عليه السلام ، وشيوع أنهم عليهم السلام يد الله وعين الله ولسان الله وأذن الله ، والزيارة الجامعة الكبيرة ، وأحاديث خلق أنوارهم قبل الخلق وأمثالها من الأمور التي لا يشكون ولا يختلفون في صحتها وأنها منهم ، فنشير إلى كل ذلك إنشاء الله على حسب الجهد والسعة والإقبال فيما بعد إنشاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وكذلك هذه الخطبة الشريفة برواية جابر بن عبدالله الأنصاري ، وخطبة الافتخار برواية الأصبغ بن نباتة ، وخطبة البيان وخطبه الأخرى أيضا من هذا القبيل ، وحديث معرفتهم بالنورانية برواية سلمان وأبي ذر رضوان الله عليهما ، وحديث البيان والمعاني برواية جابر بن يزيد الجعفي ، وحديث مقامات المعرفة برواية جابر في كتاب أنيس السمراء للشيخ سليمان الحلي ، وحديث الأكوان الستة برواية المفضل ، وحديث الرتق والفتق

بروايته أيضا ، والأخبار في هذا المعنى كثيرة وربما تزيد على ألف بل ألفين ، وليت شعري أي حكم من الأحكام التي يثبتونها عندهم عشرة أحاديث أوعشرين ، فإذا أمكن رد هذه الأخبار أمكن رد غيرها الذي لم يبلغ معشارها وكلها في كتب الشيعة الفرقة المحقة ، وفي ذلك خروج من الدين وكفر بما أتى به سيد المرسلين ﷺ ، وطرح الأخبار الكثيرة لعدم المعرفة والبصيرة ليس من شأن المؤمنين الممتحنين ، ولو سلمنا أنها من أخبار آحاد نقول أن الخبر الواحد إذا طابق العقل الصحيح الصريح وجب القول به والعمل عليه ، وكذلك هذه الأخبار فإن الأدلة العقلية القطعية دالة على مضامينها ومدلولاتها ، بل لا يستقيم التوحيد إلا بالقول بها ، ولعمري إن المنكرين يقرون بها من حيث لا يشعرون كما نذكره إنشاء الله تعالى عند الشرح فوجب اعتبارها وقبولها ، وأيضا إن الخبر الواحد إذا لم يكن له معارض أقوى من الكتاب والسنة وإجماع الفرقة المحقة يجب العمل به لكونه حجة لتقرير المعصوم عليه السلام على ما بينا في سائر رسائلنا بالبراهين العقلية والنقلية وذكرها هنا يؤدي إلى التطويل ومن أراد ذلك فعليه بما كتبنا في جواب من سأل عن الأدلة الأربعة التي يذكرها الأصوليون وبيانها فإن ما فيه كفاية للمستوضح المسترشد وهذه الأخبار كذلك ، ودعوى معارضتها ببعض الأخبار باطلة لصحة الجمع بينها ووجدان الدليل عليه من الأخبار الصحيحة أوما يقوم مقامها ، والقول بأنها من حيث السند ضعيفة فيه أنه

ليس كلها كذلك بل فيها أخبار صحيحة الأسانيد باصطلاحهم ، والذين حكموا عليهم بالغلوما ثبت عندنا ذلك وما وجدنا منهم شيئا يدل عليه وليس الحكم بغلوهم إجماعيا حتى يحصل القطع به ، وأخبار الخطابية والشلمغانية وأضرابهم ليست معمولا بها عندنا إلا إذا كانت محفوفة بقرائن الصدق لقولهم عليهم السلام ((إن لنا أوعية من العلم نملأها علما لننقلها إليكم فخذوها وصفوها تجدوها نقية صافية ، وإياكم والأوعية فإنها أوعية سوء فنكبوها))[1] .

مع أن القميين الذين كان أكثر الجرح والتعديل في الأخبار والرواة عنهم كانوا يحكمون بالغلو بأدنى شيء ، فعلى قولهم فنحن كلنا غلاة عندهم كما قال الصدوق في الفقيه عن شيخه محمد بن الحسن بن الوليد إن أدنى الغلو إنكار سهو الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، ولا شك أننا ننكر ذلك بل نجعلهم معصومين مطهرين عن كل دنس فتبصر .

والقول بأنها تخالف العقول باطل لما ذكرنا وما نذكر إنشاء الله تعالى من دلالة العقول الصحيحة عليها ، نعم تخالف العقول المعوجة ، وليس فيها رفع الإمكان عن مكانه وإنما هي تنزيه القديم والأزل عن شوائب الجهات

---

[1] لم نجد نص هذه الرواية بعينها في ما عندنا من المصادر ولكن وجدنا رواية مشابهة في البحار ٢/٩٣ ح ٢٦ هذا نصها قل أبو جعفر عليه السلام ((إن لنا أوعية نملأها علما وحكما وليست لها بأهل فما نملأها إلا لتنقل إلى شيعتنا ، فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها ثم صفوها من الكدورة تأخذوها بيضاء نقية صافية ، وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبوها)) .

الإمكانية كما ستعرف إنشاء الله تعالى ، ولا فيها إثبات الربوبية للمخلوق وإنما هي كما قال عز وجل ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾[1] ولا تستلزم التفويض المجمع على بطلانه وإنما هي كما قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[3] ولا ينافي قوله تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ﴾[4] ، وإنما هي كما قال سبحانه ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾[5] ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾[6] ، والخبر إذا خالف الكتاب المجيد لا شك أنه يضرب على الحائط ، إلا أن هذه الخطبة موافقة للكتاب المجيد ومفسرة ومفصلة كما ستعرف إنشاء الله ، فثبت أن هذه الخطبة من مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام على القطع واليقين ، إذ فيها كلمات ومقامات يقصر مقام المخلوقين سواه عليه السلام عن ذلك .

وأما الطائفة الثانية فهم وإن سلموا في ظاهر الأمر حيث أقروا بعجزهم وقصورهم عن إدراكها ، إلا أن دعوى معارضتها بالأخبار وظاهر الكتاب باطلة كما عرفت ، وأما موافقة الجمهور فليست شرطا سيما في مثل هذه الأمور التي معرفتها حظ المؤمنين الممتحنين الذين هم أعز من الكبريت

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٧ ٢ الزمر ٤٢ ٣ السجدة ١١
٤ فاطر ٣ ٥ المؤمنون ١٤ ٦ المائدة ١١٠

الأحمر ، والعوام ليسوا مخاطبين بأمثال هـذه المعـارف المطويـة في هـذه الخطبـة الشريفة فيلهى عنهم ليظهر لهم الأمر يـوم القيامـة يـوم يقـوم النـاس لـرب العالمين .

وأما الطائفة الثالثة فقد أصـابوا في القبـول والتصديـق وأخطئـوا في التبيين والتحقيق حيث أولوها على غير مرادهـم عليهم السلام ، بـل بمـا يلـزم منـه المفسدة العظيمة والزندقة الكبيرة ، ألا ترى قول الملا محسن حيـث قـال عـن بعض العارفين (إذا تجلى الله بذاته لأحد .. إلخ) فإنه مبني على القول بوحدة الوجود ، ومعنى تجلى الله بذاته لأحد عندهم كشف حجـاب الإنيـة والتعـين الفارقة بين القدم والحدوث فإن ذات العبد عندهم هو الوجود الصرف الذي هو ذات الله سبحانه قد تعين بالتعين المخصـوص كمـا قـال هـو في كلماتـه المكنونة (كما أن وجودنا بعينه هو وجوده سبحانه إلا أنه بالنسبة إلينا محدث وبالنسبة إليه قديم ، كذلك صفاتنا من الحياة والقـدرة والإرادة وغيرهـا فإنـه بعينه صفاته سبحانه إلا أنها بالنسبة إلينا محدثة وبالنسبة إليـه قديمـة ، لأنـها بالنسبة إلينا صفة لنا ملحقة بنا والحدوث اللازم لنا لازم لوصفنا ، وبالنسـبة إليه سبحانه قديمة لأن صفاته لازمة لذاته القديمة ، وإن شئت أن تتعقل ذلـك فانظر إلى حياتك وتقييدها بك فإنك لا تجد إلا روحا تختص بـك وذلـك هـو المحدث ومتى رفعت النظر عن اختصاصها بك وذقت من حيـث الشـهود أن كل شيء في حياتـه كمـا أنـت فيـها وشـهدت سـريان تلـك الحيـاة في جميـع

الموجودات علمت أنها بعينها هي الحياة التي قامت بالحي الذي قام بـه العـالم وهي الحياة الإلهية وكذلك سائر الصفـات إلا أن الخلائـق متفـاوتون فيـها .. إلخ).

وهذا القول هو كفر بالله العلي العظيم وإثبات الكثرة في ذاته تعـالى لاستلزامه الاقـتران والانفعـال والحركـة والتغـير وأمثـال ذلـك مما شـرحنا تفصيلها في تفسيرنا على آية الكرسي ، مع التهافت العظيم الذي في كلامـه إذ قوله (إذا تجلى الله لأحد بذاته) يريد ظهوره بذاتـه علـى زعمـه وذلـك الظهور لا يتم إلا إذا انكشفت الحجب بكلها وأعظم الحجب بـل حقيقتـها هي نفس العبد فلا يظهر المتجلي إلا بكشـفها ولا معنـى لكشـفها إلا عـدم النظر إليها بالوجدان ونسيانها وتنزيلها منزلة الفقـدان مـن دون النظـر إلى الفقدان والوجدان فهناك يظهر له بذاته على زعمه ، وبوجهه ودليلـه وآيتـه عندنا ، فإذن أين الذوات وأين الصفات وأين الأفعال حتى يراها متلاشـية في أشعة ذاته لأنه نسي نفسه فلا يراها فضلا عـن غيرهـا لأن النظـر إلى الغـير بالكثرة فرع النظر إلى نفسه والالتفات إلى المدرك الذي يدرك ويعـرف الغـير فإذا نسي نفسه فأين يجد غيره وإن لم ينس نفسه فأين يجد ربه بتجليه له بذاته لأنه يرى غيره فلا يمكن أن يرى غيره حين يـرى ربـه أويـرى ربـه حـين يـرى غيره ، والنظر على جهة الاضمحلال دليل رقة الحجاب وهو دليل عدم تجلـي

الذات ، تعالى ربي عما يقولون علوا كبيرا ، فما صح كلامه على مقتضى مقامه في مرامه .

وقوله (ويرى ذاته الذات الواحدة فيه) أنه يمتنع عند تجلي الذات وكذا في مقام رقة الحجاب لأنه كلما يقرب يعدم نفسه فيرى نفسه باطلة زائلة مضمحلة فانية بحيث يستحيي أن يقول أنا أويجدها شيئا ليرى ذاته ذاتا واحدة مستولية على كل الذوات ، وصفته واحدة تستولي على كل الصفات فإن وجدان ذاته دليل الفرق وهو هناك عند رقة الحجاب يراه باطلا زائلا لا ينسب إلى نفسه شيئا ، ولذا قال عليه السلام ((وأن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحل ما خلا وجهك))[1] فظهر أن في مقام رقة الحجاب فقر محض واحتياج صرف وعدم بحت فانقطع قوله أنا ، كما قال مولانا الحسين عليه السلام ((إلهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا))[2] ، وأما في مقام كشف الحجاب فلا حس ولا محسوس فلا يجد شيئا ينسب إلى نفسه برؤيته تجلي ربه شيئا ، فأين يرى ذاته ذاتا واحدة والصفة صفتها والفعل فعلها ، وبالجملة فقوله هذا إن كان في مقام رقة الحجاب فباطل لكونه مقام الفقر ، وإن كان في مقام الكشف فكذلك أيضا لأنه مقام عدم الوجدان ، ولا ينبئك مثل خبير ، ومن العجب قوله لاستهلاكه في عين التوحيد ، وكيف يكون مستهلكا في عين التوحيد من

---

[1] مصباح المتهجد ٢٢٠ [2] البحار ٩٨ / ٢٢٥ ح ٣

يرى نفسه الذات والصفات والفعل والكثرة ويفرق بينها ويجعل الكل واحدا ، ليس هذا في ذلك المقام بل في مقام الجبروت ، لكنه لو فرض نفسه أثرا لوجد الفقر المحض في هذا المقام ، لكنه يعتقد أن ذاته هو الله مع التعين ، ففي مقام المعاني يتخيل له هذا الخيال الفاسد ، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

ثم الأعجب قوله (ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة وارتفع التمييز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق) ، إذ بعد الإغماض عما تستلزم هذه الكلمات من الكفر الصريح ، نقول إذا شاهد جمال الذات وارتفع التمييز بين القدم والحدوث على زعمه ، فهل حينئذ يشاهد جمال الأحدية والواحدية ، فإن قلت الواحدية ، قلت هل فيها كثرت الأسماء والصفات أم لا ، فإن قلت لا ، قلت إذا ما الفرق بين الأحدية والواحدية ولا يسعك تدعي الترادف بينهما ، فإن قلت : بلى ، قلت : إذأ بطلت الأحدية إذ جعلتم رتبة الذات مقام الواحدية وبطل توحيدكم لأن مقام الواحدية مقام الكثرة الذكرية الصلوحية الغيبية وإن لم تكن محسوسة إذ فيها مقام الأسماء المتمايزة والصفات المختلفة ، فقوله هذا يتم لو قيل أن مقام الذات مقام الواحدية ولا يقول به عاقل ، فإن قلت الأحدية ، قلت أين هناك

ذكر الغير حتى يقول عليه السلام ((أنا آدم الأول ونوح الأول أنا خالق السموات والأرض بأمر ربي)) إذ لو كان الأمر كما يقول كان الحق متكلما بلسانه لاستغراقه في عين التوحيد فحينئذ فما معنى قوله عليه السلام ((أنا خالق السموات والأرض بأمر ربي)) ، إذ ليس هذا كلام العبد من حيث هو عبد وإنما لسانه على زعمه كالشجرة لموسى ، والرب لا يقول أنا خالق السموات والأرض بإذن ربي إذ ليس له رب يؤوب إليه سبحانه وتعالى ، ولا يمكن التوجيه لهذا الكلام بعد ما قال استهلاكه في عين التوحيد ، ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها ، وأيضا لو كان الأمر كما يقول فلم لم يقل ما قاله علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله مع أنه أفضل منه وأكمل ، وكان يحصل له يحصل ما له من الاستهلاك في عين التوحيد بل ربما كان أكثر وكذلك الأئمة المعصومون عليهم السلام ما تكلموا بذلك مع ما هم عليه من عين الاضمحلال في عين التوحيد حتى قالوا عليهم السلام ((لنا مع الله حالات هو فيها نحن ، ونحن فيها هو ، وهو هو ونحن نحن)) ، وكذلك أحد من شيعتهم المخلصين كسلمان الذي بلغ في المعرفة والتوحيد ما بلغ ولم يسمع منه مثل هذه الكلمات ، نعم قد سمع ذلك من الصوفية وأتباعهم من الملاحدة مثل قول الحلاج (أنا الحق) ، وقول أبي يزيد البسطامي (سبحاني سبحاني ما أعظم شأني) و (ليس في جبتي سوى الله) وقول مميت الدين (أنا الله بلا أنا ، سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها) وقول الآخر :

أنا ذلك القدوس في قدس العماء محجب

أنا قطب دائرة الرحى أنا العلي المستوعب

أنا ذلك الفرد الذي فيه الكمال الأعجب

إلى أن قال : أنا غافر والمذنب .

انظر كيف خلطوا كلام هؤلاء الكفرة الفجرة ومع ذلك يدعون أنهم من شيعتهم ومحبيهم ، حاشا وكلا ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾[1] .

وإذ قد عرفت هذه المقدمة عرفت أن هذه الخطبة الشريفة وما في معناها من الأخبار كلها صحيحة واردة عنهم عليهم السلام ، وبيانها لما كانت مشتملة على أسرار وعجائب وغرائب لا يجوز بل لا يمكن إلا من تفسيرهم وإرشادهم وتسديدهم وتأييدهم عليهم السلام فإن لهم مع كل ولي أذنا سامعة .

ثم اعلم أن الأدلة ثلاثة كما قال تعالى ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[2] فدليل المجادلة للعوام وأهل

---

[1] التوبة ٥٦

[2] النحل ١٢٥

الظاهر فإنه لا يوصل إلا إلى الصور والقشور والظواهر ، وهو دليل إلزامي إقناعي مسكت مفحم ولا يوصل إلى البصيرة التامة والمعرفة الكاملة وهو كما ذكر أهل المنطق وأهل الأصول عن بيان الحجة والقول الشارح وكيفية الاستدلالات اللفظية ومواقع جريان الأصول الأربعة من الاستصحاب والظاهر والقاعدة والدليل .

ودليل الموعظة الحسنة للخواص ولأهل الطريقة لأنه يوصل إلى مرتبة اليقين الذي لا شك فيه وصاحبه أبدا على برد اليقين من غير اضطراب واغتشاش ، وإن لم يوصل إلى المعرفة الكاملة والبصيرة التامة .

ودليل الحكمة لأهل الحقيقة وأهل الأسرار ، السالكين بل الواصلين إلى عالم الأنوار لأنه يوصل إلى المشاهدة والمعاينة والبصيرة التامة والمعرفة الكاملة ، وأنت تعلم أن المدلول نتيجة للدليل ، فإذا كان سريا باطنيا فدليله أيضا كذلك لأنه المنبئ عن دليله فلا يمكن الاستدلال عليه إلا بدليل باطني غيابي شهودي ومن دونه لا يزداد السائر إلا بعدا وهو قولهم عليهم السلام ((وسر لا يفيده إلا سر)) ، فمن حاول معرفة البواطن والأسرار بدليل المجادلة فقد أخطأ الطريق ، ولما كانت هذه الخطبة من أسرار باطن باطن القرآن وهوقد خفي عن أهل هذا الزمان لصعوبة مسلكه ودقة مأخذه وغموض دليله ، فلو كان يعرف بدليل المجادلة لما جهله أحد ، فنحن إنشاء الله نتكلم في هذه الخطبة الشريفة بذلك الدليل ونشاهدها بعين الفؤاد ، فمن ورد موردنا وأكل زادنا

يبلغ مرادنا ، ومن لم يفرق بين إدراك العقل والفؤاد ولم يحصل لقلمه مداد ففرضه التسليم لعل الله يفتح له الباب ويلهمه الصواب ، قال الشاعر :

فإن كنت ذا فهم تشاهد ما قلنا وإن لم يكن فهم فتأخذه عنا

فما ثم إلا ما ذكرناه فاعتمد عليه وكن في الحال كما كنا

ونحن نذكر الخطبة برواية الشيخ رجب الحافظ البرسي في مشارق الأنوار .

قال رضوان الله عليه (خطبة لعلي عليه السلام يقال لها التطنجية ظاهرها أنيق وباطنها عميق فليحذر قارؤها من سوء ظنه ، فإن فيها من تنزيه الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق ، خطبها عليه السلام بين الكوفة والمدينة)[1] .

أقول : إنما يقال لها التطنجية لاشتمالها على أكوار الوجود وأدواره منحصرة في الكرتين والدائرتين المتعاكستي السيرين المتحاذيتي السطحين والمتقابلتي الميلين ، في حال اجتماعهما مفترقتان وفي افتراقهما مجتمعتان ، وهما التطنجان أي الخليجان المتشعبان من البحر المحيط ، وذلك البحر هو الماء الذي خلق الله منه بشرا فجعله نسبا وصهرا ، فجرى خليجان أحدهما من باطنه وهو الماء العذب الفرات السائغ شرابه ومنه انشعبت أربعة أنهار ، فالنهر الذي من الماء من ميم بسم الله الرحمن الرحيم ، والذي من العسل المصفى من هائها ، والذي من اللبن الذي لم يتغير طعمه من ميم

---

[1] مشارق أنوار اليقين ١٦٦

الرحمن ، والذي من الخمر من ميم الرحيم ، وثانيهما من ظاهره وهو الماء المالح الأجاج ومنه انشعبت أربعة أنهار ، عين الكبريت ، وعين أبرهوت ، وعين أفريقية ، وجمة ماسيدان ، وهو الماء الذي نزله الله سبحانه من القرآن فجعل منه خليجين أحدهما شفاء ورحمة للمؤمنين ، وثانيهما عذاب ونقمة للكافرين ، قال الله تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[1] .

ولما كانت هذه الخطبة الشريفة مشتملة على بيان دوران الكاف المستديرة على نفسها السارية بأسرها وكينونتها في هذين الخليجين الذين هما التطنجان سميت بهما ، فقيل للاستعمال الطتنجية تخفيفا أوتغليبا لجهة النور لسر نسوا الله فنسيهم وسيأتي زيادة شرح وبيان في محله لهذا إنشاء الله .

قوله ﷺ (ظاهرها أنيق) لاشتمالها على أسلوب غريب وترتيب عجيب يدهش العارف الناظر بحسن التأدية قائلا ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2] لأن الإمام عليه السلام سر الله المكنون وأمره بين الكاف والنون ، ولما كان في غاية الاعتدال والاستقامة ظهرت الخطبة حاكية لها في دار الخلد ودار المقامة إذ الأثر على مثال ظهور مؤثره والفرع على هيكل تجلي أصله ، وباطنها عميق جريا لحكاية الأثر لقوله عليه السلام ((ظاهري ولاية وإمامة ، وباطني غيب لا يدرك)) ، وظاهرها شرح ظاهر الصنع

---

[1] الإسراء ٨٢ [2] الأنعام ١٢٤

والصناعة ، وباطنها ذكر باطن الصنع والصناعة ، وظاهرها ذكر ظاهر الأكوار ، وباطنها شرح حقيقة الأدوار ، وظاهرها ظهور الكـور في الـدور والـدور في الكور والحركات الوضعية الكروية من المستقيمة والمعوجة ، وباطنها حركات الأقطاب وجريان الألباب ، وظاهرها مقام الأسباب ، وباطنها مقام المسببات ، وظاهرها بيان الاتصال ، وباطنها حقيقة الانفصال ، وظاهرها مقام الفصل ، وباطنها رتبة الوصل ، وظاهرها عالم الأسماء والصفات ، وباطنها عالم التوحيد والذات ، وظاهرها مقامات التجلي ، وباطنها علامات المتجلي ، وظاهرها مقامات السر وسر السر ، وباطنها مراتب السر المستسر بالسر والسر المقنع بالسر ، وظاهرها مقامات الواحدية ، وباطنها مظاهر الأحدية ، وظاهرها قوابل الدلالة ، وباطنها الكلمة التامة بحروفها وألفها ونقطتها ، وظاهرها إقليم الأسماء ، وباطنها عالم المسمى ، وظاهرها ظهور الفاعل ، وباطنها لب الهوية ، وظاهرها حقيقة الفاعل ، وباطنها العماء المطلق ، إلى غير ذلك من الأحوال والأمور التي أكثرها لم يجر بها قلمي ولم ينطق بها فمي ، وكل المراتب التي يمكن تصورها في عالك الكينونة وعالم البينونة وعالم الصفة وعالم الاسم وعالم التجلي وعالم التقدس وعالم العزة وعالم الحمل في عوالم ألف ألف كل أحوالها مشروحة في هذه الخطبة الشريفة بظاهرها وباطنها وهي كما قال رضوان الله عليه ظاهرها أنيق وباطنها عميق .

قوله قُدِّسَ سِرُّه (فليحذر قارؤها) الغير المطلع على أسرارها من ظاهرها وخافيها الغير المتحمل لعلومها الغير الوارد على حوض صاحبها (من سوء ظنه) بإمامه وسيده عليه السلام في احتمال ادعائه أمرا عظيما أو كما صنع أيوب عليه السلام حيث شك وبكى وقال هذا أمر عظيم وخطب جسيم ، أو سوء ظنه براويه ليؤول أمره إلى الإنكار الذي هو الكفر فيقول ليس هذا وليس هذا ، أوسوء ظنه في إدراكه وفهمه لعدم استقامته وإقامته فيفهم منها ما لا ينبغي ويتوهم الغلو لجهله بالمراد ، أويعتقد ذلك لعدم إدراكه بالفؤاد ، ويصغر عظمة الله قهار العباد ، أو سوء ظنه كما ظنته الملائكة لما تجلى نور صاحبها عليهم في عالم الأنوار فقالوا هذا هو الإله القديم ، فقال هو وأخوه وزوجته وأبناؤه عليهم السلام لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قوله قُدِّسَ سِرُّه (فإن فيها من تنزيه الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق) وهو كما قال وهذا التنزيه في الظاهر وما اشتمل عليه ظاهر الخطبة الشريفة ظاهر ، وأما التنزيه الحقيقي فهو الذي فعل عليه السلام في مطاوي كلماته الشريفة عند قوله عليه السلام ((أنا الأمل والمأمول)) وهذا وأشباهه مما يدل على تنزيه الخالق بما لا تطيقه الخلائق وهو قول الحجة المنتظر عجل الله فرجه ((فبهم

ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[1] ، وهومعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته)) ، وقال أيضاً عليه السلام ((رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك ، وعجز القلب عن الفهم ، والفهم الإدراك)) ، وشرح هذا المعنى مولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة ((إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك عنها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير))[2] وهذه الخطبة وأمثالها شرح وبيان لكيفية انتهاء المخلوق إلى مثله ورجوع الوصف من الوصف إلى الوصف ودوام الملك في الملك ، وفيها تنزيه لله سبحانه وتعالى عن الاكتناه والاقتران والاكتساب وتعدد الجهات والاعتبارات وعدم الأسماء والصفات ، وتعظيم لله سبحانه بعموم القدرة وشمول السلطنة وعظم الألوهية ، ويلزم هذا وأشباهه الذي ينكر هذا المعنى المذكور في الخطبة الشريفة ويزعم أن الله سبحانه فاعل بذاته والفاعل يصدق عليه بذاته ولم يعلم المسكين أن الفاعل إذا كان هو ذات الله سبحانه لزم التغير والاقتران ضرورة أن الفاعل مقترن بمفعوله لا يذكر من حيث هو فاعل إلا والمفعول معه وهو مقام الواحدية ومقام الكثرة الأسمائية ، فإذا صح الاقتران صح

---

[1] البحار ٩٨ / ٣٩٣ ح ١
[2] البحار ٩٨ / ٢٢٦ ح ٣

الانفعال ، وإذا صح الانفعال صح التركيب ، وإذا صح التركيب صح الافتقار ، وإذا صح الافتقار صح الحدوث ، وإذا صح الحدوث صح له محدث ، فننقل الكلام فيه فإن أثبت له الفاعلية والعلية فيجب أن تثبت له هذه الأمور ، وإذا نزهت الذات الحق سبحانه وتعالى عن الكثرة الأسمائية والصفاتية فلا بد أن تنسبها كلها إلى الفعل ، والفعل لا يتقوم إلا بالمتعلق والمحل ، فانتهت الأمور كلها مما فيه اقتران وارتباط وإضافة ومساوقة وتجاور وتعاقب وامتزاج وحركة وسكون وغير ذلك كلها إلى الفعل من حيث ظهوره بالمحل الذي هو الفاعل المشتق من الفعل فهناك يتم لك التنزيه الصرف الغير المشوب بشيء من التشبيه ويصفو لك التصديق بقوله عز وجل ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1] ، ومعنى الحديث الذي أخبرني به شيخي وثقتي ومعتمدي جعلني الله فداه عن النبي (صلى الله عليه وآله) في جواب اليهودي إلى أن قال (صلى الله عليه وآله) ما معناه ((فإن الله عز وجل أوحى إلي أن فضلك على الأنبياء كفضلي وأنا رب العزة على كل الخلق))[2] ، انظر في تصريح ما لوح بقوله وأنا رب العزة ، ويأتي الكلام في ذلك إنشاء الله تعالى .

---

[1] الصافات ١٨٠

[2] هذه الرواية كما ترى أورده المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه بالمعنى ونحن نوردها بالنص تيمنا وزيادة في الفائدة قال (صلى الله عليه وآله) ((قال ربي يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق أجمعين)) البحار ٩/٣٠٩ ح ١٠

والظاهرية أرادوا بإنكار هذه الخطبة والأخبار التي في معناها تنزيه الخالق ولكنهم وقعوا في التشبيه والتشريك من حيث لا يشعرون ، وإنما قال بما لا تطيقه الخلائق نظرا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام ((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت))[1] فكان وصفهما فوق وصف الواصفين ، وتنزيههما فوق طاقة المخلوقين ، لأنه سبحانه استخلصهما في القدم على سائر الأمم وأقامهما مقامه في سائر عوالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا يحويه خواطر الأفكار فافهم .

قوله (خطبها بين المدينة والكوفة) ، هذا الذي دعاه إلي بيان الطتنجين وذكر ملتقى البحرين ومزج العالمين لانطباق الظاهر مع الباطن والصورة مع الحقيقة ، فإن المدينة منتسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله لأنها أول أرض آمنت بالله وبولاية ولاة الأمر عليهم السلام بعد أرض مكة ولذا شرفها الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وآله لأنه صلى الله عليه وآله أول من آمن بربه وأول من قال بلى حين قال ألست بربكم ، والكوفة منتسبة إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لأنها أول أرض آمنت بالله وأذعنت بالولاية لولاة الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أرض المدينة فشرفها الله سبحانه بعلي عليه السلام ، فجرى لأرض الكوفة ما جرى لصاحبها المتمكن فيها من حكم الطتنجين ، وجرى عليها حكم زحل الذي هو كوكب أمير المؤمنين عليه السلام ، ألا

[1] تأويل الآيات ١٤٥

ترى إلى الذم الذي ورد عن أهل العصمة عليهم السلام لهم وما قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام حتى قال فيهم عليه السلام ((اللهم إني قد سئمتهم وسئموني))[1] وخاطبهم مولانا علي بن الحسين عليه السلام ((يا أهل الكوفة ، ويا أهل الغدر والحيلة)) ويكفيهم ذما وخسرانا ما فعلوا بالحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة ، وترى ما في أرض الكوفة من غور مياهها ويبس أنهارها وعدم نمو أشجارها وملوحة مائها ، وقد سمعت المدائح الكثيرة التي لها ولأهلها من كونها قطعة من أرض الجنة وإليها تأوي أرواح المؤمنين وهي مختلف الملائكة وقد صلى في مسجدها ألف نبي وألف وصي ، وأن القائم عليه السلام إذا خرج يكون محل حكمه وقضائه مسجد الكوفة وبيت ماله مسجد السهلة وخلوته النجف الأشرف على ساكنها آلاف التحية والشرف ، وفي آخر الرجعات تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما ورائها إلى ما شاء الله ، وأمثال ذلك من الفضائل الجمة والمناقب الكثيرة فجرى فيها بالتبع تأويل قوله تعالى ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] ، وهما الطتنجان ولما كان ينبوعهما واحد ومجمعهما هو البحر المحيط ، وكانت المدينة مظهر لذلك السطوع وحاملا لذلك الينبوع وجرى فيها ذلك بحكم المجاورة والمناسبة اقتضى المقام أن يكون بيان هذه

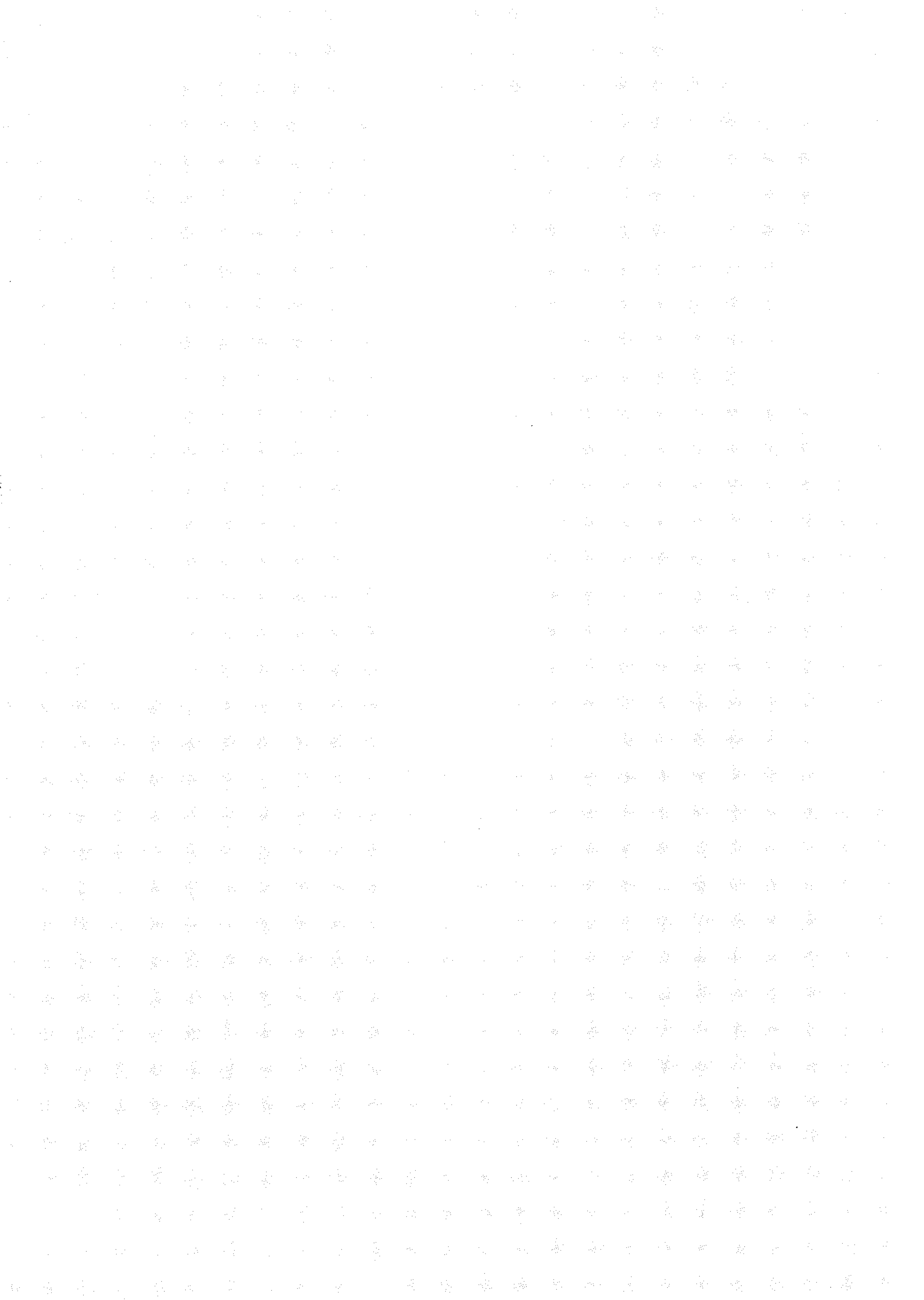
---

[1] البحار ٤٢ / ١٩٥ ح ١٣ [2] الحديد ١٣ [3] المائدة ٥٤

المقامات والأحكام بين المدينة والكوفة ، لأنهم يضعون الأشـياء في مواضعـها ويجرون الأمور في أوقاتها الصالحة لها ، لأنـهم عليهم السلام مظـاهر الرحمانيـة الـتي استوى بها ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1] فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه .

---

[1] طه ٥



قال عليه السلام
الحمد لله الذي فتق الأجواء وخرق الهواء
وعلق الأرجاء وأضاء الضياء وأحيى الموتى وأمات الأحياء

أقول : مادة الحمد بيان الشكل المربع وصورته شرح شكل المثلث ، فعند الجمع هو السبع المثاني والقرآن العظيم ، فاستنطق منه اليد قال الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ ﴾ أهل العرب أول المنكرين لنبوة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم في عالم الذر الأول ، أي أوله في القابلية الأولى ، أي الثانية الظلية ، ومن تبعه من الأولين والآخرين إلى ما لانهاية له في التشريع والتكوين ، وإن كان بعد امتياز الغث والسمين فإن رحمة الله لا تتناهى فكذا غضبه لعدم تخلف الظل عن الأصل والظلمة عن النور فافهم ، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ توهموا ذلك حسب دعواهم المجتثة عند ملاحظة إنياتهم الملعونة المشركة وإلا فلا استقلال ولا تذوت لهم إلا بها ، ﴿ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[1] ، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ

---

[1] النمل ٢٤

﴿ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾[1] ، ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ﴾، وطردوا عن الرحمة المكتوبة وعن التجليات الشهودية السرمدية الإلهية بلا حجاب أن قالوا ذلك بلسان أعمالهم عند المباحات وعدم حفظ السر وفي الحجاب الأبيض الأعلى ، أن قالوا ذلك بلسان أعمالهم عند المرجوحات الغير المحرمة وفي الحجاب الزبرجد ، أن قالوا ذلك بما ذكر عند المحرمات مع التألم الحسي الذي هو في الحجاب الأسود أي الأخضر ، كل ذلك مع الدوام الأبدي السرمدي ، أن قالوا ذلك بلسان اعتقادهم وفي الدنيا مع كل ذلك أن قالوا ذلك بلسان مقالهم ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ يد الفضل ويد العدل ، وهما الطتنجان المتشعبان من الحمد من ظاهره وباطنه وموافقته ومخالفته ، ﴿ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ في التكوين والتشريع والتأصيل والتفريع ، من أحكام الخزائن الغيبية والقياسات اليقينية والبراهين العلمية والكشوف الحقيقية في الأكوار والأدوار في الليل والنهار ، في عالم الأنوار والأكدار في الإعلان والإسرار ، فدلت الآية الشريفة بالمعرفة العيانية أن باليد ظهر الكون والوجود فامتاز الشاهد والمشهود والموجود والمفقود ، وتبين العابد من المعبود ، فاليد هي مجمع الكمالات وينبوع الخيرات ، وهي مشتقة من الحمد ومستنطقة عنه فهي واحد في مقام الجمع ، وأربعة في مقام الصفة ، وسبعة في مقام الفرق ، وأربعة عشر في مقام التفصيل ، فلما استنطقت منه اليد

---

[1] مريم ٨٨ - ٩٠

استنطق منه الجواد والوهاب ، إذ كل الممكن في أحوالهم وأطوارهم وأوطارهم من فاضل جود الجواد وهبة الوهاب ، إذ لم يتصور للممكن حال إلا وهو طارق باب جوده ورشحة من رشحات عطاياه ومننه التي هي عين حمده ، فكلهم لسان للحمد بل نفس للثناء الذي هو الحمد ، بل مشتق من الجواد والوهاب المشتقين من اليد المشتقة من الحمد ، فلما اشتقت هذه الثلاثة منه ظهر مقام الوجه والجناب ، فإن المشتق منه وجه للمشتق وظهور له قال تعالى ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[1] ، فالحمد هو الوجه للذات التي هي ذو الوجه ، ولذا تقول لله مطلقا سواء كان وجها للتوحيد وآية للتنزيه والتفريد أووجها للتجليات الأسمائية والصفاتية والفعلية ، وظهور الجلال والعظمة والكبرياء بجميع مراتبها وأحوالها وهو قوله عز وجل ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] ، فالحمد هو المدار في عالم الأكوار والأدوار وفي الأظلال والأنوار وهو السبع المثاني ، ولقد فسر قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[3] بسورة الحمد لكونها سبع آيات تثنى في كل صلاة في التكوينية في أول مقام الفرق ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[4] إلى آخر نهايات مراتب التفصيل والكثرة ، وفي التشريعية كذلك إلى هذه الصورة ذات الأركان والأوضاع ، والحمد في كل صلاة يتكرر لتمام أربعة عشر لكمال ظهور

---

[1] القصص ٨٨ [2] الصافات ١٨٠ - ١٨٢ [3] الحجر ٨٧ [4] الفاتحة ٥

الوجهية في الحروف النورانية ، وهذا التكرار وتفاصيل الآيات في السورة المباركة إنما هي وجوه لفظ الحمد المطابق لمعناه لما بينا أن الكثرة في مقام التفصيل هي وجوه الواحد في مقام الإجمال ، وهذا الذي ذكرنا ملاحظة الصورة مع المادة مجتمعين ، وإن لاحظتهما مكعبتين فيدل على ظهور العرش في الكرسي في المنطقة التي هي أكمل مقامات ظهوره على اثني عشر برجا تسير الشمس فيها فتمد العوالم الكلية والجزئية بالشموس الكلية والجزئية فيكون مكث الشمس في كل برج شهرا كاملا شمسيا في كليات العوالم العلوية والسفلية التي آخرها العالم الجسماني والشمس الجسمية قال الله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] على جهة العموم والتفصيل ، والشمس هي النبوة والقمر هو الولاية ، فالحمد ظاهر بالولاية المطلقة في مقام التفصيل ، أي تفصيل الشجرة إلى الأصول والأغصان ، ومالك لها بتمليك الله الذي هو أولى بالتملك بل هو المالك حقيقة قال سبحانه وتعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[2] في مقام الوحدة ، فصار الحمد هو الكلمة الأولى العليا والمثل الأعلى والنبي والولي من شجرة واحدة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أنا الشجرة وعلي

---

[1] التوبة ٣٦ [2] الكهف ٤٤

أصلها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها وعلومهم ثمرها))[1] ، وهذه الشجرة هي الشجرة الإلهية الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار ، فظهر في الحمد العدد الكامل بنفسه مصرحا ، وبمثناه كناية وملوحا في الظهورات الغيرية والعدد التام بمثناه مصرحا وبنفسه ضمنا ، وكل الكمالات العددية والحرفية ترجع إليهما ، والظاهر مثال الباطن والصورة على طبق الحقيقة ، قال مولانا الرضا عليه السلام ((قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا))[2] ، وليس الحمد إلا إظهار صفة الكمال من حيث هو من غير مقابلته بشيء بل نفس الظهور ، فإن المظهر حقيقة إنما هو الظهور إذ لو كان في المظهر جهة غير جهة الظهور كان بتلك الجهة حاجبا لا مظهرا ، فدل على أن الحمد المطلق هو الكمال المطلق وهو في الحقيقة واحد لكونه إما مثال الواحد وأثره الحاكي لما تحقق عندنا أن الأثر على مثال مؤثره

---

[1] لم نجد هذه الرواية بعينها فيما لدينا من المراجع ووجدنا ما يقاربها ففي معاني الأخبار ص ٩٣ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا أصلها (أي الشجرة) وأمير المؤمنين فرعها ، والأئمة من ولده أغصانها ، وشيعتهم ورقها وعلمهم ثمرها)) ، وفي بصائر الدرجات ص ٩٥ عن عمر بن يزيد قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى (شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء) قال : فقال ((رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جذرها وأمير المؤمنين فرعا والأئمة من ذريته أغصانها وعلم الأئمة ثمرها وشيعتهم المؤمنون ورقها ، هل ترى فيها فضلا يا أبا جعفر ، قال : لا والله ، فقال : والله إن المؤمن يولد فيورق ورقة وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقته)) .

[2] لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ولكن وجدنا ما يقرب منها ففي عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٥ قال عليه السلام ((قد علم ذووا الألباب أن الاستدلال على هناك لا يكون إلا بما ههنا)) .

من حيث هو هو ، أو نفس الواحد الذي هو تجلي من تجليات الأحد ، والأمران مرادان إلا أن كل واحد في صقع غير الآخر ، إذ الواحد استنطاق البسملة وظهر ذلك في الحمد إذ استنطاق الواحد هوالألف القائم المعبر عنها بالهمزة التي لها من العدد واحد ، والواحد لما تكرر وتضاعف صار منه اثنان ، وكذلك الألف القائم لما تنزل أي انبسط صار منه الباء وهي الألف المبسوطة في اصطلاح أهل الجفر ، والباء لما تكررت وانبسطت صارت منه الدال فهي تكرر الباء لفظا ومعنى ، كما أن الباء تكرر الألف كذلك ، والدال هي أول المربع والمربعات كائنة ما كانت وبالغة ما بلغت إنما تنتهي إليها ، وهي هيئة الولاية الظاهرة بالتدبير والتأليف والتصوير والتكييف ، ولذا يقال للولي المطلق أبو تراب وهو مقام الدال ، والسر في ذلك أن المقبول لا يوجد عينا إلا بالقابل فوجوده من شرائط وجود المقبول ووجود المقبول من متممات وجود القابل ، فوجبت بينهما المساوقة و الحواية ، وقد ينسب التقدم إلى المقبول للأصل والذات ، وقد ينسب إلى القابل للظهور والبقاء والاستمرار والتعبير كذلك إنما هو لبيان حكم المساوقة ولذا ورد تقدم خلق السماء على الأرض والعكس وذلك لأن حرارة حركة الفاعل لكونها في مقام الاسم المستقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره لحقتها اليبوسة فكانت نارا ، والأثر الصادر منها لكونها يشابهها وهو الرابطة بين الفاعل والقابل لحقته الرطوبة فكان هواء ، والمنفعل وهو حيثية

القبـول ووجهـه مـن نفسـه لكونـه نـاظرا إلى الأثـر ومرتبطـا بـه لحقتـه الرطوبة ، ولانفعاله لحقته البرودة فكان ماء ، ومن جهة إمساكه وحفظـه لأثـر الفاعل لحقته اليبوسة فكان ترابا فبالأربعة ظهر الائتلاف والتثبت وبـالرابع يتم لأنه جزء أخير للعلة التامة ، ولذا قلنا أنها هيئة الولاية المطلقـة فظـهرت الدال في الحمد دون الألف والباء لسر التربيع علـى مـا ذكرنـا فـإن الألـف والبـاء لهمـا حكـم التثليـث فقـد ظـهر حكمـهما في صـورة الحمـد لا في مادته ، فلما تكـررت الـدال نطقـت الحـاء لبيـان حملـة العـرش وأنـها مـن ظهورات الأصل الواحد في مقـام التفصيـل لا التأثـير ، والعـرش هـو مبـدأ البداء وعلل الأشياء وعلم الكيفوفة ، ولما تكررت الحاء خمس مـرات ظـهرت الميم وهي تمام ميقات موسى عليه السلام ، وإنما كررت خمسـا للإشـارة إلى المقامـات والعلامات الخمسة في كل من هـذه المراتـب ، وتوسـطت الميـم لأنـها محـاط أولأنها شرح الحاء والدال ، وتقدمت الحاء لكونها حياة العالم وبها قـد جـرى القلم لأن الحياة من الصورة ، وتـأخرت الـدال لكونـها المـداد ومنـه يستمد القلم ، فالمادة إنما تظهر بعد الصورة وإن كانت مقدمة عليها ، فلوح بما يشـار به إليها بما يقتضيان من حكم الظهور والبطون والتقدم والتـأخر في الوجـود والظهور ، فتم بذلك صوغ الحمد ظاهرا مطابقا لصوغ معناه باطنـا ، فـالحمد هو الصفة الكمالية المطلقة الكلية التي لها هيمنة على كل الكمالات وهو في أعلى مقامات المعاني إذ كل المعاني تؤول إليه وتنتهي لديـه ، لأن الحمـد هـو

الثناء وهو فعل المثني من حيث هو ، أي أثره الصادر من فعله ، فالثناء ركن المثني فلا يظهر بل لا يوجد كونه مثنيا إلا بالثناء فالمثني إنما هو كذلك بالثناء فإن كان في ظهوره في مقام الثناء فيتحد الثناء والمثني ، وإن كان لا في مقامه فلم يكن مثنيا به بل بغيره وهذا خلف وإن كان في مقامه ، فإن قلت باتحادهما صح وإن قلت باختلافهما فصار المختلف من حيث هو كذلك متفقا وبالعكس ، هذا هو الحكم في كل المشتقات ، فصار معنى المثني هو الظاهر بالثناء وظهور الفاعل بالثناء ليس إلا عين الثناء وإلا لزم أن تكون الذات عين الظهور وهذا خلف ، ولا شك أن ظهور الشيء هو صفته كالصورة في المرآة فإنها صفة المقابل وظاهريته لها بها أولك بها ، فأنت نصف المقابل بما تجلى بفعله فيها فإذا نظرت إلى المرآة تشاهد المقابل فيها مع أن تلك الصورة المشهودة إنما هي أثر المقابل بفعله ، فصار ظاهرية المقابل أثرا لفعله وهذا معنى قولنا أن أسماء الفاعلين كلها مشتقة من الفعل ، ومعنى قولهم أنها مشتقة من المصدر ونحن نجتمع معهم في اسم الفاعل في المصداق والواقع لا المراد .

فإذا عرفت أن الثناء فعل المثني وفعله صفته وهو الحمد ولا شك أن كل الثنايا تقصر عن ثناء الحق سبحانه إلا ما أثنى به على نفسه قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[1] ، فثناء

---

[1] شرح النهج ١/٥٩

الله على نفسه ليس إلا إيجاد تلك الصفة السارية الجارية في كل شيء بجميع أنواع الجريان والسريان في جميع أنواع الأكوان والأعيان ، في بعضها سريان المؤثر بظهوره بفعله في الأثر ، وفي بعضها سريان الباطن في الظاهر ، وفي بعضها سريان المطلق في المقيد ، وتلك الصفة هي الحمد لله سبحانه وهو اللائق بجناب قدسه ، وكل ثناء رشحة من رشحات ذلك وقطرة من بحر ظهوره ، فلا ثناء يصل إليه ولا حمد يتصل به. وذلك الحمد لله سبحانه والولاية المطلقة ظهوره وتفصيله ، أما سمعت قوله صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي حامله ، وأعطيت الحوض وعلي ساقيه ، وأعطيت الجنة والنار وعلي قسيمها))[1] ، هذا معنى الحمد على الظاهر .

ثم تلك الصفة المعنوية الإلهية لوحظ فيها من حيث ظهور الفاعل فزيد فيها الوأوواالياء واللتان هما من حروف اللين في الوسط فقيل محمود وحميد والثاني مبالغة للأول ، قال تعالى ((أنا المحمود وأنت محمد شققت

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في الفضائل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها ، وأعطي علي ثلاثة ولمشاركه فيها ، فقيل : يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام ، فقال : لواء الحمد لي وعلي حامله ، والكوثر لي وعلي ساقيه ، والجنة لي وعلي قاسمها ، وأما الثلاث التي أعطيت عليا ولمشاركه فيها فإنه أعطي رسول الله صهرا ولماعط مثله ، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولماعط مثلها ، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولماعط مثلهما)) .

لك اسما من اسمي))[1] وقال تعالى ﴿ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ﴾[2]، وقال عز وجل ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[3] فافهم السر المعمم والسر المتمم فإنه من الأسرار المقنعة بالسر .

ولوحظ فيها جهة التعلق والارتباط فزادوا في التكرار تارة وفي إظهار الأصل الواحد المكرر أخرى ، فقالوا محمد وأحمد فزادوا الميم الذي هو تكرار الحاء الذي هو تكرار الدال الذي هو تكرار الألف القائم ، وإنما زادوا الميم في الأول وشددوا الميم الثاني لبيان ثمانين ألف سنة التي كان يطوف حول جلال القدرة قبل أن يصل إلى جلال العظمة ، وزادوا الهمزة في أحمد في الأول لبيان الأصل الواحد الذي نشأ منه الحمد وأنه شيء واحد تضاعف وتكرر إلى أن ظهرت منه الأربعة عشر المنازل النورانية واثنا عشر البروج في الأكوار والأدوار الكونية فافهم فكم من خبايا في زوايا لا يمكن البيان خوفا من فرعون وملئهم .

وأما سر الألف واللام وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية مع أنها أدخل في المقام وأوفق بمدارك الأفهام فاعلم أن الألف واللام للتعريف والتعريف هو الظهور وعدم الخفاء ولما كان الحق سبحانه أظهر الأشياء بل لا ظهور إلا ظهوره ولا يرى نور إلا نوره ولا يسمع صوت إلا صوته وهو

---

[1] أمالي الصدوق ٣٥٤ [2] إبراهيم ١ – ٢ [3] الإسراء ٧٩

سبحانه وتعالى لا يظهر بذاته وإنما يظهر بأدلته وآياته كان وجهه ودليله وآيته هي المعرفة التي لا تنكير فيها بوجه من الوجوه فإن النكارة جهة الكثرة ولما كانت الألف اللينة هي آية ظهوره ومثال تجلي نوره في عالم الحروف وكانت صورة لا حركة لها ولا تعين أضافوا إليها وقارنوا بها اللام التي هي مظهر الألف لأن اللام هي الثلاثون ليلة لميقات موسى وهي مراتب القابليات والألف هي الواحدة ومقام الواحد الذي هو رتبة المقبول فبالقابل ظهر المقبول فناسب أن ينضم إلى الألف اللينة اللام وخصوها بها دون غيرها ومن هذه الجهة توهم بعض أهل الجفر أن اللام والألف حرف مستقل فجعلوا الحروف تسعة وعشرين حرفا وما دروا أن الألف هي سر الحروف ومحقق حقائقها ومذوت ذواتها وهي أبوها وكل الحروف أولادها، فصارت الألف واللام هما بلجتماعهما حرف التعريف يفيد تعريف مدخولهما وهي للحقيقة والأصل، إنما هو ذلك لا الاستغراق ولا العهد الذهني ولا الخارجي، وتوهم أن العهد الخارجي إشارة إلى الثناء الذي يثني الله سبحانه نفسه جهل بذلك الثناء ونسبته مع غيره فأدخلت الألف واللام التعريف على الحمد لبيان أنه صفة الله ووصفه ودليله وتجلي تجليه وأقامه مقامه في سائر عوالمه فدل بالألف واللام على أن الظهورات كلها تنتهي إليه لأنه أول من تجلى بالألف واللام بعد الله الرحمن الرحيم ولذا ورد في الكتاب الكريم

بعد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] ولاحظ ما سبق ملوحا في المبدأ والمشتق .

ودل بالجملة الاسمية على أنه خلق ساكن لا يدرك بالسكون وأنه ذات الذوات والذات في الذوات للذات ، ودل بالرفع على أنه مثال الأسماء الحسنى والصفات العليا ولذا ذكره بعد البسملة ومثال الفاعل هو الرفع قال عليه السلام ((كل فاعل مرفوع)) ودل بالابتدائية على أنه ينبوع كل خير ومبدأ كل إحسان بل هو العرش للرحمن ولذا صار في كل الاستعمالات والاطلاقات مختصا بالله سبحانه و راجعا إليه تعالى ، فكان عرش الرحمن ومعدن الامتنان ، ودل بالمصدرية على أنه حدث صار عن محدث مؤثر ومعنى رابط فاصل واصل ما تمحض في الاسمية ولا في الأثرية بل أمر بين الأمرين قال تعالى ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[2] .

والله اسم للظاهر بالألوهية ، وهي الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية من صفات القدس والإضافة والخلق ، وله هيمنة وتسلط على كل الأسماء والصفات والتعلقات ، ولذا يوصف ولا يوصف به قال تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[3] ، وهو مشتق من أله والإله يقتضي مألوها والاسم غير المسمى ، فمن قال أن الله علم للذات

---

[1] الفاتحة ١ – ٢   ٢ النور ٣٥   ٣ الإسراء ١١٠

المقدسة القديمة تقدست وتعالت أخطأ الصواب فإن المسمى أمر خارج عن حقيقة الذات المقدسة مع ما في المسمى والاسم من الاقتران والاتصال والانفصال والنسبة الذاتية ولا أقل من الوضعية ، ومن قال أنه كلي جامع أخطأ لأن الكلية والجزئية من صفات المخلوقين والله منزه عن ذلك ، وذلك يستلزم الكثرة النسبية الإضافية الذاتية وذلك يستلزم التركيب ، ومن قال أنه صفة مشتركة في أصل الوضع والحصر في الفرد أخطأ لأن الاشتراك يستلزم اتحاد الأصقاع وفي ذلك رفع للواجب والإمكان عن مكانهما ومرتبتهما ، ومن قال أنه اسم للذات الظاهرة بالألوهية فمن قال أنها هي للذات القديمة من حيث اعتبارها مع الألوهية فقد قارنه بشيء فثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد أنكر أزله ، ومن قال أنها هي الظاهرة بالألوهية بنفسها بها والرحمن اسم للذات الظاهرية بالرحمانية نفسها بها وهي آية ودليل وعلامة ومقام للذات (القدسية) القديمة سبحانه وتعالى حال التوجه والالتفات لا فرق بينها وبينها في التعريف والتعرف والمعرفة إلا أنها خلقها وعبدها فتقها ورتقها بيدها بدؤها منها وعودها إليها ، قال عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[1] ، وقال عليه السلام أيضا ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع عنها وإليها حاكمها))[2] ، فمعنى الأسماء اللفظية هي الأسماء المعنوية وهي

---

[1] الصراط المستقيم ١ / ١٥٦ [2] شرح النهج ١٣ / ٤٤

الدوال على مسماها المقارن لها المتصف بها ، والمجموع وجه الله الواحد القهار تلتفت إليه سبحانه من غير التفاتك إلى الاسم والمسمى والدال و المدلول ، كما أني إذا قلت لك يا قائم فإني ما أعني إلا ذاتك من غير ملاحظة القيام ولا جهة اقترانك به ، وإنما جعلته وجها أتوجه به إليك كالصورة في المرآة لملاحظة المقابل الخارج ، فالأسماء في مقام الواحدية وكذا مسمياتها ، والذات رتبتها الأحدية ، فمن قال هذا المعنى وأراد هذا المعنى وعرف هذا المعنى فقد أصاب فإن الاسم ليس لصرف الذات بالضرورة ، وإنما هو لظهوراتها أي ظهورات الفعل .

والظهور على قسمين عام وخاص ، فالظهور العام لعمومه يخص وهو اسم الله ، والمراد بالعموم سريانه في كل الأسماء والصفات بحيث تكون الأسماء كلها وجه من وجوهه وطور من أطواره ، ولما كانت الألوهية هي المعبودية وهي الاستيلاء التام القائم على كل نفس بما كسبت ، كانت الأسماء كلها جهات ظهوراتها فإن المعبود يجب أن يكون خالقا وما يتعلق به وكاملا وما يتعلق به من الكمال والأحوال ومنزها من جميع الشوائب واللواحق المتعلق بالمخلوقين العابدين ، والأسماء والصفات كلها لا تخلو عن هذه الثلاثة ، فمنها صفات الخلق كالخالق البارئ المصور الرزاق المحيي المميت المهلك الغافر المنعم وأمثالها ، ومنها صفات الكمال التي يعتبر في مفهومها الإضافة وإن لم يتعلق بالخلق من حيث هو كذلك كالعالم والقادر والسميع

والبصير والحي وأمثالها ، ومنها صفات القدس وهي صفات التنزيه كالقدوس والسبحان والعزيز وأمثالها ، وكل هذه من ظهورات الألوهية التي هي المعبودية ولذا لا يضاف العبد إلا إلى الله كما في قوله ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1] .

وأما الاسم الخاص فقد يكون إضافيا وأنحاء الاضافيات تختلف ، والعام الكلي بعد اسم الله هو الرحمن وهو الجامع للقسمين من الصفات أعني الإضافة والخلق ، فإن الرحمن اسم للذات الظاهرة بالرحمة الواسعة مقام الاستواء على العرش فلا يعتبر فيه إلا الإضافة وليس له مقام التنزيه الصرف وليس من أركانه الأحدية كما في اسم الله قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] فالظاهر بالرحمة الواسعة أنزل من الظاهر بالألوهية بمرتبة واحدة ويشتركان في كل الأحوال قال تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[3] وتفصيل المقال في هذه الأحوال يطلب في تفسيرنا على آية الكرسي وكتابنا اللوامع الحسينية .

اعلم أن هنا كلمات وأسرار عجيبة غريبة طويت أكثرها ورمزت بعضها فإن شافهتني ربما تحظى ببعض ذلك ، فإن إيراد كل ما يخطر بالبال يؤدي إلى تكثير المقال فإن لبيان هذه الخطبة الشريفة مقامين ، الأول : شرح العبارات والفقرات المذكورات ، وحل العبارات واستخراج المراد من غامض

---

[1] الفاتحة ٥ [2] الإخلاص ١ [3] الإسراء ١١٠

الإشارات ، والثاني : خصوصيات التعبير وجهات التقدير وسر التقديم والتأخير ، وكل واحد خصوصا الثاني يحتاج بيانه إلى تمهيد مقدمات غريبة ليفهم السامع المراد ، ولا يمكن إيراد كل ذلك نعم نشير إنشاء الله إلى المجموع إشارة ليقف الجاهل ويعرف الحق من سبقت له من الله الحسنى .

قوله عليه السلام : فتق الأجواء

اعلم أن الفتق هو ضد الرتق وهو الحركة بعد السكون والانفصال بعد الاتصال والإظهار بعد الخفاء ، والاشتقاق عند وجود المبدأ وعند الذكر في المبدأ ، والتكون في الأكوان بعد ما كان مستجنا في الإمكان ، والجو هو سماء الاعتدال ومرتبة الوصال ومقام الاتصال وصلوح الانفصال ، وهوالإشارة إلى قوله عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[1] ، وجمع الجو لبيان تعدد الأصقاع وتكثر الأجناس والأنواع وهو قوله عز وجل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[2] والخزائن أعم من أن تكون في السلسلة الطولية وحدها أوالطولية والعرضية معا ، وأعم من أن يكون كون الشيء من حيث هو أوكونه من حيث تجلي مبدؤه فيه ، والتجلي أعم من أن يكون تجلي الوحدانية أوتجلي الوجوه والمبادئ المتوسطة الحاملة ، وتجلي الوحدانية أعم من أن يكون تجلي الأحدية أوتجلي الواحدية ، وتجلي الواحدية أعم من يكون تجلي الهوية أوتجلي الألوهية

---

[1] الأنبياء ٣٠ [2] الحجر ٢١

والرحمانية أوتجلي سائر الأسماء والصفات وجهات التعلقات ، وكـون الشـيء من حيث هو أعم من أن يكون مـن حيـث نظـره إلى وجـه مبدئـه أي عملـه بمقتضى إجابته لتكليف ربـه حيـث خاطبـه بلسـان نفسـه﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[1] إجابة لسؤاله لما أجاب سؤالهم بأن كلفهم ، أويكون مـن حيـث نظـره إلى نفسـه مـن حيـث مخالفـة مبدئـه مـن حيـث دورانـه علـى خـلاف التوالي ، وللكل أصقاع وأجواء كانت رتقا فجرى الفتق فيها على نظم واحد محكم متقن ، كذلك الله ربنا لا إله إلا هو له الحكم وإليه ترجعون .

فالجو الأول جو الظهور والكلام في هذا المقام وإن لم يحسـن ، إلا أنـا نشير إشارة ما إلى نبذة يسيرة قليلة لتنبيه المستوضح المسترشد ، ومرتوقية هذا الجو ومفتوقيته يتصور على أنحاء منها الظهور المطلق للخلق ، بقول مطلق مما أحاط به اسم العالم الكرة الواحدة المستديرة الدائرة على قطب واحد من غير محور ، وهذا الظهور كان رتقا كما هو الآن في نظر أبناء الزمان من إنكـارهم الوسائط ونسبة الكـل إلى الله الخـالق وهـو حـق وصـواب لكنـهم أخطئـوا الصواب ، ففتق هذا الرتق بامتيـاز الظـهور في عـالم السـرور وصقـع النـور فتشعبت إلى الظهور الجمادي والنباتي والحيواني والجني والملكـي والإنسـاني والنبوي والولوي والظهور الإطلاقي وهذه تسعة أفلاك في عالم الظهور الإلهي بالآيـات قـال تعـالى ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[2] فـإذا

---

[1] الأعراف ١٧٢ — ٢ الأنبياء ٣٠

تحققت الأفلاك في عالم الظهور فاعلم أن الظهور في كل مقام أيضا كان رتقــا ففتق إلى الظهور المطلق الذي ليس هناك إلا ذكر المظاهر والظهور المتوجه إلى التعلق والظهور المتعلق ، فالأول هوالأفلاك والثاني هو العناصر والثالث هو المتولدات .

وأما بيان كيفية تربيع العناصر وتثليث المتولدات في الجوالأول فاعلم أن الظهور المتوجه إلى التعلق على أربعة أقسام ، الأول الظهور المتعلق بمظهر الخلق والإيجاد وهو طبع النار ، والثاني الظهور المتعلق بمظهر الحياة وهو طبـع الهواء ، والثالث الظهور المتعلق بمظهر الرزق وهو طبع الماء ، والرابع الظهور المتعلق بمظهر الموت وهو طبع الأرض ، فلما دارت أفــلاك الظـهور الصـرف على هذه الظهورات وامتزج بعضها في بعض وحصل التعلق فاختلف بين ما تعلـق بالقشـر واللـب ولـب اللـب ، فـالأول هـو الجمـاد ، والثـاني هـــو النبات ، والثالث هو الحيوان ، فدارت الأفــلاك علــى العنـاصر فتولـد منـها الأسماء والصفات ولا نهاية لهذا الدوران فلا نهاية ولا غاية لهذا التوليد ، وإنما صار كذلك لأن أول مقامات الظهور وهو الواحد كان رتقا ففتق منه الثلاثـة بنظره إلى الأحد وإلى الأعيان الثابتة وإلى رتبة مقامه ، وهذه الثلاثة كانت رتقا ففتقـت منـها التسـعة بتجذيرهـا بالتفاتـــها إلى مراتـــب نفســـها فــدارت تسعة ، وهذه هي الأصول والعلل فلما لوحظ الأحد مع الواحـد الـذي هـو الثلاثة كانت أربعة وهذه هي العناصر فدارت الأفـلاك علـى هـذه العنـاصر

فتولدت منها الأسماء الإلهية الفعلية الحقيقية اللاتناهية ، فأول الأفلاك المفتوقة من الظهور المرتوق هو اسم الله وهو الفلك الأعظم الكلي المحيط المسخر لكل الأفلاك الأسمائية ، والفلك الثاني هو اسم الرحمن ﴿ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[1] ، وأما الأفلاك السبعة المستملة من هذين الفلكين الأعظمين فالسابع منها الذي هو الرابع هو اسم الله البديع فإنه مطرح ظهور الاسمين الأعلين فيستمد من باطن اسم الله ويمد الفلك السابع الذي هو الرب ومن ظاهره فيمد الفلك التاسع الذي هو المبين ، ويستمد من ظهور باطن الرحمن ويمد الفلك السادس الذي هو الباعث أوالعليم ومن ظاهره إلى الفلك الثامن الذي هو المحصي ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[2] ويستمد من باطن قران الاسمين من حيث النظر والالتفات ويمد الفلك الخامس الذي هو القاهر ، ومن ظاهر القران والامتزاج يمد الفلك السابع الذي هو المصور .

وأما العناصر فعنصر النار وهو اسم الله القابض ، وعنصر الهواء وهو اسم الله الحي ، وعنصر الماء هو اسم الله المحيي ، وعنصر التراب وهو اسم الله المميت ، وروح هذه الأفلاك ومقوم وجودها هوالاسم الأعظم وهو هو لأنه باطن الله ، وروح هو هو هـ من غير إشباع ، وظاهر هذه الأسماء الشريفة وجامعها ومقدرها وحاملها ومجليها هو اسم الله العلي وقد قال مولانا الرضا

---

[1] الإسراء ١١٠ [2] يس ١٢

عليه السلام ((إن أول الأسماء هو العلي العظيم لأنه أعلى كل شيء ومعناه الله))[1] وقد علمت أن معنى الله هو هو ومعنى هو هو هـُ ، فكان هـ قطبا لهو وهو قطبا لله واسم الله قطبا لعلي ، وهو الكرة المحيطة بكل الأسماء وقد قال عز وجل ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] وذلك من غير الإشباع وصف بالحكمة ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ٣ ، وقال مع الإشباع ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾٤، فوصف بالعظمة فكان ذكرا للركوع قال تعالى ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾٥ قال النبي صلى الله عليه وآله ((اجعلوها في ركوعكم))٦ ، كما كان العلي الأعلى في السجود قال تعالى ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾٧ قال صلى الله عليه وآله ((اجعلوها في سجودكم))٨ ، وفي الدعاء ((وباسمك الأعظم ، وذكرك الأعلى)) .

وعلى هذا يصح أن تقول أن الفلك الأول الأعظم هو اسم العلي ، والفلك الثاني هو العظيم ، لأن الإحاطة والاستدارة الإمدادية لا تكون إلا عند التنزل إلى عالم الظهور ، فلما تنزل هوإلى الرتبة الثانية التي هي

---

[1] لم نقف على هذه الرواية المذكورة وإنما وقفنا على ما يقرب منها في المعنى وهي ما رواه في البحار ٤ / ٨٨ ح ٢٦ ((فأول ما اختار الله لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأسماء كلها فمعناه الله))

[2] الزخرف ٤ ٣ البقرة ١٦٩ ٤ البقرة ٢٥٥ ٥ الواقعة ٧٤ ٦ علل الشرائع ٣٣٣

٧ الأعلى ١ ٨ البحار ٩٠ / ١٣٥ ح ٤

مقام الظهور وظهر العلي العظيم حال الاستنطاق فكان علي حال الظهور هو هو حال البطون قال تعالى ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[1] سواء قرأت بالإضافة أورفع الصراط ليكون خبر إن والمعنى في كلا الحالين واحد.

والدليل على أن الأفلاك تعتبر في الأسماء زيادة على ما قدمنا قول سيدنا ومولانا الحسين عليه السلام في دعاء عرفة ((يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيبا في ذاته (كما صارت العوالم غيبا في عرشه) محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار))[2] فافهم الإشارة لئلا تضل وتشقى.

ثم إن الظهور في كل مرتبة من هذه المراتب التسعة كان رتقا ففتق سبحانه إياه فتقتين ظهور كلي وظهور جزئي، والظهور الجزئي كان رتقا ففتقه إلى الظهورات وأطوار التعينات، والظهور الكل كان رتقا ففتقه إلى قسمين فالقسم الأول منه هو الله أي الظاهر بالألوهية، والقسم الثاني منه هو الرحمن أي الظاهر بالرحمة الواسعة، والظهور بالألوهية كان رتقا ففتقه إلى الأحدية والواحدية، وهنا مقامات للرتق والفتق ينقطع دونها الكلام.

والجو الثاني جو الوجود المطلق كان رتقا ففتقه إلى الحال والمحل، والحال هو النقطة الجوهرية الإلهية الثابتة في العالم السرمدي، كانت رتقا ففتق منه الألف النفس الرحماني الأولى والرياح المثيرة للسحاب على

---

[1] الحجر ٤١ [2] الإقبال ٣٥٠

شجر البحر ، وهو كان رتقا ففتق منه الحروف العاليات وهي السحاب المزجى ، ثم اجتمعت الحروف وتراكمت السحب فتحققت الكلمة التامة ، والسحاب المتراكم والمحل كان رتقا ففتقه إلى الإمكان الراجح والوجود الراجح قال تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ ﴾[1] ، والوجود الراجح كان رتقا ففتقه إلى قسمين أي إلى الإجمال والتفصيل والفضل والنور والرحمة ، والقسم الثاني كان رتقا ففتقه إلى خمسة أشباح وهو أبو الخمس النبي في الدعاء ، والقسم الرابع كان رتقا ففتقه إلى ثمانية أشباح أخر فلما تمت الأشباح الأربعة عشر التي هي قصبة الياقوت وحجاب اللاهوت فاستقرت الكلمة عليها وظهرت فيها فكانت محلا لها ، فلما تمت الكلمة بتمام محلها ظهرت دلالتها وتم السحاب بوجود الأرض الجرز البلد الطيب التي هي من تمام قابلية ظهور آثاره الذي هو الماء فترى الودق يخرج من خلاله ، أوتم السراج الوهاج بتعلق نار الشجرة الإلهية على الزيت الذي يكاد يضيء ولولم تمسسه نار ظهر النور ، وهذا النور والماء والدلالة هو .

الجو الثالث وكان رتقا ففتقه الله تعالى إلى سبع طبقات متطابقات بالعلو والسفل ، وكل طبقة كانت رتقا إلى الأفلاك التسعة والفلك الكرسي في كل من السبعة كان رتقا ففتقه إلى الكواكب والبروج والمنازل ففتقه أفلاك تداوير لكل كوكب ، وسائر الأفلاك السبعة كانت رتقا ففتقها إلى الأفلاك

---

[1] النور ٣٥

الجزئية بين الاثنين والثلاثة والأربعة فتحققت سبعة أجواء ، وكل جو كان رتقا وفتقه إلى تسعة أفلاك ، والجو الجسماني المفتوق إلى الأفلاك الجسمانية آخر الأجواء ، وقد أشار الإمام عليه السلام إلى جميع ما ذكر لمن عرف على ما رواه في مجمع البحرين قال عليه السلام ((كان عرشه على الماء ، والماء على الهواء والهواء لا يحد ولم يكن حينئذ خلق غيرهما ، والماء يومئذ عذب فرات ، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا ، ثم أزبد فصار زبدا واحدا فجعله في موضع البيت ، ثم جعله جبلا ثم زبد ، ثم دحى الأرض من تحته ثم مكث الرب تعالى ما شاء الله ، فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزبدت فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك ، وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب ، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات وذلك قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾))[1] ويأتي لهذا الحديث الشريف بيان إنشاء الله فيما بعد عند بيان خلق السموات والأرض .

---

[1] مجمع البحرين ٥ / ١٦٦

وقوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) براعة استهلال لما يريد أن يبين في هذه الخطبة الشريفة ، وقد قال علي عليه السلام على ما رواه في مجمع البحرين ((إن محمدا صلى الله عليه وآله هو الفاتق الراتق))[1] ويؤيده قوله عليه السلام في خطبة يوم الغدير في وصف محمد صلى الله عليه وآله ((أقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار))[2] ولذا اشتق اسمه من اسمه وهو المحمود وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وهو الأعلى ووليه علي عليه السلام.

وقد قال مولانا الصادق عليه السلام على ما رواه المفضل ((إن القديم هو هو بلا كيفية ، ولما شاء أن يظهر حجاب ذاته اخترع نورا من نوره لا بائن عنه مفتوقا ولا ملتصق به مرتوقا ، فأقامه في نفسه مخترعا له شعاع يتوقد فقال له اعرفني في ذاتك ولا تكن لي حاجبا ، فنطق النور بالتقديس وقال : أنت لا شبيه لك أقمتني من مشيئتك بقدرتك ظاهري من نورك وباطني نفسك)) ، قوله عليه السلام ((حجاب ذاته)) هذا الحجاب مخلوق وإلا لم يكن حجابا قال عليه السلام في الزيارة ((وعلى أوصيائه الحجب))[3] ، وكذا الذات المحتجبة بالحجاب فإنها مرتبطة ، والارتباط حركة والحركة افتقار مع إضافة الذات إلى الضمير فإنها تفيد التمليك والاختصاص فهي ذات شريفة خلقها الله

---

[1] مجمع البحرين ٥ / ٢٢٤ [2] الإقبال ٤٦١ [3] الإقبال ٦٣١

سبحانه ونسبها إلى نفسه كقوله تعالى ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾[1] ، والكعبة بيتي .

وقوله عليه السلام ((اخترع نورا من نوره)) يعني من تلك الذات المخلوقة وقد يعبر عنها بالحق المخلوق به .

وقوله عليه السلام ((لا بائن عنه .. إلخ)) يريد معنى قول جده أمير المؤمنين ((ليس بينه وبين خلقه بينونة عزلة بل بينونة صفة)) .

وقوله عليه السلام ((فأقامه في نفسه)) هو من معنى قوله عليه السلام ((أقامه مقامه في سائر عالمه)) .

وقوله عليه السلام ((وباطني نفسك)) يريد بها النفس المخلوقة التي معرفتها عين معرفة الرب ولا فرق بينه وبينها إلا أنه عبده وخلقه قال عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه)) أوالنفس التي لا يعلم ما فيها عيسى على نبينا وآله وعليه السلام وكما حكى الله سبحانه عنه ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[2] .

فإذا عرفت هذه الإشارات عرفت أن ما نذكره فيما بعد في هذه الخطبة الشريفة شرح وبيان لفاتق الأجواء وفالق الإصباح ، وقد قلت لك سابقا أن الفاتق ليس صرف الذات لارتباطه إلى الفتق فلا يكون إلا في رتبة

---

[1] الحجر ٢٩ [2] المائدة ١١٦

الفتق بتنزله إليه بظهوره ، والمتنزل ليس هو الذات وإنما هو الظهور المرتـوق المفتوق بالأسماء والصفات وأنحاء التجليات .

قوله عليه السلام وخرق الهواء

يريد بيان توليد المتولدات وشرح استخراج النبات بالمياه النازلة من السحاب ، فخرق سبحانه الهواء بتصعيد الأبخرة والأدخنة بشمس اسم الله القابض ، ثم تقطيع هذه الأبخرة وتجزئتها في الهواء باسم الله الباسط والباعث ، ثم مزج كل قسم بربعه من اليبوسة الهبائية باسم الله الرحمن والحي ، ثم تعفين هذه الأجزاء لتميل اليبوسة إلى السيلان والرطوبة إلى الانجماد والانعقاد باسم الله الرب المؤلف ، ثم الانعقاد التام ثم التأليف والتراكم في الهواء ثم إخراج الماء من خلاله وإحياء الأشياء المتولدة كلها به ، وهذه الفقرة متممة للفقرة الأولى المشار بها إلى الآية وهي قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾، وإشارة إلى الآية التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾[1] من المتولدات من الجماد إلى أن يصير معدنا ، ومنه إلى أن يصير نباتا ، ومنه إلى

---

[1] الأنبياء ٣٠

أن يصيرا حيوانا ، ومنه إلى أن يصير إنسانا ، وحياة هذه المراتب كلها بالماء الذي هو المتقاطر من السحاب الحاصل من خرق الهواء في كل عالم بحسبه ، في عالم الأنوار والأسرار والأرواح والأظلة والأشباح والأجسام في الأفلاك والعناصر والمتولدات ، إلا أن التصعيد والتعفين في كل عالم بحسبه ، ففي الأنوار نورانيان ، وفي الأسرار سريان ، وفي الأرواح روحانيان وهكذا .

والهواء هو الرابط والفاصل بين الفاعل والقابل ، فهو السائر والمتحرك إليهما وهو الباب وحامل الخطاب يتلقى من الفاعل الفيض والتأثير ويحمل إلى القابل بعد تمكينه القابلية بالطبخ والنضج والتعفين ولذا كان طبعه الحار والرطب ، أما حرارته فلارتباطه بالفاعل الذي ليس هوإلا الظهور والحركة الكونية أي التكوينية الإمدادية والكلمة العليا الصدورية والحركة لا تقتضي إلا الحرارة ، وأما يبوسة الفاعل من جهة أنه الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ، والباب والفأصل البرزخ من جهة مجاورته للجهة العليا اقتضى الحرارة ، ومن جهة ميله إلى القابل وارتباطه به مترجما لوحي الفاعل للقابل اقتضى الرطوبة ، فوقع في الصقع مجاورا لصقع الفاعل فلما كان دائم الاستمداد للمجاورة كان طبع الحياة واسم الله المدبر له هو الحي فلا يتحقق موجود مكوَّن بفتح الواو إلا بتوسطه سواء كان في الشرع الوجودي أوالوجود التشريعي وسواء كان في الصفات وصفات

الصفات وصفات صفات الصفات وهكذا ، أو في الألفاظ والحروف ، أو في الإعراب والحركات ، فكان به قوام كل متحرك وساكن وظاعن وقاطن وهومعنى قول الإمام عليه السلام ((إن الله لا يخلي الأرض من حجة وإلا لساخت بأهلها))[1] وذلك لعدم حامل الفيض وباب الخطاب وطبع الحياة .

ولما كان الباب والحجاب هو النسبة المستدعية للطرفين ، طرف القابل وطرف الفاعل كان لا يظهر إلا بظهور القابل المتقوم المتأصل بوجوده ، ولما كان القابل ليس شيئا إلا بفعل الفاعل وتأثيره فلا يتحقق إلا بمقابلته واتصاله بفعل الفاعل ، وكان فعل الفاعل لا ينزل إلى رتبة القابل لكمال المباينة والمنافلة ((وطبيعتك من خلاف كينونتي))[2] وجب وجود القابل بذاته للمقابلة ونزول الفاعل بأثره للمواصلة ، ومجمع الوصال وباب الاتصال ومحل اللقاء هو الهواء ، فيخرق الهواء بتصعيد لطائف القابلية إليه ونضجه إياها وتعديله لها بإيصال تأثير أثر الفاعل إليها وتمكينه إياها به القبول حتى يتم الشيء ويظهر مشروح العلل مبين الأسباب ، ولذا لا تجد شيئا من الأشياء في كل أحواله وأطواره وأوطاره يتم ويكمل إلا إذا نضج في الحرارة والرطوبة ويعفن في حمام مارية ، وكلما كان فيه الحرارة والرطوبة المعتدلتان

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يشابهها من الروايات منها ما رواه في البصائر ص ٤٨٨ ((لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)) وفي ص ٤٨٩ ((لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها)) .

[2] علل الشرائع ١٠

الغير المشوبتين بالأعراض والغرائب أقوى كان قوته ونشاطه وبقاؤه ودوامه وحركته أقوى وأشد ، ولذا حكموا على أن الذهب حار رطب لطول بقائه وعدم اضمحلاله وفنائه .

وخرق الهواء وإن كان في الهواء الأول الذي كان قبل خلق الخلق ، وكان أول المخلوقات والموجودات كما دلت عليه الأخبار الكثيرة كان خرقه عبارة عن أمرين وكلاهما مرادان .

الأول : خرق ذلك الأمر الواحد بذكر الكثرات والنسب والإضفافت وصلوح القرانات ، أي تهيؤه لانشعابه بالشعب الكثيرة وهذا أول الخرق في هذا المقام يراه أهل الظاهر والإحساس شيئا واحدا غير منخرق بل هو مرتوق ، ويراه أهل الحقيقة العارفون منخرقا خرقا فعليا واقعيا لا يصلح لجريان أحكام الوحدة المحضة أصلا كما يتوهمه بعض الناس .

والثاني : خرقه بلحوق المشخصات وإضافة المعينات وتمايزه بالجهات والاعتبارات ، وهذا الخرق على قسمين كلي وجزئي ، وكل منهما حقيقي وإضافي في تلك الرتبة ، وإن كان المراد بالهواء هوما قال الإمام عليه السلام لما سئل عن الله أين كان قبل خلق السموات والأرض قال عليه السلام ((كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء))[1] ، والعماء هو السحاب الرقيق ، وخرق ذلك الهواء عبارة عن إيجاد ذلك السحاب فيه به منه عنه ، فإن الهواء في الحديث

[1] عوالي اللآلي ١ / ٥٤

عبارة عن الإمكان الراجح أول التعين عالم فأحببت أن أعرف أول مقام الظهور وليس بعده إلا المجهول المطلق ، وأين سؤال عن ظهور الله سبحانه كما هو الآن في السموات والأرض ، أي هل كان لله سبحانه ظهور في صقع من الأصقاع قبل خلق السموات والأرض أم لم يظهر إلا بعد خلق السموات والأرض أوحين خلقهما وهما الخلق الذي عناه سبحانه بقوله الحق في الحديث القدسي ((فخلقت الخلق لكي أعرف))[1] ، فأجاب عليه السلام بأن هذا الخلق الذي يصير سببا ودليلا للمعرفة لا ينحصر في خلق السموات والأرض بل ذلك الخلق هو بحر الإمكان الذي هذه الأمور الموجودة من السماء والأرض قطرة من ذلك بل رشحة من رشحات قطرة من قطراته ، وهو بحر لا يساحل وطمطام لا يحاول ، بحر أسود مظلم كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في ملكه ونازعه في سلطانه وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، لكونه الظهور المحض الذي تقصر كل الظهورات عنده وتنتهي المظاهر لديه ، فهو يسبق المدارك والمشاعر لأنه أقرب إليها من أنفسها قربا لا يتناهى ، فخفي لشدة ظهوره واستتر لعظم نوره ، فلا يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فهو أول خرق وقع في الهواء فقبض من رطوبة الرحمة المتصاعدة من أرض الوجود

---

[1] البحار ٨٧/ ٩٩

المطلق الإمكان الراجح بنفس تلك الرحمة ، فأقامها في الهواء الذي هو نفس تلك الأجزاء فخلطها بالهباء المنبث في ذلك الهواء الذي هو عين الهواء ، فعفنها وقدرهما فيه به منه فتحقق العماء فيما لا نهاية له في الأكوار والأدوار فحكى مثال ظهور الله الواحد القهار ، فكان هو المثل الأعلى والآية العظمى ، أو هيكل التوحيد ومثال التنزيه والتفريد ، فالسحاب الذي هو العماء هو سحاب المعرفة أولا والماء النازل منه ماء المحبة والمعرفة يحكي وجه ذلك السحاب ، فجرى في أرض القابليات فسالت أودية بقدرها من المعرفة بتقدير الكم والكيف والجهة والوقت والمكان والوضع ، وذلك الماء النازل من السحاب المنخرق في الهواء وإن كان ليس فيه تكييف وتحديد إلا أنه من عالم اللانهاية ووصف اللاكيفية وعين معرفة الحق ((اعرفوا الله بالله))[1] ((يا من دل على ذاته بذاته وتنزه عن مجانسة مخلوقاته))[2] ، إلا أنه يظهر على حسب ذلك التقدير من غير التفات إليه كالصورة الظاهرة في المرآة الحاكية للمقابل على ما في المرآة وما لمرآة عليه مع قطع النظر عن خصوصية المرآة وتقاديرها ، فالخرق الواقع في هذا الهواء على ضربين الأول خرق ينفتح وينفجر منه ماء المعرفة وشراب المحبة في مقام بينونة الصفة في عالم الإمكان وأشار إلى هذا المعنى في قوله العزيز ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[3] فالكاف هو الكاف المستديرة على نفسها والكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وقول كن هو

---

[1] التوحيد ٢٨٥ [2] دعاء الصباح المروي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام [3] مريم ١

مظهر الهوية والشمس المضيئة والعماء الذي فوقه هواء وتحته هواء في الأزلية الثانية ، فانفجر من هذه العين ماءان وتشعب منه طتنجان الماء الأول والطتنج الأول مقام الظهور الإلهي والبيان الحالي والتجلي الوصفي فأشار إليه بالهاء التي تكون بعد الإشباع هو قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] وإنما لم يأت بالواو إشارة إلى أن مقام الظهور المطلق لا يلتفت إلى الإشباع وهو في عالم النسبة وهذا في مقام قطع النسبة ولذا يقال لسورة التوحيد نسبة الرب ، واختار الهاء لأنها إشارة إلى تثبيت الثابت وأن التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى ، لأن صورة ظاهر الهاء عين صورة باطنها ، ولأن ذلك التجلي الذي هو خرق الهواء إنما ظهر في خمس مقامات وهي المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه لا فرق بينه وبينها إلا أنها عباده وخلقه ، ولتوضيح هذا الشان وتشييد هذا البنيان قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((إن قلت هو هو فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت الهواء صفته فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله ، الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته)) .

[1] الإخلاص ١

ولعمري إن الهواء هو هو وإنما زيد فيه الألف والهمزة اللتان هما من أغيب الغيوب لمبالغة الغيبة الذاتية والشهود الفعلي المشار إليه بالوأوالتي هي من حروف الشهادة ، فالهواء أثبت في الغيبة من هو وهو جزء منه ظهور له انفصل منه وانخرق عنه ولذا يشار به إلى الإمكان الراجح والجائز أيضا في بعض المقامات لعدم وجود الإمكان وظهوره في الأكوان والأعيان حتى سموه علما وليساً ، والعدم المتصور والعدم المخلوق المدرك المميز المعبر عنه ليس إلا الإمكان وكل الأشياء مما كان أوما يكون من الذوات والصفات والتوصيفات والامدادات الوجودية والعلمية والأكوان الشرعية والشريعة الكونية كلها قد انخرقت من هذا الهواء إلا أن أول ما خرق منه كان هو العماء الذي كان الله سبحانه ظاهرا ومتجليا فيه ، وأول ما ظهر من ذلك العماء هو الهاء لنفسه ولغيره ، والماء الثاني والطبخ الآخر هو ماء الوجود ، والمداد الأول والدواة الأولى والنفس الرحماني الثانوي مادة المواد وهيولى الهيولات واسطقس الاسطقسات وقد يطلق الهواء على هذا الماء أيضا لذكر الماهيات وصلوح الإنيات وظهور النشأة وقد خرق منه ما شاء من خلقه بالمشية الكونية كما ذكرنا سابقا ، وروى الصدوق رضوان الله عليه في التوحيد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال ((إن الله عز وجل خلق العرش أرباعا لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور ، ثم خلقه من أنوار مختلفة))[1]

---

[1] التوحيد ٣٢٥ - ٣٢٦

يريد عليه السلام بالهواء هو العمق الأكبر على الوجه الحقيقي لا المجازي فإن المجاز لا يسبق الحقيقة بل يستلزمه ولو سلم عدم الاستلزام فلا بد من تقدم الوضع ويقبح من الحكيم أن يمنع المستحق أولا من عطيته ثم يجعله فرعا وتابعا في الاسم لفرعه وتابعه في الذات تعالى تعالى ربي عن ذلك علوا كبيرا ، ويريد بالقلم الماء الذي به حياة كل شيء وقد يطلق عليه المداد أيضا ، ويريد بالنور هو أرض الجرز والبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه ، هكذا قال شيخنا أطال الله بقاه وجعلني من كل محذور فداه .

أقول : ويجوز أن يراد بالهواء هو السحاب المزجى ، وبالقلم هو السحاب المتراكم لأنه القلم الأعلى يمده سبحانه من طمطام يم الوحدانية وسماء فلك القيومية أنحاء الامدادات وأنواع الفيوضات والتجليات المكنونة المخزونة في حقيقة ذلك السحاب بقيومية نفسه بظهوره عليه وهو أول غصن أخذ من شجرة الخلد على أعلى المعاني ، لأن شجرة الخلد حقيقة هي الشجرة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية لكونها مغروسة على سواء الجبل من أرض الإمكان الراجح ، وهو البيت الذي من دخله كان آمنا من العدم والفناء ، وما دخله إلا أناس مخصوصون فحيوا بحياة الأبد وداموا بدوام السرمد فتشرفوا بمقام الوجهية وفازوا بمقام البابية ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[1] لانقطاع ارتباط حقائقهم وانفصام روابط ذواتهم وإنياتهم في

---

[1] القصص ٨٨

أصل التذوت في التكوين والتشريع عن غير المبدأ فما استدعوا شرطا ولازما ومقوما غير بارئهم وخالقهم ، فما احتاجوا إلى مقوم إلا في الصدور خاصة ، وجل جناب الباري جل اسمه أن يطرد من أناخ ببابه ولاذ بجنابه وانقطع عن غيره ، فذلك البيت بيت الأمان وتلك الدار دار الخلد وتلك الشجرة شجرة الخلد فليس من أهل الخلود حقيقة واقعيا إلا من كان واقفا مقام الرجحان في عالم الوجود والإمكان ، وأما في مقام الوجود المقيد الذي هوالإمكان الجائز فهو وإن كان أيضا مقام الخلود لكنه البيود والفناء والتغير والاضمحلال والانقطاع والانفصال وعدم الاستمرار والكسر والصوغ بخلاف الوجود المطلق إذ لا يجري عليه شيء من هذه الأحوال لأنه لا يجري عليه ما هو أجراه ، فشجرة الخلد هي شجرة الوجود المطلق وأول غصن منها هو المشيئة وهي القلم الأعلى والحجاب الأدنى ، هذا بناء على أن ما فوق العقل من المراتب كلها من الوجود المطلق ، وأما إذا حصر الوجود المطلق بالمشيئة وأجري على المراتب الأخر حكم البرزخ فيكون هو المشيئة وأولادها من المشيئات الجزئية فتكون المشيئة الكلية أول غصن منها وباقي الأغصان كلها كليها وجزئيها غصن لهذا الغصن الكلي .

فإذا ظهر المراد من قوله عليه السلام ((أول ما خلق الله القلم))[1] من غير تكلف الحمل على الأولية الإضافية ، ويراد بالنور هو الوجود المقيد أي

---

[1] تفسير القمي ٢/١٨٩

الوجود الصالح للتقييد لأنه النور الذي استضاء منه كل نور ونورت به الأنوار في الإعلان والإسرار ، فإذا أريد بالهواء العمق الأكبر فمعنى خرقه هو ما ذكرنا لك سابقا ، وإن أريد به السحاب المزجى كما ذكرنا فخرقه عبارة عن انقسامه إلى أحد عشر قسما من غير زيادة ولا نقصان كل ذلك من الألف الذي هو النفس الرحماني الأولي قد نشأت منه وعادت إليه وكلها مجتمعة في السحاب المتراكم وإليه يشير تأويل قوله تعالى ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[1] روى القمي بإسناده عن أحدهم عليهم السلام أنه قال عليه السلام ((﴿ حمٓ ﴾ هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام ، والليلة المباركة فاطمة الزهراء عليها السلام ﴿ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[2] أي إمام حكيم بعد إمام حكيم))[3] .

---

[1] الدخان ١ – ٣ [2] الدخان ٤

[3] لم نقف على هذه الرواية بالنص ولكن وقفنا على ما يقرب منها ففي الكافي ١ / ٤٧٩ ح ٤ ، وفي تفسير الصافي ٤ / ٤٠٤ أن رجلا نصرانيا سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن تأويل هذه الآيات فقال عليه السلام ((أما (حم) فهو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هو الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف ، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأما الليلة ففاطمة عليها السلام ، وأما قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) يقول يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم ، فقال الرجل : صف الأول والآخر من هؤلاء الرجال ، فقال : إن الصفات تشتبه ، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديما ما فعلتم)) .

فلما دلت الأخبار وصحيح الاعتبار أنهم كلمة الله العليا والمثل الأعلى والكلمة الطيبة كان مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النقطة ومقام علي عليه السلام هو الألف والنفس ومقام الأئمة عليهم السلام مقام الحروف العاليات وهو مقام السحاب المزجى في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ وهو علي عليه السلام ﴿ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾[1] والرحمة هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام هو دليل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآيته واسمه ونوره ويرجع في الكرة الثانية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال في الآية الأخرى ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابًا ﴾[2] وهذا السحاب إنما أثير من الرياح لقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[3] وهذا السحاب المزجى هو الائمة المعصومون الأحد عشر من أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام ، وهذا هو الهواء المنخرق إلى هذا المقدار والعدد المعين ﴿ ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾[4] وإنما عبر عنهم عليهم السلام حيث كونهم مجتمعين في صقع واحد هواء لأنه عليه السلام أبو تراب ومقام الحجاب ووجه الباب ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النقطة الجوهرية الإلهية وهي النار المشرقة عن شمس الأزل ، وهي الحديدة المحمية بالنار في ثاني المقام إذ ليس ذاته إلا حركة الظهور بالبطون فهو صلى الله عليه وآله وسلم دائم الحركة حاكي لصرف الوحدة ، وليس في ذاته مقام

---

[1] الأعراف ٥٧ — [2] ، [4] النور ٤٣ — [3] الروم ٤٨

سكون ووقوف ، بل ذاته مجرى الإفاضة وفوارة القدر بل نفس القـدر الـذي يفور بل ظهور المقدر بالتقدير كما سنشرح لك إنشاء الله فيما بعد .

وأما علي عليه السلام فهو حامل الخطـاب وطـارق البـاب بـل هـو البـاب وحقيقة الخطاب ولذا كني بأبي تراب ، وأما الهواء في ذلك الصقـع والفضـاء ليس إلا الأئمة الهداة عليهم السلام لأنهم الروابط والنسب والفاصلة بين البحريـن بحر النبوة المحمدية صلى الله عليه وآله والولاية العلوية عليه السلام الخارجون من الـدرة الفاطميـة صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها كالهواء الفـأصل والرابـط بـين النار والماء والتراب ، وكرة التراب في عالم الأنوار مقدم على الهواء والمـاء وفي عالم الأكدار مؤخر لسر يطول بذكره الكلام ، ولذا ترى البرج الترابي واقعـا بين الناري وقبل الهوائي فنقول الحمل ناري والثور ترابـي والجـوزاء هوائـي والسرطان مائي فافهم .

وأما فاطمة عليها السلام فهي مزاج القابلية وطبـع الحامليـة ومـقام الصـورة وهو طبع الماء فتمت العناصر الأربعة في عالم الســرمد ورتبـة الأبـد ، فخـرق الهواء لإظهار الاسم الأعظم هو فهو منخـرق مـن الهـواء لفظـا ومعنـى كمـا أشرنا إليه ، وإنما كان هو منخرقا عن هذا الهواء لظهور كـل أركـان التوحيـد مشروحا مبينا في الأحد عشر هيكل التوحيد لظهور التوحيد والنبوة والولايـة وأحكام ليلة القدر كلها فيهم بخلاف ما عداهم عليهم السلام ، لأن في عالم التفصيـل يظهر ما كان مخفيا متفرقا في عالم الإجمال ولذا ما ظـهر اسـم هـو في ﴿ قُلْ هُوَ

﴿ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] إلا في هذه الهياكل وراثة عن محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام قال عليه السلام ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[2] وهذا المعنى هو المراد من قوله عليه السلام ((خرق الهواء)) لمن ويفهم ويعقل .

ثم أنك عرفت مما سبق أن الهواء هو محل الاعتدال ومقام النضج ورتبة الطبخ ، وأنت لو كان لك بصر حديد عرفت أن النضج والطبخ والتعفين في التشريع والتكوين والتمكين والتمرين والإطلاق والتعيين والإبهام والتبيين إنما صار في هذا الهواء وليس بعده إلا التقطير والتصفية وأخذ الصافي ورمي الثفل التراب ، ولذا ورد ((إذا خرج الحسين ابن علي عليه السلام يطهر الأرض عن كل رجس ودنس ونجس ، حتى الحيوانات التي لا تؤكل لحومها)) ، هذا معنى قولهم (خذ الثفل وارم الرماد) ، فرسول الله صلى الله عليه وآله هو معرف المادة الإكسيرية ومميز نوعها ، قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾[3] ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾[4] وعلي صلى الله عليه وعلى أولاده مفصل المادة إلى الماء والثفل إلى النار والماء ، والأئمة الأحد عشر المعصومون عليهم السلام معفنوا المادة أحد عشر مرة ، مرتان لتحصيل النطفتين ، وتسع مرات

---

[1] الإخلاص ١ [2] دعاء مولانا صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه في شهر رجب [3] الرعد ٧
[4] النور ٥٤

لتكون إكسيرا فعالا يحيي العظام وهي رميم ، فلما كان التعفين أحد عشر مرة ليصفي المادة الإكسيرية عن كل الغرائب والأعراض ويحصل له مقام ((أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون))[1] ، وقد عرفت أن التعفين لا يكون إلا في الهواء مادة الحرارة والرطوبة اقتضى التقدير من العليم الخبير أن يكون الهواء المتصل المرتوق منفتقا ومنخرقا إلى أحد عشر قسما لا إله إلا هو العلي الكبير ، وشرح هذا الرمز وبيانه مما يطول به الكلام ولست بصدده وإنما أتيت بالإشارة لأن لا أكون ظالما لأهل الحكمة ، وإظهارا للمرادات المخفية من كلامه عليه السلام وشاهدا على قولهم عليهم السلام ((إن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش ، فانبذوا إلى الناس نبذا فمن عرفه فزيدوه ومن أنكر فأمسكوا))[2] .

ثم اعلم أن قوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) لبيان خلق السموات والأفلاك ، ((وخرق الهواء)) لبيان خلق كائنات الجو والحوادث الواقعة في الأرض وهما إشارتان إلى قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[3] ، وأراد عليه السلام أن يبين مبدأ هذا الماء ومنشأه قال عليه السلام ((خرق الهواء)) لبيان أن الماء الذي

---

[1] لم نقف على نص الرواية كما هو هنا وإنما وجدنا ما يقرب منها في إرشاد القلوب وهو قول تعالى ((يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)) .

[2] بصائر الدرجات ٢١

[3] الأنبياء ٣٠

به كل شيء حي إنما حدث وحصل بخرق الهواء ، لكنه عليه السلام ذكر كلاما عاما من بعض أفراده وجزئياته تكوّن الماء الذي به كل شيء حي ، إذ بخرق الهواء تتحقق الرياح بأقسامها من الشمال والجنوب والدبور والصبا ، والرياح المظلمة المهلكة كالريح العقيم وريح صرصر عاتية وريح السموم وأمثالها ، والرياح المنجية النافعة وهي معروفة ، وتتحقق أيضا الشهب والنيازك والكواكب ذوات الأذناب والسحب والرعد والبرق والمطر والطل ، ويتصاعد البخار والدخان والهباء ، ويحصل من تصاعدها قرانات وأوضاع وعجائب كقوس الله المشهور عند العامة بقوس قزح ، وشرج السماء المعروف عندهم بكهكشان ، والحمرة والشفق والصبح الكاذب ، واختلاف ألوان الكواكب ومقادير عظمها بحسب الحجم وبحسب القلة والكثرة في العدد بحسب الإحساس ، وخضرة السماء ، وتحقق الهالة التي أحاطت بالقمر ، ووقوع الأمراض والأسقام العامة البلوى كالوباء وأمثالها ، وهبوب الرياح السوداء والصفراء والحمراء ، وأمثالها من الأمور والأحوال وكل ذلك إنما هو بخرق الهواء لانبعاث الماء لإحياء الأرض ، ويأتي مجمل شرح هذه الجملة في خلال الكلام بعون الله سبحانه ، وقد قال مولانا الرضا عليه السلام ((قد علم أولوا الألباب أن ما هنالك لا يعلم إلا بما ههنا))[1]

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بهذا اللفظ ولكن وجدنا ما يقرب منها ففي عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٥ قال عليه السلام ((قد علم ذووا الألباب أن الاستدلال على هناك لا يكون إلا بما ههنا)) .

وقد قال جده الصادق الأمين عليه السلام ((العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في (من) العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي (عن) في الربوبية أصيب في العبودية))[1] ، قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] ، فإذا وجدت شيئا في هذا العالم الجسماني فأجره على العوالم على طبقه الأشرف فالأشرف على النهج الأشرف إلا أنه في السافل مفصل مشروح بخلاف العالي فإن فيه مخفي مجمل ، فكلما رأيت بحاستك قد حصل بخرق الهواء في عالم العناصر فاعلم أن مبادئ كل ذلك في عالم المثال موجود على طبق عالم النفوس على طبق عالم العقول على طبق عالم الحقائق الأولية في الخلق الأول على طبق الفعل على طبق نفس الفعل حين حدث وانفعل بالوجود عن المبدأ ولو أردنا أن نشرح كل ذلك ما تسع الدفاتر وأما التلويح فقد لوحنا إلى نوع المسألة فيما تقدم آنفا ، وأما الإشارة فتطول بها العبارة وليس لي الآن إقبال ذلك ، لكن الإشارة المجملة أن الهواء كما ذكرنا هو الواقف بين الطتنجين والبرزخ بين العالمين بل ملتقى البحرين بحر الفاعل الظاهر بأثره وبحر القابل فيتوجه القابل ويصعد إلى جهة الفاعل إلى حد الهواء إذ لو تقدم لاحترق لخرق الحجاب وفي الحديث ((إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه ما أدركه بصره

---

[1] مصباح الشريعة ٧ [2] فصلت ٥٣

من خلقه))[1] ، وينزل العالي بأثره أيضا إلى حد الهواء إذ لو نزل إلى الماء والتراب لذهب تأثيره وبطل تقديره إذ كل شيء له مقام معلوم وحد محدود قال تعالى ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ﴾[2] ، فلطائف الماء والأرض تصعد خارقة للهواء طالبة لتلقي فيض الإله ، وأشعة الكواكب المضيئات تنزل هابطة إلى مقام الهواء خارقة له بالحرارة الأصلية لتتميم القابلية وتمكين الماهية ، فهناك يتصل فعل الفاعل بأثره بالمفعول فينفذ هذا التأثير وهذا الأثر في كل أجزاء القابل وأطواره وأوطاره وأحواله وحركاته وسكناته وصفاته وأعراضه وباقي أحكامه فيتم بذلك الشيء ، وهذا هو القول الكلي فاصرفه في كل عالم في كل صقع إلا أنه يختلف في الشرافة والكثافة واللطف والغلظة حسب ما بينا .

[1] عوالي اللآلي ٤/ ١٠٦ [2] الصافات ١٦٤

قوله عليه السلام علق الأرجاء

إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[1] ، والأرجاء هي نهايات الشيء وأطرافه وجوانبه وهو أول عالم النهاية ، شرع في بيانه عليه السلام بعدما فرغ عن بيان عالم اللانهاية فإن الوجود على ثلاثة أقسام ، الأول الوجود الحق وهو الله سبحانه الحي القيوم الأزل الأبد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلا نهاية له سبحانه ولا بداية ولا أولية ولا آخرية ولا ظاهرية ولا باطنية والطريق إليه مسدود والطلب مردود .

الثاني الوجود المطلق وهو فعله ومشيئته واختراعه وابتداعه ومحل ذلك الفعل وانفعاله الأول الذي هوالإمكان الراجح وهو الجوالأول من الأجواء التي فتقها الله سبحانه كما مر وهو الهواء الذي خرقه إلى أربعة عشر هيكلا وأحد عشر على ما عرفت ، ويمكن أن تجعل لهذا المقام أجواء كل جو فتقه سبحانه بظهوره له به فيه ، كجو النقطة وجوالألف النفس الرحماني

---

[1] الحاقة ١٧

وجو الحروف العاليات وجو الكلمة التامة وجـو البـاطن الظـاهر في النقطـة وجـو البـاطن مـن حيـث هـو بـاطن الظـاهر في الألـف والسـر المستسـر بالسر ، وجو الظاهر الظاهر في الحروف العاليات وجو الظاهر من حيث هـو ظاهر الظاهر في الكلمة التامة ، وهذه هي الأجواء التي فتقها سبحانه وتعـالى بظهور التوحيد وهيكل التفريـد وإظـهار النقـش الفـهواني ولا نهايـة لهـذا الوجود ولا بداية بل هو متقـوم بفاعليـة الله سـبحانه المتقومـة بنفـس ذلـك الوجود فالنهايات والأطراف والغايات كلها منتفية عنـه ولا يلـزم مـن ذلـك قدمه لأن القديم سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء وهذا الوجود يحيط به الحـق سبحانه وتعالى فيما لا يتناهى بما لا يتناهى ، ولـو فـرض تناهيـه إلى الله يلـزم اقتران الأزل وتحديده واتصاله وهذا كفر بـالله العظيـم وخـروج عـن الديـن القويم ، وليس مرادنـا بنفـي النهايـة والأوليـة نفيـهما مطلقـا وإنمـا المنفـي هوالأولية والآخرية والنهايات الموجودة الثابتة في المخلوقات إذ كل ما يصـدق عليه الشيئية ما سوى الله سبحانه متحقق بهذا الوجود ومتقوم به وصادر عن الله به والشيء إنما كان شـيئا لأنـه مشـاء بالمشـيئة قـال أمـير المؤمنـين عليه السلام ((ليس كمثله شيء إذ كان الشيء من مشيئته))[1] فإذا صح أن الأشـياء كلـها صادرة عن الله بالمشيئة فلا يجري عليـه مـا هـو أجـراه ، فالنـهايات والجـهات والحيثيات المعتبرة في الخلق كلها منفية عن هـذا الوجـود ولـذا سميناه مطلقـا

---

[1] مصباح المتهجد ٧٥٢ (من خطبة الغدير) .

لعدم توقفه على شرط سوى خالقه وبارئه ، وفيض الله لا ينقطع وباب الإفاضة لمن لا مانع له من ذاته لاستدعائه الشرائط والأسباب والمعدات وسائر المتممات والمكملات لا تنسد ، فخلق سبحانه ذلك الوجود فيما لا نهاية له بما لا نهاية له فخرج كعموم قدرة الله سبحانه واسعا كليا بوحدته يسع كل شيء مما كان وما يكون إلى يوم القيامة وما بعده إلى ما لا نهاية له ، وهو بحر وخزينة لا يشذ عنها شيء ينفق منها كيف يشاء ولا نفاد لها ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾[1] ولما أراد الحق سبحانه أن يكون الأكوان ويبرز ما كان من غيب الإمكان إلى عالم العيان والأعيان أوجد بفعله أي بذلك الوجود المطلق القسم الثالث من الوجود الذي هو الوجود المقيد ، وهذا الوجود قبل أن يقيد شيء واحد بسيط منبسط يعبر عنه تارة بالماء لأن حياة الشيء وتأصله وتحققه بحقيقته وهو حقيقة الأشياء وذوات الموجودات ، فبه جعل الله سبحانه كل شيء حي ، وأخرى بالهواء لأنه الرابطة والفاصلة بين تأثير المؤثر وقبول المنفعل المتأثر ، فتنزل الفيوضات والامدادات كلها إلى هذا المقام ثم منه تفيض إلى قوابل الأعيان وإنيات الأكوان ، ولما كان هذا الوجود هو أول أثر صدر عن الوجود المطلق ظهر حاكيا لمثاله وواصفا لحاله لأنه جهته ، فلا نهاية لهذا الوجود أيضا لكونه ظهور ما لا نهاية له مع قطع النظر عن المظاهر فهو مثاله ودليله والدليل لا يخالف مدلوله والمثال لا

---

[1] النحل ٩٦

يناقض ممثله ، فهذا الوجود مجرد عن كل القيود ومنزه عن كل الحدود لأن الحدود جهة المخالفة والتكثر والمباينة والتعدد ، فلولا هذا الوجود من أين تظهر الوحلة السارية في كل مفقود ومشهود ومعدوم وموجود ، فلما صحت الوحدة لا يجوز أن يكون متأخرا عن الكثرة لأن الكثرة مذمومة فيجب أن يكون متقدما ، ولما كانت الكثرات وأنحاء التمايزات والاختلافات واعتبار الجهات والحيثيات إنما هي بالحدود والتعينات ، وهذا الوجود جهة الوحدة البحت البات لم تكن فيه لذاته شائبة من تلك الحالات والإضافات والأوضاع والقرانات فلا توصف بالأولية المتداولة ولا بالآخرية المتعاكسة بل هو صرف الشيء ووجه الوجود المطلق ، بل ربما جعل من ذلك الصقع فجعله الله بلطيف صنعه مادة الأشياء وخرق هذا الهواء بتعليق الأرجاء التي هي الأطراف وهي الحدود المشخصة والقيود المعينة لتلك الحقيقة المطلقة المقيلة من الكم والكيف والجهة والرتبة والزمان والمكان ، فبتعليق هذه الحدود بتلك الحقيقة ظهرت منها الأشياء على حسب الحدود ومقتضى القيود ، فبتراكم القيود تكاثفت وغلظت حتى صارت جسما وجسمانيا ، وبرقة الحدود وقلتها تلطفت فصارت روحا وروحانيا وعقلا وعقلانيا ، وكلما تكاملت مرتبة ظهر منها أثر من نوع تلك المرتبة ، وذلك الأثر هو جمالها ولجمالها جمال ولجمال جمالها جمال وهكذا إلى ما لا نهاية له من ترامي سلسلة الإيجاد بقابلية الانوجاد في الأيام الثلاثة أيام الإيلاج أوالاقتران وأيام الغشيان

أول التعفين وتمام التمرين وأيام الشأن لتمام التكوين وظهور التمكين ، وكل هذه الكثرات وأنحاء الاختلافات وأحكام الإضافات والقرانات وتكثر الدقائق والساعات بل واقتضاء الآنات عند تصادم الكيفيات إلى أن امتلأ الوجود وظهر سر المعبود باختلاف الركوع والسجود كل ذلك بضم الحدود والقيود التي هي عبارة عن الأرجاء والأطراف وهي الجهات واقتضاء الإنيات ولذا قال عليه السلام ((علق الأرجاء)) بعد ((خرق الهواء)) ، بل تعليق الأرجاء لمن يفهم الكلام بيان وشرح لقوله عليه السلام ((وخرق الهواء)) ومتفرع عليه ومتأصل به .

والملك الذي على الأرجاء هو الملك الذي له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق ممن وجد أولم يوجد إلى يوم القيامة ، وهو روح القدس أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش ، ومعنى كونه على الأرجاء أنه حامل لها وهي تنتهي إليه وتنقطع دونه فليس فوقه طرف ولا نهاية ، وذلك الملك واقف أول مقام النهاية ، والعرش هوالأنوار الأربعة وهي النور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة ، والنور الأخضر الذي منه اخضرت الخضرة ، والنور الأصفر الذي منه اصفرت الصفرة ، والنور الأبيض الذي منه ابيض البياض ومنه ضوء النهار وهو نور الأنوار ، والثمانية الحاملون أربعة من الأولين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأربعة من الآخرين محمد وعلي والحسن والحسين عليهم سلام الله أبد الآبدين ودهر الداهرين ، ومعنى حملهم قيامهم بالامدادات

المفاضة منهم عليهم سلام الله حين استوى الرحمن برحمانيته عليه ، وتأديتهم إلى من دونهم حسب ما جرى قلم التقدير على لوح التدبير بإذن الله اللطيف الخبير ، والآخرون هم الأولون والأولون هم الآخرون ، يؤدي إليه الكروبيون حينما يؤدي إلى الكروبيين العالون وذلك في الرتبة الثالثة رتبة الأبواب مقام الحجاب ووجه الجناب وقرع الباب ، وأما في المقامات الأخر فلهم عليهم السلام مقام الحديدة المحماة ورتبة الظاهر في المرآة ومقام ((نزلونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا)) فكم من عجائب قد تركتها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن أريد بالملك هو الجنس لا الواحد من قوله تعالى ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ﴾ بدليل ضمير هم في قوله عز وجل ﴿ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[1] فالمراد بالسماء مطرح الفيض والإمداد ومهبط الوجود والإيجاد في كل عالم بحسبه من السرمد إلى الدهر وهو السبع السموات المتطابقات في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾[2] وهي سماء العقول وسماء الأرواح وسماء النفوس وسماء الطبائع وسماء المواد وسماء الأشباح والمثال وسماء الأجسام ، والملائكة هم حملة الإفاضة ومظاهر التدبير .

والأرجاء هي النهايات والأطراف المتعلقة على المفاض عليه بواسطة الملك الذي هو على ذلك الرجاء في الأجسام جسمانيون ، وفي الأشباح

---

[1] الحاقة ١٧ [2] الملك ٣

شبحيون ، وفي المواد ماديون ، وفي الطبائع طبيعيون ، وفي النفوس نفسانيون وفي الأرواح روحانيون ، وفي العقول عقلانيون ، وحملة العرش هم جبرئيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل ، في العرش العقلي بأجنحتهم العقلانية يحملون الامدادات العقلية إلى متعلقاتها وهكذا إلى آخر المراتب ، فقوله عليه السلام ((علق الأرجاء)) كلام عام يشمل هذه الراتب كلها .

وتعليق الأرجاء في عالم البيان ظهور الأسماء الكلية والجزئية والمتقابلة والمتآلفة إلى ما لانهاية له ، التي قد تحصر كلياتها من أربعة أسماء (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) إلى اثني عشر عالم إلى ثلاثين إلى ثلاثمائة وستين إلى تسعة وتسعين إلى المائة إلى الألف إلى الألف ألف .

وفي عالم المعاني ظهور المفاعيل المطلقة والمصادر السيالة التي هي متعلقات الأسماء في عالم العماء .

وفي عالم الأبواب ظهور الحجب الثمانية من الحجاب الأبيض والأصفر والأخضر والأحمر والكمد والأخضر المائل إلى السواد والأسود والأسود البالغ في السواد .

وفي عالم الأجسام ظهور الشرق والغرب والجنوب والشمال والبروج والمنازل وتعدد الأفلاك الجزئية واختلاف الأنظار الكوكبية والقرانات الجسمية في السماء .

وفي الأرض ظهور الأقاليم السبعة والجهات الستة والرياح الأربعة والبحار والأنهار والجبال والأشجار ، وفي الإنسان في الظاهر الجسمي أعضاء الوضوء ، والرابطي هي الحواس الظاهرة ، والباطني هي الحواس الخمسة ، واللبي هي تجاويف القلب المعنوي حسب تجاويف القلب الظاهري اللحم الصنوبري ، وظهور العرش الكلي في الكلمة الواحدة من المراتب الأربعة والكلمات الأربعة والأنوار الأربعة ، وكل هذه مقامات تعليق الأرجاء وشرح هذه المقامات قد مضى ويأتي إنشاء الله تعالى .

قوله عليه السلام وأضاء الضياء

يريد عليه السلام بالضياء هو البهاء وهو نور الأنوار والنور الذي نورت به الأنوار ، والإشارة إليه في الكلام الكريم بباء بسم الله الرحمن الرحيم قال عليه السلام ((الباء بهاء الله))[1] وهو الذي ابتدأ به في دعاء السحر بقوله عليه السلام ((اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه))[2] ، وهذا الضياء أول ما ظهر من تعليق الأرجاء ، وأول مصباح أوقد مادته من الدهن الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار من الزيت المأخوذ من الشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية بالنار التي هي من الشجرة التي قال سبحانه ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾[3] قال تعالى ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾[4] وهو بلسان أهل الشرع روح القدس ، أول ذائق الباكورة في جنان الصاقورة من حدائق آل محمد صلى الله عليهم ، والقلم أول غصن أخذ من شجرة الخلد أي الوجود التكويني

---

[1] التوحيد ٣ [2] الإقبال ٣٣ [3] يس ٨٠ [4] النور ٣٥

((إنكم خلقتم للآخرة لا للدنيا وللبقاء لا للفناء)) ، وأول خلق من الروحانيين عن يمين العرش المركب من الأنوار الأربعة ، والروح محمد ﷺ والنور المحمدي ﷺ ، والعقل الكلي الذي استنطقه الله بالمدد النوري والفيض الإلهي وبما جعل عنده من السر الغيبي والظهور المعنوي ، وبما ظهر عليه من الإيجاد الكوني والعيني وكونه مخزنا ومحلا لكل المعاني ثم قال له أدبر فأدبر إدبارا امتثاليا الذي هو إلاقبال حقيقة لا الإدبار موليا كما في الجهل فإن خطاب الإدبار قد ورد عليهما فواحد أدبر امتثالا والثاني أدبر موليا عنادا ، فصار إدبار الأول نورا وضياء لاتصاله إلى الحق سبحانه أظهر الأشياء ، وصار إدبار الثاني جهلا وظلمة لانفصاله عن القضاء وهو قوله عز وجل ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[1] ، فأدبر العقل ممتثلا لأمر الله سبحانه وتعالى ومتنزلا بسر اسم الله البديع إلى مقام الروح الرقيقة المعنوية والعلقة الصفراء بسر اسم الله الرحمن وهو أول مقام الحل الثاني في الخلق الأول من عالم الوجود المقيد ، وقد سبقه الخلق الأول بأطواره في عالم الوجود المطلق .

---

[1] الحديد ١٣ - ١٤

ثم أدبر متنزلا إلى مقام النفس الصورة المجردة عن المادة الجسمية والمثالية والمدة الزمانية والشبحية السفلية عالم الذر الأول أوالثاني أو الثالث ، فتمام الخلق الأول والصوغ الأول وكمال العقل الثاني وتمام ظهور المعاني والمباني .

ثم أدبر متنزلا بسر اسم الله الباعث إلى مقام الطبيعة مقام الكسر الأول للصوغ الثاني حجاب الياقوت .

ثم أدبر متنزلا بسر اسم الله الباطن إلى عالم المواد الجسمانية تمام الكسر والحل وجوهر الهباء .

ثم أدبر متنزلا بسر اسم الله الآخر إلى عالم المثال أول الصوغ الثاني محل الصور المقدارية .

ثم أدبر متنزلا بسر اسم الله الظاهر إلى عالم الأجسام مقام النقش والارتسام .

ثم أدبر متنزلا من الأشرف إلى الأدنى حتى قطع الأفلاك وظهرت العناصر وتولدت المتولدات وكثرت الأنوار وتحققت الأضواء ، فصارت الأفلاك بل العالم كرة واحدة تدور على قطبها ، وهو ذلك الضياء الذي أضاءه الله بنور توحيده ، وانقياد ذلك النور له بالتسليم والرضا والخضوع والخشوع والمسكنة ، ولك أن تجرد هذه الحركة على المحور لتكون حركتها على القطب وحده لا إلى جهة إذا نظرت إلى ذلك النور نظر الظهور كالحديدة المحماة

فيكون حينئذ قيام الأشياء به قياما صدوريا وحركتها إليه حركة كينونـة سيالة لا بقاء لها إلا بنفس تلك الحركة حين الحركة لا إلى جهة فلا وضع ولا كيـف ولا كم ولا أين ، وأشار إلى هذا المعنى في هذا المقام بقوله الحق ﴿ ۞اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فهذا النور الذي هـو الضيـاء هـو مظـهر الألوهيـة قـد ظهرت فيه له ولغيره به ، ويكون هذا القوام حين سـير ذلـك النـور في عـالم اللانهاية في صقع اللاهوت حـين تمحضـه في القـرب إلى ربـه والبعـد عـن نفسه ، فـرق ولطـف إلى أن شـابهه في الصفـة الفعليـة قـال الله سـبحانه في الحديث القدسي ((أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون))[1] ونعم ما قال :

رق الزجـاج ورقـت الخمـر   وتشـاكلا وتشـابه الأمـر

فكـأنمـا خمـر ولا قـدح   وكـأنمـا قـدح ولا خمـر

ولذا قـال عليه السلام ((لنـا مـع الله حـالات نحـن فيـها هـو ، وهـو فيـها نحن ، وهو هو ، ونحن نحن)) .

ولك أن تجعل هذا النور هو المحور لتكون حركة فلـك الوجـود عليـه وذلك حين كونه مترجما للخطاب وحاملا ومؤديا على مقتضى القوابل بتنزله وترقيه ، فيكون هذا مقام قولـه عـز وجـل ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾

[1] لم نقف على نص الرواية كما هو هنا وإنما وجدنا ما يقرب منها في إرشاد القلـوب وهـو قـول تعالى ((يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)) .

ولما كان المحور هو الخط الفاصل بين القطبين اللذين أحدهما عين الآخر أشار سبحانه وتعالى إلى بيان هذه الفاصلة والرابطة بقوله الحق ﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[1] فدل البيان على أن هـذا الضيـاء هوالنـور الذي نورت بـه الأنـوار وهـو نـور كـل نـور ومظـهر اسـم البديـع ورفيـع الدرجات ، ألم تنظر إلى قوله عز وجـل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[2] والأنوار والأضواء التي في العالم الجسماني في كلها من الشمس وهـي قد سقط إليها نور من ذلك النور بقدر سم الإبرة ، وإنما كانت الشمس ضياء مضيئة لهذا العالم لكونـها محـلا لظـهور العليـة الفاعليـة الـتي هـي الحـرارة واليبوسة ، ونسبة الشمس إلى العالم كنسبة الحرارة الغريزيـة إلى جميـع أقطـار البدن ، لأنها نور أي نار قد انفعلت الأجزاء الأرضية القلبية التي هي اللحم الصنوبري عنها بالاستضاءة فاسـتنارت القـوى والمشـاعر والمـدارك والآلات والعروق والأعصاب والغضاريف والأوردة والشرايين والعضلات كلها مـن الحرارة الغريزية الظاهرة في القلب ، وتلـك الحـرارة الـتي يعـبر عنـها بـالدم الأصفر في تجاويف القلب ، والعلقة متعلقة بـالريح وهـي الدخـان والبخـار اللطيف في القلب الذي هو الروح في عرف الأطباء ، وتلك متعلقـة بـالهواء الذي النفس الحيوانية الحسية الفلكية الغيبية ، وتلك النفس متقومة بالنفس

---

[1] النور ٣٥

[2] يونس ٥

القدسية الإنسانية ، وتلك متقومة بالعقل في الجزئي وأما في الكلي فالإنسانية متقومة بالنفس الملكوتية الإلهية وهي متقومة بالعقل ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذه النفس أن ((أصلها العقل منه بدأت وعنه وعت وإليه أشارت ودلت وهي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى)) وهذه الذات والشجرة والسدرة والجنة التي هي صافي الوجود ونور الإله المعبود وثمرة الركوع والسجود والأنوار التي بها ظهر الوجود والموجود كما قال عليه السلام ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) كلها ظهور وشئون لذلك الضياء الذي قال عليه السلام ((أصلها العقل .. إلخ)) ، وأول ما خلق الله النور وهو نور الرب في قوله عز وجل ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[1] والأرض هي أرض النفوس في هذا التفسير في هذا المقام .

ثم اعلم أن قوله عليه السلام ((أضاء الضياء)) رد على من زعم أن الماهيات ليست بمجعولة ، وأن الله ما جعل المشمش مشمشا بل جعله موجودا ، فإن قوله عليه السلام معناه أنه سبحانه جعل الضياء ضياء كما في قوله عليه السلام ((إن الله عز وجل كيّف الكيف فهو بلا كيف وأيّن الأين)) أي جعل الكيف كيفا والأين أينا والمشمش مشمشا ، إذ لا يجوز أن يكون في ملك الله سبحانه شيء يترتب عليه الأثر لم يكن من خلق الله ، أويكون في

---

[1] يونس ٦٩

الوجود لا يكون في ملك الله سبحانه ، فإن لم يكن شيء ولم يترتب عليه شيء لم يكن لقولهم فائلة وإنما هو كذب محض ، وإلا فإما هو خلق الله أوقديم مع الله أو هو الله أوخلق لغير الله أوأحدث نفسه من غير الله أوحدث لقديم غير الله تعالى ، وما عدا الأول كله باطل وذلك ظاهر إنشاء الله ، وليس هذا المقام مقام هذه المسألة ببسطها وشقوقها .

ثم أن قوله عليه السلام ((أضاء الضياء)) استنباط واستخراج مما ظهر مستجنا فيما تقدم من كلماته الشريفة فإن هذا الضياء هو المصباح الذي في الآية الشريفة فأشار بقوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) إلى الشجرة الإلهية التي تخرج منها النار فبفتق تلك الأجواء ظهرت تلك الشجرة الكلية ، والمراد بالشجرة هوالإختراع الأول والابتداع الأول قال مولانا الرضا عليه السلام ((إن أول ما خلق الله الإختراع والابتداع ، ثم خلق الحروف فجعلها فعلا منه يقول للشيء كن فيكون)) وتلك الأجواء هي مقامات الإمكان الراجح من الظهورات الفعلية الإلهية ، ومحل المقامات والآيات والعلامات على ما سبق ، فنبتت تلك الشجرة في تلك الأرض بفتق أجواء أفلاكها وعناصرها ودوران بعضها على بعض ، وليس من متولدات تلك العناصر والأفلاك من الآباء والأمهات سواها ، فإن جعلتها جماد ذلك العالم أونباته أوحيوانه أوإنسانه صدقت إذ كل ذلك جمع فيها بطور الوحدة إذ في الكل خاصية الكل ، ألم تسمع أن في الجنة تعمل الأجسام عمل الأرواح من غير توسطها

والأرواح تعمل عمل الأجسام من غير توسطها لأن دار الآخرة هي دار الحيوان وحياة دار الآخرة من فاضل فاضل حياة هذه الشجرة ، بل ليست الجنة بقضها وقضيضها إلا ثمرات هذه الشجرة فلا تستغرب إذاً مما قلت .

وأشار بقوله عليه السلام ((خرق الهواء وعلق الأرجاء)) إلى ظهور نار الشجرة في الهواء لما ذكرنا من أن الهواء مجمع البحرين وملتقى العالمين ، فيصعد القابل المتلقي إلى المبدأ إلى مقامه ويتنزل العالي بأثره للإمداد إلى مقامه فهو الرابطة والفاصلة ، والمراد بالهواء بلسان الظاهر هو الوجود المقيد قبل التقييد وهو ظهور المشيئة بأثرها وهو أثرها ونسبته إليها نسبة الضرب إلى ضرب كما سيأتي إنشاء الله ، فكان هو مس النار والأرجاء هي الدهن ، وأرض الجرز والبلد الطيب وهي القابلية ، وخرق الهواء إشارة إلى مس النار للدهن أي التعلق المحض ، وتعليق الأرجاء إشارة إلى ميل القوابل إلى مقبولاتها وصعودها إليها بلطائفها وصافيها وهو تكلس الدهن إلى أن يصير أجزاء قريبة الاستحالة إلى الدخان ، إلى أن يصير دخانا ينفعل بمس النار بالإضاءة ، وذلك التكليس هو تمكين القابلية لقبول أثر الفاعل ، فإذا تعلقت النار بالدهن وكلسته إلى أن يصير دخانا تحقق المصباح وأضاء الضياء وهو السراج الوهاج قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[1] فمنه استضاء العالم ، فأشار إلى بدو الوجود وظهور الشهود بما لا مزيد عليه ، ولعمري إنه

---

[1] النبأ ١٣

عليه السلام شرح أحوال المبدأ والخلق الأول بكل أحواله وأطواره وصفاته وشئونه وجهاته وكلياته وجزئياته في هذه الكلمات بين ما صرح تصريحا وما أشار إشارة وما لوح تلويحا بالكلمات والحروف وصفاتها وأعدادها وطبائعها وقراناتها وولاداتها ، قد انقطع دونها علم العلماء وفهم البلغاء ، لا تفنى عجائبها ولا تبيد غرائبها وهي طرية أبدا ، وما طوينا مما عرفنا أكثر مما كتبنا ، وما لم نعرف ولم ندرك ولم نتخيل بل لم نعقل أكثر وأكثر ، أشهد أن كلامهم نور صعب مستصعب .

قوله عليه السلام
وأحيي الموتى وأمات الأحياء

اعلم أن الموت قد يطلق على مجرد الفقدان سواء سبقه وجدان أم لا كما في قوله عز وجل ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[1] وهوالأرض المعدة المستأهلة للنبات والإثمار إذا وقع عليها المطر ، فتكون قبل وقوعه عليها ميتا غير موجودة بالعمارة والظهور والشهود وإنما هي ذكر وصلوح قابلية محضة فإذا أتاها المطر الخارج من السحاب ووقع على تلك الأرض انفتقت وحييت بإذن الله تعالى قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾[2] فهذا موت قبل الحياة قد أطلق الموت عليه .

وقد يطلق على الكسر بعد الصوغ ، وعلى الوجود بعد العدم ، والغيب بعد الشهود ، والإمكان بعد الأكوان والأعيان ، والظلمة بعد النور ، والخفاء بعد الظهور ، والإطلاقان كلاهما يحتملان في هذا المقام .

ثم اعلم أن الموت بقول مطلق هو قطع العالي نظره عن السافل فينقطع السافل فيبقى ميتا لا حراك له ، وذلك القطع لا يكون إلا بعد إقبال

---

[1] فاطر ٩ — [2] فصلت ٣٩

السافل إلى العالي لضعف قابليته وانهدام بنيته وغلبة برودته ويبوسته أو رطوبته مع البرودة المانعة عن ظهور الحرارة التي هي مثال الفاعل العالي ، أولاشتغال العالي ونظره واشتياقه ومحبته إلى أعلى منه أوالمناسب له في الغاية والنهاية فإذا حصل له الشغل الكلي يقطع عن السافل فيقع ميتا ، فظهر لك أن علة القطع أمران .

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الموت موتان إقبالي وإدباري ، فالأول هو موت الوفاء والفناء ، والثاني هو موت العناء والشقاء والثاني امتثالي وانفصالي انقطاعي ، فالأول هو الرحمة والثاني هو النقمة .

والإشارة إلى بيان هذه الجملة هي أن الله سبحانه لما أحب أن يعرف خلق الخلق لكي يعرف ، فالمحبة الحقيقية للإيجاد هي المعرفة وهي محل المحبة ، والمحب ليس نظره إلا إلى محبوبه ومطلوبه بالمحبة التي هي عين ذلك المحبوب ، فإيجاد تلك المعرفة وتلك المحبة والوجدان الحامل لتلك المحبة والمعرفة لتساوقهما لا شك أنه متقدم ، فأوجد سبحانه العارف المحب المحبوب أولا قبل كل شيء لكونه الغاية في الإيجاد ومحل نظر رب العباد ، فوهبه الحياة والدوام الأبدي والبقاء السرمدي لأنه محل التجلي وظهور المتجلي ، لأن الله سبحانه أحبه به وتجلى له به قال مولانا علي عليه السلام ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها))[1] فذلك النظر هو علة الحياة وعين الحياة بقاء لا فناء فيه ودوام لا

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٤٤

زوال له واستقلال لا اضمحلال له وغنى لا فقر له ، لأنه محل رحمة الله ومنبع فيضه وإحسانه ، وهذا الهواء في قوله عليه السلام المتقدم ((خرق الهواء)) لأن الهواء هو طبع الحياة والاسم المربي له الحي وهو قوله عليه السلام ((لأن الروح مجانس للريح))[1] وقوله عليه السلام ((فإن روحه متعلقة بالريح والريح معلقة بالهواء))[2] وهذا هو الوجود المعبر عنه بنور الله وآيته مبدأ الوجود المقيد ، وأما في عالم الوجود المطلق فهوعالم أحببت أن أعرف ، والمحبة الحقيقية التي هي الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وهو مقام الأحدية الظاهرة للمخلوق التي يعرفون الأحد بها ، ثم لما أراد أن يخلق مراتب الخلق لإظهار كبريائه وعظمته وجلاله وجماله وقهره وغلبته أمر ذلك النور الحقيقي والسر الغيبي الخفي الحقيقي الإلهي بالإدبار والنظر إلى القوابل المدلهمة الغاسقة الموجودية المتحققة بعين ذلك النظر ، ولا شك أن القابل طبيعته البرودة واليبوسة التي قد أحاطت بظاهرها الذي هو ظهور الميل إلى المبدأ البرودة والرطوبة وقد قلنا سابقا أن الشيء لا يتم إلا بالمقبول ، والقابل لا يتحقق ولا يقبل إلا بتمكين المقبول أوالفاعل إياه للقبول ، وذلك التمكين ما يمكن إلا بمزج أثر الفاعل وظهوره وكينونته للقابل مع طبيعة المقبول في أرض الجرز والبلد الميت الطيب ، ففي أول ظهور الأثر الذي هوالنار والحرارة المصلحة المنضجة لتكوين المكون القابل فالغلب والظهور وجريان الأثر للقابل ببرودته

---

[1] معاني الأخبار ١٧ ، التوحيد ١٧١

[2] علل الشرائع ٩٧

ويبوسته الممزوجة بالرطوبة ، وأنت عرفت أن البرد الخالص إذا أصاب الرطوبة التي فيها اليبوسة الجزئية يجمدها ، فالحرارة التي هي أثر الفاعل وهو ذلك لما كانت من عالم الغيب والباطن تبقى في الباطن ولم يظهرها أثر في الظاهر بل ظهور الأثر وجريان الأحكام إنما هو للبرودة واليبوسة اللتان هما طبع الموت فهذا أول موت وقع في الوجود ، ومثاله وآيته في عالم التفصيل فصل الشتاء فإن الحرارة في ذلك الفصل تتوجه إلى الباطن فتنجمد الظواهر بالبرودة والرطوبة المشوبة باليبوسة وتنسد المسام ولم يبق للحرارة حكم ولا أثر ، فيحتاج الخلق حرارة أخرى غير ما في الغرائز والطبائع ، وإنما كثرت الرطوبة في هذا المقام وهذا الفصل لكونه أول مقام القابلية وميل القابل إلى الانفعال للتأثير وذلك يستدعي الرطوبة ، وأما سر انجمادها فلمزجها مع اليبوسة الحافظة الماسكة لذلك التأثير ، وأما سر زيادة البرودة فلبعده عن الحرارة وتأثير الفاعل بالتأثير الخاص أوالعام ، وهذا الموت إدباري إلا أنه امتثالي ولذا كان رحمة وفضلا ، فإذا تمكنت الحرارة ورسخت واستقرت في الباطن لتمكين القابلية وتسويتها تؤثر فيها وتنضجها شيئا فشيئا إلى أن يضمحل ذلك البرد الكلي الموجب لانجماد القريحة المانع لذوبانها وميلها إلى مبدئها وبارئها فتذوب تلك اليبوسة والرطوبة المجتمعة الجامدة وتفتح المسام وتؤثر الحرارة في الظاهر فيظهر النبات ، وهنا أول الحياة وأول مقام الاعتدال ومثاله هو فصل الربيع بعد الشتاء ولذا تكثر الأمطار وتقل الثلوج في هذا

الفصل وذلك لسر الذوبان ، فبقدر ما تقل البرودة تظهر وتتضاعف الحرارة ويقوى النبات ويظهر طلع الثمار ، فكلما تزيد يوما إما من القمري أومن أيام الشأن تزيد الحرارة والرطوبة ، فإذا زادت الحرارة خففت الرطوبات الفضلية فتزيد اليبوسة إلى آخر فصل الربيع وهو انتهاء غلبة الرطوبة ففي فصل الصيف تكون الغلبة لليبوسة مع الحرارة وهنا مقام نار السبك فتنضج الثمار وتتقوى الأشجار وهذا تمام الحياة بعد الموت ، فالموت الأول في أول الإدبار والنظر إلى القابلية وميله إليها وميلها إليه كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾[1] وقال عليه السلام في الصحيفة ((يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشؤهم عليه))[2] ليصير المجموع شيئا واحدا مخمول الحكم ومعزول الوصف حتى تتم الخلقة في بطن الأم أي الصورة من أحكام التقدير وإجراء التدبير وهذا هو التعفين ، فبعد ذلك ينشئ خلقا آخر من إيلاج الروح المناسب للصورة أي الأم وهو الحياة ، فالحياة بالصورة والقوام بالمادة وعند الانفصال كل منهما ميت ﴿ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾[3] .

فأحيا الموتى أولهم آدم الأول حين عانق حواه ومات في حبها وهو عبارة عن تعلق المشيئة الكلية والرحمة الواسعة بأرض الإمكان الراجح وهذا كان

---

[1] الحج ٦١ [2] الصحيفة السجادية الكاملة دعاؤه عليه السلام عند الصباح والمساء [3] يس ٣٨

موتـها لانقطاعـها عـن النظـر إلى نفسـها الـتي هـي جهـة مبدئـها وعلتـها وفاعلها ، وقد قلنا أن الموت هو قطـع نظـر العـالي عـن السـافل بـالوجدان أوالوجود أوبالأمرين ، ولا شك أنها إذا نظرت إلى نفسها من حيث تعلقاتها منقطعة عن النظر إلى نفسها مجردة عنها مع إنه قد ارتفع تمييزها حينئـذ أي في حال التعلق فهو موت .

لا يقال أن المشيئة حياة لا موت لها ، لأنـا نقـول بلـى بالنسـبة إلى مـا عداها كما نقول أنها بسيطة ليس في الإمكان أبسط منها ممكنة ، وكل ممكـن زوج تركيبي فافهم ، وحياتها الإضافية ظهورها بالواحدية وتمام الكلمة التامـة التي هي كلمة كن ، وإنما قلنا الإضافية لأن هنا مقام ظهور أولادهـا الـتي هـي وجوهها ورؤوسها ، ومقام ظهور الأسماء الحسنى والصفات العليا ، أو ظـهور العلم الإمكاني والأعيان الثابتة الحدوثية .

ولك أن تجعل الموتى هي الإمكانيات والصلاحيات التي لا حياة لها ولا ظـهور لها ولا وجود لها في الأكوان حتى أطلق عليها العدم كما قال عز وجـل ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾[1] وقـد ورد في بعـض الأخبـار أن الله خلق الأشياء من العدم يراد بـه العـدم الإمكـاني ، فيصـح أن تجعلـها موتى حياتها بإيجادها في الأكوان ، فـأول حياتـها وظـهور بعـض أحكامـها في الهواء كما تقدم ، وثاني ظهورها بفرد من أفرادها الضياء فيكون قولـه عليه السلام

---

[1] مريم ٦٧

((وأحيي الموتى)) بيان أصل من الأصول الكونية ومرتبة من مراتب البدو في الكونين الكون الإطلاقي والتقييدي والإختراعين الأولي والثانوي ، ولما كان قوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) إشارة إلى الإختراع الأول و ((أضاء الضياء)) إلى الإختراع الثاني و((خرق الهواء)) إلى البرزخ المتوسط الجامع لأحكامهما والهواء عبارة عن ماء الوجود وأرض القابليات ، والموتى قد تحققت في الإختراعين أتى عليه السلام بعدهما بحكم المشترك بينهما لما ذكرنا من تأثير الفاعل العالي المقبل المدبر إلى السافل المفعول بأثره ، فالموت للأثر إذا امتزج مع قابلية المتأثر وغلبت عليه البرودة واليبوسة ، وحياته إذا ظهر الأثر في كينونة القابل المتأثر مشروح الحكم ظاهر التأثير متفردا في الأمر بالعمل ، ولما غاب ذلك النور المعبر عنه بالهواء في أرض الجرز والبلد الميت وتحقق موته بتلك الغيبوبة ، ولما صعد بالأبخرة والأدخنة اللطيفة إلى سماء الصاقورة أي جهة العلة الدائرة على نفسها بنفسها فأصابته برودة الرحمة مبدأ العلة الصورية تحت الكرة الأثيرية مبدأ العلة المادية فانجمدت يبوسة هباء تلك الأرض إلى أن تكون السحاب المزجى جهات الميل إلى القابلية فانعقد سحابا متراكما بتحقق الصورة الشخصية فجرى بإشراق شمس الإيجاد من عالم الأمر عليه بحكم الانوجاد ماء ذائبا صالحا صلوحا نوعيا لكل ما يمكن في حقه ووقع على أرض القابليات الشخصية الجزئية المتقابلة المتمايزة وهو قوله تعالى ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ أي من سماء الإختراع الابتداع وسماء

المتجلي مـاء التجلي والإحـداث والإيجـاد بعـد الحـل الأول والعقـد الأول ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ ﴾ تلك القوابـل ﴿ بِقَدَرِهَا ﴾[1] فـإذا أرادوا النبـات أخـذوا مـن ذلك الماء الصالح جزءان لمزج القابل مع المقبول فإن النسبة لها طرفان ، وأخـذ من تلك الأرض جزء واحدا لئلا تنجمد فلا تتمكن مـن الصـورة المطلوبـة الممكنـة في حقـها المطلـوب وجودهـا بتوفـر الأسـباب والدواعـي واجتمـاع الشهوات والطلبات ، ولئلا تذوب فلا يصح الانعقاد والمطلوب على الوجـه المطلوب فتمت مراتبه ومتممـات قابليتـه ومكملاتـه فظـهر الأثـر ومـال إلى صقعه فتحرك ذلك الشيء بقابليته إلى جهته ، فإن كان ذلك الأثر مـن المؤثـر بيمينه فيصعد به إلى أعلـى عليـين وإن كـان بشـماله فيـهبط بـه إلى أسـفل السافلين سواء ، كان في الأصل غرفة من العليين أوالسجين أولا بل باللطخ والخلط كما قرر في محله .

وبالجملة فحياة الشيء بعد مماته ظهور الشيء بتأثير الفاعل مشـروح العلل مبين الأسباب فهذا يتصور في كل شيء من الأشـياء إلا أن الأشـياء في الظهور والخفاء مختلفـة ، فـدل العقـل بدلالـة قـول علـي عليه السلام أن الحيـاة الأولية التي هي عين لحاظ الرب متقدمة على الموت ، وأما الحيـاة التركيبيـة المزجية الحاصلة من الائتلاف فإنها مؤخرة عن الموت ، فإن الإدبار موت وهـو الأول والإقبال حياة وهو الثاني ولـذا قـال عليه السلام ((أحيـى الموتـى وأمـات

---

[1] الرعد ١٧

الأحياء)) وإن قيل أن الواو لا تدل على الترتيب لأن سياق الكلام يقتضي ذلك مع أن في عدم دلالة الواو على الترتيب نظر .

اعلم أن الشيء لما كان لم يتحقق إلا بحلين وعقدين ولما كان العالم كرة واحدة وحقيقة واحدة وشخصا واحدا كان الحلان والعقدان فيه عبارة عن الخلقين في العالمين عالم الغيب والشهادة والخلق الأول والثاني ، فالخلق الأول في عالم الغيب قد انعقد بعدما حل ، فالحل هو الموت والعقد هو الحياة ، فالحل الأول في ماء الوجود حين مزجه بأرض القابليات وهنا أمات الأحياء ، وأول العقد الأول في العقل ووسطه في الروح وآخره وتمامه في النفس عالم الذر الثالث أوالثاني أوالأول وهنا أحيى الموتى أول الحياة في مقام العقل على جهة البساطة والمعنوية وأول ظهورها في عالم التفصيل جامعة الشئون تامة الاقتضاءات والإضافات والقرانات في مقام الروح الرقيقة الحاجزة بين الإجمال والتفصيل ، وتمام ظهورها وكمالها مجتمعة المراتب حاوية المآرب في النفس ولذا خصوا التكليف في الخلق الأول بهذا المقام مع أن التكليف سار في كل ذرات الوجود بكل أنحائها وأنواعها ، ففي عالم النفس كمال الحياة الممكنة .

ثم إن الله سبحانه كسر هذا المركب ونثر هذا المنظوم في الحل الثاني إرادة للخلق الثاني الذي هو خلق عالم الشهادة والأجسام مقام النقش والارتسام وكان هذا الكسر تحت الحجاب الأحمر عالم الطبيعة فهي أول الحل

الثاني وتمامه في المادة الجسمانية جوهر الهبـاء ، فأمـات الأحيـاء الذيـن كـانوا ذوات الشعور والإدراك والمعرفة والبصيرة المكلفين الطائعين والعاصين بحيث قد اضمحلت إنيتهم واندكت جبلتهم وذهب شـعورهم وإحساسـهم فبقـوا أمواتا فيحييهم الله سبحانه بل أحيـاهم في الخلـق الثـاني الـذي هـو العقـد الثاني وهولايكون إلا في عالم الأجسام .

فأشار الإمام عليه السلام في هذه الفقرات الموجزة تفصيل مراتب الوجــود من بدء الإيجاد والانوجاد بتفاصيل أحوالها مجملـة إلى تمـام الخلـق الأول وقـد أشرنا إلى بعض منها في هذه الأوراق وقد أعرضنا عن أغلبها وأكثرها .

ثم شرع عليه السلام في بيان كيفية الخلق الثاني أي عالم الأجسام لأن الخلق الأول والثاني عندنا إطلاقان ، قد نطلـق ونريـد بـالخلق الأول عـالم الغيـب وبالخلق الثاني عالم الشهادة كما هنا ، وقد نطلق ونريد بالخلق الأول في مقـام الحل في الماهية الأولى والهيولى الأولى قبل السـعادة والشـقاوة ولـزوم الحكـم عليه ، وبالخلق الثاني العقد الثاني وحله في الماهية الثانية مقام امتيـاز هيكـل التوحيـد عـن هيكـل الكفـر والشـرك والصـورة الإنسـانية عـن الصــورة الإنسانية ، وأما هنا فلا نريد إلا الأول فقال عليه السلام ((أحمده حمدا سطع فارتفع وشعشع فلمع حمدا يتصاعد في السماء إرسالا ويذهب في الجو اعتدلا)) .

قوله عليه السلام
أحمده حمدا سطع فارتفع وشعشع فلمع

أقول : ما من عالم من العوالم ومقام من المقامات من العلوية والسفلية والجوهرية والعرضية والحقيقية والمجازية إلا وهو مظهر اسم من الأسماء ومجلى صفة من الصفات ومهبط فيض من الفيوضات ومجلى تجلي من التجليات ومطرح إشراق من الإشراقات ، يحكي بما نقش فيه من الأوصاف والتوصيفات ظهورا من ظهورات خالق الأرضين والسموات قال الله سبحانه في كتابه العزيز ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[1] وقال عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه))[2] ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[3] .

وقد قلنا أن الحمد هو صفة التجلي والبهاء الدال على جمال المتجلي وجلاله وعظمته وكبريائه من غير ملاحظة ظهوره بالمتجلي له ليشمل الصفات القدسية والأسماء التنزيهية ليكون مقام الحمد مقام الولاية المطلقة

---

[1] الإسراء ٤٤ [2] البحار ١٠٠/١٨٩ ح ١٢ [3] الأعراف ١٨٠

الحاملة لجميع الظهورات الإلهية بأنواع التوصيفات فإن الظهور ليس إلا للتوصيف، والتوصيف أعم من الوحدانية والعظمة والكبرياء، والوحدانية أعم من الواحدية بل يشمل الأحدية وهي هيكل التوحيد المطلق لا من حيث هو هيكل، فهو سبحانه في كل مقام من المقامات ظاهر بالحمد فيستحقه.

وأما إذا لاحظت المقامات مترتبة فيلاحظ فيها ظهور الصفة وخفاؤها فيحكم عليها بما ظهر من تلك الصفة وإن خفيت فيها الصفات الأخر واشتملت عليها كما تقول في الأمزجة وتحكم بعضها بالصفراوية وبعضها بالدموية وبعضها بالبلغمية وبعضها بالسوداوية مع أن المزاج لا يتحقق إلا بالمجموع، ولذا تعددت الأوصاف بحسب الظهور بالمقامات فكانت الكلمات الأربع(سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) جامعة لأركان الإسلام والإسلام هو الدين قال تعالى ﴿ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] والدين هو الماء الذي كان حاملا للعرش قبل خلق السموات والأرض قال تعالى ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[2]، فيكون الإسلام أعم من أن يكون تكوينيا أوتكليفيا تشريعيا فهذه الكلمات جامعة لمقامات المقامين، فالتسبيح في حجاب العظمة والجبروت، والتحميد في حجاب القدرة والملكوت إذ الولاية ظهرت في هذا المقام كما قال عليه السلام ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) مع أن الألف مقدم على الباء وهو متقوم به كما قرر

---

[1] الأعراف ١٩ [2] هود ٧

في محله ، والتهليل في مقام حجاب الياقوت لظهور القهارية الماحية لكل متكبر ومقام خطاب الملك لله الواحد القهار إذ في مقام حجاب الملكوت ظهر ظاهر الولاية على بعض الإنيات المدبرة فقامت تدعوإلى نفسها مولية عن ربها ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[1] فقهرهم الله سبحانه وأحرقهم بنار الغضب فخلص التوحيد وظهر التهليل فقبل ذلك ما من مقام إلا مقام التسبيح والتحميد ، والتكبير في حجاب الكبرياء حجاب الزمردة الخضراء لمكان الظهور على القشور .

فلختلفت الصفات في مقام تعدد المقامات على الترتيب مع أن الكل ظاهر في الكل ، وأما مولانا الإمام عليه السلام لما كان في مقام بيان الخلق الثاني وإن كان هو العالم الجسماني فابتدأ بالحمد لبيان سر ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[2] وبيان ظهور الولاية بالتوحيد الذي هو البيان والمعاني في هذا المقام الذي هو الخلق الثاني ، وجعل كل عالم تام الصنعة ظاهر الحكمة وإليه ناظر كلام مولانا الصادق عليه السلام ((كمال التدبير وتمام الصنع)) ، ولذا نقول أن العالم الجسماني من حيث المجموع ما وجد في الزمان وإن كانت أجزاؤه وجدت فيه ، ولا يتحرك إلى جهة وإن كان من حيث ظهوره وتفصيله يتحرك وضعا على المحور وإنما يتحرك حركة الصدورية لا إلى جهة وحركة

---

[1] الجاثية ٢٣ ٢ الملك ٣

على القطب الذي هو وجه المبدأ بكل جهة بل بلا جهة ، فلو تحرك على المحور لم يكن كرة وإنما كان دائرة فلم يتمحض في الافتقار فافهم .

لكنه عليه السلام أتى بالحمد بالجملة الفعلية سيما المضارعة لبيان أن هذا العالم الظاهر فيه الحمد زماني متغير متجدد متصرم سيال ، والمدد الذي هو الحمد وإن كان متجددا إلا أن تجدد الإمداد من بحر المداد لا يظهر إلا في هذا العالم الطري الاستعداد ، وهو وإن كان طريا مطلقا إلا أن ظهوره وتفصيله على كمال الاختلاف الظاهري لم يكن إلا في هذا العالم ولذا لم يأت في ذكر العالم الأول في الإختراع الأول بالجملة الفعلية وإنما أتى هناك بالاسمية لبيان أنه خلق ساكن لا يدرك بالسكون وبيان أنه الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها بخلاف هذا العالم الثاني الجسماني فإنه زماني متجدد مختلف والفعل يؤدي هذا المؤدى ، والمضارع إلى التجدد الإني والسيالية الزمانية ، ولك أن تجعل هذا المقام تفاصيل ما أجمل في الكلمات الأول فيكون هذا الحمد وما بعده تفصيلا وشرحا للحمد الأول ، ولذا أتى بالحمد في المقام الأول وحده وأتى به هنا مفصلا و وصفه بما وصف ليطابق التدوين التكوين ويوافق الظاهر الباطن والصورة الكينونة فإن في عالم الكينونة على جهة الإطلاق ما يوجد الشيء إلا مجملا ثم يفصل بمرتبة أخرى ، فالأحدية بالواحدية والواحدية بالألوهية والألوهية بالرحمانية والرحمانية بالملكية وهكذا ، والوجود بالعقل والعقل بالروح والروح بالنفس

وهكذا ، والنطفة بالعلقة والعلقة بالمضغة والمضغة بالعظام والعظام باكتساء اللحم وهكذا ، والنقطة بالألف والألف بالباء والباء بالبسملة والبسملة بالحمد والحمد بالكتاب وهكذا ، فلو تأملت وأمعنت في النظر لرأيت كلام الحكيم الذي عرف الحيث والكيف والكم وأشهده الله خلق نفسه وخلق السموات والأرض على هذا الترتيب مطلقا سواء مع العالم أوالجاهل ، إلا أنه للجاهل يأتي بعبارة واضحة لو فصلتها وذيلتها رأيتها بعينها العبارة التي للعالم فما ترى في خلق الرحمن ومن تفاوت ، لكن ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[1] فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه ﴿ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2] فافهم هذه القاعدة المطردة .

فعلى هذا يكون كلامه عليه السلام في هذا المقام تفاصيل تلك الجملات وبيان تلك المبهمات ومآل المعنيين اللذين ذكرنا إلى واحد ، فإن نقطة الإيجاد سرت في القوابل الكونية والعينية كلها على طور واحد ، وإنما أتى بصيغة المتكلم الواحد دون الذي معه غيره مع أنه أولى في مقام العظمة لأن الأولوية إنما تتحقق إذا كان الغير معه في صقع واحد في السلسلة العرضية ولا كذلك في هذا المقام بالنسبة إلى هذا المتكلم روحي فداه فإن الأغيار كلها عنده عدم بحت ولا شيء محض فهو وحده ، كيف لا وهو ذات الذوات والذوات في الذوات من يد المتناول ، نعم قد يتنزل مع الغير بظهوره في رتبته في مقام ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠

---

[1] طه ٥ [2] طه ٥٠

﴿ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾[1] ومقـــام ﴿ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾[2]
ولكن مقام إنشاء هذه الخطبة ليس مقام التنزل إذ لا يشارك أحد معه في هـذه الأحكام فيجب التوحد كالواقع .

إن قلت : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام وسائر الأئمة عليهم السلام معه في رتبة واحدة فلو أتى بصيغة المتكلم معه غيره لكان أتم وأولى .

قلت : إن الله سبحانه خلق محمدا صلى الله عليه وآله في جلال القدرة فبقي يطوف حول ذلك الجلال ثمانين ألف سنة إلى أن وصل إلى جلال العظمة فخلق الله سبحانه هناك نور علي عليه السلام فبقي نور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة ونور محمد صلى الله عليه وآله يطوف حول جلال العظمة وهومعنى قوله صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي حامله))[3] فعلي عليه السلام هو حامل اللواء وهو الظاهر بالولاية وهو الباء الذي ظهرت الموجودات كلها منه وبه بخلاف الألف الذي استضاء منه الباء كالضوء من الضوء ، ولا يأتي إلى الباء أمر وحكم إلا

---

[1] الكهف ١١٠ [2] المؤمنون ٣٣

[3] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في الفضائل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها ، وأعطي علي ثلاثة ولماشاركه فيها ، فقيل : يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام ، فقال : لواء الحمد لي وعلي حامله ، والكوثر لي وعلي ساقيه ، والجنة لي وعلي قاسمها ، وأما الثلاث التي أعطيت عليا ولماشاركه فيها فإنه أعطي رسول الله صهرا ولماعط مثله ، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولماعط مثلها ، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولماعط مثلهما)) .

بالألف إلا أن التفاصيل وإعطاء كل ذي حق حقه ليس مفصلا في الألف كالباء ، فالباء هو المتوحد في هذا المقام أي في الظهور وإن كان غيره معه في المبدأ ، ولما كانت هذه الخطبة في مقام إظهار الولاية لا بيان حقيقتها يختص حكمها به عليه السلام .

وأما أولاده المنتجبون عليهم السلام فهو أمير المؤمنين عليه السلام والمؤمنون هم يميرهم العلم ، لأن مقامه الألف والنفس الرحماني في الكلمة ومقامهم الحروف ، فكل الامدادات الحرفية كلها تأتي من الألف كالألف بالنسبة إلى النقطة ، فلا يصلون أيضا مقامه فهو المتوحد روحي فداه في هذه الخطبة الشريفة وإن كان أولاده الطيبون عليهم السلام يشاركونه في هذا الحكم وشبهه إلا أنه به فيجب التنزل إلى مقامهم والمقام يأبى عن ذلك .

وأما فاطمة عليها السلام فإن ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1] ، فهو عليه السلام المتفرد في هذا المقام .

هذا كلام في مقام الفرق والتفصيل وأما في مقام الجمع فهم شيء واحد وحقيقة واحدة على الحقيقة سيما عند ظهور الولاية إذ في ذلك المقام لا فرق بينهم عليهم السلام قال عليه السلام ((أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا

---

[1] النساء ٣٤

محمد))[1] ، وفي هذه الخطبة الشريفة ((أنا محمد ومحمد أنا)) فقولهم عليهم السلام واحد وعملهم واحد وحكمهم واحد ونورهم واحد وأمرهم واحد لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون قال عليه السلام ((وأشهد أن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض))[2] فافهم .

وإنما أكد الفعل بالمصدر لأن المصدر هو أول ما اشتق عن الفعل وهو أول ظاهر ظهر عن الفعل فلا يظهر الفعل إلا بالمصدر وهوالأثر الحاصل منه ، فالمصدر له ثلاثة وجوه الوجه الأول الأعلى إلى الفعل من حيث المبدئية لا من حيث أنه فعل وفي هذا الوجه مثل للمبدأ وحاكي لتجليه له به فيظهر ويستنطق منه الحامد في هذا المثال ، فالحامد هو مثال الشخص الظاهري في الحمد ، وإذا قلنا أن الحمد الذي لله رب العالمين هو الولاية التي لله الحق فإذا نسبته إلى الله سبحانه يكون مبدأ لكل الأسماء والصفات التي هي المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان فليس اسم يشذ عنه ، فيكون مظهر اسم الله المستجمع لكل الأسماء والصفات الكمالية إذ المشتقات كلها مادتها المصادر وصورتها ظهور الذات بتلك المصادر ، وقد شرحنا وبينا هذه المسألة في كثير من مباحثاتنا ، فاسم الفاعل حقيقة مركب من المصدر ومن ظهور الفعل ولذا ترى النحاة قد اجتمعوا على أن أسماء الفاعلين كلها مشتقة من الفعل وإن اختلفوا في الفعل بين قائل باشتقاقه من المصدر وقائل

---

[1] البحار ١/٢٦

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

باشتقاق المصدر منه ، وأما اشتقاق اسم الفاعل من الفعل فيما لا خلاف فيه فيكون الفاعل مشتقا من الفعل ، ولما كان الاشتقاق فرعا وتابعا فيكون المشتق فرعا وتابعا للمشتق منه وليس هذه التابعية إلا الصدورية ، فالصادر الأول من الفعل وهو الحدث قبل التعلق بمتعلق بالنسبة إلى الفعل المبدأ هو الفاعل في مثال فعل والقائم في مثال قام وضارب في مثال ضرب وهكذا ، فالحامدية لا توجد ولا تظهر إلا في مقام الحمد بل الحامد عين الحمد الذي هو المصدر لكنه من جهة اضمحلاله في نفسه وفنائه في بقاء مبدئه تسمى باسمه وتحلى بحليته كالحديدة المحماة بالنار وبينهما بون بعيد قال عليه السلام ((لنا مع الله حالات هو فيها نحن ونحن فيها هو وهو هو ونحن نحن)) وقوله عليه السلام ((هو فيها نحن)) لا يريد به الذات البحت سبحانه وتعالى ولا يريد ارتفاعه عن مقامه ووصوله إلى مقام أعلى فإن ذلك مستحيل عقلا ونقلا ، بل إنما يريد به صرف المصدر مع ملاحظة ظهورالمبدأ فيه بنفس ذلك المصدر ولذا أكد الفعل بالمصدر لبيان أن الفعل لا يظهر إلا بالمصدر ، والظهور بالمصدر ليس إلا عين ظهور الفعل الذي هو عين المصدر الذي هو عين الفعل للمصدر ، والفعل قبل التعلق لم يوجد وبعدما تعلق أظهر نفسه بذلك المتعلق فليس لمتساويه أوأعلى منه سبيل إلى ذلك الفعل إلا بنفس ذلك المصدر ، فلا تظهر الحامدية إلا بنفس الحمد الذي هو تأكيده كقولك حمدتُ حمدت ، فحمدت الذي عند الشخص لا يعرف إلا بمثاله وهو

حمدت الذي في نفس الحمد كالصورة في المرآة ، وإنما كررت العبارة لتحظى بغامض الإشارة .

وهنا دقيقة أخرى وهي أن علياعليه السلام ذكره في الذاكرين واسمه في الأسماء ونفسه في النفوس وأثره في الآثار فإذا قال إني أحمد الله فله معنيان .

أحدهما : حمده له سبحانه بذاته وبكينونته الذي هو حمده حقيقة .

وثانيهما : حمده له سبحانه بآثاره كما يقولون الحمد هو الثناء باللسان فإن هذا هو حمد بالأثر لا بالذات والكينونة .

فحمده عليه السلام بذاته لله سبحانه وتعالى هو ظهور المصدر الذي ظهر الحق سبحانه فيه بفعله الكلي بنفس ذلك الفعل بنفس ذلك المصدر ، فإن ذاته الشريفة هي المحبة التي كانت علة لإيجاد الموجودات لقوله عز وجل ((فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف))[1] ، فذاته المقدسة هي ذلك العالم وتلك المحبة ، وهي أول صادر وأول ناطق له بالثناء ، وتلك المحبة الإلهية هي التي قامت بها كل الأشياء والأسماء ، فإن الأسماء ما ظهرت إلا عند تعلق تلك المحبة بالأشياء ، فالمحبة الكلية هي الثناء الكلي والمدح العلي والحمد الجلي لله سبحانه ، وهي كلمات الله التي ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[2] ، مع أن هذه الكلمة أعلاها وأسناها وأشرفها وأقدمها ، وأين الجزئي من الإحاطة

---

[1] البحار ٨٧ / ٩٩

[2] لقمان ٢٧

بالكلي ، وتلك المحبة هي المصدر الأول ، فمحبة الله له ومحبته لله إنما كانت بذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار))[1] ، وهذا الحمد والثناء والمجد لم يلحقه أحد من الخلق إلا محمد صلى الله عليه وآله كما قال صلى الله عليه وآله ((يا علي ما عرف الله إلا أنا و أنت))[2] وهذا الحصر حقيقي ليس إضافي ، لأن عليا عليه السلام قد سبق الخلق كلهم وسبق أولاده الطاهرين عليهم السلام بحرف واحد في التوحيد والمعرفة لم يصل إليه أحد أبدا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله فإنه قد سبق عليا عليه السلام بحرف واحد كذلك ، فتوحيده وحمده وثناؤه بكينونته بذاته قد فلق كل شيء وهو أقصى ما يمكن في عالم الإمكان .

وكذلك حمده لله سبحانه بصفات ذاته كما في عالم عقله الشريف وروحه ونفسه وطبيعته ومادته ومثاله وجسمه لأن علو الحمد وسمو مرتبته إنما يتصور في مقامين .

أحدهما : أن يكون الحامد في مقام المنير وكل ما عداه في مقام النور .

وثانيهما : خلوص حمده عن كل الشوائب الغيرية وجهات السوى ومرديات الهوى بحيث يكون كمالا صرفا في غاية مرتبة الاستقامة ، ولا يتأتى ذلك إلا له ولأخيه وزوجته وبنيه عليهم السلام لأنهم عليهم السلام المستقيمون في حقائقهم

---

[1] الكافي ٨ / ٣٥١ ح ٥٤٨

[2] تأويل الآيات ١٤٥

بأن جردوها ونزهوها عن كل ذكر سوى محبوبهم وسيدهم ، فمن شدة الصفاء والضياء والخلوص وعدم وجدان الإنية صاروا بحيث قولهم قول الله وحكمهم حكم الله ومعرفتهم معرفة الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وجهلهم جهل الله وهكذا كل الأوصاف ، فصاروا في ذلك المقام مقام الله وآيته ودليله وعلامته إلى أن قال الحجة عجل الله فرجه ((لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك))[1] .

وهكذا الحكم في عقولهم ونفوسهم حتى صاروا في ذلك المقام هيكل التوحيد والمثل الأعلى والكلمة العليا إلى أجسامهم المطهرة حيث كانت منزهة عن كل نقص ووصمة وعيب من حيث الاعتدال الطبيعي والمزاج الجسمي والصفاء اللبي والنور الكيلوسي والكيموسي لم تدنسهم الكثافات وما خرجوا عن الاستقامة طرفة عين بل ولا أقل ولا أقل عن الأقل ، فهم في كل مقام وكل رتبة حمد الله وآيته ووصفه ودليله ، فروحهم من روح الله وطبيعتهم موافقة كينونة الله سبحانه وتعالى .

وأما حمده العملي والقولي والجناني واللساني والأركاني التي كل منها لسان مستقل في الثناء على الله سبحانه فهولايخفى على أحد ولا يحتاج إلى بيان ، فصار حمده وثناؤه وتوحيده لله عز وجل أمرا لا يلحقه أحد إلا محمد

---

[1] دعاء رجب لمولانا الحجة عجل الله فرجه

صلى الله عليه وآله وسلم فإنه صلى الله عليه وآله وسلم أقوى منه عليه السلام بكل المعاني وعدم اللحوق أيضا بكل المعاني فافهم .

وهذا الذي ذكرنا هو نوع حمده لله سبحانه وتعالى بذاته على المراتب أعم من أن تكون الذات في مقابلة الصفة أوفي مقابلة الغير ليعم جميع ما يستند إليه بلا واسطة من الأحوال والمراتب والأعمال والأقوال وغيرها .

وأما حمده عليه السلام بأثره وهو حقائق الأشياء كلها من أول الوجود إلى آخره إذ كلها خلقت من فاضل نوره من حيث هو نور الله ووصفه ، فصارت كل الكمالات والصفات الحسنة الظاهرة في عالم الخلق بالغة ما بلغت وكائنة ما كانت كلها من الأسماء والصفات وسائر الكمالات منه نشأت وعنه برزت وإليه عادت حين كونه باب الله للخلق ووجهه إليهم ووجههم إليه ، فهو يثني ويحمد الله سبحانه بما أظهر في الخلق من أثر حمده ونور تجليه وظهوره ، فإذا قال عليه السلام (أحمده) يريد به الحمد الأول الذي يحمد الله سبحانه في ذاته ، وإذا أكد بالمصدر الذي هو (حمدا) يريد به الحمد لله الذي ظهر في خلقه فإن ما في الخلق ليس هو نفس الفعل وإنما هو نفس الحدث الذي هو المصدر إلا أنه مثال المتجلى له به ، فصار كل ما في الخلق من الكمالات وأنواع الثناء مجد وثناء لعلي عليه السلام، بل نفس الخلق بمادته وصورته ثناء منه على الله جل ثناؤه ، ألم تر إلى السراج فإنه نفس ثناء النار على النار وثناء نفسه على النار

والأشعة ليست إلا ثناء السراج على النار على جميع مراتب الأشعة بكل أحوالها وأوضاعها ، وستعرف إنشاء الله تعالى حقيقة هذا القول .

فإتيانه بالمصدر لبيان الحمد الثاني له فإن المصدر تأكيد تابع وهو ظهور من ظهورات الفعل لا عين ذات الفعل وإلا لم يكن تابعا إذ الشيء لا يتبع نفسه ، فحمد المصدر يشير إلى هذه الدقيقة الشريفة فافهم .

وإنما نسب الحمد إلى نفسه في هذا المقام دون المقام الأول فإنه عليه السلام أثبت الحمد لله من غير الاستناد إلى أحد لما ذكرنا من أن المقام الأول مقام الإجمال فيطوي في ذلك المقام الوسائط ويجري الكلام على ما هو الأعم في النظر ، وأما هذا المقام الثاني فهو مقام التفصيل ، وفي هذا المقام ينظر إلى الوسائط لا نظر الاستقلال بل نظر المعرفة إثباتا للعظمة وتنبيها للقدرة ، وفي المقام الأول جعل الفعل مصدرا ليكون الفعل عين المصدر والمصدر عين الفعل لا مطلق المصدر بل الذي هو عين الفعل إذا جعلت الفعل حدثا وأثرا فله محدث ومؤثر ، فالحمد الأول هو حقيقة أحمد والحمد الثاني صفة تلك الحقيقة وظهورها ، والمصدر في الثاني صفة الصفة لتتم بسم الله الرحمن الرحيم فافهم .

والوجه الآخر للإتيان بالمصدر للتأكيد لإثبات الصفة له من حيث هو فإن المصادر على ما قلنا لها ثلاث حالات .

الحالة الأولى : هوما ذكرنا من أنها أسماء الفاعلين عند ملاحظة تجلي الذات بفعلها فيها .

والحالة الثانية : ملاحظة أنها آثار صدرت من حيث أنها آثار فهناك تقع عليها الصفات وتجري عليها الأحكام فالمفعول المطلق هو في هذا المقام ، فالمصدر المفعول المطلق هو ركن للأسماء ومعان لها ، كالقيام ركن للقائم ومعنى له ، والضرب ركن للضارب ومعني له وكذا غيرها من أشباهها ، فالمعنى من حيث هومعنى له حكم غير حكم الاسم وهو ظاهر .

والحالة الثالثة : ملاحظة ارتباط هذا المصدر المفعول المطلق بأمر آخر غير جهة الفاعل وهو المفعول به كالمضروب مثلا ، ولذا ترى النحاة يقولون أن المصدر قد يأتي على معنى اسم الأفعال وقد يأتي على معنى اسم المفعول ، ففي الحمد أربعة أمور الحامد والمحمود والمحمود عليه والمحمودية ، والحمد مصدر مادة لهذه الأربعة وهو شيء واحد ، ولا شك أن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون له أصقاع متعددة وإلا لم يكن واحدا وتجاوز الشيء عن مبدئه مستحيل عقلا ونقلا ، فإذا كان كذلك فالحمد إذا اعتبرت فيه جهة المبدأ الذي هو الفعل يتحقق الحامد ، فالحامد اسم معناه الحمد وهو مركب منه ومن ظهور المبدأ فيه به ، وإذا اعتبرت فيه جهة التعلق أي تعلق أثر فعل الحامد به أولا فيكون محمودا فإن أول ما يتعلق به فعل الفاعل الحامد ليس إلا الحمد ، والحمد المتعلق بغيره إن لوحظ جهة الغير لم يكن للحمد

أثر ، إذ ذكر الشيء في الآخر لا يكون إلا إذا كان ذلك الآخر عن مرآة لا تلتفت إليها أصلا ، فإن المظهر لا يحكي الظاهر إلا إذا تمحض في المظهريةولا يتمحض فيها إلا إذا لم تر له جهة غير جهة الظاهر ليستدل به عليه وإلا لكان محتجبا عنه أما تقرأ قول علي بن الحسين عليه السلام ((وأنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك))[1] وقول مولانا علي عليه السلام ((بل تجلى لها بها وبها امتنع عنها وإليها حاكمها))[2] إذ الشيء الواحد في حال واحد لا يحكي أمرين متناقضين ، ولذا إذا نظرت في زيد من حيث هو هو احتجبت عن معرفة الإنسان ، وإذا نظرت إليه من حيث هو إنسان اعتبرت الجهة الإنسانية فما عرفت إنسانية زيد إلا بالحصة الإنسانية التي فيه فعرفت الشيء به فافهم هذا الكلام المردد بالفهم المسدد .

فإذا قلت المحمود فإن لاحظت فيه جهة غير جهة الحمد فقد احتجب عن الحمد فلم يكن محمودا ، وإن لاحظته من حيث ظهور الحمد فيه به فليس ذلك إلا الحمد ، فإن المحمود هو الذي تقع عليه الصفة ووقوع الصفة ليس عين الموصوف ولا الصفة الذاتية له وإلا استحال الوقوع ، والمحمود ليس إلا الظاهر بالصفة والمقصود بالحمد وهو ليس إلا ما ظهر لك عندك ، فافهم فإنه دقيق فإن بيناه بواضح البيان لارتاب المبطلون وأنكر المعاندون .

---

[1] دعاء أبي حمزة الثمالي

[2] شرح النهج ١٣ / ٤٤

وكذا القول في المحمود عليه والمحمود به ، ومجمل القول في هذا وأشباهه هوما ذكرت لك أن الشيء إذا فرض مجردا عن غيره إن ثبت واستقر لا يكون عين ذلك الغير وإن انتسب إليه إلا أن الانتساب ليس ذاتيا وإلا امتنع ملاحظة الانفكاك ، فإذا صح ذلك فنقول هذا الحمد مادة للحامد والمحمود عليه وبه أم لا ؟ والثاني باطل بحكم العيان ، إلا أن تقول أن إطلاق الحمد على هذه المواد والهيئات على الاشتراك اللفظي ولم يقل به أحد ، فإذا صح المعنوي فالحمد المأخوذ في تلك الهيئات بعد صحة المغايرة وكونه حدثا مصدرا لا يجوز أن يتصل بذات الحامد والمحمود عليه وبه وإلا لتغيرت الذات بحدوث أثرها وتنفعل بفعلها وهو باطل بالبديهة ، فيجب أن يكون الحمد شيئا واحدا اختلف بحسب الانتساب في مكانه وكينونته ، فهو شيء واحد مختلف الجهات والاعتبارات والحيثيات ، ومثال ما ذكرنا أشعة الشمس بالنسبة إلى الشمس والأرض ، والنار في الحديدة بالنسبة إلى النار الأصلية والحديدة ، والصورة في المرآة بالنسبة إلى المرآة والمقابل فافهم التصريح في التلويح ، ولولا خوفي أن تقول بهذا تنخرم القواعد ولم يقل به علماؤنا فيكون باطلا لشرحت هذه المعاني وأريتك أن أحاديث أهل البيت عليهم السلام مشحونة بذلك ، وكلمات أهل النحو والصرف كلها جارية على هذا إلا أنهم كما قال الشاعر :

قد يطرب القمري أسماعنا ونحن لا نعرف ألحانه

وعلى هذا يظهر لك سر التأكيد بالمصدر الذي هو الحمد.

وأما وصفه بالسطوع والارتفاع والتشعشع واللمعان فلأن الحمد هو إظهار الصفة الكمالية الإلهية بالصفة الكمالية لا بغيرها إلا أن يكون ذلك الغير كالأرض الحاملة لشعاع الشمس أوكالزجاجة الحاملة للمرآة، ولا شك أن الصفة الكمالية الجمالية والجلالية متكثرة والكل تحت هيمنة الاسم الواحد، وهو تحت هيمنة الهوية القاهرة لكل الأسماء والصفات والإضافات والقرانات، وتلك الهوية ظهور الأحدية فهي مرتفعة عن كل الكثرات والتعلقات الأسمائية والصفاتية، ولا شك أن الكمال كلما كان خالصا عن شوب التعلقات والكثرات كان أعظم وأكمل لأنه حينئذ يغيب في ظهور الذات فيظهر بالهيمنة والسطوع في كل شيء، وكلما كان بالتعلق أقرب كان من جهة الإطلاق أبعد حتى يكاد يخفى عن الظهور فيظهر في المتعلق، فإن كان الحامد يحمده في مقام تلك الهوية الجامعة والكمال المطلق، ويحمد الله سبحانه ويثني عليه في تلك الرتبة حمد الله لنفسه به يكون ذلك الحمد نوره ساطعا مرتفعا عن كل الشوائب والكثرات التي هي عين النقصان ولواحق الإمكان، فالوصف البالغ هو الوصف المرتفع عن ذكر كل ما عدا الموصوف الكامل، فالأسماء التعلقية وإن كانت مرتفعة ودالة على الكمال إلا أنه ليس ارتفاعا تاما بحيث لا يدل إلا على الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

ولما كان مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام في حمد ذاته بذاته واقفا في ذلك المقام وهو نور صرف وكمال بحت مرتفع عن الخيال والأوهام خالص عن شوب الكثرات والظلام ، فيكون حمده حمدا أي ثناء على كمال مهيمن على كل الكمالات مرتفع عن كل التعلقات ، أومرتفع على كل حمد على سائر الكمالات ، إذ مراتب الحمد تختلف فحمد على كل الكمالات الخاصة كالقادر العالم القاهر الجميل الجليل الغفار الستار وأمثالها مما نجد في الأدعية والآثار من الصفات الخاصة والأسماء المتعلقة ، وحمد على الكمال الجامع والاسم المطلق جزئيا كان أم كليا كالرحمن والله وهذان الاسمان وإن كانا أعظم الأسماء حسب الإحاطة إضافيا إلا أنهما ما خلصا عن شوب التعلق الذي فيه ذكر للغير ، وحمد على الهوية وهي الظهور المطلق المسمى باسم هو وهذا الاسم وإن كان أعظم فأعظم وأعظم خالصا عن شوب التعلق لكنه ليس خالصا عن ذكر المتعلق الذي فيه ذكر ذكر الغير ، وحمد على الظاهر بالظهور الذي هو عين الظهور من غير ملاحظة الظهور ليكون الحمد عين الحامد وهذا الحمد هو أعلى مراتب الحمد وأقصى مقاماته لأنه بالغ في الثناء على فوق طاقة الإمكان ، فهذا الحمد ساطع أي ظاهر في عين خفائه ومرتفع على كل حمد وأعلى عن كل مقام إذ فيه من توصيف الخالق ما لا يطيقه أحد من الخلائق ، هذا إذا كان سطع بمعنى ارتفع .

وذكر سطع إما للتأكيد أوللتجريد كما في قوله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾[1] فإن الإسراء هو السير في الليل ، وإن قلت أن التأسيس خير من التأكيد تتعدى الارتفاع بعن فيفيد المعنى الأول بقوله عليه السلام ((سطع)) ويفيد أيضا تنزه هذا الحمد عن كل شوب تعلق وكثرة كما هو مقام الأحدية التي هي فوق مقامات الموحدين وفوق مقامات التوحيد .

ولك أن تجعل الحمد على الكمال المطلق جزئيا كان أم كليا خاصا كان أم عاما ، بل تقصد كل الكمالات على أنحائها متعلقها أم غير متعلقها وتخص الحمد بالحضرة العلوية روحي فداه ، فيكون حمده مطلقا بالنسبة إلى حمد من دونه من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين والشهداء والصديقين والمؤمنين الممتحنين بل الخلق كلهم أجمعون ما عدا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ساطعا مرتفعا على المعنيين .

أوتقول أن الحامدين مقاماتهم مختلفة فمن حامد باللسان وحده يقول الحمد لله والشكر لله بلسانه ، وقلبه ملته بالهوى وجوارحه مشتغلة بالدنيا وسره غافل عن ذكر الله ، وهذا حمده وبال عليه وقوله نكال عليه نعوذ بالله من ذلك .

ومن حامد يحمد الله سبحانه بلسانه ويستشعر بقلبه حين قوله لكنه ينكر ذلك بعمله ، فإن عمل المعصية إظهار ولاية الأعداء والإعراض عن الله

---

[1] الإسراء ١

سبحانه ، وهذا الرجل أحسن حالا من الأول ويرجى لـه الخـير إن كـان مـن أهل الولاية ولا يعصي متهاونا متكبرا جحودا .

ومن حامد يحمد الله سبحانه بلسانه ويستشـعر ذلـك بقلبـه ويعمـل على مقتضاه بظاهر عملـه في الجـوارح إلا أنـه ليس مطمئـن القلـب بـارد الفؤاد ، له قلب مضطرب وفؤاد مشوش يدور يمينـا وشمـالا ، بظـاهر أعمالـه مطيع وبباطنها عاص لاضطراب القلب وتبلبل البال .

ومن حامد يحمد الله سبحانه بلسانه وقلبه وعمله بظـاهره وباطنـه إلا أنه قد يحصل له بعض الخواطر فينقص ذلك في مقام حمده .

ومن حامد يحمد الله بجميع ما ذكر إلا أن سره غـير مصـون ودره غـير مكنون .

ومن حامد يحمد الله سبحانه بلسانه وقلبه وأركانه وأعمالـه الظـاهرة والباطنة والسرية ويحفظ فؤاده عـن ذكـر الغـير ويكـون بحيـث لا يسـمع إلا صوته ولا يرى نورا إلا نوره ولا يخطر في قلبه إلا حبـه وذكـره ، فـأولئك هـم الأولياء والسعداء الفائزون بالدرجات العلا ، وهذا الحمد هو حمد سطع نوره وارتفع على كل حمد الحامدين المذكورين والغير المذكورين ، أوارتفـع وتـنزه عن حمدهم لأن حمدهم ما كان خالصا لله سبحانه بل كـان مشـوبا بالظلمـات على حسب المقامات .

ولكـل رأيت منهم مقامـا   شرحه في الكتاب مما يطول

وأما هؤلاء الحامدين فمراتبهم كثيرة ومقاماتهم عديدة حسب ملاحظة التجليات وسلب الإنيات ومشاهدة جمال خالق الأرضين والسموات ، إلا أن علياعليه السلام وأخاه وزوجته وبنيه عليهم السلام بلغوا مقاما في الحمد لا يسبقهم سابق ولا يلحقهم لاحق ولا يفوقهم فائق ولا يطمع في إدراكهم طامع من أول الوجود إلى آخره .

أويكون المعنى في مقام التنزل أوفي مقام الاضمحلال دعاء وطلب لتلك الرتبة أي يجعل الله سبحانه حمده من ذلك الحمد الساطع نوره والمرتفع عن النقائص وشوائب الإمكان وجهات الإنية وأمثلة ذلك في الأدعية كثيرة .

وأما وصف الحمد بالتشعشع واللمعان فاعلم أن شعاع الشمس في أول ظهورها يرى كالقضبان ويقال له التشعشع ، وأما في هذا المقام فإن الشخص إذا أراد أن يحمد الله سبحانه بالحمد الكامل المرتفع عن كل شوب السوى الذي هوالنور الإلهي وشمس الظهور الأزلي الأبدي ليكون هو نفس الحامد ليتحد مع حمده ويكون حمد الله عز وجل ينظر أولا في عالم التحديد إلى ذلك النور فظهر له من ذلك بقدر سم الإبرة من شعاع ذلك النور ، وإن شئت قلت تلك الشمس وإن شئت قلت ذلك الحمد وما الوجه إلا واحد غير أنه إذا أنت عددت المرايا تعددا فيتشعشع ذلك الشعاع ، فإذا استدام النظر وقوي البصر يقوى ظهور النور المشرق من صبح الأزل فيلمع بحيث يغشى الناظر ويحيط بكله في جميع جهاته الست من فوقه ومن تحته وقدامه

وخلفه حتى لا ينظر إلى جهة إلا ويرى ذلك النور لامعا في تلك الجهة لا إلى جهة فتستوي الجهات وتتحد الأصقاع ويظهر له جلال العظمة ، فيحمد الله في سره وعلانيته ، علانيته في سره وسره في علانيته ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره فلا يتوجه إلى جهة إلا ويرى الله ظاهرا في تلك الجهة ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[1] فكان أول ظهوره نورا شعشعانيا لعدم الظهور بالكلية والتمام بل كان في أول مقام خرق حجاب اللانهاية وأول صعوده إلى عالم الحمد اللانهاية فتحصل الخطوط الشعاعية من مزج العالمين والتقاء البحرين ، ثم إذا انخرق الحجاب وفتح ذلك الباب التمع النور وأشرق بحيث أضاء الفضاء وملأ ما بين الأرض والسماء وظهر سر لا إله إلا الله ، فالحمد نقطة من عالم اللانهاية قد نظرت إلى عالم النهايات بتعليق الأرجاء فظهرت في كل مقام بنسبته وأعطت كل ذي حق حقه ، وهذه الأنظار والوجوه كلها التفاتات ورؤوس منه قد لحقته بالعرض ، وأما هو من حيث الحقيقة فليس إلا تلك النقطة الغير المنقسمة والغير المتعلقة ، وتلك النقطة ظهرت بالألف وهو مقام حقيقة مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام فالحمد هو النقطة والألف لواؤه فكان علي عليه السلام هو حامل لواء الحمد ، فحمد علي عليه السلام في مقام المسمى نور تشعشع وفي مقام ((أنا الذي لا يقع عليه اسم ولا صفة ظاهري ولاية وباطني غيب لا يدرك)) نور لمع ، ولما كان عليه السلام في مقام التعلق بإعطاء كل

---

[1] البقرة ١١٥

ذي حق حقه عند إنشاء الخطبة الشريفة بين المدينـة والكوفـة ناسـب تقديـم التشعشع على اللمعان ولذا أتى بالفاء التعقيبية فصارت الفقرات مترتبة .

فقوله عليه السلام ((سطع)) أي علا وارتفع على الإطلاق وهذا يقتضـي أن يكون مرتفعا عن الأوهام والأفهام وعن حمد كل حامد في كل مقام ، فـأتى بفاء التفريع فعقبه بقوله عليه السلام ((فارتفع)) ولما كان هذا الحمد أي النـور في بدو ظهوره لأهل عالم النهاية في حجاب رقيق يقتضي التشعشـع فذكـره بعـد الارتفاع من غير الفاء لأن ذلك حال ظهور ذلك النور لا متفرع عليـه ، نعـم اللمعان متفرع عليه فعقبه به بالفاء .

هذا الذي ذكرنا هو أعلى مقامات الحمد وهذا المعنى يريده عليه السلام من هذا الكلام .

وأما كيفية ظهور حمده في كل ذرات الوجود ، وسريان ذلـك النـور في كل مفقود ومشهود ، وبيان أن كينونات الأشياء وذوات الموجودات حمده عليه السلام لله عز وجـل وثنـاؤه عليـه ، وأن الوجـودات الشـرعية والتكليفـات الإلهيـة الكونية كلها تأسيس لثنائه على الله عز وجـل ، وكـون الحمـد في كـل ذرات الوجود نور سطع فارتفع وشعشع فلمع مما يطول بذكره الكلام ، مع أن بيـان أكثرها تستنطق الطبائع المنكرة والغرائز المنتنة بنـتن الجـهل والإنكـار إلا أن فيما ذكرنا كفاية لأهل الدراية ويأتي الكلام إنشاء الله في أثناء الشرح .

قوله عليه السلام
حمدا يتصاعد في السماء إرسالا

أقول : أهل الحقيقة يعرفون من هذه الفقرة تفريعا على الفقرة الأولى ويقصدون من السماء سماء المتجلي الظاهر بالتجلي الذي هو الحمد ، ومن التصاعد التصاعد في مقام أعلى من مقام أدنى من مقامات التجلي إثباتا لقوله عز وجل في الحديث القدسي ((وليس لمحبتي غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[1] فإن الواصلين إلى مقام الحمد أعلى مقامات الظهور على ما وصفت لك لا يزالون في السير والانتباه كلما ظهر لهم الجبار في الصحو والمحو يظهر لهم مقام أعلى من المقام الأول فيصعدون إلى جانب تلك السماء ولا غاية لصعودهم وتجدد ظهور التجلي لهم ولا غاية للسماء أيضا فلا يصلون ودائما يصعدون وفي الدعاء ((تدلج بين يدي المدلج من خلقك))[2] فهم في هذا المقام في أعلى مقامات جنة الرضوان في صحو دائم ومحو قائم ظهور بعد ظهور ونور بعد نور وإشراق بعد إشراق وتجلي

---

[1] إرشاد القلوب ١٩٩

[2] مفتاح الفلاح ٢٩٣

بعد تجلي ، وفي كل صعود يظهر لهم مقام في التوحيد الحمد لم يكن عندهم قبل ذلك بحيث يجدونه الشرك الجلي لا الخفي ، ولذا كرر الحمد المصدر مرة أخرى بعد توصيفه أولا بالسطوع والارتفاع والتشعشع واللمعان فإن الأول بيان إثبات هذا الحمد وتحققه والثاني تجدد ظهوراته وبروزاته فيما لا نهاية له وهو من السر في الإتيان بالجملة الفعلية ، وإليه يشير قوله عليه السلام ((إرسالا)) أي أفواجا وفرقا متقطعة يتبع بعضها بعضا بلا انقطاع ، إذ الانقطاع إنما يتصور عند النظر إلى الحدود والإنية وكلها قد ارتفعت واضمحلت بل وفنيت وعدمت ، فهناك انتباه لا سنة بعده ولا نوم فضلا عن الموت ، فهو إذا مقابل لفوارة النور من غير مانع ولا نهاية لفوران تلك الفوارة ولا غاية لمقابلته ، فحمد يتصاعد في سماء التجلي بالتجلي إرسالا أفواجا يتبع بعضها بعضا وهو قوله عز وجل ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ أي قول لا إله إلا الله ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[1] والعمل الصالح هو الخالص عن شوب السوى ودعوى إني أنا الله ، ولا يكون ذلك إلا بوصوله مقام الحمد وتحميد الله سبحانه بلسان المجد فهو سبب لرفع الحمد وتصاعده في السماء إرسالا أفواجا ، ومثال هذه الفقرة بالنسبة إلى الفقرة الأولى زيادة السقي للمركب بعد إتمامه إكسيرا ثم سقية لزيادة الفعل ، وكلما يزداد سقيا يزداد بهاء وفعلا إلى أن يبلغ القيراط في الطرح إلى القنطار ، فلا يقصر

---

[1] فاطر ١٠

الحكيم إن كان له ماء زائد ولم تقصر قابلية المركب أيضا للقبول لصفائه من الأعراض والغرائب المانعة .

قوله عليه السلام
ويذهب في الجو اعتدالا

يريد بالجو هو الجو المفتوق في قوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) والسموات إنما فتقت منه على جميع المعاني المتقدمة على النهج المقرر المذكور فراجع ، والاعتدال هوإلاستقامة واستقامة كل شيء في كل مرتبة بحسبها وهي صفة الحمد بل عين ماهيته ، وإنما أتى عليه السلام بوصف الاستقامة فإن حمد الحامدين على أنحاء قد ذكرنا بعضا منها من الأقوال والأفعال والأحوال والأطوار والأوطار والمعتقدات والسرائر والضمائر من الشرعيات الوجودية والوجودات الشرعية ، وتختلف فيها جهات الاستقامة في كل مقام بنسبته ، والواقف على مقام الاستقامة على الحقيقة الواقعية هو الحامد حقيقة وهو الذي قد أمر بها في قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[1] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم

---

[1] هود ١

((شيبتني هذه الآية)) فإن هذه الاستقامة هي لواء الحمد الذي له سبعون ألف شقة .

ومجمل القول أن الحمد له مقام ما وصل إليه على الحقيقة الأصلية بالأصالة إلا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ، وكلما عداهم فما وصلوا إلا إلى عالم المجاز إلا أن يكون قد انقطعت أنفسهم فوقفوا وثبتوا في مقام المجاز لمشابهتهم مع الحقيقة لتصحيح العلاقة المجازية وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام لمن يفهم في وصف الملأ الأعلى ((صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشرقت وطالعها فتلألأت وألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم (والعمل) فقد شابهت جواهر أوائل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد))[1] والسبع الشداد هي ظاهر السبع المثاني والقرآن العظيم ، وهم أوائل جواهر العلل ، ومشاهدتك إياهم وصولك إلى الورقة الخاصة بك من شجرتهم التي غرسوها في جنان الصاقورة ، فإن وصلت إلى مقام تلك الورقة فأنت حينئذ مجاز مشابه للحقيقة ، فأنت إذاً مثل المثل ويكفيك في هذا المقام ما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] ، فالحمد يخص بالله سبحانه أي الظاهر بالألوهية وهو

---

[1] المناقب ٢/٤٩ [2] الصافات ١٨٠ – ١٨٢

رب العزة والسبحان ، فالحمد الحقيقي هو مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1] وهـذا ما وصل إليه رسول الله ﷺ ، وأما الحمد الحقي فهو الذي قال ﷺ ((أنـا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)) وثناء الله على نفسه هـو مقام فوق مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، وهو مقام أوأدنى وفوق مقام الهوية المطلقة لا الظاهرة ، فهم من فهم .

---

[1] الفاتحة ٥

قوله عليه السلام
خلق السموات بلا دعائم وأقامها بغير قوائم وزينها بالكواكب المضيئات ، وحبس في الجو سحائب مكفهرات

أقول : لما فصل عليه السلام الحمد المعنون في أول الكلام مجملا مطلقا بما فصل ووصفه بما وصف وأبان عن مقامه وحقيقته وماهيته ومائيته ومراتبه ودرجاته وصافيه وكدره بما شرح وأوضح أراد أن يفصل فتق الأجواء المأتي به بعد الحمد لله ، وإنه عليه السلام لما فرغ من الثناء على الله عز وجل بظهوره وسطوع نوره على ما يقتضي المقام في الخلق الثاني أراد أن يبين تفاصيل مبادئ هذا الخلق وربط علله بمعلولاته وأسبابه بمسبباته ليظهر بذلك عظمة الله سبحانه المستغرقة لكل شيء المحيطة بكل شيء ، وأن الأكوان والأعيان والأزمان وما أحاط بها من الممكن والإمكان متحركة إليه دائمة الحركة مستديرة السير بحيث لا بقاء لها إلا حين صدورها ، ووجودها عين صدورها وصدورها عين وجودها ، فلم تزل صادرة طرية إلى ما لا نهاية فيفنى الخلق عند بقاء الخالق وينفخ في الصور ليوم النشور وينادي المنادي ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ

﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ ويجيب المجيب ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[1] بحيث يسمعه الآن من له أذنان ويعرفه ويراه من له عينان .

فقال عليه السلام ((خلق السموات)) والمراد بخلق أعلم من أراد وقدر وقضى وأمضى فإن هذه الكلمات منها افتراق عند الاجتماع كما إذا قيل خلق أو شاء وأراد فقدر وقضى وأمضى وعند الافتراق اجتماع كما هنا ، والدليل على المراد بخلق أعم بعد العقل بأن الشيء لا يمكن كونه إلا بهذه الأمور الأربعة أوالخمسة أوالسبعة ، من النقل ما رواه في الكافي عن مولانا الصادق عليه السلام ((لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر))٢ ، وفي رواية عن الكاظم عليه السلام هذه السبعة بتقديم وتأخير في الجملة إلا أنه فقد أشرك٣ ، وقد قال الله عز وجل ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾٤ .

وبالجملة فالله عز وجل خلق السموات بموادها وبرء كينوناتها وقدر هيئاتها وصفاتها وأعراضها وأعراض أعراضها ومقادير أشعتها ومدة بقائها

---

[1] غافر ١٦ ٢ الكافي ١/١٤٩ ح ١

٣ وهي قوله عليه السلام ((لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أورد على الله)) الكافي ١/١٤٩/٢ .

٤ الانفطار ٧ – ٨

ودوامها واستمرارها وفعلها ومقدار حركاتها وتقلب أوضاعها وحدودها من كمها من المقادير النورية والأجسام التعليمية ، وكيفها من الهيئات والألوان والصفات والحالات والاستدارت والمتممات والجوزهرات والممثلات وخوارج المراكز ، ووقتها من الأزمان والمدد النورية الفلكية الذاتية لا المنتزعة من الحركة فإن تلك تعريفات لا أوقات حقيقية ، وجهتها في الجهات الست من الجهات الست الحاصلة من الحركة على المحور أولا إلى جهة إذا كانت الاستدارة على القطب ، ورتبتها ونسبتها إلى مبدئها ومنتهاها ونفسها وظهورها في مقامها وإذنها وأجلها وكتابها وسائر قراناتها وإضافاتها ونسبها وأحوالها وأفعالها ، وضبط مقادير حركاتها التسخيرية والتقديرية والممثلية والخارجية والحركات التقويمية ، والحركات المستقيمة والمقيمة والراجعة وأمثالها من الأحوال والأطوار والأوطار مما يجري عن فوارة القدر بحكم مستقر ، وقضى ما قدر وألزم ما فصل وركب ما فرق وفصل ما أجمل وأظهر ما ذكر ، وربط المعلولات بالعلل والأسباب بالمسببات ، واستنطق عجم الأكوان بفصيح البيان ، وأفاض على المسئول مأموله وبلغ الطالب مطلوبه ، ثم أمضى ما قضى وأذن له بالإظهار مشروح العلل مبين الأسباب ، فأظهر منها آثار التوحيد والعظمة والجلال والجمال والعزة والقدرة والكمال كما قال سبحانه إبانة عن هذا الشرح بقوله الحق ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] فأبان عن العلة الفاعلية بقوله عز وجل ﴿ ربنا ﴾ وعن العلة المادية والصورية بقوله تعالى ﴿ ما خلقت هذا ﴾ وعن العلة الغائية بقوله ﴿ باطلا ﴾ وعن الحركتين الساريتين في الحركات السماوية اللتين بهما تذوت كل متحرك وساكن وتوصلان الخلائق إلى مقاماتها ومراتبها التي خلقت لها وأتت منها وتعود إليها كما قال عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[2] بقوله الحق ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ ، فأشار إلى أسباب الوقاية وهي نون الوقاية أوهاءها التي هي عين نونها من الأحكام التشريعية والوقايات التكوينية بالتضمن ، وهذا معنى قولنا مشروح العلل مبين الأسباب إذ كل مقامات العارفين ودرجات الموحدين ومراتب المتكلمين وسائر العلماء من الروحانيين والجسمانيين كلها مطوية في مضمون الآية الشريفة ، قال مولانا سيد الشهداء عليه السلام إشارة إلى هذا الشرح والبيان بقوله عليه السلام ((إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر من النظر إليها ومرفوع الهمة من الاعتماد عليها إنك على كل شيء قدير))[3] فالخلق دليل الخالق والخلائق والمبادئ الواسطة ، والحركات الكونية الصدورية والإصدارية والوجودية والعروضية والتكليفية الشرعية الباطنية

---

[1] آل عمران ١٩٠ – ١٩١ [2] الأعراف ٢٩ [3] دعاء الحسين عليه السلام في عرفة .

والتكليفية الشرعية الكونية الظاهرية وأمثالها من الأحوال وسنذكر في خلال الكلام على حسب المقام بعون الله الملك العلام.

فقوله عليه السلام ((خلق السموات)) يريد به هذه المراتب كلها من لفظ خلق الحاكي لمعناه الحامل له، فالخلق متعلق المشيئة وهو المصدر وهو الكون الصادر عن كاف كن وهو الذي إذا لاحظت المبدأ فيه يستنطق منه الهاء وهو كهيعص، والعين والتسوية متعلق الإرادة وهي العزيمة على ما يشاء، وعندما يتم الخلق الأول الجامع بين الحل الأول والعقد الأول وهو مقام (أدعوك كما أمرتني) وتحقق المسألة للسائلين الواقفين ببابه الفقراء اللائذين بجنابه من فاضل جوده بيده اليمنى واليسرى وكلتا يديه يمين، والهندسة والحدود وتقدير البقاء والفناء والأجل والكتاب متعلق القدر وهنا مبدأ الخلق الثاني وهو الحل الثاني مبدأ السعادة والشقاوة وظهور الأحكام الشخصية التفصيلية، والإلزام والتركيب متعلق القضاء وهو تمام العقد الثاني وهذا الذي لا بداء فيه أي في كون الشيء تاما سويا وإن كان فيه البداء في محوه وتغييره واستمراره، والإظهار مشروح العلل مبين الأسباب ليظهر جميع الآثار الفعلية الإلهية مفصلة مشروحة متعلق الإمضاء وهوالإذن، وإن كان شيء من الأحوال المتقدمة لا يخلو من الإذن إلا أن هذا آخر تمام الشيء وإن كان في أطواره وأوطاره لا يخلو من الإذن إلى ما لا نهاية له وكذلك الكتاب، فخلق كف الحكيم وهوالإشارة إلى المراتب الخمسة المذكورة وهذا الكف له أربعة

عشر عقدا وهو يد الله التي ينفق منها كيف يشاء في سبعة أطوار إجمالها وتفصيلها ، فإذا لاحظت المراتب الخمسة في المراتب الأربعة للكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر تستنطق الكاف المستديرة على نفسها فجعلت الكاف في أول حرف تلك الكلمة ، ولما كانت المراتب الخمسة متعلقة بالتعلق لا لنفس الكلمة ومتعلقها هي القبضات العشر والليالي العشر فلوحظت هذه المراتب مع مراتب المتعلقات حين التعلق فاستنطقت عنهما نون فجعلت في آخر تلك الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر فقيل (كن) ، فالاثنان إشارة إلى حق وخلق والوأوالمحذوفة إشارة إلى الدواة حتى تصلح وتتمكن من قبول المداد حتى يجري في القلم ، وهذه الواوهيالواو المنكوسة في آخر الخاتم الأعظم ، والقيام بين الواوين يدل على الواقف بين الطتنجين فتمت الكلمة التامة من الإشارة بقوله عليه السلام ((خلق)) فجاءت تلك الكلمة شرحا لبسم الله الرحمن الرحيم كما ذكرنا في كثير من رسائلنا ومباحثاتنا فلا نعيد .

ولما كانت هذه الفقرات تفصيلا وشرحا لما أجمله في الكلمات الأولى آثر لفظ خلق بذكر متعلقه وهو السموات تنبيها لجميع مراتب الفعل بجميع أنحائها وأطوارها ، لأن خلق إشارة إلى الإختراع الأول وهو بعد التعلق بالكون يستلزم الابتداع الأول وكلاهما يستلزمان الإختراع الثاني والابتداع الثاني ، وهذه الإختراعات كلها ما ظهرت إلا في السموات على جهة

الإطلاق ، فالإختراع الأول الذي هو المشيئة هو القطب المدبر (المدير) لتلك السموات في حال استدارتها لا إلى جهة والابتداع الأول الذي هو الإرادة محول لها إن كانت استدارتها إلى جهة معنوية كانت أم صورية أم شبحية أم جسمية فافهم قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[1] ، والإختراع الثاني الذي هوالإلف اللينة هو البحر الذي تحصل من ذوبان النقطة التي هي الياقوتة الحمراء لما نظر إليها الله سبحانه بنظر الهيبة والقدرة ، وحمرتها لكونها على طبيعة الفاعل لكونها الحديدة المحماة بنار الشجرة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسه نار ، فصار الزيت والنار من تلك الشجرة الإلهية والدوحة الأحدية الثابتة في الجنة الأحمدية بالسقيات العلوية في الأرض الفاطمية صلوات الله عليهم أجمعين فذاق روح القدس منها الباكورة .

والابتداع الثاني هو ظهور الألف اللينة الظاهرة في الألف المتحركة الظاهرة في الألف المبسوطة الظاهرة في الفلك الكرسي الظاهرة بثمانية وعشرين منزلة فتمت عنده الحروف الكونية في الرتبة الاسمائية ، ولما آن أوان ظهور الحروف الكونية في المراتب المفعولية ظهرت الأفلاك السبعة حاملة للأركان الأربعة على حسب مقامها من الظهور والخفاء لنشر العوائد على المستحقين السائلين ، فالملائكة الأربعة الذين هم جبرئيل وعزرائيل

---

[1] الملك ٣

وإسرافيل وميكائيل في بعض السموات يتحملون وفي بعضها يؤدون ويلقون على تفصيل ربما ذكرناه فيما بعد بعون الله وتأييده .

فتمت الحروف الكونية بمراتبها الثمانية والعشرين ، ثم انعكست الحروف قهقرى وسارت معكوسة لإتمام عوالم الجهل الكلي بسمواتها وأرضيها على التفصيل المذكور في الأركان الأربعة التي هي العدم والحرمان والموت الأعظم الأكبر نعوذ بالله والإعراض والإدبار عن الله سبحانه ، هذا آخر إدبار الجهل النقطة الإدبارية الياقوتية الحمراء من نار السموم ونار الغضب فذابت من أول الثرى حتى تم كمال الذوبان والانتشار في الطمطام فظهرت في أربعة عشر منزلة ظلمانية وتقسمت إلى الثمانية والعشرين فتمت الحروف المعكوسة والأسماء السوأى الخبيثة في مقابلة الأسماء الحسنى فكانت مظاهر اليد الشمال كما أن الأسماء الحسنى مظاهر اليد اليمنى ، فتمت جميع مراتب الأفعال على حسب المتعلقات وإلا فالفعل من حيث هو ليس له مراتب ، هذا كلام على سبيل الإجمال .

وأما تفصيل الأسماء من حيث كليتها وجزئيتها على جهة التلويح لأهل الإشارة فأشار إلى الاسم الأكبر الأعظم الذي هو الله لكونه بمنزلة الذات بالإضافة إلى سائر الأسماء على ما تقدم بقوله عليه السلام ((خلق)) فإن المتعلق بالخلق من حيث الكينونة لا من حيث هو خلق ليجمع صفات القدس والإضافة والخلق هو الاسم (الله) كما قال عز وجل ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ

﴿ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1] فجعل متعلق الخلق هو الله لكن كما ذكرنا بدليل قوله عز وجل ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[2] حيث كانت الأحدية تحت الألوهية لأن الألوهية هي الجامعة كما أن الأحدية هي الفارقة فكانت مقاما من مقامات الألوهية ، وإنما قلنا أن الأحدية مقام من مقامات الألوهية لأنها ما ظهرت إلا فيها فتجلى لها بها فافهم ، فاجتمع عند هذا الاسم المبارك كل الأسماء الحسنى .

ثم أراد تفصيل كليات الأسماء والأصول المتشعبة عنها الصفات العليا ليكون تفصيلا بعد تفصيل وشرحا بعد شرح إذ فيه تفصيل كل شيء ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[3] ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[4] ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5] ، فأشار بالتعلق الخاص أي تعلق الخلق بالسموات على الصفة المخصوصة على ما قال عليه السلام ((خلق السموات بلا دعائم)) إلى الاسم الذي رفعت به السموات بلا عمد وسطحت به الأرض على فوق ماء جمد ، وذلك الاسم هو البديع لقوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ ﴾[6] .

ولما كانت السموات خلقت ونشأت في ستة أيام كما سنذكر إنشاء الله ، وقد تحقق عندنا أن الأيام جزء لماهية الشيء سواء جعلت أوقات أومراتب ودرجات ، ولا شك أن الدرجات إذا تفاوتت بالقرب والبعد كان

---

[1] الزمر ٦٢ [2] الإخلاص ١ [3] الأنعام ٥٩ [4] يس ١٢ [5] يوسف ١١١ [6] الأنعام ١٠١

ألطف الدرجات وأقربها إلى المبدأ أول ما تعلق به الفعل الظاهر في الاسم على نهج المتعلق بفتح الفاء الذي هو المظهر الذي هو المفعول المطلق الإضافي ، ولا شك أن أقرب المقامات وألطف الدرجات في السموات هوعالم العقول ثم عالم النفوس وهكذا إلى عالم الأجسام ، ثم العرش الذي هو أول السموات ثم الكرسي ثم فلك البروج ثم فلك المنازل ثم فلك الشمس ثم فلك زحل والقمر ثم فلك المشتري وعطارد ثم فلك المريخ والزهرة ، فظهرت الأسماء الكلية خمسة عشر منها وهي البديع والباعث والباطن والآخر والظاهر والحكيم والمحيط والشكور وغني الدهر والمقتدر والرب والعليم والقاهر والنور والمصور والمحصي والمبين ، ثم يذكر عليه السلام باقي المراتب ويشير إلى اسم تلك المرتبة التي هو ربها قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾[1] .

ثم اعلم أن الأسماء وإن كانت هي الأمثال والمقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، وهي مشتقة من الأفعال المتحققة بها المصادر الحاملة لظهورات الأفعال التي هي عين تلك المشتقات إلا أنها قد أقيمت مقام الحق جل شأنه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ، فليست فيها إلا وجه الحق وجهته بحيث لا يلتفت الناظر إليها إلا إليه سبحانه إما من حيث هو أومن حيث ظهوره بظهوره لا بذاته في الأسماء

---

[1] الأعراف ١٤٣

الخاصة أوالعامة من حيث المتعلق أولا مـن حيـث هـو كذلـك ، ولـذا تـرى العوام ما يعرفون من هذه الأسماء إلا الواحد الحـق جـل وعـلا ، ولا يعرفـون الذي نذكر وذكرنا من أنها هي الظهور الاسمي والتجلي الخلقي ، ولـذا قـال الحجة المنتظر عجل الله فرجه وروحي له الفداء ((لا فـرق بينـك وبينـها إلا أنهم عبادك وخلقك)) فمن هذه الجهة أن الأسماء المتعلقة قبل التعلق وحـين التعلق لها مقامات منها مقام الظهور الصرف وهو مقام لا فـرق بينـك وبيـها وهنا ترد الأسماء كلها إلى الواحد لا من حيـث الواحديـة بـل ولا مـن حيـث الأحدية المقابلة للواحدية ، ومجمـل القـول فيـه هومـا أجملـه المعصـوم عليه السلام بالإجمال الوافي التفصيلي ((لا فرق بينك وبينها)) وهذا يشمل ويوضح كل أحكام هذه المرتبة دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها وكليها وجزئيها ، ويوضح أيضا تعبيري بالأحكام الدقيقة والجليلة بحسـب الأطـوار ، ويبـين أن لا طـور هناك وهذا أعظم مقامات الأسماء وهذا هوالاسـم الأعظـم الأعظـم الأعظـم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، فالداعي بهذا الاسـم هـو عـين هذا الاسم وليس هذا بلفظ إذ ليس مرادنا من الأسماء هي الأسماء اللفظية بل الأسماء الحقيقية إذ اللفظ ما عسى أن يبلغ .

ومنها مقام الظهور الاسمي وهذا هو الحضرة الواحدية وينبوع الأسمـاء والصفات ومنتهى جميع التعلقات ، إليه تنتهي علوم العلماء ورسوم الحكمـاء وأفهام العقلاء وتكثر الأسماء ، هذا آخر مواقع الإشارة وأقصى معاني العبـارة

وآخر درجة الكلام ، ومرادي بالعلم والحكمة والفهم والإدراك هو الذي في علم التوحيد في معرفة أحوال المبدأ جل شأنه ، وإلا فالعلوم الحقيقية كلها دون هذه المرتبة .

ومنها مقام التعلق أي التوجه إلى التعلق ، قبله فلا تعدد أيضا في هذا المقام إلا التعدد الرقائقي يكاد أن يظهر في عالم التعلق بالمفعولات الذي هو مقام بعدها عن أصلها .

ومنها مقام التعلق الفعلي الوجودي الكوني ، وهنا مقام ظهور الكثرات وإراءة الآيات وخلق السموات ، فأول ما ظهر من الأسماء في عالم البيان قال الله سبحانه ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[1] هو الاسم الله فظهر به أي خلق وأوجد العرش الأعظم الأعلى ، وثاني ما ظهر منها هو اسم الرحمن فاستوى به على العرش فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه ، وثالث اسم ظهر هو اسم البديع خلق به قلب السموات ، ثم الباعث خلق به نفس السموات وروحها ، ثم الباطن خلق به طبيعة السموات ، ثم الآخر خلق به مادة السموات ، ثم الظاهر خلق به صورة السموات وشكلها ومثالها ، ثم الحكيم خلق به جسم السموات ، ثم المحيط خلق به قلب السموات وهذا ظاهر القلب الأول ، ثم الشكور خلق به صدر السموات ، ثم الغني خلق به نور السموات وظهوراتها بالتأثيرات ، ثم

---

[1] الرحمن ٣ – ٤

المقتدر خلق به القوى التقديرية للسموات تقدر بها فيض الله النازل إليها ثم تؤديها إلى قوابل السفليات ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾[1] ثم الرب خلق به عقل السموات ، ثم العليم خلق به علم السموات ، ثم القاهر خلق به وهم السموات ، ثم النور خلق به وجود السموات ، ثم المصور خلق به خيال السموات ، ثم المحصي خلق به فكر السموات ، ثم المبين خلق به حياة السموات ، ثم باستدارة هذه الأفلاك المعنوية بعضها مع بعض ظهرت الأسماء الأخر كلها ، فهذه الأسماء هي المبادئ والأصول والأسماء الأخر متولدة منها ومتشعبة عنها ، فبكل اسم ظهر سر من أسرار المعبود بظهور كون من أكوان الوجود فلا نهاية لهذه الأكوان إذ لا غاية لهذه الاستدارة ، فلا حد ولا انتهاء لظهور الأسرار من الملك الجبار وهو قوله تعالى في حديث الأسرار ((كلما رفعت لهم علما)) بظهور ذلك السر بحقيقة كون ذاته وحروف نفسه عند حلول رمسه عند تساوي غده وأمسه ((وضعت لهم حلما)) بإظهار نور العظمة والجبروت ونسخ إلقاء الشيطان في أمنية الرحمن بقهر الملك والملكوت ((ليس لمحبتي غاية ولا نهاية)) لأنه سبحانه يحب الإفاضة والإمداد على قوابل العباد بسر الاستمداد بلسان الاستعداد ، فمن توكل عليه حسبه وكفاه ومن انقطع إليه قربه وأدناه ، ومن أراد الاستمداد على مقتضى نفسه وهواه فقد أمده بما هو يهواه ، ولذا ترى الصوفيين بلغوا

---

[1] النساء ٥٨

صدر الحديث ((رفعت لهم علما)) لكنهم تكبروا واستقلوا ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[1] فادعوا إني أنا الله ، فما وضع الله لهم حلما لأنه سبحانه عند ظن كل امرئ فمن طلبه وجده ، فلما لم يضع لهم حلما انقلب علمهم جهلا فافهم .

فشمل قوله عليه السلام ((خلق السموات)) علل كل الذوات ومبادئ جميع الكائنات والأسماء المنتهية إليها جميع التعلقات ، والأسماء التي هي روابط العباد إلى استمدادهم لاستحقاق الفيض من الله سبحانه ووجههم إليه ، وفي تلقيهم المدد الكوني والمدد الشرعي والمدد الذاتي والمدد الصفتي والمدد النسبي والمدد الإضافي والمدد الجمعي والمدد الفرقي والمدد الإجمالي والمدد التفصيلي والمدد العروضي والمدد الظهوري والمدد التحقيقي والعضدي والركني والمدد الصدوري الفعلي والمدد الافتقاري والمدد الاستغنائي والمدد الفعلي والمدد الانفعالي والمدد الشرطي والمدد اللزومي وسائر جهات الإمداد على نهج الاستمداد بالاستعداد عن الله سبحانه ، فلكل شخص أي فرد من أفراد الوجود اسم خاص به يكون ذلك الشيء ثمرة ذلك الاسم ومفتاحا لذلك الطلسم وبابا لإيجاده ومتمما لانوجاده يدعو الله بذلك الاسم ، وذلك الاسم الخاص بالشخص من حيث هو هو كلي وله وجوه ورؤوس كل رأس ووجه اسم خاص بذلك الشيء من حيث ذلك الشأن وذلك الطور وذلك

---

[1] العلق ٦ - ٧

اللحاظ ، ولطوره طور آخر وعلى ذلك الاسم يخص به وهكذا إلى ما لا نهاية له ، فالذوات من شئونات ذلك الشيء الواحد تستفيد التذوت من ذلك الاسم ، والصفات من صفته ، والتوصيفات وهي النسب والإضافات والقرانات وأنحاء الإلزامات من هيئات ذلك الاسم الشريف ، فالاسم الأعظم هو ذلك الاسم الشريف وما سواه كله رؤوس ووجوه له ، عند المواظبة يظهر له وجه من ذلك الباب الكلي الإلهي ، فمن قرع الباب فتح له على مقدار ما يقرع والمقام الذي هو واقف عليه فالكلي في الكلي والجزئي في الجزئي والعرضي في العرضي والذاتي في الذاتي والكثيف في الكثيف واللطيف في اللطيف والوضيع في الوضيع والشريف في الشريف ، وهنا مقامات كثيرة يجمع الكل قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾[1] وقال الإمام عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه))[2] وهو قوله عز وجل ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[3] ، ولو أردنا أن نذكر تفاصيل ما أراد الإمام عليه السلام من بيان الأسماء في قوله عليه السلام ((خلق السموات بلا دعائم)) لأدى إلى تطويل كثير ، وإن كان ذلك أنفع ما يكون لكنه ما يسعني الوقت ولا يساعدني الإقبال والله الموفق ، إلا أن فيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب وألقى السمع وهو شهيد وعرف نوع الاستنباط .

---

[1] الأعراف ٨٠ ‏ ‏ ٢ الزيارة الجامعة الصغيرة ‏ ‏ ٣ الإسراء ٤٤

ثم لما أشار عليه السلام إلى تفاصيل العلل الفاعلية أراد أن يذكر تفاصيل المفاعيل والمعلولات ، وأراد أن يبين أن المفعول به هو عين المفعول المطلق باعتبار فقال عليه السلام ((خلق السموات)) فخلق هو الفعل أي المشيئة والضمير المستتر هو باطنه الظاهر بالأثر الذي هو حكاية وصف عدم استقلاله وافتقاره إلى غيره وفنائه في بقائه بوصفه لأثره ، فالوصف الذي هوالاثر في رتبة ذاته يصف وصف الفعل له الذي ليس بمستقل ، والفاعل الضمير الذي هو تلك الحكاية ، وذلك المثال ترجمة من الفعل إلى المفعول ، فالضمير يعود إلى مثال نفس الفعل الذي هوجهة عليته كما قال عليه السلام ((خلق المشيئة)) والفعل جسد لذلك ، ومرادي بالفعل هو الظاهر بالمفعول لا الفعل المطلق ، فلما كان ذلك الضمير مثال المستقل في الغير المستقل وحكاية كينونته له تحلى بحليته وتلبس بلباسه فارتفع بالفاعلية لسر قوله تعالى ((يا ابن آدم أطعني أجعلك مثلي))[1] والإشارة إلى هذا الضمير من قول أمير المؤمنين عليه السلام ((استخلصه في القدم على سائر الأمم ، أقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار))[2] .

---

[1] في إرشاد القلوب قل تعالى ((يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)) .

[2] الإقبال ٤٦١

وأما السموات فاختلفت كلمات أهل النحو في ذلك فمن قائل أنه المفعول به وأورد عليهم بأن المفعول به هو الذي وقع عليه فعل الفاعل وهذا يستلزم أن يكون شيئا يقع عليه فعل الفاعل مع أن السموات ما كانت شيئا حتى يتصور الوقوع عليه .

ومن قائل بأنها المفعول المطلق لكنه بدل أي بدل البعض عن الكل ، فتقدير الكلام خلق خلقا منه السموات ، فحذف المفعول المطلق وأقيم بدله مقامه وأعرب بإعرابه ، وأورد عليهم أولا بأن بدل البعض عن الكل إنما يتحقق إذا كان البدل والمبدل منه في صقع واحد ورتبة واحدة ولا شك أن الخلق مصدر حدث اسم معنى ، والسموات ذات اسم عين فلا يكون أحدهما بعضا للآخر .

وثانيا : إن خلق لا شك أنه الفعل المتعدي والفرق بينه وبين اللازم هو نصب المفعول به خاصة لا سائر المفاعيل كالمفعول المطلق والمفعول له وأمثالهما ، فعلى هذا التقدير يلزم أن لا يكون لخلق الذي هو الفعل المتعدي مفعولا به فبطل الفارق أوبطل كونه مفعولا مطلقا ، والأول مستحيل لإجماعهم عليه فثبت الثاني .

أقول : أما قولهم بأنه يجب أن يكون شيء يقع عليه فعل الفاعل متقدما على الفعل باطل .

أما أولا : فلأن في مثال ضرب زيد عمروا لا شك أن عمروا من حيث الحقيقة والماهية والذات ليس مفعولا ، ووصفك عند قولك رأيت عمروا المفعول ليس وصفا ذاتيا له وإلا لما تخلف لأن الوصف الذاتي دائم بدوام موصوفه الذي هو الذات ومقتضى ذلك أن لا يوصف بضده ما دام وجود الذات لامتناع توارد الضدين والنقيضين على شيء واحد من حيث هو ، والواقع بخلافه فإن عمروا يوصف بالفاعلية وزيدا يوصف بالمفعولية وأنك إذا أردت أن تتصور عمروا أوزيدا تصورهما لذاتهما من غير عروض فاعلية ولا مفعولية بخلاف الإنسان فإنك ما تقدر أن تدركه إلا بالأمرين الحيوان والناطق لمكان ذاتيتهما لأن الأعراض تحترق عند ظهور الذات فما بقي مع الذات وما احترقت عند تجليها فاعلم أن ذلك من سنخها إما عينها أوجزؤها وهذا ظاهر معلوم إنشاء الله ، فإذا بطل كون المفعولية صفة ذاتية لعمرو فليس المفعول هو حقيقة عمرو ، فإذا كان كذلك فتسميتك بأنه مفعول لا تكون إلا عند ذلك الفعل كالمضروب عند الضرب والمكتوب عند الكتابة وهكذا ، فهذه الصفة التي حصلت حين الفعل لا يجوز أن يكون موصوفها الذات فلو كان موصوفها الذات وهذه الصفة إنما لحقت الذات وجب أن لا يوصف بضدها إلا أن تعدم ، مع أنها توصف بضدها ولم تعدم تقول عمرو فاعل ومفعول وهذا بديهي لمن فتح الله عين بصيرته .

فإن كان كذلك فمن المفعول ؟

إن قلت هو الذات لم يصح لما ذكرنا .

وإن قلت هو ظهور الذات إذ لا ثالث .

قلت : هل هو الظهور المطلق ؟ أم الظهور المخصوص ؟

فإن قلت بالأول لم يصح بعين ما ذكرنا إذ الظهور قد يختص بغيره .

وإن قلت بالثاني ، قلت : ما المراد بالظهور المخصوص ؟ أليس قبول ذلك الضرب إذ ليس أمرا آخر ؟ فإن قلت : بلى ، قلت : من قابل هذا القبول ، إن قلت هو الذات عدنا إلى الكلام من صحة السلب في حقيقة الذات ، وإن قلت بظهور الذات بالقبول ، قلت : هل كان لهذا الظهور قبل الضرب ذكر وكون في مرتبة من المراتب وعين من الأعيان أم لا ؟ ، إن قلت بالأول فقد أتيت بما تشهد الضرورة على بطلانه ، وإن قلت بالثاني فقد أقررت أن المفعول ما تحقق إلا حين وجود الفعل ، فإذن بطل قولهم أن المفعول يجب أن يكون مقدما على الفعل ، كيف ذلك وإن الفعل مأخوذ في حقيقة المفعول مع أن المعروف أن المبدأ مقدم على المشتق لا العكس ولا شك أن المفعول مشتق من الفعل ولا يتحقق إلا بعد تحقق الفعل ذاتا ومعه زمانا ، وإن الفعل عامل في المفعول والعامل لا يتأخر عن معموله .

لا يقال إن هذه أمور لفظية لا تجري على الحقيقة .

لأنا نقول الألفاظ قوالب المعاني وحكم الألفاظ على مقتضى حكم المعاني وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إن المعنى في اللفظ كالروح في

الجسد)) ولو أن لك بصر حديد وتأملت في كيفية صدور الأفعال لرأيت عيانا أن المفعول غير الذات وأن المضروب غير المنصور وهو غير المرجو وهو غير المطلوب وهو غير المردود وهو غير الموعود وإن كان الجميع ظهورات لشيء واحد، إلا أن كل ظهور في مقام لا يشتبه مع الآخر، وكل ذلك أمثال الشخص وأشباهه ومعاني جهاته ومثل حيثياته وصور أعماله وكلها منفصلة عنه كل في مكانه وزمانه وحدوده، ألا ترى أنك إذا رأيت زيدا مضروبا في عصر يوم الجمعة في المكان الفلاني فكلما تلتفت إلى مضروبية زيد ما تراها إلا في ذلك المقام وذلك الوقت على ذلك الشبح بل هو عين الشبح، فذلك الشبح هو المفعول في مقام المفعول وهوالفاعل في مقام الفاعل، فإنك ما يمكنك أن ترى مضروبية زيد مثلا إلا بذلك الشبح في ذلك المكان وما يمكن أن تراها في غيرهما، فدل على أن المفعول ليس إلا ذلك الشبح وهو ظهور من ظهورات زيد قائم به قيام صدور وبظهوره قيام تحقق وبذلك المكان والزمان والهواء والأرض قيام عروض وقيام ظهور، إلا أن الذات لما كانت غيبت الصفات لا يلتفت الناظر إلى الصفات والمثال فيزعمون أن تلك الأوصاف للذات والذات متعالية عن كل هذه الصفات.

فعلى هذا فالمفعول به مساوق للفعل في الوجود والظهور، فالفعل الظاهر بالمصدر هو المفعول المطلق وملاحظة للمصدر مع حدوده ومشخصاته من زمانه ومكانه وكمه وكيفه وجهته ورتبته ووضعه وإضافته وقرانه ووصله

مع غيره وفصله وجمعه وفرقه وسائر حدوده ، فالشخص جزء العلة الصورية وركن القابلية لا بذاته بل بظهوره وذلك الظهور أيضا ما تحقق إلا بصدور الفعل وقد أقمنا براهين على أن القابلية متأخرة عن وجود المقبول ومتفرعة عليه ، فإن جردت المصدر عن الحدود والقيود فهو المفعول المطلق ، وإن لاحظته مع الحدود والمشخصات فهو المفعول به ، مع أن المعروف عندهم أن المشتقات مأخوذة من المصادر لا من الأفعال فتكون مادة اسم الفاعل واسم المفعول واحدة ولا شك أن الشيء لا يتقوم إلا بالمادة والصورة ، ولا شك أن الأصل والحقيقة هي المادة والصورة عرض وحد تابع ، والمضروب ليس إلا الضرب مع الخصوصية والصورة الخاصة فكيف يعقل أن يكون متقدما على مادته وأصله ، وهل هذا إلا القول بأن الشيء موجود قبل وجود نفسه ويتقدم الشيء على نفسه وهو باطل قطعا ، فإذاً لا يكون المفعول به مقدما على الفعل إنما هو مساوق له .

إن قلت : إن الاشتقاق بحسب الألفاظ وكون المصدر مادة لاسمي الفاعل والمفعول بحسب اللفظ لا يدل على أنه كذلك بحسب المعنى .

قلت : قد قررنا في مباحثاتنا ورسائلنا أن الألفاظ والمعاني بينهما مناسبة ذاتية فلا يتصرف في المعنى إلا ما كان في اللفظ وكذا العكس ، ولو قلنا بعدم المناسبة كما هو المشهور عندهم نقول قد بينا فيما كتبنا في الأصول أن الألفاظ لا حكم لها ولا شيء يترتب عليها أبدا لأنها مقصود بالعرض وما

كان كذلك فهو يتبع المقصود بالذات ، فحكم الألفاظ من التقديم والتأخير والزيادة والنقصان والإعراب والبناء والعمل وعدمه والاستقلال وعدمه كلها تابعة للمعاني وإلا فلا تفاوت بين هذه الحروف ولا اختصاص ببعضها دون بعض في التأثير والعمل عن غيره وليس ذلك إلا من جهة المعاني والتأثيرات المعنوية وليس هذا المقام موضع استقصاء هذا المرام .

وبالجملة فلا ينبغي التشكيك في أن المفعول به ليس مقدما على الفعل ، بل لولم ندع تقدم الفعل كما هو الواقع فلا أقل من المساوقة ، فبطل الإيراد الوارد على الأولين حيث حملوا السموات في الإعراب على أنه مفعول به .

وأما إيرادهم على الآخرين باستحالة بدل البعض لعدم السنخية فغلط ، لأن السموات أعظم في الحدثية وعدم الاستقلال من الخلق الذي يزعمون أنه المصدر الحدث ولا شك أن السموات مخلوق والخلق مادة لها والمادة أشد وأعظم في التأصل من الصورة ، فالخلق مادة واحدة منها سماء ومنها أرض ومنها بحر ومنها بر وهكذا ، بل هذا كمال السنخية بل العينية في السموات والأرض في كل عالم بحسبه ، فكيف يتصور القول بأن السموات ذات والخلق حدث ومعنى ، بل الأمر بالعكس فإن الخلق ذات وإن كان حدثا ولا يمتنع أن يكون الشيء الواحد ذاتا باعتبار وعرضا باعتبار آخر وحدثا باعتبار آخر ولا تنافي بين هذه الأشياء في الوجود بوجه .

وأما إيرادهم الآخر بأن المتعدي ما يتعدى إلى المفعول بـه فساقط لأن المفعول به حاصل في هذا المقام إلا أن لك لحاظان لحاظ نفس الحدث وهو الخلق، ولحاظ ربط الحدث، ففي الصورة الأولى يكون الفعل مفعولا مطلقا، وفي الصورة الثانية يكون مفعولا به وهو شيء واحد فيصح أن يكون بدلا، فهناك متمحض في الأثرية وهو أعلى مقاماته، ويصح أن يكون مفعولا به لملاحظة الرابطة.

فإن قلت: لو جعلت مطلق الرابطة دليل المفعول به فلا يتحقق إذاً المفعول المطلق النوعي والعددي لصحة الارتباط.

قلت: المراد بالارتباط هو أن يصير المرتبطان بالارتباط شيئا واحدا تغفل عن أحدهما حين تلاحظهما، كالمركبات مثل ضرب زيد عمروا فإن عمروا يلحظ من حيث وقوع الضرب عليه لا من حيث الضرب، بل ليس في عمرو الذي هو ظهور الذات ذكر من الضرب إلا بالتحليل العقلي والدليل الوجداني، ولا كذلك في المفعول المطلق النوعي والعددي ،فإن النوع والعدد صفتان تعرض الحقيقة، والصفة لا تعارض الموصوف، فالملحوظ بالذات فيهما هو المصدر والحدث لا المجموع المركب بخلاف المفعول به إذ الملحوظ فيه ذلك فافهم.

ثم اعلم أن الفعل لا يظهر بل لا يوجد إلا بالمفعول، فإذن فما معنى قولهم أن الفعل اللازم لا يتعدى إلى المفعول.

والجواب : إن الفعل لا يتقوم في الظهور إلا بالأثر وهو المصدر ، فمن جهة تلازم المصدر مع الفعل وعدم انفكاكه عنه قالوا أن الفعل مشتق من المصدر فجرى فيهم ما قال مولانا الصادق عليه السلام ((بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة فشبهوك ، جعلوا بعض آياتك أربابا يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك يا إلهي))[1] فالمصدر أثر للفعل ومحل لظهوره وأول صادر عنه ومتقوم به قيام صدور لوقوعه تأكيدا للفعل والمؤكد فرع للمؤكد ، ووقوعه معمولا للفعل وعمله بشرائطه لمناسبته للفعل ولا يجوز في الحكمة أن يكون المتبوع بالذات تابع في الصفات إلا أن تختلف الاقتضاءات وهو عند الله مستحيل ، فصح أن المصدر أول ظاهر من الفعل فهو في الحقيقة مفعول ولكن له ثلاث جهات ونظرات .

جهة ونظر إلى المبدأ والعلة والذات وهذا النظر لا يكون إلا بنظر العلة له به فذلك هو الفاعل في الفعل والقائم في القيام والضارب في الضرب وأمثال ذلك وهو بهذا النظر مرفوع لما ذكرنا فلا نعيد ، ولذا يقولون أن العامل في الفاعل هو الفعل يعمل فيه الرفع ، ولا شك أن العامل أقوى من المعمول فيه ، وكذا يقولون أن الاسم الفاعل والاسم المفعول مشتقان من الفعل كالضارب من ضرب بغير واسطة أوبواسطة يضرب ، ومآل الحكمين واحد ، ولا شك أن المشتق منه أقوى من المشتق وأقدم ، لكن المفعول لما نظر

[1] مصباح المتهجد ١١٥

إلى جهة الحق سبحانه ومحا الموهوم وهتك الستر وغلب عليه السر تمحض في الأثرية فتمحض في المظهرية إلى أن صار ظهور الظاهر عين الوصف الحاكي للمبدأ بالوصف الحاكي ، فاندكت إنية المفعولية وما بقى إلا النظر الواحد إلى الواحد فحكى مثال الذات وظهرت فيه الفاعلية ، ولذا ترى الفاعل مستتر في الفعل ، والفعل هو الفعل الظاهر في المفعول إما بنفسه في نفسه أوبظهوره في غيره ، فكان ذلك النظر الذي هو المثال فاعلا فارتفع في الصفة والإعراب طبقا للظاهر على الباطن ، ولذا ترى زيدا الواحد يرتفع في (قام زيد) بالفاعلية ، وهو ينتصب في (رأيت زيدا) بالمفعولية ، ويجر في (غلام زيد) بالإضافة ، فظهرت المقامات لمن فهم الإشارات ، والرفع هو أعلى الصفات وأشرف الإعراب وهو صفة القيومية مقام الحديدة المحماة بالنار ، فظهر لك أن فاعل فعل اللازم هو الجهة الأعلى من مفعوله ، ولما قصر نظره إلى تلك الجهة بقي واقفا في مقامه شاهدا جمال مبدئه وجلاله فلا يرتبط بالغير إلا بالقسر لا الواقعي بل المتعارف ، والدليل على مفعوليته معموليته كما ذكرنا ، وأما عمل الفعل اللازم في المفعول المطلق والحال والتمييز والمفعول له والمفعول معه وغيرها فمن جهة بقاء ذلك الارتباط بخلاف المفعول به كما ذكرنا حرفا بحرف في المفعول المطلق النوعي والعددي .

والنظر الثاني نظره إلى نفس المصدر ومن حيث أنه صادر فهناك أمور ثلاثة صادر وصدور ومصدر ، وهذا وإن كان متمحضا في الأثرية لكنه ليس

متمحضا في المظهرية حيث ذكر عنده المبدأ ووجده حيث شعر به فلم يبلغ مقام (هو نحن ونحن هو) بل في مقام (هو هو ونحن نحن) فصار مفعولا مطلقا لعدم انفكاكه عن فاعله وعدم تحقق مقام له لا يكون مبدؤه ظاهرا فيه وكونه مقام ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك))[1] فنزل في الإعراب كما في المقام فكان إعرابه نصبا لأنه في المقام تحت مقام الرفع وفوق مقام الجر .

والنظر الثالث نظره إلى نفسه الصادرة من حيث حدوده المشخصة كالزمان والمكان والجهة والرتبة والوضع والإضافة والكم والكيف وأمثالها فهناك أمور أربعة ، الصادر والمصدر والصدور والقابلية فتآلف الحدث وقامت زوايا المربع وتمت بالتأليف فخفي المبدأ من هذا التأليف ، فليس متمحضا في الأثرية المقصودة بالأصالة بل فيه ذكر للغير وإن كان بالتبعية وهو قوله عز وجل ((روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي))[2] وقال أيضا خطابا له عليه السلام ((بروحي نطقت وبضعف طبعك تكلفت ما لا علم لك به))[3] ولكن لما كان ذلك الغير ليس مقصودا بالأصالة وإنما هو مقصود بالتبع ما ارتفع ذكر المبدأ بالكلية بل بقي لكنه أقل من المفعول المطلق ، ولذا ترى ما ارتفع المفعول به وإنما انتصب مع أن مقامه أن لا يكون ذلك إذ الجر علامة الشر ودليل خفاء الظهور وفي المفعول به علامة المبدأ

---

[1] دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام

[2]،[3] علل الشرائع ١٠

وظهوره ، وإن كان قليلا مقام المستدلين على المؤثـر بالأثر والواقفين مقام الدليل الإني فلم يناسب الخفض والجر والكسر فناسب النصب والفتح وإن كان أقل مقاما من المفعول المطلق ، لأن المفعول المطلق المتعين بالتعين الارتباطي ، فالمفعول المطلق والمفعول به واحد والفرق ملاحظة الارتباط وعدمه فافهم إن كنت تفهم وإلا فاسلم تسلم فإني أظهرت ما جهله الأكثرون وكتمه العالمون وأشار إليه العارفون ولوحوا إليه في ظواهر أقوالهم الحكماء الإلهيون .

فإن كنت ذا فهم تشاهد ما قلنا   وإن لم يكن فهم فتأخذه عنا

فما ثم إلا ما ذكرنا فاعتمد   عليه وكن في الحال كما كنا

وأهل الإشارة يفهمون من قوله عليه السلام ((بلا دعائم)) تحقيق حقيقة القول في المفعول به ، ورددوا القول أن المفعول به لا يتقدم على الفعل ، وسبب اشتباه القائلين بالتقدم لأن الخلق هو إحداث المادة وهي لا تحدث إلا لا من شيء إذ لو فرضته من شيء لم يكن مادة صرفة أولية وإنما هو الهيولى الثانية المركبة مع المادة الأولى والصورة الأولى فما تمحضت في المادية ، فالمادة من حيث هي غير مشوبة بصورة من حيث هي فيكون هذا الخلق الثاني الناشئ الصادر من خلق مادة كما هو المفروض فيكون مادة للسموات ، وليست السموات إلا الخلق الذي هوالنور والمادة وأمر الله مع حدود العلو والطبقات والهيئات والحركات والاستدارات فإذا زالت عنها هذه

الحدود لم تبق إلا المادة الواحدة وإن شئت سميتها ماء أوهواء أودخانا أوغير ذلك ، فقبل هذا التحديد كان رتقا لم تكن سموات ولا أرضون فبعد الفتق بالتحديد قيل سماء وأرض ، ولا شك أن الحدود إنما هي متأخرة عن المادة والهيئة وعرض لها ، والمفعول به الذي هو السموات مجموع المادة والصورة ، فتكون السموات المفعول بها متأخرة عن الفعل ولا أقل مساوقة له لا قبله ، والقول بأن هذا هو المفعول المطلق لهذه الشبهة التي دخلت ، وإن كان صحيحا لا لهذه الشبهة إلا أنه كلام قشري ليس بحقيقي لأن بدل البعض لا يخالف كله ولا شك أن جهة السموات من حيث هي غير جهة الخلق من حيث هو ، إذ الأولى جهة البساطة والثانية جهة التركيب وحكم مجموعي ، فلا يكون الثاني من حيث هو جزء وبعضا للأول من حيث هو وإن كان جزء منه من حيث البساطة والجزء لا يكون إلا عند ملاحظة الحصص في تلك الحقيقة الإلهية الجامعة وتلك الملاحظة لا تكون إلا عند ذكر الحصص وأما في ذاتها فلا .

ثم لما أشار عليه السلام إلى هذه الدقيقة اللطيفة وأراد أن يذكر وينبه سبب اشتباه الذين حكموا بتقديم المفعول به لأنهم سلام الله عليهم يعرفون من نجى بما نجى ومن هلك بما هلك فأشار عليه السلام إلى أنهم نظروا إلى المحل وموقع الظهور ودعامة البروز فتوهموا أن تلك الدعامة والمحل هو المفعول به وما عرفوا أنها سبب لظهوره ، وهو في ذاتها ما يحتاج عند تحققها إلى هذه المحال

والمواقع والدعائم كالصورة في المرآة إذ لولا المرآة التي هي الزجاجة لم تظهر الصورة فهي صارت سبب ظهور المرآة الأصلية التي هي الصورة ولا تحكي المقابل إلا وهي لا تتقدم على المقابل بل هي متأخرة عنه ومساوقة لظهوره الخاص بها الذي هو عينها ، وأما الزجاجة فإنها قبل الظهور للإظهار ووجودها كعدمها عند العارفين ، وكذا الأرض لإظهار أشعة الشمس ، وكذا ذات زيد لإظهار المفعولية أوالفاعلية فإنها كالأرض والمرآة ، أي الزجاجة دعامة لظهور ذلك النور أي الشمسي والشخصي والشبحي ، والفاعلية والمفعولية أشباح متقومة بظهورات تلك الذات في مراتب أماكن تلك الأشباح والظهورات وما تحققت إلا بالفعل لا قبله ولا بعده ، فالمحال الجسمية دعائم للظهور ، وهم لما اقتصروا نظرهم على الظواهر وما التفتوا إلى حل الشيء وعقده وبث كل شئوناته ليختص كل شيء بما يناسبه فجعلوا المحل أصلا والفرع ذاتا أوالذات فرعا والأصل محلا ، وقولي بالمحل لا أريد محل كون الشيء الذي هو جزء لماهيته بل أريد محل الظهور ولا بحيث اتحد الظاهر والمظهر والظهور وإنما أريد مثل الزجاجة بالنسبة إلى المرآة والأرض إلى الأشعة فافهم وأبطل هذا التوهم ، تبقى هذه الدعامة في أول المفعولات التي ما كانت له ذاتا إلا نفس كونه مفعولا به الذي استنطقه فقال له أدبر فأدبر فجرى كل الأفعال في كل الأحوال على ذلك المثال .

ثم استدل عليه السلام على هذا المطلب من تساوق المفعول به مع الفعل واتحاده مع المفعول المطلق بقوله عز وجل كن فيكون الملوح إليه والمستفاد من قوله عليه السلام ((خلق السموات بلا دعائم)) فإن الخلق كما ذكرنا هو متعلق المشيئة الذكر الأول ، والارتباط بالسموات هوالإرادة وهي العزيمة على ما يشاء وهما تمام الكلمة التي هي كن وهي كلمة خطاب وكلمة أمر ، ويكون إخبار وإعلام بالامتثال وبالوقوع على المخاطب ومن المأمور بالتكون حتى صار فاعلا ، ويرجع ضمير الفاعل في فيكون إليه .

إن قلت : هو ذات الله سبحانه وتعالى ليكون هوالآمر وهو الفاعل وهو القابل وهو المخاطب بالكسر والمخاطب بالفتح كما قالوا ، والفاعل بعينه هو القابل والفعل والقبول له يدان ، وهو الفاعل بإحدى يديه والقابل بالأخرى والذات واحدة والكثرة نقوش ، فيصح أنه ما أوجد شيئا إلا نفسه فليس إلا ظهوره ، فهذا لا شك أنه ليس قول المسلمين .

وإن قلت أن المخاطب المأمور هو الخلق المتحقق الموجود فلا شك في بطلانه وقبح هذا الخطاب لاستلزامه تحصيل الحاصل .

وإن قلت أن المخاطب أعيان ثابتة في الأزل معدومة العين صالحة لامتثال أمر كن ، كما قالوا أن الأعيان الثابتة مستجنة في غيب الذات ومندرجة فيها اندراج اللوازم في الملزومات ، وقالوا أيضا أنها مستجنة فيها استجنان الشجرة في النواة ، فهذا أيضا كفر بالله العلي العظيم لما فيه من

تعدد القدماء ووقوع التركيب في ذات الله سبحانه ولزوم التغيير والإبادة والفناء تعالى ربنا وتقدس ، حتى قال بعضهم أن هذه الأعيان شئون وذاتيات للحق ، وذاتيات الحق لا تقبل الجعل والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، وهذا القول في البطلان بمكان .

فإن قلت أن هذه الكلمة تعبير عن الإيجاب وليست بخطاب ولا أمر فإن ذلك كله في مقام كثرة الألفاظ .

قلت : إذن عبر الحق سبحانه عن خلاف الواقع وخلاف الحقيقة ، أم كان عاجزا عن التعبير بما هو في الواقع ، تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا .

إن قلت أن ذلك من أقسام المجازات وهي في القرآن شائعة وفي كلمات أمناء الرحمن عليهم السلام ذائعة .

قلت : لو سلمنا ذلك نقول أن المجاز خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل قطعي فحيث انتفى الدليل امتنع المصير لانسداد الطريق .

إن قلت : إن الدليل موجود من النقل والعقل ، أما الأول فلقول مولانا الرضا عليه السلام ((فإرادته إحداثه لا غير ، لأنه لا يروي ولا يهم ولا يفكر وهذه صفات منفية عنه وهي من صفات الخلق ، فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون من بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف))[1] ولقول أهل اللغة أن الخطاب توجيه

---

[1] عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/١١٩ .

الكلام إلى نحو الغير ، والأمر تعلق الخطاب إلى المـأمور بـه وهمـا يسـتلزمان وجود الغير والمأمور به حين الخطاب .

وأما العقل ومن المعروف بـالوجدان والعيـان أن الخطـاب والأمـر لا يكونان إلا بشخص آخر إذ الوحدة تستلزم تحصيل الحاصل ، وفي الخلق الأول لم يتصور ذلك فوجب حمـل الآيـة على المجاز كنايـة عـن القـهر والسـلطنة والجبارية والقهارية .

قلت : أما قول مولانا الرضا عليه السلام فالمستفاد منـه أن المعـبر عنـه ليـس بلفظ وهذا لا شك فيه ، ولا يستفاد منه أن هذا التعبير على خـلاف الواقـع والحقيقة ، ولا تلازم بين الخطاب والأمر واللفظ حتى يثبت به المطلـوب بـل هو مطلوبنا لقوله عليه السلام ((ولا كيف لذلك)) فلو كان هو محض الإيجاد مـن غير أمر وخطاب وتكليف له كيف يعرفه كل أحد بمثل ما يعرفون مـن معنـى الإيجاد ، وإنما هو خطاب وأمر اختياري بالنسبة إلى المخاطب لكنه لا كيف لـه ليعرفه أهل التكييف والتحديد .

وأما قول أهل اللغة فمسلم لكنه ليس فيه اشتراط تقديم المأمور على الأمر والمخاطب على الخطاب ، وما فهم بعضـهم ذلـك مـن كلامـهم ليـس بحجة .

وأما العقل فليس بحاصل لأن الوحـدة الحقيقيـة ممتنعـة ، وقـد تكـون وحدة لا تنافي الكثرة وكثرة لا تنافي الوحدة وتحقق هنـاك الاختيـار ولا امتنـاع

لهذا الاحتمال ممكن وإن لم تدركه الأفهام ولم تنله أيدي العوام ، فإذا أخبر بــه الملك الحكيم العلام وجب القبول والإعراض عن التأويل بسخيف الكلام .

فاستشهاد الإمام عليه السلام بالآية الشريفة ملوحا استشهاد تـام لا يعتريـه شـك ولا شـبهة ، لأن المخـاطِب بالكسـر هـو فعـل الله سـبحانه ومشـيئته واختراعه ، وهو لسان الله المعبر عن كل ظهوراته بكل أطـواره وشـئونه مـن أيام الشأن ، والخطاب هو دلالة تلك الكلمة التامة الواقعة على أرض قلـب المخاطب ، وهو الغلق المغلق النازل من سحاب الكرم والجود من بحر الصاد من الماء الذي توضأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج لصـلاة الظـهر ، وهـذا البحـر تحـت العـرش وهـو الفعـل ، وهـذا العـرش هـو الخطـاب الصـادر والمخاطَب بالفتح هو نفس هذا الخطـاب مـع الحـدود والمشـخصات كمـا أن اللفظ كذلك فجرى التطابق بين اللفظ والمعنى هنا المجموع وهو فاعل يكون في قوله تعالى ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[1] ، فالمفعول به هو فاعل فعل الفـاعل فـإن التكون عبارة عن فعل الفاعل لكنه ما تحقـق ومـا وجـد إلا بـالمفعول وهـذا المفعول هو ذلك الفعل الظاهر الذي هو الحدث وهو المصـدر ، فحقيقـة أول الموجود في الحقيقة الأولية هو المفعول المطلـق وهـو خطابـا وأمـرا وكونـا في قولك خاطبت خطابا وأمرت أمرا وكونت تكوينا وغـير ذلـك ، وفي الحقيقـة الثانية هو المفعول به الذي وقع عليه فعل الفاعل فكانت له جهتان وثبتت له

---

[1] يس ٨٢

حقيقتان في البدوإلاصلي والظهور الخلقي والنور القدسي الإلهي فما احتاج الخطاب إلى مخاطب مقدم في الوجود ، وكذا الفعل إلى مفعول به كذلك ، نعم في الظهور والبروز الشهودي الحسي في كل عالم يحتاج ، فالمخاطب هو قابلية الخطاب والخطاب هو مادة المخاطب وهو صورة له فإذا اقترنتا ظهر الخطاب على مقتضى الاختيار في الكينونة وإلا فيبقى الخطاب متعلقا بمركزه مشغولا بحمد ربه إلى أن يحصل له متعلق فيظهر في ذلك بعين ما ظهر في غيره ، فالخطاب واحد والمخاطب لا يتناهى من أول الوجود إلى آخره ومن ظاهره إلى باطنه ، فالخطاب الشفاهي أمر مستقر وصوت مستمر ، فقول الله سبحانه (كن) حقيقة باقية كان في الخلق الأول التكويني هذه صورتها وفي الخلق الثاني صورة التعبير عنها (أدبر) إلى نهاياته ، وفي الخلق الثالث كانت الصورة (أقبل) ، وفي الخلق التشريعي صورة التعبير صل وزك وحج وكل من سمع الخطاب نادى ملبيا ومن لم يسمع بقي على وجهه مكبوبا ملويا ، فهو نداء واحد والسامعون متفاوتون في الاستماع لحلة سامعتهم وعلمها فافهم وسنزيد القول إنشاء الله .

وإنما ابتدأ عليه السلام بذكر السموات دون غيرها من المخلوقات لأنها هي المبادئ العالية ، ولتطابق الوصف التدويني واللفظي مع الوصف التكويني والهيئة الوجودية فإن الطفرة في الوجود باطلة ، فأول الموجودات هو جمال الله وجلاله ، والجمال له جمال ولجمال جماله جمال كالجلال وهكذا إلى ما لا نهاية

له ، فقدم المبادئ على قول مطلق على غيرها والفواعل على القوابل ، وإنما خصص السموات بالذكر دون سائر المبادئ لبيان قسمي المبدأ وشقيه فإن المبدأ على قسمين ، مبدأ هو علة فاعلية ، ومبدأ هو ترجمان وباب وواسطة الفيض ، فالسموات إنما هي الثاني ومحل لظهور الأول فكانت وصفا جامعا مع اشتمالها لتفاصيل أحكام المبادئ والعلل كلها من ظهور مراتبها في مقام الإجمال والتفصيل وشرح قوله عز وجل ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ ﴾[1] وقوله عز وجل ﴿ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[2] وبيان الكمال المطلق الملوح إليه في قوله عز وجل ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[3] وظهور الأركان الأربعة مع تفاصيل نسبها الحاصلة من ملاحظة بعضها مع بعض ، وذكر الاسم الأعظم الذي ليس بالحروف مصوت ولا باللفظ منطق ولا بالشخص مجسد وأجزائه الأربعة وأركانه الاثني عشر وأسمائه الثلاثين وصفاته الثلاثمائة والستين ، وكيفية ترتب العلل في الإمداد والإفاضة ، وكيفية الحركات الذاتية والاستدارة العرضية ، وكيفية استمداد السافل عن العالي ، وكيفية حجب السافل عن مشاهدة العالي مع تقومه به ، وعلة قطع التفات العالي عن السافل ، وكيفية ظهور التجلي وحركة المتجلي وحدوث الفاعل وفاعلية القابل وقدس الألوهية وخزائن الرحمة ومفاتح الغيب والسر اللاريب ، وعلل الترقي وأحواله وسبب التنزل

---

[1] المائدة ٦٤ — [2] الزمر ٦٧ — [3] الحجر ٨٧

وأطواره ، وسر المحبة السارية والمودة المستجنة في الذرات غير المتناهية ، ودوران الوجود بالميل ، وتمام الستة وأحوالها ، وأقاليم الظهور ، وكشف حجاب النور ، وظهور مقام الطور ، بأبي هو وأمي قد أشار لأهل الإشارة في هذا المقام بهذا الكلام إلى أسرار وعجائب وغرائب يقصر عنها النظر ويضل دونها الفكر ، ولو أردنا أن نشرح جزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير من ذلك يطوى الزمان ولم يظهر شيء منه ، لا إله إلا الله العلي العظيم ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] عجبا لقوم يقولون أن هذه الخطبة من وضع الغلاة أنى لهم ذلك ، ونحن نشير بعون الله إلى بعض ما ذكرنا مجملا وتلويحا إذ البيان يقصر عنه اللسان مع ما في طبائع بعض أشباه الإنسان من المعاندة والطغيان .

فنقول اعلم أن النقطة الإلهية السرمدية لما ظهرت استدارت على نفسها فساوت كل أجزائها وأطوارها وشئوناتها وأوليتها وآخريتها وظاهريتها وباطنيتها فنطقت بالواحدية لله الواحد القهار فكان بسم الله الرحمن الرحيم في أول كتاب الله العليم الحكيم في الكتاب الأولي التكويني الوجودي ، فدارت ثلاث دورات حال النظر إلى ربه وإلى نفسه وإلى غيره ، ولذا استنطقت عنه الكاف من الحروف المكتوبة ، فلما نظرت الثلاثة إلى نفسها الجامعة تمت التسعة وكملت الرتبة ، لأن الشيء في تحققه له ثلاث

---

[1] الأنعام ١٢٤

حالات الأولى حالة الإجمال والثانية حالة التفصيل والثالثة مقام الظهور مشروح العلل مبين الأسباب ، ولكل حالة ثلاث حالات الأولى حال مبدأ التلقي من عالم اللانهاية ، الثانية تمام مقام التلقي في النهاية الإجمالية في العقد الأول بعد الحل الأول ، والثالثة حال ميله ونزوله إلى عالم الغير إما لتحقق بينونة الصفة أو لارتباط الجهة ، فلما دارت تلك الثلاثة على هذه الثلاثة تمت التسعة وهذا الحكم جار في أول مقام المحبة في نفسها لنفسها إلى آخر مقام التفصيل وهي السموات الظاهرة الشهودية إذ في مقامات المحبة ثلاث مراتب .

الأولى : مقام المحب الظاهر بالمحبة المعبر عنه بعنوان كنت فأحببت .

الثانية : نفس المحبة المتحققة في أحببت أن أعرف وهي الموصلة وباء التعدية والصلة التي هي حجاب بين المحب والمحبوب .

الثالثة : حقيقة المحبوب ولا حقيقة له إلا عين تلك المحبة التي هي الرابطة بينهما إذ المنافر لا يكون محبوبا ((وطبيعتك من خلاف كينونتي)) فإذا ارتفعت المخالفة بقيت نفس الكينونة وهي قوله تعالى ((روحك من روحي))[1] وهو عين تلك المحبة فافهم .

وهذه الثلاثة لا تتم ولا تظهر إلا بالتجذير إذ لا غيرها في نظرها هذا ، فمجذورها تمام المبادئ ، فالمبادئ لا تكون إلا تسعة لأنها مجذور أول

---

[1] علل الشرائع ١٠

الأعداد وتمام رتبة الآحاد التي بها تقومت الأعداد وهي المبادئ لها في التكـون والإيجاد وإليها ترجع يوم الرجوع والمعاد ، وإنما كان مجـذوز أول الأعـداد هـو المعاني إذ لا مذهب عنها في مقام التفصيل لأن المبدأ هو الواحد وهو الثلاثـة والكثرات كلها قد تحققـت بـه لأنـها هـي أول الأعـداد وأول مـا بـرز مـن الإيجاد ، فأول المنسوبات إليها في مقام التفصيل هو التسـعة ، وحيـث كـانت أول مراتب التفصيل وأقرب الأحوال إلى البساطة ظهرت العلة التي هي مبدأ المبادئ وعلة العلل بمثالها وظهورها في كل التسعة لأنها صور عارية عن المواد خالية عن القوة والاستعداد تجلى لها فأشـرقت وطالعـها فتـلألأت فـألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله ، فظهر في كل التسعة بظهور واحـد فـهي في رتبة واحدة ومرتبة غير متعددة وخلقت من طينة واحدة لأنها المتحصلـة مـن ملاحظة الشيء من نفسه مع نفسه قال صلى الله عليه وآله وسلم ((أنـا الشـجرة وفاطمـة عليها السلام أصلها ، وعلي عليه السلام لقاحها ، والأئمة عليهم السلام أغصانها))[1] ولذا ظـهرت الطـاء

---

[1] لم نجد هذه الرواية بعينها فيما لدينا من المراجع ووجدنا ما يقاربـها ففـي معـاني الأخبـار ص ٩٣ قـال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا أصلها (أي الشجرة) وأمير المؤمنين فرعـها ، والأئمـة مـن ولـده أغصانـها ، وشيعتهم ورقها وعلمهم ثمرها)) ، وفي بصائر الدرجات ص ٩٥ عن عمر بن يزيـد قـال : سـألت أبـا عبدالله عليه السلام عن قول الله تعالى (شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء) قال : فقال ((رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم جذرها وأمير المؤمنين فرعا والأئمة من ذريته أغصانها وعلم الأئمة ثمرها وشيعتهم المؤمنون ورقها ، هل ترى فيها فضلا يا أبا جعفر ، قال : لا والله ، فقال : والله إن المؤمـن يولـد فيـورق ورقـة وإن المؤمن ليموت فتسقط ورقته)) .

مع كمالها الظهوري والشعوري في اسم مهبط الأنوار الإلهية ومجمع الشئونات الصمدانية والعنوانات الأزلية الثانية والكلمة التامة وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر بحكم المناسبة الذاتية بين الاسم والمسمى، والمرابطة الحقيقية بين اللفظ والمعنى وذلك هو اسم فاطمة عليها السلام، وكذلك القول في كل المبادئ وأنا قد بينت لك أشدها غموضا وخفاء في العالم الأعلى الأول الذي ليس فيه كثرة ولا تعدد ولا اختلاف.

وأما كيفية خلق هذه الأفلاك والسموات فاعلم أن الله سبحانه خلق ياقوتة حمراء من جزء من صفوالنار وجزأين من صفو الماء بيبوسة أرض القابلية فنظر إليها بعين الهيبة فماعت وذابت وصارت ماء رجراجا وبحرا عظيما يضرب أمواجا، فأشرقت على ذلك البحر شمس اسم الله القابض فظهر اسم الله الحي والرحمن بريح الجنوب، فتموّج البحر واضطرب بتصفيق الرياح الشديدة فصعدت الأبخرة المختلطة بالأجزاء النارية والترابية المستجنة في زبد البحر فكانت تلك الأبخرة والأدخنة المتصاعدة مادة السموات السبع والأفلاك التسع وبقي الزبد على وجه الماء فجعله سبحانه مادة للأرضين السبع، فبعدما دحا الأرض واستوت واستقرت في يومين يوم المادة ويوم الصورة استوى الرحمن إلى السماء وهي دخان فسواهن سبع سموات، فأول ما ظهر منها فلك الشمس فدارت الأفلاك فوقها وتحتها بها بحسب ما فيها من القوى الإلهية لكونها مهبط الأسماء الفعلية والأنوار الأربعة

القدسية العرشية ، ثم لما كانت تلك الأدخنة متفاوتة في الغلظة والتصفية رتبت السموات على الترتيب المعروف ، فملأ ذلك البحر الوجود بمائه ودخانه وزبده فاستدار بعضها على بعض و تحقق الليل و النهار ، وظهرت مكنونات خبايا الأسرار هذا الذي ذكرنا كلام جار على الحقيقة بالإجمال .

والإشارة إلى حقيقة الأمر والواقع ، اعلم أن النون أي بحر الصاد أول المداد الماء الذي كان عليه عرش الرحمن والماء الذي منه كل شيء حي وبه قام كل شيء لما كان متمم ظهور الهاء عن الكاف لا كتتميم الهاء المشبع الذي هو هو للأسماء الحسنى وتتميم الأحد للواحد بل كتتميم الصفة لظهور الموصوف وتتميم الفرع لجهات تعريف الأصل ظهر مثالا للظاهر وحاكيا له بذاته فكان حافظا لوجوده في جميع مراتب التربيع والتكعيب فأحكم قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[1] فظهر حافظا لنفسه في كل الأطوار من الأكوار والأدوار ، فصار به كل شيء حي في الإعلان والإسرار من الأكوان الستة التي عليها المدار.

وأما الكون الأول فنوراني لا غير ، وأما الكون الثاني فجوهري لا غير ، وأما الكون الثالث فهوائي لا غير ، والكون الرابع فمائي لا غير ، والكون الخامس فناري لا غير ، وأما الكون السادس فأظلة وذر ، ثم سماء مبنية وأرض مدحية ، وإن أردت أن تعرف حقيقة هذا الماء وسبب نشوئه ومادته

[1] المجادلة ٧

وصورته ، فاعلم أن التكوين اقتضى الحرارة لأن الحركة بنفسها من الظاهر بالفعل إلى المكوَّن بالفتح و التكوّن اقتضى البرودة لأنه السكون المنتهية إليه الحركة مقام الجمود والوقوف ، ولما كان التكوين هو الفعل الاسم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره اقتضى مع الحرارة اليبوسة لثبات الاستقرار وتحقق القرار قال عز وجل ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[1] ولما كان التكون هو الحامل لأثر التكوين والماسك له اقتضى مع البرودة اليبوسة وإلا لما استقرّ ولما كان المكون هو المتحقق بالتكوين ، ولايكون ذلك إلا بالارتباط ولايكون ذلك في استقراره في ظله إلا بإلقاء الأثر فيه ، اقتضى أن يكون ذلك الأثر حار لتحقق المثلية وكذا أن يكون رطبا للسيلان إلى التكون والربط إلى المكون ليتحقق الحل الأول المستلزم للعقد الذي هو للاتحاد ولما كان التكون لا يكون إلا بالقبول لأثر التكوين و ذلك لا يكون إلا بالإقبال إلى المقبول والارتباط به من جهة القابل اقتضى الرطوبة مع البرودة فتمت العناصر الأربعة ، الأول الحار اليابس وهوالنار أي الفاعل ، الثاني الحار الرطب وهو الهواء وهو أثر الفاعل أي الصدر وهو المفعول المطلق وهو الهاضمة وبطن فرس وحمام مارية ، الثالث البارد الرطب وهو الماء وهو جهة القابلية المحضة الفتاة الغربية والنبتة العذراء ، الرابع البارد واليابس وهو الأرض وهو جهة حفظ القابل لفعل الفاعل وإمساكه إياه وهوالأرض المقدسة و الجسد

---

[1] الصافات ١٦٤

الجديد ، هـذا في أصل الكـون عنـد التكويـن الأول في ثـاني الأزل ، فلمـا اقترنت هذه العناصر الأربعة واتصلت بهذا الترتيب ووقع أثر الفاعل على القابل واستجنت الحرارة الفاعلية في الأجزاء الأرضية القابلة وكانت الحرارة الأصلية الأولية دائمة الإشراق على الأراضي القابلة تهيجت تلـك الحـرارة المستجنة في الأجزاء الأرضية وأقبلت إلى مبدئها بإعانة الامـدادات الفائضـة من الإشراق الدائم و صحبت معه الأجـزاء المائيـة اللطيفـة المستجنة فيـها الأجزاء الأرضية اللطيفة بحكم المشابهة والمناسـبة الذاتيـة ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[1] لكن الأجزاء الأرضية مسـتهلكة مضمحلة تكاد تفنى تتلألأ بخفق ، والأجزاء المائية اللطيفـة الـتي هـي محـض القابلية والاستعداد المقابلة لفوارة النور بسر الإمـداد مضاعفـة فأصابـه بـرد التكون بالتكوين ثانيا فانجمد وانعقد تحت سماء التكوين ، فثقل وتقاطر ونزل لحصول النسب والإفاضات المستدعية للـنزول عـن مقـام البسـاطة الحقيقيـة فكان ماء رجراجا وبحرا مواجا ، فهذا هو الماء الأول وإن كان المصطلـح عليـه هو الماء الذي به حياة الموجودات المقيدة التي هي النون والصاد والمزن المذكور آنفا ، ولو كان لك بصر حديد علمت أن هذا القول يجري في كل ما تلاحـظ مخلوقيته من السرمد إلى الدهر إلى الزمان ، وبالجملة نحن نحكـم حكمـا كليـا

---

[1] التوبة ١١

فإن قدرت أن تجريه في جميع الجزئيات فعلت ملاحظاً للصدق اللفظي والوصف التأثيري وإلا فعلى مقدار ما استطعت .

ولما تحقق ذلك البحر المواج والماء الرجراج وقابلته نار التكوين صعدت بها الأبخرة وهي اللطائف المستجنة والأرواح المستكنة فتراكمت الأبخرة وتطابقت وظهرت على هيئة اللطافة والبساطة التي هي هيئة الاستدارة وهيئة الفقر والفاقة وهيئة الغنى والإفاضة ، ودارت للاتصال بالمبدأ بحكم المناسبة لوجود المثال الملقى في الهوية وهي الأفلاك مادتها وحقيقتها وأصلها ومنشؤها ، فلما اختلفت مظاهر ذلك الماء ومراتبها باللطافة والشرافة والكثافة والغلظة والبعد والقرب وبطلت الطفرة جرى الفيض الاختراعي والابتداعي عليها على ذلك الترتيب ، فدارت العلويات على السفليات وأحاطت على الجزئيات فأعطى الله بها كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه ، وهذا الحكم يجري في كل دور وكور وعالم من العوالم من الألف الألف فيكون ألف ألف أفلاك وألف ألف سموات وألف ألف أرضين فافهم .

هذه مبدأ الأفلاك والسموات وأما منتهاها فاعلم أنها لا تنتهي إلى حد في حركتها وسيرها بل هي سائرة دائمة إلى الأبد وإن سكنت وتفككت عند ظهور سلطان الجبار وخلوص الأمر لله الواحد القهار وطي الوسائط ومحو الأغيار بإذهاب الغرائب والأعراض واندكاك جبال الإنية لخلوص التوحيد في

الذات والصفات والأفعال والعبادة ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] ثـم تعـود إلى ما كانت عليه من الصفاء وتتحرك حركة شوقية إلى خالق الأشـياء ولا نهايـة لذلك ولا فناء إنما خلقتم للبقاء وما خلقتم للفناء وإنمـا تنتقلـون مـن دار إلى دار ، فإذا ذهبت صفوة الأفلاك والأملاك و بقيت القشور والأعراض فتستدير ذلك دورة عرضية تبعية وتربي سـوافلها المحيطـة بـها مـن القشـر والعـرض وهكذا إلى أن تصفو تلك وهكذا إلى ما لا نهاية له سـبحان مـن هـو ملكـه دائم و سلطانه قديم لا إلـه إلى هو الحي القيوم .

قال مولانا الباقر عليه السلام ((إن الله تعـالى إذا أدخـل أهـل الجنـة الجنـة وأهل النار النار يخلق خلقا آخر من غير فحولـة ولاإنـاث يعبـدون الله وهـو قولـه تعـالى ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾))[2] وأمـا العبارة الظاهرة في كشف هذه الأفعال فلا يسعني الآن بيانـها لتطويـل المقـال

---

[1] الزمر ٣

[2] لم نقف على هذا الحديث كما هو مذكور في هذا الشرح الشريف ووجدنا مـا يقاربـه في الخصـال ص ٦٥٢ وهذا نصه ((عن جابر بن يزيد قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل (أفعيينـا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد) فقال يا جابر : تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هـذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجـدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه ، وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غـير هذه السماء تظلهم لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحـد وتـرى أن الله عـز وجـل لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عـالم وألـف ألـف آدم أنـت في آخـر تلك العوالم وأولئك الآدميين)) .

وتبلبل البال و عدم الإقبال ، إلا أن حقيقة الأمر ظهر بما ذكرنا من دليل الحكمة .

و إنما جمع السموات لبيان تعددها وهي إذا أطلقت لا يراد منها في عرف أهل البيت عليهم السلام إلا السموات السبع وقد تطلق في كلماتهم عليهم السلام ويراد منها غيرها كما في قوله تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾[1] والمراد منها في هذه الآية الشريفة على ما دلت عليه الأخبار البحر الذي في الجو بين السماء والأرض ، وقوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾[2] و يراد منها هنا على ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله (البحر المكفوف فوق السموات السبع بحيث يكون كلهن ومن فيهن ومن عليهن كحلقة ملقاة في فلاة قي)[3] وكذا في غيرهما من المواضع في كتاب الله وكلمات آل الله ، ومحصل هذه الإطلاقات أن السماء يراد منها جهة العلو مطلقا وهي من أول الهواء إلى أعلى الهواء في الخلق ، إلا أن السموات على قسمين .

أحدهما : مجردة بمراتبها من العقلانية والروحانية والنفسانية وغيرها ، والثانية : جسمانية وهي اتفاق العلماء ومساعدة الأدلة العقلية

---

[1] ق ٩

[2] النور ٤٣

[3] هذا الحديث مذكور هنا بالمعنى وأما نص الحديث في التوحيد ص ٢٧٧ فطويل نأخذ منه موضع الحاجة وهو وقوله صلى الله عليه وآله ((وهذه السبع (يعني السموات) ومن فيهن ومن عليهن عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قي)) .

والنقلية تسعة وهيالسموات السبع والعرش والكرسي في اصطلاح أهل الشرع، والأفلاك التسعة في اصطلاح الحكماء الرياضيين والطبيعيين وغيرهم، وهم إنما عرفوها حسب مشاهدة الحركات المقدرة بالأرصاد لأنهم وجدوا تسع حركات مختلفة وأثبتوا لكل حركة فلك وجوزوا أقل من ذلك أيضا وأما الأكثر فإمكانه لا إشكال عندهم لأنهم ما قالوا إلا ما شاهدوا بأبصارهم وإحساسهم من الحركات المختلفة، وقد يكون أفلاك أخر متشابهة الحركة أوبطيئة بطأ لا يحس، وبالجملة ليسوا على بصيرة في الأمر لا في حصر العدد ولا في كيفية الترتيب وخصوصيته حيث أرادوا أن يأخذوا الحق بعقولهم و يستندوا في معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه بآرائهم وأفهامهم ولم يركنوا في معرفتها إلى أئمة الدين عليهم السلام فصاروا كما ترى غير جازمين بأمر من الأمور وحكم من الأحكام كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا، وأما نحن قلنا في هذه المقامات من جهة دليل الحكمة المستنيرة بنور أهل بيت النبوة عليهم السلام كلمات يطول بذكرها الكلام و نشير إلى بعضها في هذا المقام مجملا ليتنبه العارف إلى نوع الاستدلال.

فنقول اعلم أن المبدأ لابد وإن كان عرشا لاستواء الرحمن وخزانة لجميع ما تستحق السوافل من الأركان والأكوان والأعيان وإلا لم يكن واقفا بالباب بل ضرب بينهما ألف حجاب، ولما كان الباب واقفا مقام (أطعني أجعلك مثلي و روحك من روحي) وجب أن يكون كاملا في رتبة البساطة

لمكان المشابهة ، على أن الفيض لا يجوز أن يصدر عن المبدأ جزئيا لعدم سعته بل يجب أن يكون كليا معنويا محيطا لكل الأجزاء والجزئيات ، ولما كانت العلويات هي المبادئ وجب أن يكون هنا فلكا كليا محيطا بجميع المراتب السفلية ومهبطا لجميع الأنوار وخزانة لكل الأسرار وذلك هو العرش مستوى الرحمن فهو أول الأفلاك وأعظمها وأشرفها وأرقها وألطفها وتنتهي إليه الحدود الجسمانية وتنقطع عنده الإشارات الحسية و يكون ذلك طبق الفلك الأعظم والعرش الأقدم في عالم التجرد أوعالم الوجود المطلق ، فإن مراتب الإختراع ومقاماتها متطابقة و إن اختلفت بالأولية و الثانوية فإن الثاني دليل الأول وحكايته ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[1] والعبودية جوهرة كنهها الربوبية فما خفي في الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[2] فافهم.

فكان المبدأ الجسماني طبقا للمبدأ الروحاني والمبدأ الزماني طبقا للمبدأ الدهري كما أن البيت أي الكعبة على طبق البيت المعمور في السماء الرابعة وهو على طبق العرش وهو على طبق الكلمات الأربعة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) ، ثم لما كانت الفيوضات المستقرة في الفلك الأعلى أي عرش الرحمن معنوية كلية غيبية مجملة ولا استئهال للسوافل أن تتلقاها ، كذلك مع امتناع ذلك مع أنه لو كان كذلك لما اختلفت

---

[1] الملك ٣ [2] فصلت ٥٣

الأشياء وما حصلت الجزئيات فلم يظهر مقام العظمة الذي هو مقام العلماء الخائفين ، وجب أن يكون لتلك الإجمالات مقام تفصيل وتلك المغيبات رتبة ظهور لتمييز الأسماء الإلهية وتبيين النعم الغير المتناهية ليعلم كل أناس مشربهم ويصل كل أحد مطلبهم .

ولما كان هذا المقام تحت المقام الأول الذي ظهر بالفلك المحيط وجب أن يكون هذا التفصيل في الرتبة الثانية الجسمية ولا يكون ذلك إلا في الفلك الثاني تحت الأول وهو فلك الكرسي مقام تفصيل العرش ، وكلما كان مخفيا غيبا في العرش قد ظهر في الكرسي فكان هو بمنزلة الباء للألف والنفس للعقل ، و هذا هو فلك البروج وفلك المنازل وقد يعد كل منها فلكا على حدة لإجراء الأحكام وإلا فهما في الحقيقة شيء واحد ، فظهرت في هذا الفلك القوى الجزئية الاسمية المدبرة للعالم الجسماني أومطلقا إن كان نظرك مطلقا من الاسم الأكبر الأعظم الكلي المتعلق بالعرش ، ومن هنا ظهر سر عدم الكواكب في الفلك الأعلى ووجودها هنا مع كثراتها فتم الفيض الأول مجمله ومفصله ، وهذا هو الحل والعقد الأوليان باعتبار في تكون هذا العالم وهو رتبة المقبول .

ثم لما كانت الإفاضة لا تتم إلا بتمكين القابل و تهيئته للقبول وإلا لم يتحقق الفيض ولم يوجد الشيء و ذلك التمكين يجب أن يكون من جهة المكون المفيض لكن بآلات وأسباب تناسب المفاض عليه وتوافقه ، ولما كانت

تلك الآلات هي جهات التدبير والتقدير وجب أن تكون محيطة بكل السفليات لكونها متممات لقوابلها ولا تتم إلا بالمحاذاة بإيقاع الأشعة وهي تستلزم الإحاطة فتكون أفلاكا دائرة على القابليات ومهيئة إياها لقبول الفيض الأول على الوجه الأكمل ووصلة بينهما وبين المفيض ، واقتضى الكون أفلاكا أخر تحت الفلكين المذكورين ، ثم لما كانت الأكوان خرجت مسبعة متمايزة في التسبيع ولايتم الفيض إلا إذا تمت قابلية تلك المراتب ولايتم ذلك إلا أن يكون لكل منها مبدأ متميز فإن الأثر يشابه صفة المؤثر وجهته ، فالمجمل يؤثر المجمل و المفصّل المفصّل وجب أن تكون تلك الأفلاك التي هي روابط إيصال الفيض ومتممات قابليات المفاض عليه سبعة ، فخلق الله سبحانه أولا المبادئ السبعة التي هي السموات السبع فإذا أضفتها إلى الفلكين المذكورين كانت تسعة ، فالسموات السبع لتتميم القابلية وتكوين البنية الظاهرية والفلكان الأعظمان للفيض الباطني و إحداث المقبول وقد وردت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بشرح أسماء السموات و قواها وطبائعها وألوانها وثخنها وغلظها فمنها الخبر المشهور عن ابن سلام أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ((فأخبرني ما بال السماء الدنيا خضراء ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن سلام اخضرت من جبل قاف ، قال : صدقت يا محمد ، فأخبرني مم خلقت قال صلى الله عليه وآله وسلم : خلقت من موج مكفوف ، قال : وما الموج المكفوف ؟ ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له وكانت الأصل دخانا ، قال : صدقت يا

محمد ﷺ : فأخبرني عن السموات ألها أبواب ؟ قال ﷺ : نعم لها أبواب وهي مغلقة ولها مفاتيح وهي مخزونة ، قال : صدقت يا محمد ﷺ ، فأخبرني عن أبواب السماء ما هي ؟ قال ﷺ : ذهب ، قال : فما أقفالها ، قال ﷺ : من نور ، قال : فمفاتيحها ، قال ﷺ : بسم الله العظيم ، قال : صدقت يا محمد ﷺ فأخبرني عن طول كل سماء وعرضها وكم ارتفاعها وما سكانها ، قال ﷺ : يا ابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام وعرضها كذلك ، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وسكان كل سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ، قال : صدقت يا محمد ﷺ ، فأخبرني عن السماء الثانية مم خلقت ؟ قال ﷺ : من الغمام ، قال : صدقت يا محمد ﷺ ، فأخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت ؟ قال ﷺ : من زبرجلة خضراء ، قال : فالرابعة قال ﷺ : من ذهب أحمر ، قال : صدقت يا محمد ، فالخامسة : قال ﷺ : من ياقوتة حمراء ، قال : فالسادسة ، قال ﷺ : من فضة بيضاء ، قال : فالسابعة ، قال ﷺ : من ذهب ، قال : صدقت يا محمد ﷺ ، فأخبرني ما فوق السماء السابعة ؟ قال ﷺ : بحر الحيوان ، قال : فما فوقه ، قال ﷺ : بحر الظلمة ، قال : فما فوقه ، قال ﷺ : بحر النور ، قال : فما فوقه ، قال ﷺ : الحجب ، قال : فما فوقه قال ﷺ : سدرة المنتهى ، قال : فما فوق سدرة المنتهى ، قال ﷺ : جنة المأوى ، قال : فما

فوق جنة المأوى ، قال ﷺ : حجاب المجد ، قال : فما فوق حجاب المجد ، قال ﷺ : حجاب الحمد ، قال : فما فوق حجاب الحمد ، قال ﷺ : حجاب الجبروت ، قال : فما فوق حجاب الجبروت ، قال ﷺ : حجاب العزة ، قال : فما فوق حجاب العزة ، قال ﷺ : حجاب العظمة ، قال : فما فوق حجاب العظمة ، قال ﷺ : حجاب الكبرياء ، قال : فما فوق حجاب الكبرياء ، قال ﷺ : الكرسي ، قال : صدقت يا محمد ﷺ ، قال : قد أوتيت علوم الأولين والآخرين وإنك لتنطق بالحق اليقين ، قال : فما فوق الكرسي ، قال ﷺ : العرش))[1] ، و بيان هذا الحديث الشريف و ذكر ما فيه من العجائب والأسرار يؤدي إلى التطويل إلا أني أشير إلى ما هو الأهم والمقصود على سبيل التلويح والإشارة .

فقوله ﷺ في السماء الدنيا هي آخر السموات والأفلاك.وأقربها إلى الأرض وهي مبدأ الصور وعلة البرودة والرطوبة و ينسب إليه المد والجزر في البحر وهيكما قال ﷺ ((موج في البحر مكفوف)) أي ماء قائم ، فطبعها الحياة وطعمها قال عليه السلام ((الماء سيد الشراب في الدنيا والآخرة وطعمه طعم الحياة))[2] ، ولا اضطراب لها كما يوجد في هذا الماء الموجود في

---

[1] البحار ٥٧/ ٢٢٨

[2] البحار ٦٢/ ٢٨٥ ح ٧٣

الأرض لخلوصه عن الغرائب والأعراض ولكونه مبدأ بالنسبة إليه والمبدأ خلق ساكن لا يدرك بالسكون في كل مقام بحسبه .

وقوله ﷺ ((و كان في الأصل دخانا)) يشير ﷺ إلى بيان عدم تناقض قوله وقول الله عز وجل حيث قال ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾[1] تنبيها بأن المادة تنصبغ بصبغ الصورة حين التحديد بل وتجري عليها أحكامها .

و قوله ﷺ في أبواب السماء أنها من ذهب إشارة إلى التأثير إلى العالم السفلي بإحداث الأشعة فالأشعة أبواب السماء إلى الأرض ينزل الفيض منها إلى الأرض بواسطتها فهي حارة لكونها مثال التأثير الفلكي الحار اليابس ورطبة لحكم السيلان والاقتران والنسب وهي طبع الحياة بناء على أن الذهب حار رطب على ما هو التحقيق ، وهذا لا ينافي كون بعض الأشعة باردة أو يابسة أومختلفة فافهم.

قوله ﷺ ((و مفاتيحها بسم الله العظيم)) يريد بهذا الاسم هو الظاهر المتجلي على الطائف حول جلال العظمة وهو أول أسماء الله عز وجل

---

[1] الدخان

بعد اسمه العلي قال مولانا الرضا عليه السلام ((فأول أسمائه العلي العظيم لأنه علا على كل شيء قدير))[1] انتهى .

والاسم العلي هو الطائف حول جلال القدرة كما أن الاسم العظيم هو الطائف حول جلال العظمة فظهر الاسم في الظاهر بالطواف حول جلال القدرة وبقي على الحقيقة في السجود في ذكره للطائف حول جلال القدرة حقيقة والعظيم للطائف حول جلالة العظمة وهو قول مولانا علي عليه السلام ((أنا الذي كتب اسمي على البرق فلمع وعلى الودق فهمع وعلى الليل فأظلم وعلى النهار فأضاء وتبسم)) فهذا الاسم العظيم هو مفتاح كل برّ وخير ففي الأفلاك والسموات الجسمية بظاهر ظهوره وفي السموات الباطنية الغيبية بباطن ظهوره فافهم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((طول كل سماء خمسمائة عام)) اعلم أن المراد بهذا العام ليس هو العام المقدّر بالتّقدير اليومي المعروف إذ ما أقصر هذه الأيام عند مدد الأفلاك وأوقاتها فلا تتقدّر بهذا التقدير ، وقد ورد أن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج سأل جبريل عن زوال الشمس هل زالت أم لا قال لا نعم ثم قال من مقدار قولي لا سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام .

فإن قلت : إن العام يراد به على حسب الأفلاك .

---

[1] لم نقف على هذه الرواية المذكورة وإنما وقفنا على ما يقرب منها في المعنى وهي ما رواه في البحار ٤/ ٨٨ ح ٢٦ ((فأول ما اختار الله لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأسماء كلها فمعناه الله))

قلت : إن الأفلاك تختلف فالوصف الجامع في العام هو مبادئ العام من الثلاثمائة والستين درجة فكل درجة يوم من أيام كل فلك على مقداره في الصغر والكبر ، والمراد من خمسمائة مراتب الأفلاك بعضها مع بعض فإن كل فلك لا يتصل بالفلك الآخر إلا بخمسة أفلاك فاصلة بينهما وهيالممثل و المتممان الحاوي والمحوي في كل فلك من السبعة فتكون خمسة ، فإن السماء التي عليها المدار والحكم هو الفلك الحامل أي الخارج المركز لا ممثلاتها إذ الممثل حركته حركة فلك البروج فلا تزيد عليها بشيء بل يسير في كل مائة سنة درجة واحدة فالمدار والعمل على الخارج الحامل للكواكب أو التدوير وبه يحصل التدبير المطلوب من الأفلاك لا ممثلاتها فإن ذلك لا ينفع في تكوين العالم السفلي وتدبيره إلا بشيء يسير إذ من العرش التسخير ومن الأفلاك الأخر التدبير ، فلا يظهر التقدير إلا بعد إتمام التدبير واختلاف المدبر بالهيئات والأوضاع والأحوال ، والدليل على هذا الحمل والتأويل زائدا على ما قلنا على ما ورد عنه صلى الله عليه وآله في حديث زينب العطارة من أن كل سماء ومن فيها و من عليها بالنسبة إلى السماء فوقها كحلقة ملقاة في فلاة قي ، وفي هذا الحديث الشريف ساوى بين السموات في الحجم والمقدار والطول والعرض ، وإن جاز أن نقول أن ذلك على نسبة سعة كل فلك وكل سماء إلا أنه كلام ليس من التحقيق ، فصح أن المراد هو الدرجات الفلكية و مدد انتقال الكواكب في كل درجة حيث تطابق درجاتها مع المكوكب ، و إنما قال

ﷺ ((وعرضها كذلك)) لبيان إثبات أنها كرة مستديرة صحيحة الاستدارة بمعرفة قول أمير المؤمنين عليه السلام ((وإذا اعتدل مزاجها و فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشّداد))[1] و الجهات أضدادا فافهم ، وهذا أوضح دليل على استدارة السموات السبع لمن يفهم و يعقل .

وقوله ﷺ ((وسكان كل سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله)) يريد به من جهة الجزئيّات والأشخاص والأعوان والخدام وإلا فرؤساء الملائكة في كل سماء معلومون فالفلك الأول ملكه الكلي إسمعيل ، والفلك الثاني ميخائيل وسيمون وزيتون وشمعون وعطيائيل ، والسماء الثالثة سيديائيل وزهريائيل ، والرابعة صاصائيل وكليائيل وشمائيل ، والخامسة كاكائيل ومزقائيل ، والسادسة سمحائيل و مشوائيل ، والسابعة قرثائيل ورقيائيل ، و الثامنة فملائكتها كثيرة وكذلك الرؤساء يجمعهم أنهم صنفان الأول أسماء الملائكة الكلية هكذا شراحيل عزرائيل إسرائيل نهفائيل شراطيل شهكيل سهراليل صرصائيل سربطائيل شمكائيل مهيكائيل فقبيائيل والثاني بأسمائهم هكذا معائيل بطائيل مهقائيل نهعائيل سمكائيل فقرائيل سعائيل ذوغائيل شرائيل قريتائيل كليائيل خبيائيل غفرائيل دخرائيل دثيائيل ذريائيل فرصائيل عروائيل هلدائيل رشائيل شرهائيل لقبائيل شولبائيل دبليائيل دربائيل عدبائيل حنائيل نودبائيل ، و لهذه الملائكة أسماء أخر وعليها

---

[1] المناقب ٢/٤٩

اعتمادي فلا بـأس أن نذكرهـا وهيـهمقغائيل وغحـائيل الذائيـل وكفـائيل هكثـائيل وعقغـائيل أمضيـائيل وفخغـائيل وعضـائيل بكقـائيل طمثغـائيل ونفائيل أحيذقائيل حكذائيل ولظغائيل وسخائيل وطذائيل وصنائيل طتتائيل طكرائيـل ومقغـائيل وطخذائيـل دكذائيـل هلظـائيل حكتـائيل جفثقـائيل لسقغائيل ذنقغائيل، والسماء التاسعة وهو العرش والفلك الأعظـم ومحـدد الجهات وله ظـاهر وبـاطن، فالملائكـة الظـاهرة أربعـة ميكـائيل وإسـرافيل وعزرائيل وجبرائيل، والباطنة هم الملائكة العالون الذيـن مـا سـجدوا لآدم كما أخبر الحق سبحانه عنـهم حـين معاتبـة إبليـس ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾[1] و هم أربعة أيضا، روح القدس والـروح مـن أمـر الله و ذات الله العليا وشجرة طوبى و سـدرة المنتـهى و جنـة المـأوى والرابـع الـروح علـى ملائكة الحجب، وبيان حقائق هذه الظواهر ممـا لا تسـعه الدفـاتر والإجمـال يورث الإخلال والله الموفق في كل حال.

و قولهﷺ في السماء الثانية أنها خلقت من الغمام أشار بأبي هـو وأمي بهذا الكلام الموجز إلى كل أحوال الفلك الثاني، فأشار بالغمام إلى أن طبعها بارد رطب مختلطة باليبوسة الهبائية الممتزجة بالهواء، فظاهرهـا الـبرودة واليبوسة الذائبة الغير المنجمـدة و باطنـها الحـرارة و الرطوبـة، ولمـا كـانت مجاورة للسماء الأولى التي هي البرودة والرطوبة خفيت الحرارة فصـار طبعـها

---

[1] ص ٧٥

طبعا سيّالا ينقلب مع كل ذي طبيعة لاجتماعها الطبائع السيّالة كالغمام قال الشاعر:

عاشر أخا ثقة تحظى بصحبته فالطبع مكتسب من كل مصحوب

كالريح آخذة مما تمر به نتنا من النتن أو طيبا من الطيب

فعلى ما بينا ظهر لك وجه الجمع بين كلمات علماء أهل هذا الشأن فمنهم من قال أنها باردة يابسة ، ومنهم من قال أنها باردة رطبة ، وأهل الحروف ذكروا لها طبيعتان لظاهرها طبيعة التراب ولباطنها طبيعة الهواء ، وبعض أهل النجوم قال إنها ليست لها طبيعة خاصة فمع كل طبيعة تأخذ طبيعته ، وإن ارتفع التناظر فينظر مقارنتها مع البروج وهم وإن قالوا ذلك في عطارد إلا أنه لا فرق بين الكوكب وفلكه في الطبيعة إلا أن في الكوكب أقوى مما في الفلك ، و قول ﷺ النبي أتى بيانا جامعا لكل هذه المذاهب وشرحا لحقيقة هذه الكوكب والفلك وإنما سماء الفكر وإنه للكتّاب و أهل أرباب القلم كما نذكر إنشاء الله .

وقوله ﷺ في السماء الثالثة أنها خلقت من زبرجد لأنّ باطنها حار رطب ولونه الصفرة وظاهرها بارد يابس على ما ذهب إليه بعض أهل الحروف ولونه السّواد والزّبرجد يطلق على هذا اللون.

وقوله ﷺ في الرابعة أنها خلقت من ذهب يريد بالذهب الطبع الذّاتي له أولاً فإنه إنما يتكون بنظر الشمس حتى قال بعضهم أنّ طبيعته حار

يابس لمشابهة الأثر مع مؤثره ، والذي يقول أن طبعه حار رطب كما هو التحقيق يقول أن ما من الشمس هو الحرارة واليبوسة ، والرطوبة إنما هي من المكان الذي يتولد فيه ، فطبعه الأصلي هو الحرارة واليبوسة المعتدلة كما في الفلك الرابع ، وأما صفرة الذهب فكصفرة نور الشمس لاختلاطه بالأبخرة الرطبة وكذا لاختلاط الذهب مع الرطوبة الأرضية كالمرة الصفراء ، ومقتضى هذه الأمور كلها الحمرة كما قرر في العلم الطبيعي .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الخامسة من ياقوتة حمراء)) على مقتضى ظاهر السماء فإن الفلك الخامس له جهتان بظاهره حار يابس لونه أحمر شديد الحمرة نحس أصفر ، وبباطنه بارد رطب كما قرر في علم الحروف وهو بباطنه سعد وبظاهره نحس ، وبظاهره ياقوتة حمراء وبباطنه درة بيضاء ، ولذا يعبرون عند الإشارة إلى كوكب المريخ صاحب السماء الخامس يقولون أنه شيخ كبير قاعد على كرسي من الدم إذ سن الشيخوخة يقتضي تزايد البرودة والرطوبة لتقليل الحرارة الغريزية التي في سن الشباب ، وكونه على كرسي الدم إشارة إلى أن هذه الحرارة إنما هي لاحقة له عارضة عليه و ليست ذاتية كما في قوله عز وجل ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٢.

---

[1] الحديد ١٣ ٢ الإسراء ٨٢

و قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((السادسة من فضة بيضاء)) على ظاهره لأن السّماء السادسة هي سماء المشتري وهو بارد رطب إلا أنّ في باطنه أجزاء حارة لتقوية الحياة كالفضة فإن في باطنها جزء من الحرارة ، ولذا إذا أرادوا أن يصنعوا إكسير الفضة يأخذون جزءين من الفتاة الغربيّة ولبنة العذراء وجزء واحدا من الفتى الشّرقي وهو شيء يشبه البرق وجزء من الأنفخة وهو القاضي الذي يشير إليها بالتراضي فينفخون في المجموع بريح الجنوب فينعقد فضة صافية يؤثر فيها ، فقوله صلى الله عليه وآله وسلم فضة بيضاء يشير إلى حقيقة الأمر في هذه السماء وهذا الفلك لأنهم عليهم السلام يتكلمون عمّا هو الواقع الأوّلي فافهم إن كنت تفهم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((السابعة من ذهب)) وهو يشير إلى باطن تلك السماء لإظهارها ، فإن ظاهرها بارد يابس طبع الموت وهو النحس الأكبر لأبناء الدّنيا وأما باطنها حارّ رطب كما صرح بذلك علماء الحروف ودلّ عليه العقل والوجدان ، والحارّ الرطب لونه الصفرة كالذهب فإنّه حارّ رطب على الأصح مطابق لونه طبعه ولذا شبهه صلى الله عليه وآله وسلم بالذهب مراعاة لباطن الأمر ، لأن السماء السابعة و كوكبها منسوبتان إلى علي عليه السلام هو عليه السلام عذاب على الكافرين وموت لهم وحياة ورحمة على المؤمنين كما في الزيارة ((السلام على نعمة الله

على الأبرار ونقمته على الفجار))[1] ولما ظهر طبع الباطن في طبع ظاهره ظهرت الحمرة المائلة إلى السواد في الكوكب وهو النجم الثاقب ، ومرادي بالباطن والظاهر ليس هو الغيب والشهادة والجسد والروح وإنما المراد بهما الذاتية الأصلية والعرضية الفرعية كما قال عز وجل ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2] ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾[3] .

و قوله صلى الله عليه وآله ((فوق السماء السابعة بحر الحيوان إلى آخر الحجب)) بيانه على وجوه كثيرة و ليس لي الآن إقبال لبيان كلها أو أغلبها أوأدقها وأعظمها وإنما أذكر وجها واحدا من تلك الوجوه حسب ما يظهر في بادئ النظر ، فنقول قوله صلى الله عليه وآله ((بحر الحيوان)) يريد به البحر المكفوف الذي كل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن ومن عليهن عنده كحلقة ملقاة في فلاة ، وذلك البحر هو ينبوع الثلوج والأمطار وفيه جبال البرد وبه فسر قوله تعالى ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ ﴾[4] والقمر إنما يأخذ من ذلك البحر أي من صفته فهو بحر عند استمداد القمر منه بواسطة الشمس وجبل بالنسبة إلى مقامه و هذا معنى مكفوفيته ولذاورد في القرآن بعنوان

---

[1] الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام [2] الحديد ١٣ [3] البقرة ١٨٩ [4] النور ٤٣

الجبل و في الأخبار بعنوان البحر ، والحياة إنما نسبت إليه لكون القمر الــذي هو العلة الصورية التي بها الحياة مستّمدا منه .

قوله ﷺ ((وفوقه بحر الظلمة)) يريد بالظلمة الهواء كما في حديث زينب العطارة ، ويريد بها السماء الثامنة وهي فلك الثوابت والبروج والمنازل من حيث هي ، وعبر عنها بالظلمة لكونها عالم الكثرة وهي تستلزم السواد وهو قوله عليه السلام ((عليكم بالسواد الأعظم))[1] و الظلّة الخضراء وحجاب الزبرجد وحجاب الزمرد و كل ذلك يريدون عليهم السلام به الكثرة المستلزمة للسواد المختلطة بألوان أخر أو باقية بصرافة سذاجته .

قوله ﷺ ((بحر النور)) يريد به البهاء الجسماني في العالم الظلماني وذلك ليس إلا العرش محدد الجهات الجسمانية الحسية وهو نور لخلوصه من ظلمة كثرات الكواكب وكونه مهبطا للأنوار الإلهية القدسية ومحلا لاستواء الرحمن في العوالم الجسمية و مثالا للعرش الأعظم الأعلى .

قوله ﷺ ((الحجب)) أقول هذه المراتب التي سيذكرها كلّها أنوار متصلة بالأجساد الفلكية ولاشك أن الأنوار مقامها أعلى من الأجساد ، فلما فرغ ﷺ من بيان مراتب الأجساد أراد أن يبين مراتب الأرواح والأنوار فأشار إلى الأنوار المتعلّقة بالسماء الأولى وهيفي عالمها ووصفها بالحجب لتعدّد المتعلقات حيث أن لها أربعة أفلاك وعلى كل فلك قد تعلق نور من

---

[1] شرح النهج ٨ / ١٢٣

الأنوار وهو واسطة لإيصال الفيض من المبدأ إليـه ومنـه إلى مـا تحتـه ، فـهو الحجب بجميع مراتبه والواسطة بين الممد و المستمد فإن المبادئ كلـها تنتـهي إلى السماء الأولى ولذاكانت هي سمـاء الحيـاة المتحققـة بـالصورة الشـخصية فالصورة حجاب المادة ، ولما كانت الشمس هي العلة المادية وهي جهة الفاعل و المبدأ ، والقمر هو العلة الصورية ، والحجاب إنما هو بالصورة فإن بالمادة من غير الارتباط بالصورة وصال واتصال وبالصورة كائنة ما كانت حجاب وفراق وانقطاع ، أو أن الظاهر بالصورة حجاب للحقيقة و هذا الفلك آخر مراتب الصور في المبادئ العلية العالية ولذايستنطق من الحـروف الطـاء مـع كمالها الشعوري والظهوري إثباتا لمقام ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ ﴾[1] أي إمام حكيـم بعـد إمام حكيم والكمال الشعوري للطاء فاء والكمال الظهوري لهـا (مـه) فـإذا جمعتهما مع الطاء يكون المستنطق فاطمة عليها السلام فافهم السر الحقيقي وكن بـه ضنينا .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((سدرة المنتهى)) يريد بها النور المتعلق بالفلك الثـاني والسماء الثانية ، وعلى هذا يكون هذا النور المتعلق بهذا الفلك آخر مراتب السدرة ، وأما أعلاها فهو الكرسي الذي يأتي ذكره إن شاء الله ، وبينهما مـن المراتب كلها مراتـب أغصانـها الكليـة والجزئيـة وأوراقـها وأوراق أوراقـها وهكذا إلى ما لا نهاية له ، و إنما اختص هذا الفلك بهذه المرتبة لكونه فلـك

---

[1] الدخان ٤

الفكر المتقلب في الأشياء وظهور الكثرة فيها ، ولذا كان التحير الذي هو الإقامة والاستقامة والرجعة فيه أكثر من غيره و له أوجان و حضيضان بخلاف غيره ، وهو مع كل طبيعة يميل إلى طبيعته ، وأمثال ذلك عن التقلبات المتشبعة من أصل واحد كالشجرة مع أنّ هذا الفلك هو كاتب الكرسي فانتهت السدرة إليه فافهم.

قوله ﷺ ((جنة المأوى)) يريد بها النور المتعلق بالسماء الثالثة وهي محل الطرب والعيش والفرح والحسن والجمال والغناء والنغمات المطربة وأمثالها من أنواع النعيم ، وهذه ظاهر الجنة الحقيقية الظاهرة كالسدرة حرفا بحرف .

قوله ﷺ ((حجاب المجد)) يريد به النور المتعلق بالفلك الرابع إذ له العلوّ على كل الأفلاك السبعة ، وهو العرش الثاني في العالم الجسماني ، وهو باب الوجود و منه مواد الموجود وباقي الأفلاك تستمد منه وهو يمدها بأوائل جواهر علله ولذاسماه ﷺ حجاب المجد ، وإنما سماه حجابا لكونه ليس إلا حكاية مثال المبدأ فكان حجابه و بابه ، وليس المراد منه ما ذكرنا في الفلك الأول الذي هو التاسع أولا .

قوله ﷺ ((حجاب الحمد)) يريد به النور المتعلق بالفلك الخامس من حيث باطنه لكونه من تلك الحيثية رحمة عظيمة على المواد السفلية والرحمة الواسعة هي الحمد كما ذكرنا سابقا مرارا فراجع تفهم إنشاء

الله ، لأن مرجع الرحمة إلى الولاية وهيلواء الحمد قال صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي عليه السلام حامله))[1] قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[2]

قوله صلى الله عليه وآله ((حجاب الجبروت)) يريد به النور المتعلق بالفلك السابع فإنه حجاب الجبروت الذي هوالنور الأعظم الذي حامله روح القدس ، وهو ملك له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق وهذا ظاهر إنشاء الله ، ونسبة هذا الحجاب إلى الجبروت نسبة الدماغ إلى القلب .

قوله صلى الله عليه وآله ((حجاب العز)) يريد به النور المتعلق ببحر الحيوان وهو جبال البرد كما ذكرنا سابقا و إنما عبر عنه بالعز لأن كلما تحته مستمد منه ومستقهر لديه و له هيمنة له فكان عزيزا منيعا غالبا .

قوله صلى الله عليه وآله ((حجاب العظمة)) يريد بها النور المتعلق بفلك الثوابت وفلك البروج وفلك المنازل والوجه هنا ظاهر وقد تكرر منا في هذا الشرح ما يدل على ذلك ، فإن العظمة مقام ظهور مشروح العلل ومبين

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في الفضائل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها ، وأعطي علي ثلاثة ولماشاركه فيها ، فقيل : يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام ، فقال : لواء الحمد لي وعلي حامله ، والكوثر لي وعلي ساقيه ، والجنة لي وعلي قاسمها ، وأما الثلاث التي أعطيت عليا ولماشاركه فيها فإنه أعطي رسول الله صهرا ولماعط مثله ، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولماعط مثلها ، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولماعط مثلهما)) .

[2] الكهف ٤٤

الأسباب وتجلي الأسماء الفعلية الإلهية ظاهرة مفصّلة كلية وجزئية نوعية وشخصية كما ظهرت العظمة في باء بسم الله الرحمن الرحيم ولذا شرع التسبيح باسم الله العظيم في الركوع فافهم .

قوله ﷺ ((حجاب الكبر)) يريد به النور المتعلق بمجموع الأفلاك والسموات الجسمانية فإنّ الكبرياء هي الظهور في العالم الأدنى الإضافي ، وحكم المجموع كالشجرة غير حكم كل واحد كالغصن والورقة ، فالكبرياء هي النور المقوم لكل هذه الكرة من حيث هي ، ومثال البحر الحيوان في الإنسان كالحرارة الغريزية الظاهرة بالدم الأصفر المتخللة في تجاويف القلب ، والظلمة هي البخار اللطيف الغير المحسوس في تجاويف القلب الذي يعبر عنها الأطباء بالروح الحيواني ، وبحر النور هو الروح القديمة التي هي عبارة عن الخلق الآخر في قوله عزّ وجلّ ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ﴾[1] وهذه الحجب جهات تجليات تلك الروح من حيث كونها حاملة لظهور اسم من أسماء الله تعالى بصفة من صفاته .

قوله ﷺ ((الكرسي)) يريد به ﷺ مبدأ سدرة المنتهى وجنة المأوى ونهايات الأشياء ، وهو نور الستر الظاهر بظهوره في الفلك الثامن نفسه لا من حيث البروج والمنازل كما تقدمت إليه الإشارة ، وهو ذات الله العليا والنفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام وسدرة المنتهى وجنة المأوى

[1] المؤمنون ١٤

من عرفها لم يشق أبدا و من لم يعرفها ضـل و غـوى ، والإضافـة في ذات الله لامية تمليكيـة يعني ذات مملوكـة لله سـبحانه وهـي أعلـى الـذات المملوكـة وأشرفها وهي سر بسم الله الرحمن الرحيم و باؤها .

قوله ﷺ ((العرش)) يريـد بـه القطـب الأعظـم والنـور الأقـدم وعلم الكيفوفة ومصدر البداء وعلل الأشـياء علـى حسـب مراتبـه وأركانـه وأنواره وأسراره وإمداداته إلى غيرها من الأحوال التي لـو تصدينـا لشـرحها لأدى إلى التطويل فاكتفينا بالإشارة لأهل التلويح .

وهذا الحديث الشـريف صلـى الله علـى قائلـه جمـع أصـول مراتـب المطويات العلويات مما يطلق عليه السـموات في الظـاهر والبـاطن بطبائعـها وألوانها .

وأما أسماء السموات فعن أمير المؤمنين عليه السلام ((اسم السـماء الدنيـا رفيع وهي من مـاء دخـان ، واسـم السـماء الثانيـة فيـدوم وهـي علـى لـون النحاس ، واسم السماء الثالثة المادوم وهي على لون الشبة ، واسـم السـماء الرابعة أرقلون وهي على لون الفضة ، و السماء الخامسة اسمها هيعون وهـي علـى لـون الذهـب ، والسـماء السادسـة اسمـها عـروس وهـي ياقوتـة خضراء ، والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء))[1] .

---

[1] روضة الواعظين ٤٤

وأهل الحروف ذكروا لكل سماء اسماً آخر و قالوا أن السماء السابعة اسمها عجويبا والسماء السادسة اسمها بريقا والخامسة عرتقا والرابعة أفلون والثالثة ماعون والثانية برقيد والأولى برقيقا.

ولا تتوهم أن قول أمير المؤمنين عليه السلام في السماء الثانية أنها على لون النحاس ينافي على ما تقدم من تلويح الحديث وما اتفق عليه أهل الفلك من أن طبعها بارد يابس أو بارد رطب وحار رطب كما عن أهل الحروف ولا يقتضي أحد من هذه الطبائع لون النحاس لأنه حار يابس في الثالثة ، لأنا نقول أن لون النحاس هو الحمرة إلا أنها على ثلاثة أنواع فيه أحدها حمرة تميل إلى البياض وثانيها حمرة تميل إلى الصفرة و ثالثها حمرة تميل إلى السواد ، وأنت قد علمت أن في طبع ذلك الفلك رطوبة سيّالة وهو في باطنها حار رطب فباطنه يقتضي الصفرة و ظاهره يقتضي البياض أوالسواد فاجتماع البياض والصفرة تحدث عنها الحمرة فإن نظرت إلى ظاهره من جهة السواد بملاحظة البرودة واليبوسة يكون اللون حينئذ حمرة يميل إلى السواد لأن البرودة واليبوسة مختلطة مع البرودة والرطوبة فافهم ، وإن نظرت إلى خفاء الحرارة فيه واستجنانه وعدم ظهوره إلا قليل تكون الحمرة إلى البياض أقرب ، ولك أن تجعل لون النحاس إشارة إلى الخضرة من جهة زنجاره كما ورد التصريح به في بعض الروايات في المولود الفلسفي و زنجار النحاس الأخضر

فحين إذن يكون المراد بيان لونه من جهة ذاته ورتبته وفعله فإن آخر مراتب سدرة المنتهى التي تغرد على أغصانها طيور خضر .

وأما بيان قوله عليه السلام في السماء الرابعة أنها على لون الفضة مع أن لونها الحمرة على مقتضى طبيعتها من الحرارة اليبوسة ولم يذكروا لها طبيعة أخرى والفضة لونها البياض على مقتضى طبيعته التي هي البرودة والرطوبة و هذا يقتضي ما هو المعروف من الشمس والإمام عليه السلام ما يقول إلا الحق ، والمعروف عنهم أيضا حق لدلالة العقل والنقل والوجدان والمشاهدة ، فاعلم أن الشمس التي هي صاحب السماء الرابعة لها أحوال منها حال مبدئيتها وأنها أصل ومنشأ للأفلاك الستة الباقية وهي منها نشأت وعنها برزت وإليها عادت ، ومنها حال كونها ظاهر العرش المركب من الأنوار الأربعة المعروفة من النور الأبيض والنور الأصفر والنور الأخضر والنور الأحمر ومنها حال كونها مرتبة للمواد ومضيفة على الاستعداد وكل هذه الأحوال ذاتية حقيقية يترتب عليها أحكام ظاهرية وباطنية .

فالحالة الأولى تقتضي البساطة وسلب الإضافة ورتبة القهارية ، فإذا أردنا أن ننسب إليها لونا في هذه الحالة ما لا يلق لها إلا البياض لأنه أبسط الألوان وأشرفها حتى قالوا أنه ذاتي و ليس بلون و هذا هو لون المبدأ وقد ظهر هذا اللون من الشمس ، أوما ترى بياض النهار خصوصا الصبح الكاذب والصادق ولا شك أن بياض نهار الصبح ليس إلا من الشمس وقد

صرّح بذلك مولانا علي بن الحسين عليه السلام في حديث ألوان العرش إلى أن قال عليه السلام ((ونور أبيض منه ابيض البياض (ومنه ضوء النهار)))[1] فعلى هذا فالمناسب هو لون الفضة التي في الغاية والنهاية في صفاء البياض .

والحالة الثانية حالة الامتزاج وقوة التركيب المستلزم للأعاجيب فإذا أردنا أن ننسب إليها اللون في هذه الحالة تعبر عنها بألوان الطّواويس وهو كما ترى من ضوء الشمس إذا نظرت إليها تحت حجاب أسود فإنك ترى ألواناً مختلفة من الحمرة والصفرة والخضرة .

والحالة الثالثة تقتضي الحرارة و اليبوسة للتصعيد والتجفيف ونضج المواد وظهور مثال الفاعل فيه الظاهر يوم الرجعة فإن الناس يرون جسد أمير المؤمنين عليه السلام في عين الشمس فإذا أردنا أن ننسب إليها اللون في هذه الحالة تعبّر عنها بالحمرة أو الذهب أوأمثال ذلك و هذا كما ترى من ظهور الحمرة المشرقية والمغربية عند تكاثف البخار أو تراكم السحاب المزجي قبل أن يتراكم ، فعلى هذا فلا تنافي ولا تعارض بين الأخبار و الروايات و كلمات سادة البريات .

وقوله عليه السلام في السماء السادسة أنها من ياقوتة خضراء يشير به إلى حقيقة الأمر في ذلك فإن السماء السادسة هي سماء العلم وهوالنور الأخضر الذي في الحديث المتقدم والنور الأخضر الذي منه خضرّت الخضرة

---

[1] الكافي ١/١٢٩ ح ١ ولكن من غير عبارة (ومنه ضوء النهار) .

وقوله عليه السلام في السماء السابعة أنها من الدرة البيضاء وقد قال في الحديث المتقدم أنها من الذهب يشير به أيضا إلى الواقع لأن السماء السابعة سماء العقل ولا شك أن العقل نور أبيض فصح التعبير بالدرة .

روى علي بن إبراهيم عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال ((قلت له أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾[1] فقال عليه السلام : هي محبوكة إلى الأرض و شبك بين أصابعه ، فقلت : كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله تعالى يقول ﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ﴾ فقال عليه السلام : سبحان الله أليس الله يقول ﴿ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[2] ، فقلت : بلى ، فقال عليه السلام : ثم عمد ولكن لا ترونها ، قلت : كيف ذلك جعلني الله فداك ، فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال عليه السلام هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا عليها فوقها قبة ، والأرض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة ، والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ، والأرض الرباعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة ، والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة ، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبة ، والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها

---

[1] الذاريات ٧ [2] الرعد ٣

قبّة ، وعرش الرحمن تبارك الله فوق السماء السابعة وهو قول الله تعالى ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾[1] فأما صاحب الأمر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قائم هو على وجه الأرض فإنما يتنزّل الأمر إليه من فوق السماء من بين السموات والأرضين ، قلت : فما تحتنا إلا أرض واحدة ، فقال عليه السلام : ما تحتنا إلا أرض واحدة))[2] .

وأما مقدار السموات وسعتها ومركز جرمها ووزنها وسعة دائرتها وأبعادها فهي مذكورة في كتب القوم فليراجع إليها إذ ليس في ذكر ما هنا لنا مزيد فائدة إذ لسنا بصدد ذكر أقوال العلماء فما هو منسوب إليهم موكول إلى كتبهم .

قوله عليه السلام ((خلق السموات بلا دعائم)) يريد به دعامة غير ذاتها عرضية لها كما في دعامته حيث لا يستقر بدونها وهو كذلك ، فإن هذه الحاجة من جهة ضعف البنية و خلطها مع طبيعة غيرها فإذا أرادوا رفعها إلى أحد مرتبة بسائطها لا يمكن إلا بدعامة ارتباطها إلى الجهة الأخرى ، ألا ترى الجماد من المركبات فإنه لا يمكن رفعها وتصعيدها إلا بإسطوانة رابطة بين الجهتين جهة العلو من جهة الهواء والنار وجهة السفل من جهة التراب والماء ، هذا إذا كانت الغلبة لأحد الجهتين ، وأما التساوي من جميع الجهات فالأطباء والحكماء على امتناعه لاستلزام عدم المكان ، وأما نحن فعلى جوازه وإمكانه

---

[1] الطلاق ١٢ [2] تفسير القمي ٢ /٣٢٨

ووقوعه في الحضرة المحمدية ﷺ كما وصفه الله سبحانه بذلـك حيـث قـال تعـالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ومكانـه أيضـا في الوســط وهــو رتبــة القطبية ، وخلوص مقام الفقر الذي كان يفتخر به و حدوث الكـرة المصمتـة الصحيحة الاستدارة وهذا كمال رتبـة العبوديـة ، ولـذا لما أراد الله سـبحانه وصف تلك الحضرة فحكى عنها بلسانها بقوله عز وجـل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[2] وأشهد أن محمد عبده ورسوله ، ولذا كانت تلك الحضرة المقدسة هي الاسـم الأعظم الذي ينجذب إليه كل شيء وينفعل لــه كـل شـيء لاعتـدال المـزاج وبلوغه رتبة السراج الوهاج ، وأما إذا غلبت إحدى الجهتين فالحكم للغـالب مكانا وزمانا ووصفا وحكما لكن فيه ملاحظة ارتباط مع الجهة الأخرى ، وأما إذا خلصت عن الأعراض والغرائب وبلغت رتبة البساطة فـهي في مركزهـا تدور ولا تلتفت ولا تميل ولا ترتبط لشيء أبدا في تقومها أصلا فلا تحتاج إلى الدعامة لقوله عز وجل ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[3] فلما كـانت السـموات في كمال بساطتها وشرفها وعلوها وخلوصها عن تدنس السـفليات فـهي في مقامها من غير دعامة تسبح الله سبحانه بسبعين ألف لغة كل واحدة لا تشـبه الأخرى فأقامها الله سبحانه مقامها وأدارها حول مركزها فـهي دائمـة الحركـة بمدد الله سبحانه إلى جهة إمدادها واستمدادها إلى ما لا نهاية ولها دعائم ذاتيـة وهي أمر الله الذي قام به كل شـيء قـال سـبحانه ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ

---

[1] القلم ٤ [2] الفاتحة ٥ [3] الصافات ١٦٤

﴿ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾[1] قال عليه السلام ((كل شيء سواك قام بأمرك))[2]، و هو العمد التي لا يرونها قال تعالى ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[3] وتلك العمد هي باب فيض الله من المبدأ إليها أي السموات فتقوم بذلك بمادتها وصورها ، وتلك العمد هي العضد و الركن، قال في الدعاء ((أعضاد وأشهاد))[4] وقال عزّ وجلّ ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[5] فدلت الآية بمفهومها على أنّ الله سبحانه اتخذ الهادين عضدا لخلقه والعضد هو الدعامة ، إلا أنّ لهذه الدعامة حكم ذاتي حقيقي لا تدرك بالحواس الظاهرة بل ولا الباطنة أيضا وإنما تدرك بعين الله سبحانه وطرقه الذي يرى به نفسه وخلقه قال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[6] وذلك النّور هو قول رسول الله صلى الله عليه وآله ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله))[7] و ذلك النور هو نفس الدعامة ، قال صلى الله عليه وآله ((إنّ الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه أبوه النور وأمّه الرحمة))[8] ، وهذه الدعامة هي قول الله سبحانه للشخص ألست بربكم فافهم السرّ .

---

[1] الروم ٢٧ ٢ البحار ٩٠/١٤٨ ح ١٠ ٣ الرعد ٣ ٤ دعاء الإمام الحج عجل الله فرجه
٥ الكهف ٥١ ٦ الأنعام ١٢٢ ٧ معاني الأخبار ٣٥٠
٨ المحاسن ص ١٣١ (بزيادة عبارة (وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية) بعد كلمة في رحمته .

قوله عليه السلام : وأقامها بغير قوائم

يريد مقام الإصدار فإن قيام الشيء بالشيء له أربع مقامات شرحناها مفصلا في تفسيرنا على آية الكرسي عند قوله تعالى ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾[1] والإشارة إليه أن القيام إما قيام صدوري وهو قيام الأثر بالمؤثر والمعلول بالعلة كل واحد في رتبة مقام ، أوقيام تحقيقي ركني عضدي وهو قيام الشرائط بمشروطاتها واللوازم بملزوماتها والصور بموادها والعروق بأصولها ، أوقيام ظهوري كقيام أشعة الشمس بالأرض و قيام الصور بالمرآة ، أوقيام عروضي كقيام الألوان والأعراض بالأجسام .

فقيام الأشياء بفعل الله سبحانه قيام صدوري ليس بينهما اتصال ولا انفصال ولا تباين ولا تناسب ولا تضاد ولا توافق ولا اجتماع ولا افتراق ولا غيرهما من الأحوال المتعلقة بالخلق الظاهرة ، لأن فعله سبحانه قد سبق هذه الأشياء كلها فلا يوصف بها ولا يجري عليه ما هو أجراه .

---

[1] البقرة ٢٥٥

وقيام الأشياء بموّادها و صورها قيام ركني عضلي أي كل واحد منـهما عضد و دعامة مستقلة في تكوّنه و إصداره و انصداره ، وهذا القيـام يشـترط فيه التناسب والتّوافق والاتصال وعدم البينونة الافتراقيّة وقيامـها بمظاهرهـا أي قيام المبادئ والعلل الظاهرة بأركان ظـهورها الـتي هـي نفـس معلولاتـها وعين أثرها قيام ظهور وهو قوله عزّ وجلّ ((فخلقت الخلق لكي أعـرف))[1] وهذا هو السّر في معموليّة الفاعل للفعل في قولك ضرب زيـد عمـروا فـإنّ زيدا مرفوع على الفاعليّة و العامل فيه هو ضرب و هو فعله فافهم.

فالموجودات على أقسام و أنحاء منها ما يحتـاج إلى الغـير ويقـوم بـه في هذه القيامات الأربعة وهو أضعفها كالألوان ، ومنـها مـا يحتـاج إلى المقـوم في الثلاثة كالوجود المقيد بأسره فإنّ كل واحد من أجزائه وجزئيّاته متقوم بمادتـه و صورته قيام تحقق وعضد وركن ، وبعلّته ومصدره وموجـوده قيـام صـدور ، ومادته متقومة بصورته قيام ظهور ، وصورتها متقومة بمادّته قيام تحقـق و قيـام عروض أيضا على اعتبار ، وهذه الموجـودات تختلـف أحوالها وأوضاعـها في اللّطافة والكثافة بحسب قلّة الافتقار إلى حدود الصّورة و أجزائها و متمماتها و كثراتها ، وإلى تركب المـادة البسـيطة أشـرف وأعـلا مـن المفتقـر إلى المـادة المركّبة ، والمركبة بالتركيب الأول أعلا و أشرف من التركيب الثّـاني ، وكـذا الصّورة وهكذا إلى ما لا نهاية له بحسب الأكوار والأدوار والأطوار والأوطـار

---

[1] البحار ٨٧ / ٩٩

و هذين القسمين من الموجودات لا رجحان لوجودهما وكونهما لأنهما متوقفان في الكون الوجودي العيني إلى الشرائط الخارجة عن حقيقة ذاتها فإن وجدت الشرائط وجدا وإلا علما بالعدم الإضافي الإمكاني .

ومنها ما لا يحتاج إلى الواحد وهو المصدر خاصة ولايترتب وجوده على شرط وحكم خارج عن حقيقة ذاته كالإمكان الراجح والوجود الراجح ، والله سبحانه لما استوى برحمانيته على العرش فأعطى كل ذي حق حقه فأعطى ذي الأربعة وذي الثلاثة حقهما و ظهر بنوره سبحانه وتعالى في ذي الواحدة فتجلى له به و أظهر أمثاله و آيته ودليله فيه فهو فاعليته فيه وفي الأشياء وهو فاعل فعل اللازم الذي لا يتعدى إلى المفعول به إلا بأمر خارج عن حقيقة ذاته ، فالسموات إن كان المراد بها سموات عالم الإطلاق فالقوائم والاعضاد كلياتها بها منتفية هناك مما ترى وما لا ترى لأن تلك هي أفلاك الأنوار التي تمحى بها الأغيار ، والقوائم أغيار وهي تستلزم الأكدار قال مولانا سيد الشهداء الصديقين روحي فداه ((محقت الآثار بالآثار ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار))[1] فتدور تلك السموات دورة متوالية لا إلى نهاية لها بل ليس هنا توالي وعدمها ، وإنما تدور على قطبها لا إلى جهة ولذاكانت الجهات كلها جهاتها قال تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[2] قال الحجة عجل الله فرجه و جعلني فداه ((ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان

---

[1] الإقبال ٣٥٠ دعاء عرفة للحسين عليه السلام [2] البقرة ١١٥

..الخ))[1] ، فلو كان لتلك المقامات جهة ومكان لكان لها تعطيل ، وتلك السموات هي التي سمع أيوب صوت حركة أفلاكها سماعا جزئيا ولم يطق حتى شك وبكى وقال هذا أمر عظيم و خطب جسيم فأوحى الله تعالى إليه ما أوحى وابتلاه الله سبحانه ما ابتلا به كما هو في حديث سلمان و يأتي بيانه إنشاء الله مفصلا مشروحا ، وتلك السموات لا محور لها إذ لا غاية لسيرها ولانهاية لكرّها سبحان من هو ملكه دائم لا يزول .

وإن أريد بها سماوات عالم التقييد على ما هو المحقق عندنا لا على ما يعرفون من معنا الإطلاق و التقييد فتلك السموات لها دعائم ذاتية غير مرئية وهي مواد وجوداتها و ذوات أعيانها و أكوانها السائرة لا إلى جهة المسخّرة لها إليها لأن تلك رشح تلك السموات ودليل ذلك العالم البحت البات وصورها وأشباح هياكلها وأمثالها السائرة إلى جهة لكون سيرها إلى المحور وعلى المحور فحدث لها قطبان قطب جنوبي وقطب شمالي فيكون لها مشرقان فهنالك التدبير لحكم التقدير ، ولما كانت تلك الأشباح و إن كانت كما قال الله عز و جل ((وطبيعتك من خلاف كينونتي))[2] لكنها على ما قال سبحانه كما في الحديث القدسي ((إني جعلت معصية آدم سببا لعمارة الدنيا)) كانت تلك الأشباح حجبا رقيقة و أستارا دقيقة لا تمنع من نفوذ النور من عالم السرور فاستولى عليها حكم ذلك الصقع فخرجت مشابهة له و حاكية عنه فظهرت

---

[1] دعاء الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه في رجب

[2] علل الشرائع ١٠

بهيئة الاستدارة لبيان العبارة ، فاستدارت على نفسها في مركزها من جهة مبدئها و خالقها وما ارتبطت بشيء آخر غيره فأقامها الله سبحانه مقامها وما ربطها بقائمة ودعامة غيرها وتفضل عليها بالتأثير لأنها وصلت مقام (أجعلك مثلي) حيث عملت على مقتضى الأولى (أطعني) وهذا معنى قولهم أحسن الأشكال شكل المستدير ، فصارت السموات مرتفعة ظاهرا و باطنا بغير قوائم وحيث أن مولانا الإمام الرضا آتيت لها قوائم ودعامة و استدل بمفهوم الصفة و أشار إلى حجيته في قوله تعالى ﴿ رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ﴾[1] فلا بأس أن نشير إلى قوائمها الغير المرئية فنقول أن الدعامة العظمى و القائمة الكبرى لكل السموات وما فيهن وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن هو أمر الله سبحانه القائم به كل شيء وهو الجوهرة الإلهية و اللطيفة الإكسيرية السارية في كل أكوان البرية قال أمير المؤمنين وإن من شيء إلا و فيه منه أصل أوفرع وهذا مادة الإكسير ويصلح للتعلق بكل اسم لكل فلز من فلزات العالم و السماء السابعة لها دعامة من تلك الدعامة الكبرى إلا أنها من الدرة البيضاء و السماء السادسة لها دعامة من الزمردة الخضراء و السماء الخامسة لها دعامة من الياقوتة الحمراء و السماء الرابعة لها دعامة من الذهب و السماء الثالثة لها دعامة من العقيق الأصفر و السماء الثانية لها دعامة من الحديد المزعفر و السماء الأولى لها دعامة من الفضة

---

[1] الرعد ٣

البيضاء الصافية وهذه دعائم الأفلاك و قوائمها إلا أنها ليست مستقيمة و إنما هي مستديرة وكل ذلك صفة العمود الذي من النور عند أهل البيت المعمور لأن الله تعالى يعطي وليّه عمودا من نور يرى به أعمال الخلائق في تكوينهم و تشريعهم و ذواتهم وصفاتهم و قراناتهم و اعتباراتهم حين التكوين وقبله وبعده وذلك العمود هو أول ظهور النور الأمري وهو دعامة العرش و قائمته فافهم وإلا سلم تسلم ، ثم اعلم أن المتبادر من القوائم هوإلاربعة إذ ذات القوائم هي التي كل أضلاعها تكون قائمة و هذه لم يتحقق إلا في المربع فتعليق الإمام الإقامة بالقوائم إشارة أن الشيء لا يقوم ظاهرا معروف الحكم مشروح الأسباب ومبين العلل إلا بأربعة أضلاع بتمام الوفق المربع فمهما نقص منها ضلع واحد لا يتحقق ولا يتقوّم ولذاكان شكل المثلث شكل الإعدام وإلافناء وإلاهلاك بخلاف المربع فإنه للتأليف و المحبة و المودة ولا تتوهم أن ذلك ينافي ما أطبق عليه علماء الهيئة ودلت عليه التجربة إن نظر التثليث في الكواكب نظر محبة وصداقه و ألفه و نظر التربيع نظر العداوة و البغضاء لأن التثليث عندهم هو التربيع و التربيع هو التثليث و اختلفوا في الاسم بحسب الظاهر للأمر الظاهري من بعدهما بثلث الفلك أوربعه و ثلث الفلك هو مائة و عشرون درجة و هذا مربع لكونه مخرج الربع بخلاف ربع الفلك لأنه تسعون وهو مخرج الثلث وليس له

مخرج الربع أبدا أبدا فيكون مثلثا فنظره عداوة و خسار و لهذا الكلام مرادات
كثيرة طويتها للتطويل .

قوله عليه السلام : و زينها بالكواكب المضيئات

اعلم أن الله سبحانه لما خلق نار الشجر الأخضر نظرت إلى نفسها فخمدت و بردت ثم نظر إليها الرب سبحانه و تعالى فذابت و ماعت فخلق الله سبحانه من نارها الأفعال التي من صفاتها عند ظهور المثال الفاعل ومن برودتها وخمودها وجمودها المفعول ومن الرطوبة الذاتية السيالة ارتباط الفاعل إلى المفعول وارتباط المفعول إلى الفاعل فإذا تعددت المفاعيل تعددت وجوه تلك النار في ذلك المفعول الذي هوالأرض والماء بنفخ ريح الجنوب فأدام الملك في الملك ورجع من الوصف إلى الوصف فإن كان ذلك في صقع واحد يكون التعدد في الأشخاص وإن كان في صقع مختلف فإن كان على جهة الإنجماد فالفاعلية على حسب تلك الجهة فإن كان في العقول يظهر الفاعل باستوائه على العرش الذي هوالعقل الكلي وبظهوره ووجوهه في العقول الجزئية فكانت فاعلية كل جزء ووجه من العقول هوالوجه الجزئي من العقل الكلي الذي ظهر له به وإن كان في عالم النفوس يظهر باستوائه على العرش الذي هوالنفس الكلية وبظهوره ووجوهه في النفوس الجزئية فكانت فاعلية كل جزء ووجه من النفوس هوالوجه الجزئي من النفس الكلية التي ظهر لها

بها و هكذا إلى عالم الأجسام ولما كان الفاعل إنما يوجد المفعول في رتبة المفعول لا في رتبة ذاته يكون ظهور الفاعلية على حسب ذلك المفعول فإن كان المفعول غيبا كان الفاعل بظهوره كذلك وإن كان شهوديا كان الفاعل أيضا بظهوره شهوديا وهكذا الحال في كل الأحوال في كل الأطوار إلا أن في كل عالم فظهرت ذلك النار التي هي مثال الفاعل وظهوره على كل ذلك العالم مجملا ثم تظهر بوجوهه ورؤوسه في تفصيل ذلك العالم فلما كان الفاعل محيطا بجميع مراتب المفعول وقد قلنا للفاعل في كل عالم ظهوران إجمالي وتفصيلي فيكونان هذان الظهوران فلكين محيطين بكل مراتب المفعولات ، وفي الفلك الثاني الذي هو مقام التفصيل تظهر شعلات تلك النار متمايزة بالتعلق إلا أن تلك الشعلات في كل عالم بحسبه ، فإن كان في عالم الأرواح فأنوار ، وإن كان في عالم الأجسام فشعلات جسمية نورية حاملة لظهور الفاعل على حسب استعداد القابلين ، وتلك الشعلات التي هي حوامل ظهور الفاعل بالتدبير والتقدير هي الكواكب لينطبق الظاهر بالباطن والمعنى باللفظ ، ولما كان الفلك الأول لا كثرة فيه لكونه مقام الإجمال لم يظهر كوكب فيها لشدة اللطافة ، وأما الفلك الثاني فمن جهة كونه مقام التفصيل ظهرت الكواكب فيه مفصلة مشروحة فكان كل كوكب مظهر فعل من الأفعال الجزئية ومتعلقا بمفعول من المفعولات السفلية ، والفلك بمنزلة جسد الكوكب والكوكب بمنزلة قواه لا يستغني أحدهما عن الآخر بل قوام

الفلك بالكوكب كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ((إن أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن الكواكب أمان لأهل السماء))[1] ، فجعل الله سبحانه الكواكب كلها في الفلك الثاني ، فالله سبحانه زين السموات بالكواكب وجعل الكواكب كلها في الثامن وأمد الأفلاك بها و جعل لكل فلك من السبعة كوكبا واحدا ، والوجه كما ذكرنا لأن الكواكب هي مظاهر التدبير ومحال مشيئة الله المتعلقة بالعوالم الجسمية ومهابط التّجليات الروحانية ومواقع الفيوضات الرحمانية في المقامات التفصيلية ، ولما كان الكرسي هو محل التفصيل ومظهر الأنوار العرشية من الجليل والقليل ظهرت الكواكب التي هي محال تلك الأنوار ومجالي تلك الآثار على التفصيل فيه فليس للكوكب موقع ومحل إلا هناك وإلا لم تكن الكواكب أسباب التأثير أولايكون الكرسي مقام التفصيل وقد دلّ الدليل العقلي والنقلي على الأمرين ، وهو مثال اللوح المحفوظ والنفس الكلية والظاهر طبق الباطن كما أن العرش مثال القلم والعقل ،وأما السبعة فلما كانت أسباب التمكين وآلات التكوين و بدونها لم تتحقق الفيوضات والوجودات في العالم السفلي وقد قلنا أن المؤثر في الحقيقة هوالكوكب والفلك هو محل لذلك وإن كان له أيضا تأثير من نوع تأثير الكوكب ، ونظيرهما في العالم الصغير هوالقوى الأربع بالنسبة إلى كلّ البدن

---

[1] لم نقف على هذا الحديث كما ذكره المصنف أعلى الله مقامه ولكن وجدنا ما يقرب منه في علل الشرائع صفحة ١٢٣ وهو ((النجوم أمان لأهل السماء كما أن أهل بيتي أمان لأهل الأرض)) .

من الجاذبة والهاضمة والدافعة والماسكة وجب أن يكون كل فلك من السبعة محلا لكوكب .

وأما وجه انقسام الكرسي من جهة الكواكب إلى البروج والمنازل والدرج واختصاص كواكب البروج والمنازل بأغلب التأثيرات دون غيرها فاعلم أن النفس الرحماني الأولي أوالثانوي لما تعلق بالإيجاد على جهة الابتداء ظهر من كل واحد منها على جهة الترتيب ثمانية و عشرون اسما من أسماء الله سبحانه وبها قوام الأكوان والأعيان والانقلابات التي تقع في الزمان والمكان ، ولذا جرت الحروف التدوينية التي هي أصول الصفات الحرفية والأشباح المنفصلة من كل التأثيرات والتركيبات الغير المتناهية على ذلك العدد ، فتلك الأسماء مظاهر ومجالي تظهر في كل عالم بحسبه فظهرت في الصفات الحاكمية التدوينية حروفا وفي العوالم الغيبية حقائق وفي العوالم الشهودية كواكب ، ولذا انقسمت منطقة البروج إلى هذه الأقسام الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر لأنها المبادئ والعلل في الجسمانيات وهو مقام الباء في البسملة ، قال عليه السلام ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) ، وهنا وجه آخر دقيق وهوما قلنا سابقا أن الوجود مع ما فيه من الأحوال والأوضاع إنما هو متقوم بيد الله سبحانه وكل ما في الكون قبضات تقبضة اليد إما باليمين أو بالشمال وإن كانت كلتا يديه يمين فالإشارة

إلى الأول قوله عز وجل ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[1] .

والإشارة إلى الثاني قوله عز وجل ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[2] ، والإشارة إلى أن كل الوجود بيد الله سبحانه قوله عز وجل ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[3] واليد قد ظهرت في اليمين والشمال وهما اليدان و كل يد مشتملة على أربعة عشر عقد فالمجموع ثمانية وعشرون وهو عدد المنازل وأربعة عشر منها نورانية أبدا وهي(صراط علي حق نمسكه) وأربعة عشر منها ظلمانية أبدا لتمام ظهور اليدين في المقامين .

وأما البروج فاعلم أن الأسماء الكلية التي عليها مدار الكون إثنى عشر اسما وهو قوله عليه السلام ((إنّ الله خلق اسما بالحروف غير مصوّت)) إلى أن قال عليه السلام ((فجعله أربعة أجزاء ليس واحدا منها قبل الآخر و حجب واحدا منها وهوالمكنون المخزون و أظهر ثلاثة منها لفاقة الخلق إليها ثم

---

[1] الزمر ٦٧   [2] الأنعام ١٢٥ – ١٢٦   [3] المائدة ١٦٤

جعل لكل واحد أربعة أركان فذلك اثني عشر ركنا))[1] وهذه الإثني عشر هي الأصول وعليها يدور الأملاك الأربعة جبرائيل وعزرائيل وإسرافيل وميكائيل وبها قامت أركان العرش ، ثم يفصل كل ركن أو قل كل اسم إلى ثلاثين اسما أوركنا فيكون التقسيم في الإثنى عشر ثلاث مائة و ستين اسما و كل هذه الأسماء مندرجة تحت هيمنة اسم الله والرحمن ، ولما كانت رتبة الألوهية رتبة البساطة والقدوسية والتنزيهية وليس فيها تكثر الأسماء والصفات والإضافات إلا ذكرا ومكانا وإجمالا ، والظهور في عالم البروز إلى هذه المراتب والمقامات والأسماء والصفات في رتبة الرحمانية والعوالم متطابقة والأكوان متناسقة جرت الحكمة في إبداع عالم الشهادة والأجسام على ذلك النهج ، ولما كانت المشابهة والمناسبة بين الأثر وصفة المؤثر مما لا بد منه ليمكن للأثر التلقي والاستفاضة من المؤثر وجب أن تكون لتلك الأسماء مظاهر تتجلى بها في العوالم الشهودية ، وقد أثبتنا أن المبادئ العالية في الكون الجسمي هي الأفلاك لا غير إذ لا ألطف وأشرف منها فوجب أن تكون هي المظاهر ، ولما كانت الألوهية والرحمانية لهما هيمنة وتسلط وإحاطة على كل الأكوان والأسماء ، فكذلك الفلكان الأعظمان لهما إحاطة تامة لكل الأجسام ، ولما كانت الألوهية مقدمة ومحيطة على الرحمانية كان مظهرها في عالم الأجسام وهوالفلك الأول كذلك ، ولما كانت الألوهية ليس فيها الكثرات الأسمائية إلا

---

[1] الكافي ١/٨٧ - ٨٨

بالذكر وجب أن يكون المظهر على هيئة الظاهر فلم يكن في الفلك الأعلى كوكب وكثرة بوجه من الوجوه ، ولما كانت الرحمانية تحت الألوهية وعندما ظهرت الأسماء وفصلت ووجدت المتعلقات والأسماء المتقابلة كان مظهرها تحت مظهر الألوهية ، ولما كان مظهر الألوهية هوالفلك الأول كان مظهر الرحمانية هوالفلك الثاني ، ولما كانت الكواكب على ما عرفت مظاهر التدبير و مواقع الأسماء ظهرت الكواكب كلّها في فلك البروج فظهرت أولا مبادئ الأسماء وأصول مظاهرها وهي الكواكب المركوزة في منطقة البروج المحيطة بكل ذرة من ذرات الوجود فكانت البروج إثنا عشر على طبق الأسماء والأركان الإثني عشر فطابق المظهر الظاهر ذلك تقدير العزيز العليم .

ثم قسّم كل برج ثلاثين قسمة على قياس تقسيم كل من الأسماء الإثني عشر إلى ثلاثين اسما منسوبا إليها فبلغت الأسماء إلى ثلاثمائة وستين كذلك البروج قد قسمت على ذلك النهج فصار تقسيم مجموع الدورة ثلاث مائة وستين درجة وهي تمام الدورة ، وقد علمت أن الكواكب كلها في الكرسي وما سواه من الأفلاك ليس في كل منها إلا كوكب واحد وأما قوله سبحانه ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴾[1] فالمراد به الدنيا بمعنى الأدون ، فإن السماء الحقيقة سماءان سماء عليا و سماء دنيا فالعليا هي العرش وهوالفلك الأعظم ثم من بعدها تكون

---

[1] الصافات ٦ – ٧

السماء الدنيا والسماء الدنيا هي الكرسي على هذا الاعتبار والكواكب كلها مركوزة فيه على الواقع ، ويراد من السماء الدنيا آخر الأفلاك كما هو الظاهر المتبادر من إطلاقات كلمات أهل العصمة عليهم السلام ، فحينئذ يكون المراد بتزيينها بالكواكب لكونها أول محط نظر الناظر فتظهر الكواكب فيها منطبعة كالهواء المنطبع فيها الصور والهيئات والأشكال والمقادير ، وعدم الظهور لا يستلزم عدم الوجود مع أن هذا أمر واضح فإن الكواكب تختلف هيئاتها بحسب النظر لغلظة الهواء ورقته وكثافته ولطافته ألا ترى الشمس في بعض الأيام كبيرة عند الطلوع فإذا بلغت كبد السماء تصغر وكذا القمر وكذا سائر الكواكب و ليس ذلك إلا للانطباع وإلا فذات الشيء الواقعي لم تتغير ولم تتبدل ولم تزل على حالها والتغيير دليل الانطباع كصورتك في المرآة ، فعلى هذا كل ذلك من الأفلاك يحكي الكواكب بل كل السوافل إذا كانت صيقلية ألا ترى المرآة والماء وسائر الأجسام كيف تحكي الكواكب بمثالها و شبحها وهي في مكانها فإذا أريد بيان أمر من الأمور يذكر ما هو الأقرب إلى المبين له فتكون السماء الدنيا أعم من فلك القمر وكرة النار وكرة الهواء و كرة البخار والهباء فإن السماء تطلق عليها كما في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾[1] .

---

[1] البقرة ٢٢

وأما كيفية تركيب الكواكب وخلقتها فـاعلم أن الله سـبحانه خلقـها سبع طبقات من صفوالعناصر الأربعة مـن عـالم هورقليـا كـل كوكـب علـى حسب ما فيه من القوة وتختلف قـوى الكواكـب وطبائعـها ، والدليـل علـى اختلاف طبائعها اختلاف ألوانها وأعمالهـا وآثارهـا وأشـعتها وتأثيراتـها في العالم السفلي ، ولا تسمع إلى ما يقولون من أنّ الأفلاك بسيطة ليست مركبة من الطبائع المختلفة فإن ذلك إنكار للإحساس والوجدان ودليل العقل يأبى عن ذلك ، إذ مـن المحـال أن يجعـل الله سـبحانه الشـيء الواحـد في الطبيعـة والمزاج والذات مختلف الأحوال والتأثير والألوان وما هكذا جرت عادة الحـق سبحانه لأن ذلك يستلزم الجبر وخلاف الحكمة ، بـل الكواكـب مركبـة مـن الطبائع المختلفة فالشمس من نور النار وصفاء الماء ، والقمر من صفـاء المـاء ونور النار ، وزحل من صفوالتراب وخالص الماء ، والزهـرة مـن صفوالهـواء وهكذا ، وهذه العناصر ليست من عناصر هذه الدنيا وإنمـا هـي مـن عنـاصر أسفل هورقيليا .

وقولي أنها سبع طبقات أريد به وفاقا لأخبار الكمال المطلق فإن صنـع الله سبحانه على نظم محكم متقن وخلقه على طور واحد ، والشـيء لا يـبرز في الوجـود إلا جامعـا للأصلـين أصـل راجـع إلى المبـدأ وأصـل راجـــع إلى نفسه ، فالأصل الأول مبدأ الفرد لفردية المبدأ ، والأصل الثـاني مبـدأ الـزوج

لزوجية المصنوع ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[1] و مبدأ الفرد ليس إلا الثلاثة ، لأن الفرد الظاهر في المفعول والمقترن به ليس إلا الواحد وهو ليس إلا الثلاثة لنظر ذلك الواحد حين الاقتران إلى أعلاه وأسفله و نفسه ، وهذه الثلاثة في عالم الجمع يعبر عنها بالواحد وفي عالم الفصل والفرق يعبر عنها بالثلاثة ، ومن هذه الثلاثة في عالم النور يعبر عنها بالظاهر والمظهر والظهور ، و في عالم الخلط والمزج يعبر عنها بالعقل والنفس والجسد وهكذا الأمر في كل شيء فافهم إن شاء الله .

ومبدأ الزوج ليس إلا الأربعة لأن التأليف لا يتحقق إلا بقيام الزاوية ولا يكون كذلك إلا المربع والمثلث القائم الزاوية مربع حقيقة .

ولما كانت كل الأشياء جامعة لهذين الأصلين خرجت كلها في الوجود مسبعة إلا أن هذا التسبيع يختلف في الخفاء والظهور فكلما هو أقرب إلى النور وإلى المبدأ أظهر في الفعل والتأثير لأنه جامع مملك فيكون واسطة في الإيجاد في المراتب السبعة كلها ولذا ترى مبادئ الكون من حيث الكمال إما سبعة أومثناها قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[2].

روى علي بن إبراهيم عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن الشمس لأي شيء صارت أشد حرارة من القمر فقال عليه السلام ((إن الله خلق الشمس من نور النار وصفوالماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى إذاصارت سبعة أطباق

---

[1] الذاريات ٤٩ ٢ الحجر ٨٧

ألبسها الله لباسا من نار فمن هنالك صارت الشمس أحر القمر ، قيل : فالقمر ، قال عليه السلام : إن الله خلق القمر من ضوء النار و صفوالماء طبقا من هذا و طبقا من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها الله لباسا من ماء فمن هناك صار القمر أبرد من الشمس))[1] وشرح كيفية هذه الأطباق وبيان حقيقة المزج يطول به الكلام فاكتفينا بذكر الحديث وما تقدم من الكلام ينبئ عن هذا المرام.

قوله عليه السلام ((الكواكب المضيئات)) أما الشمس فلا شك ولاريب أن ضوئها ذاتي ليس بمكتسب وحديث ((الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي))[2] لا يراد منه حكم الجسمي وإنما يراد منه الإمداد الباطني الحقيقي ، وقولي أن ضوءها ذاتي لا يراد به أنها مستقلة في ذلك كلا و حاشا بل على ما روى الصدوق في التوحيد بإسناده عن أبي ذر قال ((كنت آخذا بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نتماشى جميعا فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت ، فقلت : يا رسول الله أين تغيب فقال صلى الله عليه وآله وسلم: في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخر ساجلة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، ثم تقول يا رب من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي فذلك قوله عز وجل ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[3] ، يعني بذلك صنع الرب

---

[1] تفسير القمي ٢/١٧ [2] التوحيد ص ١٠٨ [3] يس ٣٨

العزيز في ملكه العليم بخلقه ، قال : فيأتيها جبرائيل بحلة ضوء عن نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أوما بين ذلك في الخريف والربيع ، قال فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جوالسماء حتى تطلع من مطلعها قال النبي ﷺ فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسي ضوء و تؤمر أن تطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴾[1] ، والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش ثم يأتيه جبرائيل بالحلة من نور الكرسي و ذلك قوله تعالى﴿ جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾[2]))[3] .

وروى الكليني في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام ((إن للشمس ثلاثمائة وستين برجا لكل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كل يوم على برج منها ، فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد ، ثم ترد إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها ، وإن وجهها لأهل السماء و قفاها لأهل الأرض ولو كان وجهها لأهل الأرض لاحترقت الأرض ومن عليها من شدة حرها ، ومعنى سجودها ما قال سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ

---

[1] التكوير ١ – ٢   [2] يونس ٥   [3] التوحيد ٢٨١

أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]))[2].

فمعنى ذاتيّة ضوء الشمس مع ما ذكر في الحديثين الشريفين أنّ الله سبحانه وهبها النور تفضلا ومناً لما سألت الحق سبحانه عن ذلك لما منّ الله عليها بقوة الطلب فهي دائما تسأل النور والله سبحانه يمدها به من جوده وموهبته ويله فيفيض سبحانه بها على ما سواها ، والوجه في ذلك ظاهر ظاهرا وباطنا

أما الأول فلأنّ الشمس إذا غابت تغيب معها الأنوار كلها فلو لم تكن الأنوار لها أو هي مكتسبة مما هو أقوى منها يجب أن يقوم ذلك النور مقام نورها إذا غابت ولم تحدث الظلمة ، كالقمر إذا غاب يقوم نور الشمس مقام نوره وهو أقوى منه وذلك في محل المحاذات ، مع أنّ الشمس إذا ظهرت تغيب أنوار غيرها من الكواكب ، ولا شك أن القويّ يضمحل عنه الضعيف فلو كان في الكواكب ما هو أقوى منها لما خفي عند ظهورها لأن العالي إذا أشرق يضمحل السافل كنور السراج عند نور الشمس ، وهذا ظاهر معلوم .

---

[1] الحج ١٨

[2] الكافي ٨ / ١٥٧ ح ١٤٨

وأما الثاني فاعلم أن الشمس مربية للوجود الثاني في السفليات وهي مربية للمواد ، والمواد أصل لوجود الشيء فإن الشيء ليس إلا مادة وصورة ، والصورة ليست إلا الحدود والعوارض والهيئات ، و هي لا قوام لها إلا بالمادة ، ولا شك أن المادة هي جهة الفاعل لعلوها وشرفها ووحدتها وبساطتها ، والصورة هي جهة القابل لاختلافها وتكثرها وتضادها ، ولما كان الأثر يشابه صفة مؤثره وجب أن يكون مربي المادة أشد وأقوى وأظهر وأتم وأثبت وأنور من مربي الحدود والصور أوالمجموع من حيث الصورة وإلا لزم عدم دلالة الأثر على المؤثر فإن الأثر القوي يدل على المؤثر كذلك ، ولما كانت الشمس هي مظهر الفاعلية لكونها تربي المادة التي هي جهته وجب أن تكون نيرة لذاتها من غير الاكتساب لكون الفاعل نير بذاته قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[1] ، والمظهر لو كان له جهة من غير جهة الظهور لم يكن مظهرا فوجب أن تكون الشمس مضيئة بذاتها أي بأن جعلها الله سبحانه حين خلقها كذلك ، فلما كانت هي مظهر الفاعلية فتكون مستوى الرحمن وقلب الإنسان فتدور الكواكب الأخر التي هي بمنزلة القوى والآلات لها فوقها وتحتها كالقوى الإنسانية بالنسبة إلى قلبه ، فظهرت فيها الأنوار وصارت مجمع الأسرار فأمدت الفلك السابع أي كوكبه وهو زحل من ذات النور الأبيض فكان باردا يابسا كما قال الرضا عليه السلام ((ما بعث الله

---

[1] النور ٣٥

نبيا إلا صاحب مرّة سوداء صافية))[1] وحارا ورطبا ليحكي مثال الشمس الظاهر فيه فإنّ النبوة هي الشمس ، وأمدّت السماء الأولى الدنيا أي كوكبها وهوالقمر من صفة النور الأبيض التي هي الحياة والتصوير ، وأمدت السماء السادسة أي كوكبها وهوالمشتري من ذات النور الأخضر فكان باردا رطبا ، وأمدت عطارد صاحب السماء الثانية من صفته ، وأمدت المريخ من ذات النور الأحمر ، وأمدّت الزهرة من صفته ، فكانت الكواكب الستة كلها مستملة من الشمس ومكتسبة عنها لأنّ حكم الله سبحانه وتعالى في الأكوان واحد كما أنّ الفيض إنما يصل إلى شئون كل شيء وإضافاته وأحواله وأطواره وأوطاره بواسطة الفيض المفاض على مادة ذلك الشيء ، كذلك العلّة المادية المطلقة بالنسبة إلى العلة الصورية وقد بينا أن الشمس هي العلة المادية بمعنى أنّ المواد إنما تربى بنظرها فتكون العلل المتعلقة بشئون المواد مكتسبة عن العلة المتعلقة بأصل المواد و هذا معنى قوله عليه السلام ((و بالمشيئة كانت الإرادة وبالإرادة كان القدر وبالقدر وكان القضاء)) و قوله عليه السلام ((لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة فقد كفر ، و في رواية أخرى فقد أشرك))[2] ، ولما كان عالم الوجود المطلق الذي هوعالم الفعل عالم البساطة والوحدة كان اعتبار المقامات السبعة فيه على جهة

---

[1] تفسير القمي ٢ / ٣٣٤

[2] الكافي ١ /١٤٩ ح ١

التعلق والالتفات والتوجه إلى المتعلق ، ولما كانت الكواكب هي مظاهر الأفعال في عالم التفصيل أي عالم الأجسام خرجت تلك السبعة التي لا يكون شيء إلا بها مفصلة مشخصة إذ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، والسافل هو تفصيل وجوه العالي ولما كانت المشيئة في تلك المراتب هي الأصل وسائر المراتب كلها عنها تشعبت وتأصلت و هي وجوهاتها وأولادها كان الأمر كذلك في عالم التفصيل ، فمثال المشيئة التي هي الشمس أصل لمثال المراتب الأخر التي هي الكواكب الأخر ، وإنما كانت الشمس مثالا للمشيئة لأنهم فسروا المشيئة بأنها الذكر الأول للشيء والمراتب الأخر حدود لذلك الذكر والذكر الأول للشيء لا يكون إلا إحداث مادة الشيء إذ ليس للشيء قبل مادته ذكر أصلا إلا في الإمكان والصلوح ، ولا شك أن الشمس هي مربية للمواد فتكون مثالا للمشيئة في عالم المواد فتكون أصلا للكواكب الستة الباقية ألا ترى السبع المثاني في قوله عز وجل﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾[1] إن الأصل فيهم واحد والباقون كلهم متشعبون منه وهوالشجرة والباقون أصلها وفرعها ولقاحها و تلك السبعة هي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وجعفر وموسى عليهم السلام (ااا مح ااا هـ و) فإذا ثنيت تكون أربعة عشر كما ظهر في الخاتم المكرم سبعة بأربعة عشر حرفا ، ولاشك أن محمدا صلى الله عليه وآله هوالشمس فيهم وهو أفضلهم وسيدهم

---

[1] الحجر ٨٧

وهم مستضيئون بضوئه كالضوء من الضوء صلوات الله عليهم أجمعين ، و
كذلك الأمر قد جرى في مثال تلك الأمثال العليا الأسماء الحسنى ، وكذلك
الأمر في السبعة الإنسانية وهي قلبه اللحم الصنوبري وصدره الذي هو وعاء
لقلبه والبطون الخمسة التي هي الدماغ التي هي محل المشاعر الخمسة ، ولا
شك أن القلب هو سيدها ومولاها وفخرها وشرفها وكلها تستمد منه وهو
محل الحرارة الغريزية التي هي حياة كل البدن بها وتلك الستة رؤوسها
وألطف ما في البدن من القوى والآلات فصارت محلا للأرواح ومسكنا
لظهور الأشباح ، والقلب هو مثال الشمس لكونها هي الحرارة الغريزية
للعالم ، ولذا إذا كورت الشمس تتكدر النجوم فإن كان تكويرا تفكيكيا
يخرب العالم ويفسد النظام ، وإن كان إنكسافيا يحصل خلل كلي بقدر
الكسف من محاذي المنكسفة عنه فيجبر ذلك بالصلاة كالحرارة الغريزية إذا
انطفت في البدن ينطفئ سراج البدن فإن البدن لتلك الحرارة كالدهن للنار
وإصلاح البدن وإفساده بحسب قوة الحرارة الغريزية وضعفها وصفائها
وكدوراتها كما هو مقرر عند الأطباء ، ولا شك أن القوى كلها مستملة منها
فإذا ثنّيت هذه السبعة بالروح والجسد فإنّ القلب روح واللحم الصنوبري
جسده وكذلك الصدر و سائر القوى فيكون المجموع أربعة عشر ، فجسد
الشمس وروحها كليّان بالنسبة إلى غيرها كالقلب فافهم.

فدل العقل والنقل والآيات الآفاقية والأنفسية على أن الشمس هي الأصل في الكواكب السبعة وضوء الكل مكتسب عنها ، وأما الكواكب الأخر المركوزة في الفلك الثامن فضوؤها لظهورها أيضا منها وإن كانت لذاتها من العرش بالكرسي ، أما في عالم الوجود المطلق فالكواكب هناك هي الأعيان الثابتة في العلم الإمكاني في الإمكان الراجح ، ولا شك أن ذلك غيب لا يظهر في الكون العيني والكوني مشروح العلل مبين الأسباب إلا بالمشيئة التي هي مثالها الشمس كما مر ، وأما في عالم هياكل التوحيد وقصبة الياقوت فجلال القدرة التي هي الولاية المطلقة لم تظهر إلا عند الطواف حول جلال العظمة فكان جلال العظمة التي مثالها الشمس سببا لظهورات جلال القدرة كما قال النبي صلى الله عليه وآله ((أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر و كان يطوف حول جلال القدرة فإذا انتهى إلى جلال العظمة ثمانين ألف سنة خلق الله نور علي عليه السلام فكان نور علي عليه السلام يطوف حول جلال القدرة ونوري يطوف حول جلال العظمة)) و ظاهر جلال القدرة هي اللواء الذي يؤتى به في القيامة والنبي صلى الله عليه وآله على الوسيلة وهي المنبر التي لها ألف مرقاة ومن كل مرقاة إلى الأخرى عدوالفرس والجواد ألف سنة ، وعلي عليه السلام تحته بمرقاة وذلك اللواء له سبعون ألف شقة وكل شقة تسع الخلق أجمعين فتعطى النبي صلى الله عليه وآله وهو يسلمها بيد علي عليه السلام قال صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي عليه السلام حامله و أعطيت الحوض و علي عليه السلام ساقيه و أعطيت الجنة

والنارو علي عليه السلام قسيمها))[1] والنبي الطائف حول جلال العظمة هوالشمس والولي الطائف حول جلال القدرة قبل الطائف حول جلال العظمة هوالكرسي ، والولي الطائف حول جلال القدرة بعد الطائف حول جلال العظمة هوالقمر فتلك الولاية الأولية الأصلية التي هي ولاية الله في قوله تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[2] ظهرت مشروحة مفصلة حين قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه))[3] ، حين انتجبه الله في القدم على سائر الأمم وأقامه مقامه في سائر عوالمه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار ، وكان ذلك في شهر رجب من أشهر الحرم و كان الإظهار في عالم الأسرار وعالم الأنوار وعالم الأظلة وعالم الأشباح وعالم الأجسام وعالم الأجساد وعالم الأعراض وعالم الأوضاع والإضافات والقرانات والإلزامات كلها في شهر ذي الحجة من أشهر الحرم فأُمِر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالإستزادة لقوله عز وجل ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[4] لإظهار تلك النجوم

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في الفضائل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها ، وأعطي علي ثلاثة ولماشاركه فيها ، فقيل : يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام ، فقال : لواء الحمد لي وعلي حامله ، والكوثر لي وعلي ساقيه ، والجنة لي وعلي قاسمها ، وأما الثلاث التي أعطيت عليا ولماشاركه فيها فإنه أعطي رسول الله صهرا ولماعط مثله ، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولماعط مثلها ، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولماعط مثلهما)) .

[2] الكهف ٤٤ [3] أمالي الصدوق ١٢٢ [4] طه ١١٤

وهو طلب التحير فاقتضى التحير أن يدور على منطقة ذلك الفلك ولا يتعداه لا إلى نهاية ولاإلى جهة وقولي منطقة هو عين قولي القطب في الحقيقة وإن كان باعتبار الفرق في الظاهر و تلك المحاذاة صارت سببا لظهور ما أراد الله سبحانه من تلك الكواكب.قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] فعلمه سبحانه في الكرسي الذي وسع كل شيء وقال عز وجل﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[2] فالشمس رسول الله (ص) إلى خلقه يفيض عليها من نور العرش الظاهر بالكرسي فهي مظهر لتلك الأنوار وحاوية لتلك الأسرار ، فلولا الشمس ما ظهرت تلك الأنوار ، فيها ظهرت وعنها برزت ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[3] و ((أنا عبد من عبيد محمد))[4] و ((أنا من أحمد كالضوء من الضوء))[5] ، والمراد بالكرسي هو بحر القدر الذي هو (سر من أسرار الله و حرز من حرز الله وستر من ستر الله مختوم بخاتم الله موضوع عن العباد علمه رفعه الله فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم لأنهم لا ينالونه بحقيقة الصمدانية ولا بعزة الوحدانية بحر زاخر كثير الحيات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى في قعره

---

[1] البقرة ٢٥٥ [2] الجن ٢٦ – ٢٧ [3] تأويل الآيات ١٨٢ [4] التوحيد ١٧٤

[5] أمالي الصدوق ٥١٣

شمس تضيء لا ينبغي أنّ يطّلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضاد الله في ملكه و نازعه في سلطانه و باء بغضب من الله و مأواه جهنّم وبئس المصير)[1].

وتلك الشمس هي مظهر ما في البحر ومضيئة ما فيه من أحكام البداء وعلل الأشياء وكون المحو والإثبات فانتشر العلم بمحمد صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وفاطمة والطّيبيّن من أولاده صلوات الله عليهم أجمعين كالشمس الظاهرية بالنسبة إلى الكواكب الأخر و ذكر جميع الأحكام يطول به الكلام فاكتفينا بما ذكرنا ، ما أسعدك لو وفقت لفهمه .

وأما في العالم الإنساني فاعلم أنّ القلب هو مظهر ما في النفس من أحكام الصّنع والإيجاد والتربية والإدراك و كلّ الأحوال المنبثة في الجوارح والأعضاء والامدادات الزوجية الغيبية المجرّدة المتعلقة بالبخار اللطيفة الذي في تجاويف القلب المتعلّق بالدم الأصفر الذي في أسافل تجاويف القلب

---

[1] هذا المعنى اقتبسه المصنف أعلى الله مقامه وأنار في الدارين أعلامه من حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر في البحار ج ٥/٩٧ هذا نصه ((ألا إن القدر سر من سر الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ورفع فوق شهاداتهم لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا قدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية ، لأنه بحر زاخر موج خالص لله عز وجل ، عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان تعلو مرة وتسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع فقد ضاد الله تعالى في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)) .

المسمى في عرف الأطباء بالروح الحيواني ، كلها إنما تظهر ظاهرة منبثة في الأعضاء والجوارح والعروق والأعصاب والغضاريف والأوردة والعضلات وسائر المخارج والمداخل البدنية وما يتصدع إلى الدماغ و يصير مبدأ للقوى النفسانية المسمى في عرفهم بالروح النفساني ، وما يتسافل إلى الكبد ويصير مبدأ للتوليد والتنمية والتغذية المسمى في عرفهم بالروح الطبيعي ، كل ذلك إنما هي ظهورات الروح الأصلي الظاهر بالبخار اللطيف المتعلق بالحرارة الغريزية التي بها قوام الجسد ، فما ظهرت تلك النجوم الغائبة إلا بالشمس التي هي الحرارة الغريزية المستجنة في القلب ولذا كانت الحرارة دائمة النظر والتعلق الالتفات بذلك البخار فلا تفارقه أبدا وإلا لاختل الجسد وفسدت البنية ، ولما تطابقت العوالم و صار العالم السفلي وجها للعالم العلوي اقتضى أن تكون الشمس الظاهرية التي هي أحد الكواكب السيارة مظهرة للكواكب المركوزة في الفلك الثامن ، وإن كانت تلك الكواكب أعلى مرتبة منها كما ورد أن ((الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش))[1] .

ومن ذلك ظهر لك سر كون سير الشمس دائما على منطقة البروج وعدم مفارقتها إياها والإمدادات الواردة على العالم السفلي كلها من قرانات الشمس مع تلك الكواكب وذلك الفلك وهو من الفلك الأعلى وهو من

---

[1] التوحيد ١٠٨

العرش المركب من الأنوار الأربعة النور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة والنور الأخضر الذي منه اخضرت الخضرة والنور الأصفر الذي منه اصفرت الصفرة والنور الأبيض الذي منه البياض ومنه ضوء النهار ، وأنت لو نظرت إلى الشمس تحت الحجاب الأسود لرأيت هذه الأنوار كلها ظاهرة فيها متمايزة .

وأما إضاءة الكواكب فهي إشارة إلى إمدادها لأهل السموات ولأهل الأرضين على ما في الحديث ((إن أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن الكواكب أمان لأهل السموات))[1] ووجهه الإشارة في قوله عز و جل﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] فالعلة مطلقا فاعلية كانت أم مقدمة أم مادية منوّرة ومضيئة لمعلولاتها ، ولذا أتى عليه السلام بالضوء بصيغة المتعدي للإشارة إلى السر كما في الدعاء ((اللهم إني أسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهي))[3] فالإضاءة هي التأثير بالضوء سواء كان كالضوء من الضوء كالعلويات أو كالنور من المنير كما في السفليات ، لأن الإضاءة إشارة إلى اللطيفة الزائلة على ذات الشيء فتلك الزيادة تمد سافلها من الأحكام الوجودية والتكليفية الذاتية والصفتية وأمثالها فقامت السموات والأرض بإضاءة الكواكب ، أما

---

[1] لم نقف على هذا الحديث كما ذكره المصنف أعلى الله مقامه ولكن وجدنا ما يقرب منه في علل الشرائع صفحة ١٢٣ وهو ((النجوم أمان لأهل السماء كما أن أهل بيتي أمان لأهل الأرض))

[2] النور ٣٥ ‏ ‏ ‏ ‏ [3] دعاء السحر في ليالي شهر رمضان المبارك

الأرض ومتولداتـها مـن الجمـاد والمعـدن والنبـات والحيـوان فظـاهر ، وأمـا السموات فالأفلاك محال ومواقع للنجوم وجسد للقوة الفاعلية الطبيعيـة ولا شك أن المحل متقوم بالحال والحد بالمحدود والجسد بالقوة الطبيعية مـن المـرارة مثلا فلولا المرارة لم تتقوم البنية ، فالحرارة واليبوسة مثـلا وإن كـانت في كـل الجسد إلا أن مجمعها في المرة الصفراء ومنها تستمد باقي الأعضاء وكذا سائر القوى ، فالكوكب يفضل على الفلك كفضل القوة علـى الجسـد ولذاتـرى الكواكب ولم تر الأفلاك وذلك لقوة التركيب لقـوة ظـهور النـور فيـها دون الفلك فإن التركيب والتصوير مستلزم للرؤية لا الكثافة على ما يزعمون من أن الكواكب أجسام كثيفة ترى والأفلاك أجسام لطيفة لا ترى فإن ذلك باطل إذ لو كان كذلك للزم الطفرة لإجماع الكثيف واللطيـف في الرتبـة الواحـدة ويلزم على هذا التقديـر أن يكـون الهـواء ألطـف مـن الكواكـب وفي هـذا بطلان ، كل شيء يعود إلى مركزه لقول أمير المؤمنين عليه السلام ((إنما تحد الأدوات أنفسها و تشير الآلات إلى نظائرها))[1] فيجـب أن يكـون الهـواء علـى هـذا التقدير أعلى رتبة ومكانة من الكواكب ، ويجب أن تقتضـي الحكمـة كونـها تحت كرة الهواء مع أن الواقع خلافه والله سـبحانه لا يفضـل المفضـول علـى الفاضل إذ كل ما كان أكثف أقرب إلى الأرض وأحوالها فلا يقرب إلى السماء

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٧٢ ، البحار ٤ / ٢٥٤ ح ٨

بل يكون عين السماء إلا أن يقولوا بجواز الطفرة وجواز تقديم المفضول على الفاضل كما تقوله المعتزلة فحين إذن ينقطع الكلام .

فصريح القول وصحيحه أن الكواكب أجسام لطيفة عالية صافية والرؤية ليست لأجل الكثافة والثقالة إذ ليست شرطا للرؤية ، ألا ترى الأشباح الظاهرة في المرايا وغيرها من الأجسام الصيقلية مع أن رتبتها فوق محدد الجهات ولطافتها أشد من لطافة محدد الجهات أي محدبه ، وكذا الأرواح المتنزلة إلى مقام البشرية مثل جبرائيل إذا تصور بصورة دحية الكلبي وأمثال ذلك فإن المقادير والهيئات لا وزن لها ولا ثقل ، والماء الصافي إذا حركته يتكدر و يحجب وليس ذلك من جهته عروض كثافة عليه زائدا عما عنده أولا فمقتضى الرؤية وعلتها قوة التركيب وهولايستلزم الثقل المستلزم للنزول فالكواكب قوى نورانية صيغت بنور قدرة الله تعالى صيغة أشد وأقوى من صوغ الأفلاك فلها تركيب أقوى وأشد من تركيب الأفلاك ، وقد ورد في الأخبار على ما تقدم أن الشمس لها سبع طبقات وكذا القمر ولذا ترى التأثير في الكواكب أكثر وأشد بل لا يحس تأثير الأفلاك بأجرامها إلا قليلا ولذا إذا غربت الشمس يبرد الهواء مع وجود فلك الشمس وكذلك القمر وسائر الكواكب وهذا معلوم ، فالكواكب لها رتبة تساوي فيها جرم الأفلاك وزيادة ولذا لما انشق القمر ما انخرق الفلك ولما نزل إلى الحبيب النبي ﷺ ما حصلت في الفلك ثقبة ألا ترى إلى الجسم المطهر النبوي ﷺ مع أنه

يرى لم يكن له ظل لشدة نورانيته و صفائه وإنــه أعلـى مـن عقـول النبيـين عليهم السلام وقد صعد بجسمه الشريف المحسوس إلى السماء وما حصـل منـه خـرق فـدل العقـل والنقـل أن مـدار الأبصـار ليـس للكثافـة كمـا عرفـت وإنمـا هوالتركيب والتحديد فافهم .

ثم إن الإمـام عليه السلام أشـار بذكـر خلـق السـموات أولا إلى أن خلـق السموات مقدم على خلق الأرض كما هوالواقع وخلـق اليـوم مقـدم علـى خلق الليل وإن كانت الآيات والأخبار بظاهرها على ما تعرفه العامة مختلفـة إذ يستفاد من بعض الآيات تقدم السماء على الأرض كما في قوله عز وجـل ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾[1] ومـن بعضـها العكـس كالأخبـار كقولـه تعـالى ﴿ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[2] ولا منافاة في الحقيقة لأن الله سبحانه وتعالى لما أجرى عادته علـى الخلـق والإيجاد على مقتضى القابلية استدعى ظهور المقبول بعد وجود القابل وترتـب آثـار الفاعل الذي وجهه المقبول إنما هو بعـد وجـود القـابل ألا تـرى أن اتصـاف ظهور زيد بالقائم ما يمكن إلا بعد تحقق القيام فبالقيام يظـهر القـائم فافـهم المثال التقريبي ، ولما كانت السموات مبادئ وعلل والأرض ومن فيها قوابل لم

---

[1] النازعات ٣٠
[2] فصلت ٩ - ١١

تظهر السموات تامة الحركات صحيحة الطبقات ظـاهرة الـدلالات إلا بعـد إتمام وجود الأرض القابلة لفيضها فمادة الســموات موجـودة ومتحققـة قبـل الأرضين وأما تسويتها سبع سماوات وظهور الحركات ما تحققت إلا بعد ذلـك ولذاقال عز و جل ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ فدل على أنها كانت دخانا فإن الله جل وعلا لما خلق الياقوتة الحمراء فنظـر إليـها بعـين الهيبـة فمـاعت وذابت ثم سلط الريح على ذلك الماء فتموج فأزبد وصعد منه دخــان فخلـق الله سبحانه من الزبد الحاصل بعد الدخان الأرض ثم سوى الدخان سمـاوات وأخرج الشعلات المستجنة في زبد البحر فزينها بـالكواكب المضيئـات ، ثـم أدار العلويات على السفليات فأخرج ما أراد من الحيـوان والنبـات ، كذلـك صنع ربنا لا إله إلا هوالعزيز الغفار ، وكذلك حكم الليـل والنـهار فـإن الله سبحانه لما خلق الدنيا كان طـالع الدنيـا السـرطان والكواكـب في أشـرافها فكانت الشمس في كبد السماء أول وقت صلاة الظهر فلما تحركت الأفـلاك ظهر الليل ثم دار الفلك حتى ظهر النهار فصار مبدأ حساب اليوم من الليل فتقدم الليل على النهار لتقدم الظلمة على النور في قـوس الصعـود وتقـدم القوة على الفعل وإلا فـالنور مقـدم علـى الظلمـة والنـهار علـى الليـل في القوس الأول النزولي ، وتمام الكلام في هذا المرام ربما ذكرناه فيما بعد إنشـاء الله .

قوله عليه السلام
وحبس في الجو سحائب مكفهرات

لما فرغ الإمام عليه السلام عن ذكر المبادئ وعلل الكينونات التي هي السموات والكواكب المضيئات في عالم التفصيل ومقام التحويل أراد أن يبين كينونة المعلولات وكيفية تلقيها الفيض عن العلل العاليات فابتدأ بذكر السحائب المكفهرات فهو كلام جامع للمقامات وحاو للأمور الشتات .

والإشارة إلى مجمل بيانه ، اعلم أنا قد ذكرنا أن المبادئ هي الحديدة المحماة بالنار وأنها خلقت من النار ، والمعلول والسافل هو الأرض التي هي مطرح أشعة المبادئ وقابلية فيضها ، ولما أن المبادئ فعلها وتأثيرها في المفاعيل ليس في رتبة ذاتها إذن لاحترقت المفاعيل إذ لا تقوى فيجب أن يكون ذلك الفعل والتأثير تحت الحجاب لتتمكن من التلقي من ذلك الباب بذلك الجناب ، ويجب أيضا أن يكون ذلك الحجاب من رتبة مقام المفعول وإلا لارتفعت فائدة أخذ الحجاب وجعل الجناب والأمر بقرع الباب ، ولما كان نظر الفاعل إلى جميع مفعولاته على حد السواء كان حجابه أيضا كذلك واختلاف

الحجب لاقتضاء كينونة المفعول وجب أن يكون ذلك الحجاب هو عين حقيقة المفعول وتجلي الفاعل له به ، ولما قررنا أن السموات هي المبادئ والكواكب وهي لا تؤثر في المفعولات أي المتولّدات بذاتها إذن لتقدّمت وفسدت واختلت ، وإنما هي ذوات مستقلة لا يطرأ عليها الفساد والبيود والدثور بالنسبة إلى سافلها كانت لا تؤثر إلا بمثالها وهو أشعتها وذلك المثال من حيث حكايته لتأثير المبدأ من حيث هو تأثير للبدء ولما ذكرنا وشرحنا ، فظهرت الكرة الناريّة التي هي مجمع أشعة الكواكب من حيث كونها حاملة لنار الشجرة الزيتونة التي ليست شرقية ولا غربية ، وكانت شجرة موسى عليه السلام حكاية ومثالا لها .

إن قلت : إنك قرّرت سابقا أن الكواكب مختلفة في الطبائع نارية وهوائية ومائية وترابية فكيف تكون الكرة النارية أشعة للكواكب على الإطلاق .

قلت : لا منافاة لأن تلك الطبائع في صقعها ونسبة بعضها مع بعض ، وأما بالنسبة إلى السافل كلها نار بل أشد لكونها حينئذ حاملة للمثال الملقى في هويتها ، كالفتاة الغربية المعبر عنها بالحمامة عند أهل الصناعة ويحكمون عليها بالبرودة والرطوبة مع أنها في الشدّة والحرارة أشد من النار المعروفة ، وكذلك الماء الأول الذي يأخذون عنده تفصيل المادة إلى النطفتين يحكمون عليه بالبرودة والرطوبة مع أنه في الحرارة بحيث لو استشم

إنسان بخاره المتصاعد لمات في ساعته وهم إنما قالوا بالإضافة ، فهي الفتاة الغربية بالنسبة إلى الفتى الشرقي و الفتى الكرشي وفي الماء الأول بالنسبة إلى الماء الثاني الغليظ الذي هو في قوام العسل ، و كذلك إذا قلنا أن القمر بارد رطب وزحل بارد يابس والزهرة حارة رطبة والمريخ حار يابس فافهم.

ولما كانت الأرض التي هي القابلية باردة يابسة لا تقوى على الحرارة النارية الفلكية لاحتراقها وفنائها وعدمها إذ البرودة ما تبقى عند ظهور سلطان الحرارة واليبوسة من سنخها فتعدم الغريب وتجذب إليها القريب فيبطل تركيب ذلك الشيء ، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام ((جذب الأحدية لصفة التوحيد)) بعد قوله عليه السلام ((محو الموهوم و صحو المعلوم)) و هذا فناء المعدول وعدمه وهو خلاف ما هو المقصود والمراد وجوده وتحققه وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات احتاجت إلى وقاية لتحفظ وجودها باستمرار إشراق نار الإيجاد عليها ، وتلك الوقاية هي الرطوبة المعتدلة لأنها تحفظ تأثير النار لعدم الغرابة الكلية وتحفظ اليبوسة أيضا عن الإعدام بالمرة ولذا كانت الوقاية هي النون إذا أرادوا أن يقوا الفعل عن الكسر الذي هو من خواص الاسم في قولهم ضربني زيد والنون هي الرطوبة وهي مداد القلم في قوله عز وجل﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[1] فافهم ضرب المثل .

---

[1] القلم ١ – ٢

ولما كانت هذه الرطوبة ببساطتها تضاد الطرفين أي اليبوسة النارية واليبوسة الأرضية وفي ذلك إعدامها إذ الضدّ لا يقوم مع ضدّ الآخر ، فجعل معها شيئا من طبيعتها لتكون رابطة حافظة فانقسمت إلى قسمين قسم أضيفت إليه الحرارة فلطفت ودقت وصعدت إلى العلو وقسم أضيفت إليه البرودة فثقلت وكثفت و نزلت إلى السفل ((روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي))[1] سبحان من حكمه متقن وأمره محكم تعالى ربي لا إله إلا هو ، فتمت هذه المراتب و صارت أصولا للمبادئ أي لظهوراتها وحقائق وموادا للمفاعيل وخزينة خامسة لا نفاد لها ينفق منها كيف يشاء وهي العناصر الأربعة التي تحت كرة القمر الأول أو الثاني أو الثالث وهكذا إلى أن يتم أربعون أوألف ألف وهكذا إلا ما لا نهاية له من الأكوار والأدوار والأطوار ، ولما كانت النسمات وحقائق الذوات من الملأ الأعلى الذين وصفهم مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بأنهم ((صور عارية عن المواد عالية عن القوة والاستعداد تجلي لها فأشرقت و طالعها فتلألأت فألقى في هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله))[2] فأبان عليه السلام أنها كالحديدة المحماة لقربها إلى عالم النور وأن فيها مثال الفاعل ، وقد عرفت أن مثال الفاعل ليس إلا النار لأن الله سبحانه خلق الفاعل من نار الشجرة وتلك النسمات ، لما أراد الله عز وجل إظهار القهّارية والجبروت ويعرّفهم توحّده في الملك والملكوت وتقدّسه في

---

[1] علل الشرائع ١٠

[2] البحار ٤٠/ ١٦٥/ ح ٥٤

عالم اللاهوت أنزلهم من عالم إلى عالم ومن مقام إلى مقام حتى انتهى بهم إلى عالم الأجسام فرمى بهم إلى الكثافات والكدورات لينالوا نصيبهم من الكتاب ويستوفوا حظهم من الخطاب ويثبته وقوفهم بذلك الباب ولواذهم بذلك الجناب ، فأنزلهم إلى الأرض الجسمية فاستجنوا واستكنوا فيها عند نهايات الإدبار ، فلما دعاهم إلى الإقبال وجب فلق الأرض لتظهر منها تلك الحقائق والأنوار لتمكين قابليتهم للإجابة والفلق على أنحاء ومراتب من الظاهري والباطني ، أما الباطني فقد مضى الكلام في شيء يسير منه عند قوله عليه السلام ((فتق الأجواء)) .

وأما الظاهري فهو على قسمين ، قسم هو الشق المعروف كالينابيع والعيون والبحار ، أو الشق لاستخراج الكنوز وهذا لا يراد به إلا في المواضع التي يكون المستجن فيها استجنانا ظاهريا وعائيا ، ولا هكذا استجنان الأرواح في الأجسام بل استجنانها استجنان غيبي لابد من حل الأرض وذوبانها لتخلص عن الأعراض المانعة وتحكي تلك الحقائق الإلهية ، والحل لا يكون إلا بالحرارة والرطوبة واليبوسة ، إذ الحرارة تفرق المجتمع والرطوبة تربط الأجزاء المنحلة بعضها مع بعض واليبوسة تجمعها قبل التفصيل والذوبان وبعدهما ، واليبوسة إذا كانت يبوسة أرضية كثيفة غاسقها لا يلينها ولايحلها إلا الرطوبة التي هي من سنخها وجنسها ، وأما الرطوبات اللطيفة فلا تنفع لتليين الكثيف الغاسق لأنك إن زيدت الحرارة

تحترق وإن زيّدتها تحتاج إلى مدّة طويلة يفوت بها المقصــود وهـذا أمـر ظـاهر بديهي ما يحتاج إلى البيان ، فثبت أن الرطوبات الهوائية اللطيفة لمجاورة النار ما تؤثر في حل الأجزاء الأرضية الكثيفــة فيجـب أن تضـاف إليـها عنـد الحـل الرطوبة المناسبة لمقامها ، وليس ذلك إلا الماء ولما كانت الأنوار المستجنّة مـن النباتيّة والحيوانية والإنسانيّة أمورا غيبيّة يجب أن يكون الحل الواقع مؤثرا في الجهات الغيبيّة على حسب مقامه ، ولا شكّ أن الكثيف من هذا الكثيف لـو فرض حلّه يبلغ إلى أدنـى مرتبـة اللطافـة وفي ذلـك طـول العمـل مـن غـير طائل ، وكذا الرطوبة التي تحل الأجزاء كلما كانت ألطف وأعلـى كـانت في النفوذ أشد ، ولما كـان الانحـلال في غـير الكبـد مـا يتحصّـل لحكـم الحـرارة والرطوبة اللائقة وجب أن يكون ذلك الانحلال في الهـواء فحصلـت ثلاثـة أشياء ، الأول الأجزاء الأرضية اللطيفة الغير الكثيفة الغـير المجاورة لـلأرض وهذه هي الهباء وإذا أطلقنا الهباء نريد في هــذا المقـام هـذه الأجـزاء ، الثـاني الأجزاء المائية اللطيفة المتصاعدة عن وجه الماء المختلطة بالأجزاء الهوائية وهي البخار ، الثالث الهواء بنفسه في الربع الأخير من حيث كونــه حـاملا لتأثـير النار مترجما له عنها ، ولمـا وجـب ميـل السـافل إلى العـالي وميـل العـالي إلى السافل في تكون الشيء صعدت الأجزاء الأرضية إلى العلوإلى جهـة السـماء ونزلت التأثيرات الكوكبية من كرة النار بحاملها إلى الهواء فاجتمعت الأمــور الثلاثة كلها في الهواء ، فلما انضمت الرطوبة مـع اليبوسـة بـالحرارة ونفخ

عليها بريح الجنوب مالت اليبوسة إلى الانحلال وإلى الرطوبة ومالت الرطوبة إلى الانعقاد وإلى اليبوسة إلى سبعة أيام من أيام الشأن فانعقدت هذه الأربعة انعقادا لطيفا فصارت بالنسبة إلى الذوبان والبساطة كثيفة ، فبقيت في الجو وانعقدت فكانت سحابا مكفهرا وهذه هي المادة لكلما يتكون في الجو من الأمطار والثلوج والطل والرعد والبرق والبرد والشهب وغيرها ولو أردنا شرح تفصيل هذه الأمور إن كان كما ذكروا فلا فائدة لذكرنا وإن كان على ما عندنا من دليل الحكمة فيطول به الكلام و ليس لي الآن إقبال ذلك لكن الذي ذكرنا من دليل الحكمة من بيان مادة السحاب يظهر الباقي لمن له نوع فطانة وذكاوة وأنس بكلماتنا ، وهذا معنى قوله عليه السلام ((وحبس في الجو سحائب مكفهرات)) أي مغلظات وإنما وصفها عليه السلام بها للإشارة إلى أسرار كثيرة يضيق الصدر بإظهارها ولا يضيق بكتمانها ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[1] .

وهذه الكثافة أمر عرضي ليست بذاتية و إنما هي لتحقق الأعراض واستخراج الذوات فجاء سر المتشابهات ، وهذه إنما كانت من المفعول قد حجبت عن الفاعل الذي قوامها به وهو العلويات من الأفلاك والنجوم فقل النور على وجه الأرض وتكدرت تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض

---

[1] الحجر ٧٥

مغبّر قبيح ، لكن هذا الحجاب ليس كليا وإنما هو جزئي أسـرع مـا يكـون في الاضمحلال لأنه مجتث وإنما أتي به إتماما لقابلية المفعول واستنطاقا لطبائعهم مع أنه ليس محيطا بكل أقطار الأرض ليحتجب نور الشـمس بالكليـة وإنمـا هو محاذي جزء من أجزاء الشمس أو القمر بالنسـبة إلى النـاظر فـإذا تطـرّف عند الناظر يرى الشمس ظاهرا عيانا من غير حجاب ويشاهد جمـال المحبـوب المطلوب من غير نقاب إن في ذلك لآيات لأولي الألباب و إليه الإشارة بقولـه تعـالى ﴿ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[1].

وقوله عليه السلام ((و حبس في الجو..الخ)) جواب عن كل الاعتراضـات ورد لكل الشبهات و متمم لما سبق من الكلمـات فإنـه عليه السلام أثبـت بقولـه عليه السلام ((الحمد لله الذي فتق الأجواء)) الولايـة المطلقـة الظـاهرة في جـلال القدرة رتبة الواحدية حضرة الأسماء والصفات والإضافـات و مقـام ﴿ قُلْ مَنْ

[1] النساء ٩٧ – ١٠٠

بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[1] وأثبت بقوله عليه السلام ((خلق السموات بلا دعائم الخ)) مقام حامل اللواء وقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2] و مقام قوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] .

فلما تمت البراعة وأظهر السر التفت إلى ما ألقى الشيطان في قلوب أوليائه إما بذاته أو باللطخ والخلط من أن الأمر لو كان كذلك فما وجه الضعف و عدم الظهور ، لأن العلة ما تخفى ولا تهان فأجاب عليه السلام ونسخ ما ألقى الشيطان بقوله عليه السلام ((وحبس في الجو سحائب مكفهرات)) إشارة إلى أن الخالق هو الحابس والسحاب هوجهة إنية المفعول القابل حيث حجبته من مشاهدة نور الظهور الساطع على الطور ، فلو كشف الحجاب لرأوا الأمر واضحا ظاهرا فهو احتجب بهم فلو تطرفوا عن هذا الحجاب ودخلوا الباب لوجدوا الشمس ظاهرة بارزة تشرق الكون وتمد الخلق من المعنى والعين ، ولذا لما قيل لطلحة وهو يجود بنفسه ((من رماك يا طلحة قال رماني علي بن أبي طالب عليه السلام قيل : إنه لا يرمي بالنبل وإنما يقاتل بالسيف قال : ويحك أما تنظر إليه كيف يصعد إلى السماء ويخرق الأرض و يذهب إلى

---

[1] المؤمنون ٨٨ [2] الحج ٦٢ [3] الزمر ٦٧

المشرق والمغرب و يقاتل بالسيف ويرمـي بـالنبل و يقـول مـت يـا عـدوّ الله فيموت في ساعته)) و ذلك عند ارتفاع السحاب ، وصرح عليه السلام بالذي فهمنا من التلويح من أن هذا جواب لما يتوهمه المتلونـون أو إثبـات حقيقـة الأمـر والواقع ولأبدية الوجود المشوب بالظلمة من ذلـك بقولـه عليه السلام ((وكـأني بضعيفكم يقول ألا تسمعون إلى ما يدعيه ابن أبي طالب في نفسه وبـالأمس تكفهر عليه عساكر أهل الشام فلا يخرج إليها و باعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم)) .

و إنما أتى بلفظ تكفهر للإشارة إلى أن ذلك من تلك السحب ونحـن إنشاء الله نكشف عن الواقع و الحقيقة على التصريح إذا بلغنـا شـرح هـذه الكلمات .

قوله عليه السلام و خلق البحار والجبال على تلاطم تيار رقيق رتيق فتق رتاجها فتغطمطت أمواجها

لما فرغ الإمام عليه السلام عن بيان تفاصيل المبادئ والأصول ومظاهر العلل الفاعلية وكيفية ربط الفاعل بالمفعول واتصال المسبب بالسبب ومعنى الإيجاد والإحداث والإختراع والابتداع والأمر الفعلي والمفعولي وبراعة هذه الخطبة الشريفة، وإلى مظاهر التوحيد وهياكل التنزيه والتفريد إلى غير ذلك من الأمور التي جهلنا أكثرها وأشرنا إلى بعض ما عرفنا، شرع عليه السلام في بيان العلل المادية ويلزمه بيان العلة الصورية وأن الشيء في مكانه له مكانان مكان ذاتي طبيعي بحسب كينونته الثانية ومكان غير طبيعي في الظاهر المتوقف إلى المعين لا القاسر، فيتحلى حينئذ بحلية أهل ذلك المكان ويلزمه بيان أن الشيء قد يتعلق به النور فيصعد به إلى أعلى المقامات ومكانه الأصلي في أسفل الدرجات بل الدركات إلا أنه ما يتحلى بحلية أهل ذلك المكان لأن هذا الصعود والبلوغ عرضي يزول حكمه سريعا.

ولا تتوهم أن الذي ذكرنا هو المتحصل من هذه العبارات خاصة بل هذا وغيره وأمور أخر مما لم يحط به علمنا ولم تبلغ إليه سعتنا وقد قالوا عليهم السلام ((إن حديثنا ذكي أي طري أبدا لا تفنى عجائبه ولا تبيد غرائبه)) كلما يتغوص السابح في تلك اللجة يرى البحر أعمق والساحل أبعد كيف لا وهو طمطام بحر الأحدية و لجة يم الوحدانية ولاساحل لذلك وقد قال سبحانه و تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[1] وهم تلك الكلمات الأربعة التي بني عليها الإسلام المكررة ثلاث مراتب، قال مولانا الكاظم عليه السلام ((نحن الكلمات التي لاتدرك فضائلها ولاتستقصى))[2].

وبالجملة إياك أن تحصر معاني كلماتهم فيما تفهم أو فهم العلماء وإن بلغوا ما بلغوا لأنهم ما أوتوا العلم إلا قليلا وهم سلام الله عليهم أوتوا العلم كله قال تعالى ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[3] ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[4] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[5] فاحفظ وصيتي والله خليفتي عليك.

---

[1] لقمان ٢٧ [2] المناقب ٤/٤٠٤ [3] يس ١٢ [4] الأنعام ٥٩ [5] الجن ٢٦ – ٢٧

قوله عليه السلام : خلق البحار

اعلم أنه لما كانت البينونة بينه تعالى وبين خلقه بينونة صفة لا بينونة عزلة بمعنى أن الخلق صفات له سبحانه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له سرى سر الوحدة في كل ذرات الوجود في الغيب والشهود فلن تجد شيئا وإن عم وكثر إلاشيئا واحدا ، ولذا ترى أن رتبة الأعداد كل رتبة تفرض فيها تفرض أنها واحدا إذ الكسور التسعة لا تترتب إلا على ما يفرض أنه واحد والواحد لا كسر له وكل مرتبة تفرض من مراتب العدد وإن تبلغ إلى ما تبلغ ترى الواحد أمامه فكلما تترقى في العدد لا يمكنك الوصول إلى ذلك الواحد وهوأمام كل عدد قال عليه السلام ((تدلج بين يدي المدلج من خلقك))[1] فالواحد عاد العدد ولا ينتهي إلى أمد إلى الأبد ، وذلك الواحد الساري في كل عدد من الأعداد الكونية والذاتيه والصفتية والمقدارية والغير المقدارية من المتصلة والمنفصلة من جهة حدوثه وإمكانه له شؤون وأطوار ودرجات ومقامات وله فيها أوطار ، وتلك الشؤون والأطوار لها مقامان مقام ظهور عيني كوني مشروح العلل مبين الأسباب ظاهرا بالكثرات خارجا عن طور الوحدة بكثرة الإضافات والقرانات ، ومقام ظهور غيبي استجناني أي استجنان الاستعداد والصلوح لا الشجرة في النواة ، ظاهرا بالوحدة بتكثر الأسماء و الصفات فإن الأسماء والصفات لا ينبئان إلا عن الذات ، وهذا الأمر

[1] مفتاح الفلاح ٢٩٣ ، البحار ٨٧ / ١٨٧ ح ٥

الواحد الساري في الشؤون والأطوار هو البحر عند أهل الأسرار والأئمة الأطهار صلوات الله عليهم كما دلت عليه الأخبار وشهد له صحيح الاعتبار ، وهو بحر حال ذوبانه وجبل حال انجماده ، نور في وحدته و ظلمة في كثرته ، نار في ظهور مبدئه و لحظ حرارة تعينه وماء في كينونته ، وبحر لأمواجه أوللواقف بساحله أو للسابح في لجّه أوللصدف في عقره أولبعده في عمقه وعدم وصول المحاول إليه وغرقه أو لحمله متاع غيره بسفينة ارتباطه وهكذا من ملاحظة الاطوار والأوطار قال الشاعر :

أنظر إلى العرش إلى مائه   سفينة تجري بأسمائه
واعجب له من مركب دائر   قد أودع الخلق بأحشائه
يسبح في لج بلا ساحل   في جندل الغيب بظلمائه
وموجه أحوال عشاقه   وريحه أنفاس أبنائه
فلو تراه بالورى سائرا   من ألف الخط إلى بائه
ومرجع العود إلى بدئه   ولانهايات لإبدائه
يكور الليل على صبحه   وصبحه يفنى بأسمائه

وهذا المعنى الجامع هو المحصل من مفاهيم ألفاظ أخبار أهل البيت عليهم السلام وأما في الحقيقة فليس لإطلاقاته في أغلب المواضع حقيقة جامعة فيكون الاشتراك بين تلك المواضع و الموارد في اللفظ لا الحقيقة ، ولاتسمع إلى ما يقولون من أن الاشتراك خلاف الأصل فيجب الحمل على الماء الكثير

المالح ، لأن المجاز لا يتصور قبل الوضع والوضع لا يتصور قبل حصول الموضوع له ، ولاشك أن تلك المعاني التي أطلق عليها لفظ البحر والماء قبل خلق السموات والأرض ، فتكون بحار السموات والأرض كلها تابعة لتلك الأبحر وتأبى الحكمة الإلهية أن يجعل التابع متبوعا في اللفظ فإن الألفاظ صفات الكينونات فيجري على طبقها لئلا تتناقض أحكام الله وتختلف ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]

فأوسع البحار وأشملها وأعمها وأكثرها هو العمق الأكبر بحر الإمكان و هذا بحر لا ساحل له ولانهاية له ولا بداية له ، يجري من عين الرحمة الواسعة إلى ما لا نهاية له ، ثم بعده شمولا وإحاطة بحر الوجود والماء الذي كان العرش عليه والماء الذي عنه كل شيء حي وهو بحر الصاد وأول المداد مجراه في الفؤاد بلا نفاد ، و هكذا في المراتب من البحر الأبيض والبحر الأخضر والماء الأحمر والبحر الكمد والبحر الأسود و البحرالأشقر وبحر الظلمة التي تحت الحجب و بحر الحيوان الذي فوق السماء السابعة والبحر الذي بين السماء والأرض والبحر المحيط على الأرض والبحر القلزم والبحر الأخضر المسمى ببحر الفارس ، وهكذا إلى آخر هذه البحور التي ذكرها العلماء في كتبهم في هذا الشأن .

[1] النساء ٨٢

وأشرف البحار وأعظمها وأحسنها بل ولا بحر سواه هو بحر الأحدية وهو بحر الوجوب والأزل الظاهر في الإمكان للممكن ، فالسابح في هذا البحر يسبح إلى ما لا نهاية له ولا سفينة له سواه ولا ساحل له غيره ولا ملاّح سواه ولا شراع غيره ، وذلك البحر هو بحر وسفينة وملاّح وراكب وسائر ومطلوب ومقصود وساحل يسير به إلى ربه في مقامات الإمكان فلا نهاية لهذا السير ولاخروج عن هذا البحر ولا بلوغ إلى الساحل ولا وصول إلى المقصود ولا خروج عن المقصود ، وهو سبيل الله ولاينقطع السبيل كلما ينقطع مسافة يجد بعدها مسافة أخرى فلا وصول ولا اتصال ولا انفصال ولا اجتماع ولاافتراق ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] ، و هذا البحر ليس هو ذات الله تعالى ربي عن ذلك ، و إنما هو ظهور من ظهوراته لخلقه وهذا البحر هو الذي قال أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء ((ربّ أدخلني في لجة بحرأحديّتك))[2] ولاموج لهذا البحر ولا اضطراب ولا اغتشاش ولا حركة ولاخوف ولا سارق ولا التنين ولا الحيتان ولاشيء ، وإنما هو صرف التجلي وماء الظهور الخالص الصفي ، وهذا بحر المحبة محل الشفقة ومقام إيثار المحبوب على ما سواه ومقام الغرق والفناء ومقام البقاء والبهاء ومقام سكر المعرفة ، فلا يرى السابح في

---

[1] الصافات ١٨٠ – ١٨٢

[2] دعاء السيفي الصغير

هذه اللجة بحرا أبدا ولا يتوهم وإنما هو شموله وإحاطته و سعته بفنى كل بحر قال عليه السلام ((جذب الاحدية لصفة التوحيد)) .

ثم بعد هذا البحر في الشرف والبهاء والفخر بحر الوحدانية ، وهو بحر الواحدية قال أمير المؤمنين عليه السلام ((و طمطام يم وحدانيتك)) وهذا البحر قد تموج بموج الأسماء وظهرت فيه سفن النجاة وشرعت بشراع المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، و يسير السائر الراكب في تلك السفن إلى أنحاء التجليات وساحل الظهورات ولانهاية لذلك ، وهذا أول العدد و صاحب الأبد بلا أمد مع أنه قد صح أن الواحد ليس من العدد .

ثم بحر القدر هو (بحر زاخر مظلم كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان يعلو مرة و يسفل أخرى في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في ملكه وتازعه في سلطانه وباء بغضب من الله و مأواه جهنم و بئس المصير)[1] وهذا البحر

---

[1] هذا المعنى اقتبسه المصنف أعلى الله مقامه وأنار في الدارين أعلامه من حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر في البحار ج ٥/٩٧ هذا نصه ((ألا إن القدر سر من سر الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بخاتم الله سابق في علم الله ، وضع الله عن العباد علمه ورفع فوق شهاداتهم لأنهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا قدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بعزة الوحدانية ، لأنه بحر زاخر موج خالص لله عز وجل ، عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب ، أسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان تعلو مرة وتسفل أخرى ، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن

مادته نهر يجري من تحت جبل الأزل إلى مـا لا نهايـة لـه ، ولايسـبح في هـذا البحر بالأصالة أحد إلا محمد و أهل بيته الطيبون صلوات الله عليهم أجمعين وليس معنى سباحتهم إحاطتهم ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[1] بـل لزيـادة التحـير في عظمـة الله سـبحانه لشـدة فوران هذا البحر وغليانه فافهم ، وهذا هو اللجج الغامرة التي لا يسـبح ولا يسير فيها إلا السفن الغامرة قال عليه السلام ((اللهم صلي على محمد وآل محمـد الفلك الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها و يغرق من تركها))[2] .

ثم البحور الإثنا عشر التي تغوّص فيـها النـبي صلى الله عليه وآله في العـالم الأول حين استخلصه الله في القدم على سائر الأمم أقامـه مقامـه في سـائر عالمـه في الأداء إذ كان لا تدركه الأبصـار ولاتحيـط بـه خواطـر الأفكـار ، وتلـك هـي النجوم الاثنا عشر والبرازخ الاثنا عشر والشهور الاثنا عشـر وحـروف (لا إلـه إلا الله) المنبسطة في أقطار الكون وهم الأئمة الاثنا عشـر عليهم السلام وكـل واحد منهم عليه السلام بحر قد أحاط بشأنه كل الوجـودات ، ولـذا نقـول أن كـل واحد منهم علّة مستقلة كليـة في الإيجـاد بـالله سـبحانه و تعـالى ﴿ وَٱللَّهُ مِن

يطلع عليها إلا الواحد الفرد ، فمن تطلع فقد ضاد الله تعالى في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)) .

[1] البقرة ٢٥٥

[2] الصلوات الواردة في شهر شعبان

وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾[1] ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

ومعنى سباحة النبي صلى الله عليه وآله في هذه الأبحر ظهوره فيهم كالعرش الظاهر في الكرسي في البروج الاثني عشر و المنازل الأربعة عشر النورية ثم البحور الاثنى عشرأو العشرين التي هي وجوه وظهور هذه الاثني عشر عند الإمداد والإفاضة وتلك الأبحر إنما وجدت من نور محمد صلى الله عليه وآله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((إن الله خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله عشرين بحرا من نور في كل بحر علوم لا يعلمها إلا الله سبحانه ثم قال لنور محمد صلى الله عليه وآله انزل في بحر العز فنزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياء حتى تقلب في عشرين بحرا))[3] و هذه الأبحر هي جهات العبودية المشار إليها بقوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[4] إذ العبد المخلص

---

[1] البروج ٢٠ [2] الأنبياء ٢٦ – ٢٩ [3] البحار ١٥/٢٩ ح ٤٨ [4] الفاتحة ٥

له في كل مقاماته انكسار وانفعال وتسبيح لله عز و جل وذلك هو البحر الذي يسبح فيه في ذلك المقام ، فإذا تم الانكسار والانفعال في كل المراتب والمقامات والحالات فتصفو طويته عن كل الرذائل والسيئات فتبلغ مرتبة الإكسيرية فتدعوا الله باسمه الحي القيوم ويخاطب بخطاب ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

ولما كان الإنسان قد خلق من عشر قبضات في الظاهر والباطن والغيب والشهادة فيكون له عشرون مقاما ، ولما كان في كل مقام له حال ذل ومسكنة بالنسبة إليه فتظهر جهة الحق فيه فيتسع المقام بظهور القادرالعلام فيكون بحرا واسعا وطمطاما بالغا فيؤثر في غيره و يصفي بفاضل نوره ولذاقال عليه السلام ((فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى يا حبيبي ويا سيد رسلي و يا أول مخلوقاتي و يا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخر النور ساجدا ثم قام فقطرت عنه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة و عشرون ألف قطرة فخلق الله من كل قطرة من نوره نبيا من الأنبياء فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يطوف الحجاج حول بيت الله))[2] .

ثم البحور السبعة التي أشار إليها الحق سبحانه في كتابه المجيد مثل ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا

---

[1] القلم ٤
[2] البحار ١٥/٢٩ ح ٤٨

نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ ﴾[1] وهذه الأبحر هي التي يسبح الخلق فيها على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم على اختلاف مراتبها ومقاماتها وفي كل بحر للسابحين تسبيح .

فالبحر الأول هو البحر الأبيض والماء الأبيض الذي في قرب الجزيرة الخضراء بلاد القائم عجل الله فرجه في المغرب وفي هذا البحر تسبيح الله سبحانه بقوله (سبوح قدوس ربنا و رب الملائكة و الروح وسبحان الله ذي العزة والجبروت) .

والبحر الثاني بحر الرقائق والماء الأصفر الذي لونه يسر الناظرين وفي هذا البحر يسبح الله سبحانه بقوله (سبحان ذي العظمة والجلال) .

والبحر الثالث البحر المحيط والقلزم المواج الذي يصعد باللآلئ إلى تحته ويلقي في أطرافه ، بحر كثير الموج وشديد الزلزا ل قد غرقت فيه سفن كثيرة وله جزيرتان أحدهما في المغرب وهي الجزيرة الخضراء التي فيها أولاد القائم عجل الله فرجه ، والأخرى في المشرق المكان الذي أغرق الله فيه فرعون وجنوده ومراكبه وهو من الخاسرين وفي هذا البحر يسبح الله بقوله (سبحان ذي القدرة والملكوت) .

---

[1] لقمان ٢٧

و البحر الرابع بحر القوة والاستعداد ومقام الرجوع إلى الطين وهو بحر شديد الحمرة وفي هذا البحر يسبح الله تعالى بقوله (سبحان ذي الغلبة والقهر لا إله إلا هو له الملك وإليه ترجعون) .

والبحر الخامس بحر الهيولى و لجّة الهباء والماء الكمد وكل لآليه إليه زبرجد وفي هذا البحر يسبح الله تعالى بقوله (سبحان ذي القوة والسلطان) .

والبحر السادس البحر الأخضر المائل إلى السواد وفي هذا البحر يسبح الله تعالى بقوله (سبحان من خلق فسوى وقدر فهدى) .

والبحر السابع البحر الأسود كالليل الدامس وهو القلزم الأعظم وفي هذا البحر يسبح الله تعالى بقوله (سبحان من خلق وبرأ وقدر وقضى وأمضى سبحان ذي الملك و الملكوت) وهذا البحر بين السماء والأرض بل هو البحر الذي كان رتقا ففتق الله سبحانه منه السموات والأرض بدخانه وزبده ، ومن هذا البحر تشعبت بحور كثيرة كبحر الحيوان وبحر الظلمة والبحر الذي بين السماء والأرض وبحار الأرض كالمحيط وغيره مما تشعبت عنه كما هو مذكور في كتب القوم ، ثم البحور السبعة التي أشار إليها مولانا الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى كما تقدم أنها ((عين الكبريت و عين اليمين وعين برهوت و عين الطبرية و جمة ماسيدان و جمة بلجوران(وفي

نسخة بلعوران) وعين إفريقية))[1] ، وهذه الأبحر هي الروابط والوحلة الرابطية ، كما أن الأصول تنقسم إلى سبعة لظهور الكمال كذلك الروابط والمناسبات والحدود الشخصية المجتمعة .

وبيان ذلك مجملا الوجود في نفسه واحد ينقسم باعتبار قربه من الفيض وبعده وباعتبار قابلياته إلى أقسام سبعة إشارة إلى كماله في نفس انقسامه إلى العدد الكامل ، وهذه الخمسة العيون و الجمتان مختلفات ، فطيب بارد كعين اليمين ، وخبيث منتن أسود حار كعين برهوت ، ومختلط بين الحار و البارد فإذا أخذ كان الجميع باردا كعين الطبرية ، وبين الجاري كالعيون والراكد كالجمتين ، وفي المركبات الجسمية كعين الكبريت وغيرها ، وكل ذلك إشارة إلى أقسام الوجود وانقسامه ، يعني أن الوجود المقيد ثقيله وخفيفه كثيفه ولطيفه لو كان مدادا للكلمات وحصر فضائلها لنفدت قبل أن تنفد الكلمات عليهم السلام ، هكذا ذكره شيخنا الأستاذ أطال الله ظلاله على رؤوس العباد ، وهو كما قال سلمه الله .

وأما معرفة تفاصيل هذه الأبحر فيحتاج إلى معرفة تلك البلدان وطبائعها وأحوالها والكواكب المربية لها ، ومعرفة عرضها وطولها وحرها وبردها ومقتضيات خواصها وقرانات أوضاعها وطبائع أحوالها وأشخاصها ، ولم يحضرني الآن تلك الأحوال و على الله قصد السبيل .

---

[1] المناقب ٤/ ٤٠٠ ، الاحتجاج ٤٥٤ ، البحار ٤/ ١٥١ ح ٣ (وما بين القوسين لم نعثر عليه) .

ثم الأبحر الأربعة وهي الأنهار الأربعة كما ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز ، الأول الماء الغير الآسن وهو الجاري من ميم بسم وهذا الماء يجري تحت الحجاب الأبيض الأعلى في عالم الوجود المطلق النازل بظهوره الذي هو أثره في أول رتبة الوجود المقيد ، النازل بظهوره إلى ريح الصبا المستكن المستجن في الركن اليماني وعنده مجمع الرياح .

الثاني : اللبن الذي لم يتغير طعمه وهو الحجاب الأصفر والنور الأصفر المشرق من صبح الأزل عند ظهور الصبح وإسفاره وتبين الحمرة وهو النازل بظهوره في ثاني رتبة الوجود المقيد رتبة البراق مركب النبي ﷺ عند عروجه إلى عالم القدس ومقام الأنس الآخذ بزمامه إسرافيل النازل بظهوره إلى ريح الجنوب المستكن المستجن في الركن العراقي من الكعبة شرّفها الله تعالى .

الثالث : الخمر الذي هو لذة للشاربين وهو الجاري من ميم الرحمن تحت الحجاب الأخضر في عالم الوجود المطلق مقام القدر والهندسة الإيجادية النازل بظهوره وأثره إلى النور الأخضر المشرق من صبح الأزل الذي هو القدر من عالم الأمر وهو اللوح المنشور بين يدي عزرائيل النازل بظهوره إلى ريح الشمال المستجن في الركن الثاني من الكعبة عظمها الله تعالى ظاهرا وباطنا .

الرابع : العسل المصفى وهو النابع الجاري من ميم الرحيم تحت الحجاب الأحمر في عالم الوجود المطلق مقام القضاء والتركيب والإلزام النازل بظهوره إلى رابع رتبة الوجود المقيد وهوالنور الأحمر المشرق من صبح الأزل الذي هو نفس الوجود المطلق النازل بظهوره إلى ريح الدبور المستكن المستجن في الركن الغربي والواقف عليه جبرائيل رسول الله إلى أنبيائه .

وهذا معنى قوله عز وجل ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[1] و إنما أشير إلى الأول بالماء الغير الآسن لأنه بحر الحياة وهو الرحمة قال تعالى ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾[2] وهوالماء الذي به كل شيء حي ، وإلى الثاني باللبن لأنه مادة الحياة وطارد الممات وهو البقرة الصفراء التي فاقع لونها تسر الناظرين قال الله عز وجل ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[3] واللبن أسرع الأشياء إلى الاستحالة بالنطفة والظاهر طبق الباطن والصورة مثال الحقيقة فافهم .

---

[1] محمد ١٥ [2] الروم ٥٠ [3] البقرة ٧٣

وإلى الثالث بالخمر لأنه مقام السكر وحالة الاضطجاع والكسالة قال تعالى ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾[2] وهنالك مقام الكثرة الحاجبة عن الوحدة ومشاهدة جمالها وجلالها فيظهر مقتضاها إن عمل فيها بمقتضاها في دار الآخرة من غير ما يترتب عليها مقتضياتها الدنيوية فأشار بالظاهر إلى الباطن فافهم.

وإلى الرابع بالعسل لأنه حار يابس طبع النار نار الطبيعة المهيّجة للأشواق الساكنة قال تعالى فيه بألطف إشارة للمؤمن الممتحن ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] .

والأبحر الثلاثة، الأول بحر النور وهوعالم السرور عالم الجبروت وحجاب اللاهوت وخزانة الحي الذي لا يموت وهو أول العدد وصاحب الأبد روحه نسخة الأحدية في اللاهوت وصورته معاني الملك والملكوت

---

[1] النساء ٤٣ [2] التوبة ٥٤ [3] النحل ٦٨ - ٦٩

وقلبه خزانة الحي الذي لا يموت طاووس الكبرياء و حمامة الجبروت جسده كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

الثاني بحر الظلمة وهو ظاهر اسم ذلك البحر و اب ذلك السور قال تعالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[1] ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[3] وفي الزيارة ((السلام على رحمة الله على الأبرار و نقمته على الفجار))[4] ألا ترى كوكب زحل فإنهم حكموا له بالسواد المائل بالحمرة وهو كذلك وقالوا أنه نحس أكبر ودلت أخبارنا بأنه كوكب أمير المؤمنين عليه السلام وهو النجم الثاقب يأمر بالورع والتزهد ولبس الخشن .

الثالث بحر النار وهو مهيج الأشواق و داعي الأذواق ومملي الآفاق بالإشراق ولا يخاف في الله لومة لائم لشدة حرارة المحبة الغريزية والنائرة الطبيعية ولذا ظهر بالحمرة عند و فاته عليه السلام وظهرت له الحمرة في آفاق السماء وأعناق الهواء فأحرق بتلك النار الرطوبات واليبوسات الفضلية العارضية وهيج حرارة الشوق في الرطوبة الذاتية السليمة المعتدلة فأخذت تلك بالنضج و تلك بالإحراق إلى أن يتم النضج وتحترق الأكدار فهناك تظهر

---

[1] الحديد ١٣ [2] المائدة ٥٤ [3] الإسراء ٨٢ [4] الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام

شمسا مضيئة تستأهل أراضي القلوب لإشراقها ولا تطلب احتجابها بالسحب والليل فينادي منادي الحق إن الحق مع علي عليه السلام وأصحابه من دون النداء الثاني لاحتراق النداء والمنادي قال عليه السلام على ما رواه علي بن مهزيار في تفسير قوله تعالى ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴾[1] قال عليه السلام ((إنه هو القائم عجل الله فرجه)) وهو الغاشية في قوله عز وجل ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ﴾[2] .

والتفسير الآخر لهذه البحور الثلاثة ، فاعلم أن بحر النور هو الحق لأنه من بحر الصاد والنون والمزن وهذا الماء نور في القلوب وشفاء للصدور .

وبحر الظلمة هو الباطل لأنه عكسه وضده وخلافه قال عليه السلام ((الرشد في خلافهم)) ، وبحر النار هو البحران المتضادان المتعاكسان أحدهما النار التي بها تنضج ثمار الجنة وهي نار الشجرة في قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ ﴾[3] وثانيهما ﴿ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ﴾[4] والبحران قال تعالى

---

[1] المعارج ١ – ٧ [2] الغاشية ١ [3] النور ٣٥ [4] الهمزة ٦ – ٩

﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[1] وقال أيضا سبحانه ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[2] الأول البحر العذب وهوماء الوجود لأنه نور الله سبحانه قال عليه السلام ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، قال الصادق عليه السلام في تفسيره : أي من نوره الذي خلق منه))[3] وهوالوجود لأن الله عز وجل خلق الأشياء منه وهونور الله لأنه متعلق الجعل الذاتي وهوكالحديدة المحماة ، وهوبحر حقيقة لذوبانه وسريانه في كل أمواجه وحدود تعيناته .

والثاني بحر الماهية وهو بحر الإنية مقام الصورة وهو ملح أجاج لأنه في السجن بل تحته وهو الطمطام ، فلا يسوغ شربه ، وهذان البحران مختلطان في غاية الاختلاط بحيث يصدق على المجموع اسم واحد لكن بينهما برزخ وحاجز من قدرة الله سبحانه يمنعهما عن استهلاك أحدهما في الآخر ، بل هما باقيان بفعلهما وتأثيرهما ومقتضياتهما خواصهما وأحوالهما كما كانا

---

[1] الفرقان ٥٣ [2] الرحمن ١٩ – ٢٠

[3] لم نجد هذه الرواية كما هي في هذا الشرح الشريف وإنما وجدنا ما يقرب منها وهوما روي في البحار ٦٧/٧٣ ح ١ وهوعن سليمان الجعفري قال ((كنت عند أبي الحسن عليه السلام قال : يا سلمان اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، فسكت حتى أصبحت خلوة ، فقلت : جعلت فداك سمعتك تقول اتق فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ، قال : نعم يا سلمان ، إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية والمؤمن أخوالمؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة ، وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه)) .

قبل الاختلاط ، وهذا كمال القدرة وبالغ الحكمة ،أما ترى الرجل فإنه مرة يعصي والأخرى يطيع فلوكان البحران فيه ممزوجين مختلطين وجب أن يصدر عنه أمر ثالث لا طاعة ولا معصية كسائر المركبات ، ولو لم يكونا مختلطين ممزوجين وجب أن لا يصلق عليهما في حال التركيب اسم واحد فصحّ المزج والاختلاط من غير استهلاك وامتزاج وهذا شأن البرزخ ، وكل الوجود يدور على هذين البحرين ولم يخرج منهما شيء وهما الزوجان في قوله تعالى عز وجل ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[1] وقولهم كلّ ممكن زوج تركيبي فمن خرج عنهما فنى ولحق بالبحر الأعظم ، وهناك أيضا رائحة منهما وقال تعالى في سورة الرحمن ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾[2] وفسر في الأخبار أن البحران الملتقيين هما علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والبرزخ بينهما هورسول الله صلى الله عليه وآله واللؤلؤ والمرجان الخارجان من هذين البحرين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة سلام الله عليهما ، فعلي عليه السلام بحر الولاية وفاطمة عليها السلام بحر وعاء الحكمة ورسول الله صلى الله عليه وآله بحر النبوة قد ظهرت المراتب كلها في الحسن والحسين سلام الله عليهما ، كما يشهد عليهما اسمهما الشريف كما نذكره إنشاء الله فيما بعد .

---

[1] الذاريات ٤٩ ٢ الرحمن ١٩ – ٢٢

ثم البحر الواحد وهوبحر الصاد وأول المداد وهوالذي توضأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة عرج فيها إلى السماء وصلى صلاة الظهر ، وهودليل على أن هذا البحر هو مبدأ الوجود وعلة الموجود وهوالماء الذي كان عرش الرحمن عليه قال تعالى ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[1] وهوالماء الذي يسقى به جنان الصاقورة وقد سئل أمير المؤمنين عليه السلام كم بقي العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض قال عليه السلام ((أتحسن أن تحسب ، قال : بلى ، قال عليه السلام: أخاف أن لا تحسن ، قال : بلى ، قال عليه السلام: لوصب خردل بحيث ملأ الفضاء وسد ما بين الأرض والسماء ثم لوأمرت مع ضعفك أن تنقل حبة حبة من المشرق إلى المغرب لكان ذلك أقل من جزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير مما بقي العرش على الماء وأستغفر الله عن التحديد بالقليل))[2] فكان الوجود بأسره قد تشعب عن ذلك البحر ، وهوأمر الله

---

[1] هود ٧

[2] لم نعثر على هذه الرواية بهذا النص ولكن وجدنا ما يقرب منها وهي ما ذكر في إرشاد القلوب ٢٧٧ ((قال الرجل : فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، قال علي عليه السلام : أتحسن أن تحسب ، قال نعم ، قال للرجل : لعلك لا تحسن أن تحسب ، قال : بلى إني لأحسن أن أحسب ، قال علي عليه السلام : أرأيت إن صب خردل في الأرض حتى سد الهواء وما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب وفي مد عمرك وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من أن أحصي عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء ، وإنما وصفت منقصة عشر عشر لعشر من جزء من مائة ألف جزء ، وأستغفر الله عن التقليل والتحديد)) .

الذي قام به كل شيء ، فكل البحار خلجان من هذا البحر الواحد وهو ماء يجري من تحت جبل الأزل إلى ما لا نهاية له قال تعالى ((ليس لمحبتي علم ولا غاية ولا نهاية))[1] .

واعلم أن إطلاقات البحر في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام وكذا في كلام الله تعالى كثيرة ويريدون بها ما أشرنا إليه بالنوع بالإجمال ، ولوأردنا شرح ذلك كله لضاقت الدفاتر إلا أن الذي له أدنى تأمّل يعرف النوع مما ذكرنا ويحمل عليه ما لم نذكر ، وإطلاق البحر على المراتب المذكورة والمقامات المسطورة ليس على سبيل المجاز كما يتوهمون وإنما هوعلى سبيل الحقيقة إلا أن في بعض الموارد كإطلاق الكل على أفراده من حيث أنه كلي وفي المواضع الأخر على سبيل الحقيقة بعد الحقيقة وقد أشرنا في أول الكلام إلى ذلك فراجع تفهم ، ولكن الذين ما أنسوا بالعوالم الأخر وما سمعوا منها رسما واسما ولا خبرا ما يتبادر عندهم البحر الأعلى مجمع المياه الكثيرة كما هوالمعروف عندهم حتى حملوا قوله عليه السلام أن البحر الذي بين السماء والأرض على مثل هذا البحر الماء الجسم الثقيل السيّال ، ولعمري لوكان الأمر كما يقولون لوجب أن لا يستقر ذلك البحر هناك ويلزم بذلك الطفرة إذ كل ثقيل يميل إلى مركزه وهوالأرض وقد وقع النص عن مولانا الصادق عليه السلام بذلك في جوابه لأسئلة ذلك الزنديق على ما في الاحتجاج ، ولما كان

---

[1] البحار ٧٧ / ٢١ ح ٦ ، إرشاد القلوب ١٩٩

الأمر كذلك أحببت أن أورد حقيقة هذه البحار الموجودة في الأرض من المحيط وغيره وأصل منشئها ومبدئها ووجه كون مياهها مالحة وحقيقة المد والجزر على جهة الإجمال والاختصار .

فأقول : اعلم أن الشيء له جهتان وحالتان وهما رسم جميع المخلوقات ، حالة وجهة ينظر بها إلى مبدئه ، والجهة الثانية ينظر بها إلى قابليته ، وله مقامان مقام بساطة ومقام تركيب ، والتركيب مرتان الأولى لذكر المركب وصلوحه والثانية لتمام التركيب والتشخيص والتعيين ، والأولى تحتاج إلى رطوبة تامة زائدة مع البرودة واليبوسة والثانية إلى نصف الأولى كما هومبرهن في العلم الطبيعي وأشرنا إليه أيضا فيما تقدم ، وقد علمت مما ذكرنا سابقا أن الحل يحتاج إلى أجزاء يابسة لطيفة في غاية اللطافة وتكون صاعدة إلى جهة المبدأ لتحقق المقابلة وكذلك ، وإلى أجزاء رطبة لطيفة وتكون صاعدة أيضا وإلا فلا يتكون ذلك الشيء كما قال مولانا علي بن الحسين عليه السلام ((وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الآمال دونك))[1] فوجب قطع الآمال لتحصيل المقابلة ويرتفع الحجاب وهومعنى الصعود في كل عالم بحسبه ، فإن الآمال إذا ارتفعت خفت جهة الإنية والخفة تقتضي الصعود إلى العلو ، وقد قلنا سابقا أن هذه الكرات الأربعة أعني النار والهواء والماء والتراب أجزاء وجود الشيء وبسائط مركباته ، وأن الأرض هي

---

[1] دعاء أبي حمزة الثمالي

اليبوسة الحافظة الماسكة لأثر الفاعل ، وأن الماء هوالرطوبة المائلة القابلة ، وأن الهواء هوالرطوبة الهابطة الواقفة ، والنار هي الحرارة الهابطة الحافظة لتأثير الفاعل ، فباجتماع هذه الأربعة يتكون الشيء ولا شك أن الاجتماع لا يكون إلا بالمناسبة ، فوجب أن يكون للنار رابطة ثقل وللأرض رابطة خفة وللماء رابطة حرارة وللهواء رابطة يبوسة ، فلوكان كل شيء في مكانه لم تتحقق الرابطة لأنها لا تحصل إلا بالسير والسفر والميل إلى الآخر فوجب أن يكون للأرض صعود لتلحق الحرارة في تكون شيء لتمام قابليته لا لتمكين القابلية فإن الحرارة تقع عليها أولا حتى تمكنها من قبول أثرها لحصول المناسبة بينهما والفرق في المقامين ظاهر إنشاء الله ، ولا شك أن هذه العناصر لترتبها في الوجود مترتبة الوجود فيكون العالي محيطا بالسافل إحاطة حقيقية فيكون سطح محدب كل منها مماسا بسطح مقعر الأعلى على مقتضى الكون والإيجاد ، لكن لو كان الأمر كذلك كليا لم يحصل النظام كليا من جهة الأسباب وحكم الله على الأشياء كذلك وإلا فهوالقادر على ما يشاء كما يشاء بما يشاء لما يشاء مما يشاء على ما يشاء لا يسأل عن فعله ولاينازع في ملكه ولايضاد في حكمه لا إله إلا هوالعلي الكبير .

ولما أجرى سبحانه عادته أن يجري الأشياء على نهج الأسباب ليتم كمال الصنع ويظهر تمام الحكمة قلنا أن ذلك لا يكون لأن الماء لوكان محيطا على الأرض بكلها لم يصعد من الأرض شيء لأن الماء بنفسه ثقيل لا يميل إلا

إلى السفل وكذا الأرض وإنما هي أثقل من الماء فلوكانت تحت الأرض ما أمكن لها الصعود لأن الصعود لا يكون إلا بمعين خارجي فإن طبعه الظاهري يقتضي النزول وذلك المعين لا يجوز أن يكون ماء لما هوالمعلوم ولا هواء لمكان رطوبة المناسبة لرطوبتها والمقوية لهما فلا تقاوم الحرارة وحدها، فوجب أن يكون هوالنار ولما كانت هذه العناصر أجساما والتأثير الجسمي لا يكون إلا بالمحاذاة والمقابلة، فإذا كانت تحت الماء المانع المخالف بطبعه لطبع النار لا تحصل المقابلة وصعود الأبخرة المائية من دون الأجزاء اليابسة ما ينفع إذ العقد لا يكون إلا باليبوسة، ولا تنعقد اليبوسة إلا إذا مازجتها الحرارة والرطوبة ولاتمازجها إلا إذا قابلتها، فاقتضت الحكمة الإلهية والولاية الربانية أن يكون جزء من الأرض بارزا ظاهرا لتقع عليها أشعة الشمس والقمر فترطبها أشعة القمر وتيبسها أشعة الشمس ثم تلطفها بكر الليل والنهار حتى تخف عنها الكثافات والعوارض فناسبت المبادئ العالية فانجذبت إليها وصعدت لديها، فتنعقد في الجوسحابا مكفهرا باختلاطها مع الأجزاء البخارية الباردة الرطبة مع اختلاطها بالأجزاء الهوائية الحارة الرطبة مع تكور وقوع الشعلات النارية عليها، فإذا وجب بروز الأرض على خلاف مقتضى الطبيعة الأولية ووفاق مقتضى الطبيعة الإيجادية لا يجوز أن يكون البروز كليا لأن الضرورات إنما تتقدر بقديرها، ولأنه يستلزم تكثر اليبوسة وهو مناف للانعقاد والانحلال كما بينا في مباحثاتنا، فوجب أن يكون جزء يسيرا من الأرض فيكون الماء

محيطا على الأرض بكلها إلى المقدار الظاهر منها وهوالبحر المحيط ، ثم لما كانت القابلية تحتاج إلى رطوبة زائلة لتكثر الحل والربط والميل في الصورة التي هي القابلة اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون القمر بفلكه الجوزهر آخر الأفلاك وأقربها إلى الأرض والقوابل السافلة لكونه مدبرا للحياة فيفيض عليها البرودة والرطوبة جبرا لكسر ما ظهر من الأرض من اليبوسة فإن الاحتياج إلى اليبوسة في الحل الأول إنما هوقليل ، فلانت الأرض اليابسة بتكرر الرطوبات النازلة من صفة الرحمن الظاهرة في القمر ونعمت وصلحت وتخللت فيها بإعانة ذوبان الشمس فأحاطت بظاهرها وباطنها ، ولما كانت الحاجة إلى الرطوبة أكثر والقمر دائما يؤثر بأمر الله بالملائكة الموكلين به برئيسهم الذي هو إسماعيل الرطوبة في الأرض بالشمس التي هي أمر الله سبحانه لتليين الأرض وإصلاحها ولزيادة الرطوبة عند الحل الأول والثاني وعند تحقق صورة التركيب ومن جهة اتصال تلك الرطوبات بالأجزاء الأرضية انعقدت المياه وتفجرت العيون إذا تحللت الأبخرة في الأرض وأصابها برد هناك وكانت مسام الأرض مفتوحة ، فلما كان القمر دائم الفيضان كثرت المياه الظاهرة من جهة الاختلاط ولما كان ذلك يستلزم اجتماع المياه على وجه الأرض لكثرة الرطوبات وذلك يبطل فائدة إبراز الأرض ولم تكن الأرض مهادا خلق الله سبحانه الرياح وجعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لينحدر الماء عن وجه الأرض ويجعلها جهة في الجهات وطرف من الأطراف

على حسب اقتضاء الحكمة التي لوشرحنا بعض ما ظهر لنا يطول به الكلام ، فاجتمعت المياه كلها أو أكثرها في جهة دون الأخر ى وتراكمت وتكاثفت وتزايدت باتصال العيون والأنهار وتكثر البخار من الأعلى والأسفل وإعانة الأمطار والثلوج والسيول وأشباه ذلك مع الرطوبة النازلة الدائمة القمرية ، ومجمع تلك المياه هوالبحر الجسماني المائي وقد قال مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام ((ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقه الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك إلا لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك لبقي الماء متحيرا على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك))[1] فلما انعقدت البحار فاختلفت بالقلة والكثرة والعظم والصغر فاختلفت باتصالها بالمحيط وعدمه ، ولما كان صنع الحكيم تعالى شأنه لا يخلومن فائدة وحكمة إذ كلما تفرض أنه شيء وجبت فيه المصلحة وهي تامة في مقامها ورتبتها وإن تفاوتت بعضها بالنسبة إلى الآخر جعل الله سبحانه قطعة من الجبل الذي اندك لتجلي الرب على موسى عليه السلام على ذلك الجبل وجعل هباء منبثا فامتزج بماء البحر حاملا لحرارة

---

[1] توحيد المفضل ١٤٥

إشراق شمس التجلي الظاهر بهذه الشمس الظاهرة واستجنت تلك الحرارة في تلك الأجزاء واختلطت وامتزجت بالبحر وهو الماء الخالص ، فغلبت الرطوبة على ظاهرها فحدثت في الماء الملوحة ولذا كان ماء البحر ملحا ولذاكان الملح أبيض في الصورة والظاهر ولاينعقد إلا في الأراضي الرطبة ويذوب إذا أصابته الرطوبة ويجمد إذا أصابته الحرارة ، ولما كان الماء قد غلب على تلك الأجزاء اليابسة والحرارة النارية من الشمس الأصلية والفرعية بقي طعم الملح لا جرمه ، وخاصيته على مقدارها لا حقيقته فتكون بذلك بأمر الله سبحانه بالملائكة الموكلين على البحار الحيوانات البحرية بأنواعها وأقسامها ، فعرض عليهم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأولاده الطيبين الطاهرين عليهم السلام وفاطمة الصديقة الطاهرة عليها وعليهم سلام الله ما دامت الدنيا والآخر ة فصارت تلك الحيوانات بقبولهم لها وعدمه مختلفي المراتب والمقامات في الحلية والحرمة والمنفعة والمضرة والحسن والقبح وحسن الصورة وقبحها وطيب الخلقة ورديها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما اختلف في الله ولا في وإنما الاختلاف فيك يا علي)) ولاتستغرب عن تكليف حيوانات البحر لطاعتهم فإنه قد ورد عنهم بما لا يسع لأحد إنكاره أن الأعراض مكلفة بطاعتهم وقصة الحسين عليه السلام مع الحمى حيث خاطبها وقال ((يا كباسة فسمع الحاضرون الصوت ولم يروا الشخص يقول لبيك قال عليه السلام ألم يأمرك

أمير المؤمنين أن لا تقربي إلا عدوا أومذنبا لتكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا الرجل))[1] مشهور ويأتي تحقيق هذا الكلام إنشاء الرحمن .

وبالجملة لهذا السر اختلفت مراتب الحيوانات البحرية في الطبيعة أيضا وكذلك اللآلئ المتكونة في الأصداف والمرجان النابت في قعر البحر وسائر المعادن مما غلبت عليه الرطوبة قال تعالى ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[2] .

إن قلت : أن الأجزاء الهبائية الحاملة لحرارة الشمس لا شك أنها في العيون والأنهار موجودة والغلبة للماء ظاهرة فلم لم يكن طعمها ملحا ؟

قلت : إني قد قلت لك أن تلك الأجزاء من أجزاء الجبل المندك كما عن أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله ابنه محمد بن الحنفية عن الغبار الظاهر في الكوة والرواشن إذا أشرقت عليها الشمس قال عليه السلام ما معناه (إن الجبل

---

[1] لم نجد هذه الرواية كما هي في هذا الشرح وإنما وجدنا ما يقرب منها وهو ما روي في البحار ٤٤/١٨٣ ح٨ عن زرارة بن أعين قال ((سمعت أبا عبدالله عليه السلام يحدث عن آبائه عليهم السلام أن مريضا شديد الحمى عاده الحسين عليه السلام فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل فقال له : رضيت بما أوتيتم به حقا حقا والحمى تهرب عنكم ، فقال له الحسين عليه السلام : والله ما خلق الله شيئا إلا وقد أمره بالطاعة لنا ، قال فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص يقول لبيك ، قال : أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك أن لا تقربي إلا عدوا أو مذنبا لكي تكوني كفارة لذنوبه فما بال هذا ، فكان المريض عبدالله بن شداد بن الهاد الليثي))

[2] فاطر ١٢

الذي اندك عند تجلي الرب صار أربع قطع الأولى انبثت في الجوفصارت ما ترى من الهباء ، والثانية وقعت في البحر فصارت غذاء للحيوانات البحرية ، والثالثة سلخت إلى الأرض وهي تهوي ، والرابعة بقيت على وجه الأرض) بأبي هو وأمي قد جمع في هذه الكلمات كل الحكم والإشارات وجعل لشيعته المفر والتخلص في كل الشبهات فللّه الحمد وله الشكر على هدايتنا لدنيه والتوفيق للتمسك بحبله والاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها .

فإن أبيت إلا الكلام الظاهري في الجواب قلت إن الأجزاء المختلطة بالعيون والأنهار إذا لم تجر على الأرض السبخة أوأرض الكبريت قليلا سيما إذا كانت جارية متجلدة دائمة فإن الجريان والسير والسفر يلطف البنية ويذهب الكثافة ويقرب الأشياء إلى أصولها ومبادئها مع ما تحققت تلك الأجزاء من البرودة الهوائية العرضية والمائية والأرضية الجوهريتان ، وأما البحر فهوراكد واقف فالمزج فيه أكثر ، ألا ترى الماء إذا كان راكدا في حوض أوغير ذلك كيف يغلظ بعد كم يوم سيما إذا كان مكشوف الرأس وإن لم يتفاوت الحال إلا أنه في تلك الحالة تقع الأجزاء الهبائية فيه أكثر ، لأن تلك الأجزاء أرضية إنما صعدت بتلطيف الشمس بتجفيفها فإذا حاذت الماء والبخار اللطيف المتصاعد من وجهه تتصل تلك الأجزاء بذلك البخار وتتثاقل وتميل إلى المركز فتقع على الماء ، فكلما كان الماء أكثر كان الوقوع

أكثر فإن كان الماء جاريا تتنزل تلك الأجزاء إلى الأرض وتلحق بالمركز ويبقى وجه الماء صافيا وإن كان واقفا تختلط به فتغلظ فتتعفن ويحصل منها رائحة منتنة لكونها في ذلك الحين ميتة مسترخية لانقطاع روح الحياة التي هي الحرارة عنها ، وأما إذا كان الماء متحركا متموجا في مكانه يصعد بما في قعره إلى وجهه وينزل بما في وجهه إلى قعره فحينئذ تعود الروح الحيوانية لتلك الأجزاء وهي الحرارة الحاصلة من شدة الحركة ، فلا يزال يشتد في الحركة والتموج وتقع الأجزاء الهبائية وتشرق عليها الشمس والكواكب الأخر كالمريخ والزهرة وزحل بباطنه ، والبروج النارية والقرانات الحارة وكل الأشعة إنما هي تستجن في الماء عند محاذاته لها ومقابلته إياها مع الحركة الباعثة للحرارة مع الأجزاء الهبائية اللطيفة الحاملة للحرارة ومع الجزاء الأرضية الأخر ى التي يصعد بها من قعر البحر حين الحركة فتستجن الحرارة في تلك الأجزاء الهبائيه لأنها هي الرابطة والأنفحة والقاضي فتناسب النار بيبوستها وتناسب الماء ببرودتها فتقوى تلك الحرارة المستجنة وتغلب الرطوبة الظاهرة فتذهب العفونة وتنعقد ملحا ذائبا ، فلواستعمله الإنسان وباشره بجسده فإذا يبس يجد آثار الملوحة فيه كما جربنا مرارا .

وأما سر الحركة فباستجنان تلك الأجزاء الحارة بإعانة الهواء المناسب لتلك الأجزاء ، ولذا ترى حيتان البحر المالح أحلى وألذ وأقوى وأسمن من الحيتان التي تصطاد من الماء العذب .

وأما سر نتن بعض البحار كبحر الفارس الذي هوالبحر الأخضر فهو من جهة تموجه وتحركه كما في البحر القلزم المواج المتحرك فليس فيه إلا الملوحة ولا نتن فيه كما جربنا ، ولما كانت الحيوانات المتولدة من البحر إنما هومددها بعد وجودها من استنشاق الماء كانت لا تعيش في البر لعدم المدد الذي به قوام أجسادهم وأرواحهم ، كالحيوانات البرية فإنها لا تعيش في الماء لكون مددهم من الهواء ومن التراب فدائما يستنشقون من الهواء الممتزج بالهباء فلو كانوا في الماء لماتوا من جهة عدم المدد ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[1] كذلك صنع الله ربنا لا إله إلا هو ، ولكل من الحيوانات البحرية خواص ينتفع بها الإنسان كما هي مذكورة في كتب الأطباء في باب مفرداتها ومركباتها وفي كتاب خواص الحيوان وسائر الكتب فلا نطول الكلام بذكرها .

وأما سر المد والجزر فإن ملكا من الملائكة موكلا بالبحار فإذا وضع قدميه فيها يحصل المد وإذا رفعهما يكون جزرا ، وسبب وضع الملك هومحاذاة القمر فإنه يحدث الرطوبات فتكثر الأبخرة فتتخلخل في ماء البحر فيكون المد فإذا انحرف عن المحاذاة عاد إلى ما كان ، ثم لما كان الله سبحانه تفضلا على عباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر ويريد الله أن يخفف عنهم وخلق

---

[1] المائدة ٤٨

الإنسان ضعيفا فقصر بهم المسافة ورفع عنهم المؤنة وجعل لهم مراكب في البحر تحمل الثقيل من الأمور التي لوكانت على ظهر الدواب تعسر حملها بل ربما تعذر وجعل لهم رياحا تسير بالمراكب حسب ما قدر لهم من السرعة والبطؤ والشدة والراحة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾[1] قال مولانا الصادق (ع) في حيث المفضل ((فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار وقلت ما إلارب فيه ، فاعلم أنه مكتنف ومضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتى تستخرج من البحر ، وفي سواحله منابت العود واليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ، ثم هوبعد مركب الناس ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق ومن العراق إلى العراق فإن هذه التجارات لولم يكن لها محمل إلا على الظهر لبادت وبقيت في بلدانها))[2] .

ثم اعلم أن ما وضعنا لك من أحوال البحر وأوضاعه كل ذلك أمثال ضربها الله سبحانه لقوم يعقلون وإشارات لقوم يسمعون ، وإن جميع ما ذكرنا دلالات على أحوال وأوضاع غريبة في عالم الغيب وفيما ذكرنا كفاية لمن كان له قلب أوألقى السمع وهوشهيد بشرط أن ينظر أيضا فيما ذكرنا من المعاني

---

[1] هود ٢٢

[2] توحيد المفضل ١٤٤ ، البحار ٣/ ١٢٢ ح ١

الحقيقية التي في البحر تغوص في هذا البحر تستخرج اللآلـئ الـتي لا عـين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والله خليفتي عليك .

واعلم أن مادة كـل عـالم مـن العـوالم السـبعة بحـر يتمـوج بـالحدود والصور ، والمـوج هوشـئونات تلـك المـادة وظهوراتـها وصورهـا وأطوارهـا وأحوالها وانفصالها واتصالها وتفرقها وبينونتها وكلها متقومة بتلك المادة تقوم الموج بالبحر فإذا سـكنت غـابت الحـدود وخفيـت عنـد ظـهورها وانمحـت وانعلمت انعدام الجزء في الكل والفرع في الأصل .

قوله عليه السلام وروحي له الفداء والجبال

اعلم أن الشيء الحادث له حالتان حالة ذوبان وانتشار وحالة انجماد وانعقاد، والحالة الأولى لها مقامان مقام انتشار للاضمحلال والانعدام والفناء على الدوام، ومقام انتشار وارتباط للإيجاد والأحكام واتفاق الصنع على التمام، فالأول مقام ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[1] ومقام ((ألق نفسك وتعال إلي)) ومقام جذب الهوية أي الأحدية لصفة التوحيد إذ الذوبان الاضحلالي الانعدامي لا يتصور إلا عند ظهور العالي على مراتبه إلى أن يخفى الظهور ويسطع النور في الديجور ويدخل المدينة على حين غفلة من أهلها فهذا الذوبان للاحتراق، وذلك عند قرع الباب ورفع الحجاب وظهور اللباب وخلوص التراب وهدم القباب وكشف النقاب قال عليه السلام ((إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لوكشفها

---

[1] طه ١٩ – ٢٠

لاحترقت سبحات وجهه ما أدركه بصره مـن خلقـه))[1] والخلـق إنمـا خلقـوا للبقاء لا للفناء إنما ينتقلون من دار إلى دار فافهم .

فالشيء في حالة الذوبان والانتشار بحر راكد وجار ، ففي الحالة الأولى هوبحر الأحدية وطمطام يم الوحدانية ، وفي الحالة الثانية هي الأبحـر المتقلمـة كبحر القدر وبحر الصاد وبحر النور وبحر الظلمـة وبحـر الحيـوان وأمثالهـا ممـا قدمنا .

وحالة الانجماد والانعقاد لها مقامـان كحالـة الذوبـان ، فـالأولى مقـام ظهور المثال وكون الفاعل وظهور الأسماء الحسنى والأمثـال العليـا والكبريـاء والآلاء ومقام الخطاب وعلامة المخاطب ومقام (لا زلت أكـرر هـذه الكلمـة حتى سمعتها من قائلها) ومقام ظهور الأحدية والهويـة والألوهيـة والرحمانيـة والرحيمية والملائكية والشارعية والديانية ، ومجمل القول هومقام (تجلى لهـا بها) ، وهومقام الفاعل في قولـك ضـرب زيـد عمـرواً ، فالفـاعل هـو زيـد الضارب أي نفس الضارب لا زيد من حيث هو ، والضارب لا شك لـه أنـه مشتق من ضرب مع أنه معمول له والفعل هو العامل فيه فيكون تحت الفعل لأن المعمول متأخر عن عامله والمشتق متأخر عن المشتق منه ، مع أن الناس ما يعنون بالفاعل والضارب إلا زيدا فصح ما ذكرنا وتبين ما قلنـا ، فـإن ضـرب المفعول المطلق لما صدر عن ضرب انتشر وذاب وفنى في بقاء الـذات وألقـى

---

[1] عوالي اللآلي ٤ / ١٠٦

ملاحظة الغير فاستعلى وطوى الوسائط فصار مرفوعا على أنه فاعل وهوكالحديدة المحماة وهوالعقد لهذا الحل والانجماد لهذا الانتشار والسكون لهذه الحركة فافهم ما ألقيت عليك من الإكسير الأحمر .

والثانية مقام العقد الحاصل من الميلين وصيرورة المجموع شيئا واحدا مقاما من المقامات الخلقية ومرتبة من المراتب الكونية من الفعل والمفعول المطلق والمفعول به والمفعول له والمفعول معه والحال والتمييز والمفعول فيه وأمثال ذلك ، والشيء في حال الانجماد والانعقاد جبل راسي وهو وتد للأرض أرض القابلية وقد كانت على الماء ماء الوجود لأنها زائدة الحاصل عنه المتولد منه ، وكانت مضطربة لعدم الإلزام التام والسكون العام فأثبتها الله سبحانه بالجبال وهي أطوار الانجماد والانعقاد وتمام الشيء وكماله ، فهناك تكون ثابتة غير مضطربة فللشيء حالات .

الأولى : حالة ظهور المبدأ له به بأطواره وأكواره وأدواره وأوطاره وهوالسماء إذ بها يفيض الحق سبحانه وتعالى عليه مدده وجوده من فاضل مدده وجوده النازل من بحر الكينونة ، وتلك الحالة والجهة هي الدخان المتصاعد من البحر بحر المادة وصعد إلى الجو ففتقه الله سبحانه سبع سماوات والعرش والكرسي وجعلها بابا للمواد السفلية والأطوار الجسمية .

والثانية : حالة قبول وانفعال وانكسار وهي أرض الجرز وأرض القابلية الرطبة المهيئة المستعدة لقبول الآثار الإلهية والظواهر الرحمانية قال تعالى ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1] .

والثالثة : حالة الانجماد والتمام والكمال الذي يستحق به اسما ويستوجب به حكما ويقتضي به أمرا من الأمور ومتمم للأمرين الأولين وهو في هذه الحالة جبل .

وقد وقع التصريح في كلام الله سبحانه لأهل التلويح بهذه المراتب الثلاثة بقوله عز وجل ﴿ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[2] فجمع بين السماء والجبال والأرض إشارة إلى هذه الدقيقة اللطيفة ، ولما كان المبدأ الذي هو ظل الكينونية في حال وجوده الأولي إنما تثلث بهذه الأطوار الثلاثة جرى هذا الحكم في كل الأطوار والأحوال الكينونية مختلطة بالإجمال والتفصيل والكمون والبروز ، فكل مرتبة سافلة أكثر جهة وأغلظ طويّة عن المرتبة الأولى ، بل الرتبة الثانية تفصيل جهات الرتبة الأولى كما ترى في العدد فإن الواحد هوالأصل والاثنان تفصيله وتكريره والثلاثة تفصيل الاثنين والتسعة تفصيل الثلاثة والمائة

---

[1] الحج ٥

[2] الغاشية ١٨ – ٢٠

تفصيل العشرة والألف تفصيل المائة وهكذا ، ففي كل مرتبة ثانية تشرح جهات الرتبة الأولى ، ولما كانت السماء والجبال والأرض مذكورة موجودة في مبدأ الوجود جرت في كل أطواره ، ولما كانت رتبة الأجسام أدنى المراتب وأسفلها وليس دونها مقام ظهرت المقامات الثلاثة مفصلة ظاهرة متمايزة ، ولما كانت هي أعظم أحوال الشيء ظهرت في هذه الرتبة الجسمية على أعظم مقام وأعظم حال بحيث لا يستقيم الكون الجسمي إلا بهذه الثلاثة .

أما السماء فظاهرة لأنها مظهر العلة الفاعلية ،وأما الأرض فكذلك .

وأما الجبال فلما قال عز وجل ﴿ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ﴾[1] فالصلابة والانجماد وترتب الأحكام والأحوال والاقتضاءات لا يكون إلا بها كما ذكرنا ، فالذي لم يرد على حوض أمير المؤمنين عليه السلام ولم يشرب من الماء المعين يستشكل في كون الجبال أوتادا للأرض ، لما صح عند الحكماء أن كل شيء له مقام طبيعي فالأرض لا شك أن لها مكانا طبيعيا وهي في مكانها لا تحتاج إلى وتد إذ الشيء في المكان الطبيعي لا يحتاج إلى معين خارجي غير ذاته كما نذكر إنشاء الله فيما بعد ونجيب عنه مفصلا على مقتضى فهم أهل المجادلة ،وأما الذكر الذي ذكرنا فهوعلى مذاق أهل الحكمة ومعرفتها حظ المؤمنين الممتحنين .

[1] النبأ ٧

فإذا علمت أن كل شيء سماء من جهة وأرض من جهة وجبل من جهة وبر من جهة وبحر من جهة ، فاعلم أن الله سبحانه لما حكم أن يحكم على الخلق بما هم عليه فعرض عليهم النور عرض تكليف واختبار ، فاختلفت الموجودات حسب قبولها لذلك النور فاختلفت هذه الجهات في الشدة والضعف والزيادة والنقصان والقلة والكثرة ، وإلا فما من شيء إلا وهوحاو للأشياء كلها إذ كل شيء يحكي صنع الحكيم وفعله وأثره وظهر أثره حاكيا لعموم قدرته ، ففي الأشياء من فيه جهة السماء أظهر كالعقول وكالأفلاك وكالملائكة والأنبياء وخيار المؤمنين ، وفيها من فيه جهة الأرض أظهر كالنفوس والأرض المعروفة والنساء وأهل التقليد والجهّال وأمثالهم ، وفيها من فيه جهة الجبل أظهر كالأجسام والأشباح والجبال المعروفة ، ولكل من هذه الثلاثة جهات وشئونات تختلف الأشياء بالاتصاف بها في القوة والضعف والخفاء والظهور وأمثالها مما لا يسعني الآن بيانها لكثرتها وتشعبها ، فإذا قيل السماء فالمطلوب منها العلو فكلما كان أعلى وظهور العلوفيه أكثر كان هوالمطلوب إلى أن ينتهي إلى آخر المقامات ، وإذا قيل الأرض فالمطلوب منها الماهية القابلية لظهور النور معتدلة في الظهور كما وصفها مولانا وسيدنا الحسن العسكري عليه السلام في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾[1] قال عليه السلام ((جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم ولم يجعلها

---

[1] البقرة ٢٢

شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ولاشديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم ولا جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم فكذلك جعل الأرض فراشا لكم))[1] وكلامه عليه السلام وعلى آبائه وولده الخلف على بركة الله الحق عجل الله فرجه وفرجهم شرح وتفسير لقوله عز وجل ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[2] وهذا الاعتدال والاستعداد والتهيؤ هوالمطلوب من الأرض ، فالأعلى أقوم وهكذا إلى آخر المراتب .

وإذا قيل الجبال فالمطلوب منها حسن الانعقاد والانجماد وعدم التفكك وعدم الاضطراب وكونها حافظة وكونها مرتفعة عن الوصول إليها أي إلى قلتها ، وكونها مرتفعة إلى العلوأي إلى جهة المبدأ للتجلي وهكذا من أحوالها الخاصة بها ، فكلما أولى بهذه الصفات أولى بهذا الإطلاق ، وهذا الاسم والإطلاق على ما مر في البحار من أنه ليس على سبيل المجاز وإنما هو حقيقة بعد حقيقة ، فأعظم الجبال وأكبرها وأعلاها الذي لا يصل إلى ذروته إلا قليل وما نال قلته إلا يسير هوجبل المعرفة جبل الظهور قال عليه السلام ((وإذا

---

[1] الاحتجاج ٤٥٦ ، البحار ٣/ ٣٥ ح١٠

[2] الحج ٥

انجلى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة فاستأنس في ظلال المحبوب وآثر المحبوب على ما سواه وباشر أوامره واجتنب نواهيه))[1] وهذا جبل الإكسير ولا لون لهذا الجبل ولايشبه معدن من المعادن بل كل المعادن منه تستمد وإليه تنتهي يناسب كل طبيعة وهولا طبيعة له سبحان من خلقه عظيم وملكه قديم لا إلـه إلا هو .

ثم بعده في السعة والثبات والصلابة جبل اليقين والاطمئنان والاستقرار قال عليه السلام ما معناه (إن اليقين أقل ما قسم الله بين العباد)[2] وهذا الجبل هوأعظم أوتاد الأرض وأكبرها وأعلاها ورسخ في جميع عروق الأرض وهومعدن الذهب على الحقيقة ، وفي بعض الأحوال معدن الدر والأرض كما قال عز وجل ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾[3] قال عليه السلام ((يعني بموت العلماء))[4] هونهاية الأرض وأعلى مقاماتها وهومتقوم

---

[1] مصباح الشريعة ١١٩

[2] ذكر المصنف أعلى الله مقامه هذه الرواية بالمعنى ونحن نذكرها بالنص لتعم الفائدة فقد روي هذا الحديث في تحف العقول صفحة ٣٥٨ هكذا ((الإسلام درجة ، والإيمان على الإسلام درجة ، واليقين على الإيمان درجة ، وما أوتي الناي أقل من اليقين)) .

[3] الرعد ٤١

[4] البحار ٧٠ / ٣٤٠

باليقين قال إمامنا وسيدنا الصادق عليه السلام ((وإذا أشرق نور اليقين في القلب وجده حلاوة الرجاء))[1] .

ثم بعده جبل العلم ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[2] وهومعدن الفضة وقد يتولد منه العقيق الأصفر والأحمر وظاهر معدن الحديد قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾[3] والناظر على هذا الجبل المريخ وهو شيخ كبير قاعد على كرسي من الدم فقد يتولد من هذا الجبل الياقوت الأحمر وهذا الجبل هو معدن الزمرد وهو جبل قاف المحيط بالكاف المتولد عنه اللام ، وخضرة السماء من هذا الجبل .

وهذه الجبال الثلاثة قد حوت كل أقطار الأرض لكن لهذه الجبال الرواسي مقومات وأوتاد أخر لا تستقر بدونها ولا تثبت بغيرها وهي ما قال الله عز وجل في كتابه العزيز ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ

---

[1] وجدنا هذا الحديث في البحار ٧٠ / ٢٢ ح ٢٢ بلختلاف يسير وهو ((إذا أشرق نور اليقين في القلب شاهد الفضل وإذا تمكن من رؤية الفضل رجا وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب)) .

[2] فاطر ٢٨ [3] الحديد ٢٥

﴿ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[2] ولما حصلت السماء والأرض والجبال علمنا أنه سبحانه يريد بالجبال هي الأوتاد لا مطلق الجبال لأنها تختلف وإن كانت من حيث هي جبال تشترك في الوتديّة ، إلا أن بعضها إلى الأرضية أقرب من الجبلية فتحتاج إلى الوتد ، فيكون الجبل المقوم للكل وتد الوتد وهوالعمد التي لا ترونها وهوالجبال المذكورة في الآية الشريفة المتقدمة ، وتلك الجبال أربعة عشر جبلا تقوم الجبال والأرضون كلها وأشار الحق سبحانه إليها بالحروف المقطعة في أوائل السور ويجمعها قولك (صراط علي حق نمسكه) ، وهذه الجبال هي مظاهر اسم الله الجواد والوهاب ، وهي وجه الله سبحانه لكل متوجه إلى ذلك الجناب بذلك الباب ، وهي يد الله سبحانه المبسوطة بالإعطاء والإنفاق ، وهي نور الله الذي قد ملأ به الآفاق ، وهي السبع المثاني وهي ركن البيان والمعاني ، وهي القلب الإنساني وهي محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والخلف الصالح المهدي سلام الله عليهم أقطاب الولاية ومراكز النهاية والبداية والأولية والآخر ية والظاهرية والباطنية والنهاية واللانهاية ، وسر الله الأكبر ونور الله الأزهر ، ونقطة دائرة الأكوار والأدوار والأطوار

---

[1] الغاشية ١٧ – ٢٠   [2] النبأ ٦ – ٧

والأوطار ، وطور تجلي الله القاهر الجبار ، وجبل التجلي في كل الأطوار ، وهذه الجبال وتد الأتد وعمد العمد وأرباب الأبد وآحاد الأحد وأصحاب السرمد ينفجر من تحتها عيون الجلال والجمال ، ويتكون فيها معادن الفضل والإفضال ، لا يصل إلى قلتها أحد ولا يعدها عدد ولا ينالها غير الله ولا يحيط بكنوزها ما سوى الله ، جبال فيها من صلابة العبودية ومهابة القهارية المغنية كلما سوى الله أعلاها ، ومن رفعة المجد والشرف والولاية أقصاها ، ومن أطوار التجلي أعظمها وأسناها ، وهي جبال الأحدية وأطوار الواحدية ومظاهر الرحمانية لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

ثم الجبال العشرة وهي جبال إبراهيم على نبينا وآله عليه السلام قد وضع عليها الطيور الأربعة أعلاها وألطفها وأشرفها وأبقاها قلب المؤمن ومحدد الجهات والصاقورة العليا ومركب العلل وعلوم الكيف واللم وعرش الاستواء الرحماني والنظر الأعلى .

الجبل الثاني صدر العلم قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[1] والكرسي الواسع للسماوات والأرض والكتاب المسطور .

---

[1] العنكبوت ٤٩

والثالث سماء الأمان وسلم الإيمان وبرج كيوان وجبل ظهور النور والاستعلان ومطيع الرحمن وطريق الجنان .

والرابع خزانة الحلم ووعاء الحكم ومظهر العلم وحجاب الزبرجد وفلك الكوكب الأسعد .

والخامس جبل السطوة ومظهر القهر لعزرائيل والحجاب الأحمر .

والسادس جبل الهيولى الثانية ومنبع الوجود الفيّاض والعرش الثاني الجسماني النوراني والباب الإلهي .

والسابع جبل الأكوان الملكوتية المحفوظة في الخزائن الإلهية ومعدن العقيق الأصفر .

والثامن جبل الهياكل الرقمية المنزلة بالقدر المعلوم وينبوع القرار ومقام الاستقرار واختلاف الأطوار والأنظار .

والتاسع جبل الحياة الذي حييت بظله الحيوانات .

والعاشر جبل الطور والقاف المذكور .

وهذه الجبال العشر عاشرها حاملها وتاسعها مثل العاشر ، والعاشر على ظهر التاسع وهما سواء ، والثامن والسابع يجمعهما في الظاهر مقدار واحد ، والستة الباقية يجمعها مقدار واحد في الظاهر إلا أن لكل واحد من هذه العشرة حكما ويكون له وبه طبع غير الآخر ، والعاشر يجمعها ويضمّها

إليه ذلك معنى قولهم أن واحدا سيغلب تسعا من بنات البطـارق، ولاريـب أن جبل القاف محيط بالدنيا كلها على ما نذكره إنشاء الله .

وهذه الجبال العشرة لها مقامان، المقام الأول مقام القشر وهي في هـذا المقام ظواهر جبال إبراهيم للطيـور الأربعـة الإلهيـة المأمور بذبحـها ومزجـها ووضع المختلط الممزوج عليها، وهـذه الجبـال أسـباب لقابليـة إظـهار تلـك الجبال .

فالجبل الأول حجـر صلـد أسـود معـدن القـار ومحـل القـرار ومقـام الاستقرار، أول منزل المولود الصالح الصفي المكـرم، كثـير المخـاوف عظيـم المنافع، إذا وصل المولود المكرم هـذا المـنزل سـلم مـن الأخطـار فيسـجد لله الواحد القهار .

ثم الجبل الثاني جبل الزبرجد ومحل نظر الكوكـب الأسـعد، وأول ظهور النور وأول اضمحلال الديجور، جبل عظيم راسي يبقى المولود المكـرم على هذا الجبل عشرين يوما لأخذ الأهبة والاستعداد لبلوغ المراد .

الثالث جبل الفيروزج وثاني ظهور النور وبسط مقام الظهور .

والرابع جبل الدر الأبيض كمد اللون مكدر .

والخامس جبل الذهب ومقام الطرب .

والسادس جبل الأسرب وعليه سـرير القـاضي العـاقد علـى الـزوج والزوجة ومحل الأنفحة وإكليل الغلبة وتربة المولود وركن المسعود.

والسابع جبل فيه معدن القلع والتصدير .

والثامن جبل الزّمرد ومحل التجرد ورتبة التفرد .

والتاسع جبل الياقوت وباب الملكوت .

والعاشر جبل الفضة ومقام النّعمة وظهور النقمة ومهبط جبرائيل ومظهر ميكائيل .

فلما تمت هذه الجبال العشرة وسير المولود الكريم في هذه الجبال ظهرت ستة جبال أخر .

الأول : جبل الحديد محلّ نظر المريخ ظاهره ذهب وباطنه فضة وهو ذو الوجهين كوكب أمير المؤمنين عليه السلام.

الثاني : جبل يجري تحته معدن الزئبق على ذلك الجبل الفتاة الغربية وعليه استقر هرمس الحكيم ، وإليه ينظر القمر في فلكه الجوزهر وهناك مقام يوشع بن نون الدّاخل على القوم الجبارين وقال يا قوم ﴿ ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] .

الثالث جبل العقيق الأصفر وعليه استقرّ الشاب الجميل صاحب القباء الأصفر الماشي على الأرض بالتبختر .

---

[1] المائدة ٢٣

الرابع جبل الياقوت الأحمر وعليه مقر الفتى الكرشي وعنده التسلط الجبرائيلي .

الخامس جبل معدن الذهب ومطرح أشعة الشمس وطور موسى ومنزل عيسى وتابوت هارون وبئر دانيال ومقام الإقبال .

السادس جبل الأسرب ظاهره الحديد وباطنه الذهب وهوجبل وعر مشتمل على الأحجار ولا يثبت لواقفه قرار .

فلما تم سير المولود المكرم والشاب الموفق المعظم في هذه الجبال الستة ظهرت جبال إبراهيم النبي صلى الله عليه وآله وهي الجبال العشرة ، وخلف كل جبل واحد مستقر عن يمينه وواحد مصلح عن يساره فعند الصعود على كل جبل أزال مفسدا فطهرت الأرض من التسعة المفسدة فافهم.

قال الله سبحانه ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[1] فمن الجبال جبل القاف وهو جبل محيط بالدنيا كلها وهومن زمردة خضراء ، وخضرة السماء منه وعليه استقرت أطراف السماء ، وليس في الأرض جبل إلا وله عرق فيه كما ورد عنهم عليهم السلام وهذا الجبل هوالوتد الأعظم الأعلى للأرض كما نذكره إنشاء الله.

---

[1] النحل ٦٨

وإنما كان أخضر لأنه مجمع الأجزاء النارية المختلطة بالأجزاء الهوائية المختلطة بالأجزاء الأرضية ، فيستدعي الخلط الأول الصّفرة والثاني الخضرة ، وصرف الأول الحمرة وصرف الثاني الصّفرة وصرف الثالث السّواد ، وإنما كان من زمردة لأنه معدن التأمت أجزاؤه من لطائف الأرض بإشراق الأنوار الشمسية عليها وإنما قال عليه السلام ((إن خضرة السماء منه)) يريد بالسماء الجو كما في قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[1] فإنها من البحر الذي بين السماء والأرض ، وإلا فالسماء الحقيقية على ألوان مختلفة كما سبق من أن لون سماء الدنيا لون الفضة وهكذا ، وهذه الخضرة المرئية في الجو إنما حصلت من الأجزاء اللطيفة الأرضية المصوغة المنفصلة من ذلك الجبل ومزجها بالبخار وإشراق الشمس عليها ، وإنما كانت أطراف السماء عليه لأنه محيط دائرة الأفق في اليوم الذي كان طالع الدنيا سرطان وكانت الكواكب في أشرافها ووجبت صلاة الظهر ، فذلك الجبل المحيط بالأرض كلها في الأفق الواحد الغير المتعدد هو القاف ، ولذا كانت كل الجبال لها عرق فيه ولذا عبر عنه بالزمردة الخضراء ، وأما بعد ما تحركت الأفلاك واختلفت الآفاق فأهل كل بلدة وأفق ما يصلون إلا إلى عرق واحد منه إلا لمن وصل ذلك الأفق الأعظم فيحيط بذلك الجبل فيرى الملك الموكل

---

[1] الفرقان ٤٨

به كما فعل ذوالقرنين في الحديث المشهور المذكور في باب الزلزلة ، وهذا حكم الظاهر في الكون الجسمي في الإنسان الكبير الكلي .

وأما في الإنسان الصغير فهوالجسد والجسم المحيطان الحاويان لكل ما في الإنسان من الأركان الغيبية والشهودية وعليه دائرة الأفق الأعظم فينصف الإنسان إلى علوي وسفلي ، وهوزمردي اللون وإن ظهر بالبياض في بعض وبالسواد في الآخر ين ، وهو لما قلنا من اختلاف الآفاق وميلها من وقوع أشعة الإشراق ومزجه بخلاف جنسه فقبل إما طبيعة المازج ولونه أو طبيعة ثالثة بينهما ، وليس المقام لبسط الكلام فيه ، وخضرة سماء عالم هورقليا بالاقتران به والميل إليه وهي عالله في الرؤيا .

وأما في الباطن الإضافي فكل عالم الأجسام سماواته وأرضوه وبحاره وأنهاره وأشجاره ظهر عليها عالم الغيب بشؤونه وأطواره وأسراره وأنواره ، ولما كان عالم الغيب يختلف في الغيبة والشهود بحسبه فيصرف هذا الجبل في كل مقام بحسبه ، وهذا الصرف والإطلاق حقيقي لا مجازي على ما قال عليه السلام ((إنما سميت كعبة لأنها مربعة وصارت مربعة لأنها بحذاء البيت المعمور وهومربع وصار البيت المعمور مربعا لأنه بحذاء العرش وهومربع وصار العرش مربعا لأن الكلمات التي بني عليه الإسلام أربع وهي سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر))[1] وهذا الجبل هوعالم الظاهر

---

[1] الفقيه ٢/ ١٩٠ ح ٢١١٠

والصورة كما قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] في كل عالم بحسبه وكل مقام برتبته فافهم .

وهذا الجبل هوعلم الحقيقة ولب الطريقة وباطن الشريعة وقال عليه السلام في حمعسق أن (حم هومحمد صلى الله عليه وآله وعلم علي عليه السلام كله في عسق) فالعين عبودية والسين سناء المجد وبهاء الشرف اللاّزم للعبودية ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلى الأكوان والأعيان والأطوار والأوطار والذوات والصفات واللّوازم والقرانات وأمثالها ، والقاف قرب ووصال ونعيم واتصال ، فظهر مقام الحجب وصلى الله على محمد المنتجب وعلى أوصيائه الحجب ، ومقام الظاهرية ((فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عباده))[2] ((إن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم))[3] وهذا الجبل معدن الحقائق والأسرار وينبوع الحقائق والأنوار مفتاح الجنان وعرش الرحمن ووعاء الأسماء وظهور المسمى فافهم الإشارة ولاتحمل على العبارة .

ومنهاجبل النور وهوجبل حرم مكة شرفها الله ، وهوجبل شامخ من حضيضه إلا أعلاه أربعة فراسخ وذلك لسر العبودية في التوحيد لكونه حرم الله الواحد القهّار ، والتوحيد لا يتم إلا في أربعة مقامات ولتربيع أركان

---

[1] النحل ٨٠ [2] البحار ٢٦/ ١٤ ح ٢ [3] تفسير فرات ٥٥١ ، البحار ٧/ ٢٠٢ ح ٨٨

البيت جريا بحكم المطابقة بالأنوار الأربعة والأسرار الأربعة والأطوار الأربعة والأوطار الأربعة والأكوار الأربعة والأدوار الأربعة، فلله في كل عالم حرم وبيت وجباله أربعة فراسخ في ثلاثة أطوار ألم تسمع قول الله تعالى ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴾ على قراءة يسبح بالبناء للمفعول والوقف على الآصال رجال أي تلك البيوت ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[1]، والبيت إنما واقع بين الجبلين كما ترى في الظاهر وهو يشير إلى أن ظهور الحق سبحانه للخلق ما يمكن إلا بين جبل النبوة والولاية قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[2] وفي الدعاء ((فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[3] وهذان الجبلان في الظاهر أسودان لم ينبت عليهما شيء محترقان لشدة حرارة الشمس، والوجه في ذلك ذل العبودية وكونهما مظهري التكليف ومصدري المشتقات الجسمانية المخالفة للطبيعة الظاهرية الجسدية وقد قال عز وجل ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[4] وقال عز وجل ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن

---

[1] النور ٣٦ – ٣٧ [2] الرعد ٧ [3] دعاء رجب لمولانا الحجة عجل الله فرجه [4] البقرة ٤٥

﴿يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ ﴾[1] ، وقد ظهر أن النبي ﷺ والولي عليه السلام ما شبعا من خبز الشعير وهذا هو السر في احتراق الأراضي الطيبة وملوحة مائها وقلتها وقلة أثمارها وأشجارها وشقاوة أغلب أهلها وإفسادهم ، فإذا رجعت الأشياء إلى مبادئها وأصولها رجعت تلك الأراضي الطيبة إلى الحسن الذّاتي فتفجر أنهارها وتنضج ثمارها وتكثر أزهارها ويعتدل هواؤها ويستصلح أهلها ، لأنهما هي الأرض المقدسة والجسد الحديد ، فقبل إزالة الريش هو غراب وأرض منتنة فإذا أزيلت فيكون عقابا وأرضا مقدسة مطهرة وتكون مادة الإكسير الأحمر والأبيض .

ومنها جبل أحد الواقع بقرب المدينة الذي استشهد عندها حمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ، وهذا الجبل أعظم الجبال وأعلاها ولذا يقع التشبيه للأمور العظيمة الكبيرة الداهية به وهو في أخبارنا كثيرة مع أنه في الصورة الظاهرية صغير ليس له ارتفاع تامّ كجبل أبي قبيس الذي هو في مكة ، وعظمته إنما هو لأصله لأنه ثابت وراسخ إلى التخوم ولا كذلك سائر الجبال وإنما هي على ظهر الأرض ، فيكون هذا الجبل من أعظم أوتاد الأرض في كل عالم بحسبه ، وإنما كان هذا الجبل مختصا بهذا الحكم لكونه في مدينة الرسول ﷺ ظهر مثالا للنبوة على الأطوار المختلقة منها كسر العبودية واندكاك جبل الإنية وإعدام نفسه عند بقاء ربه فثبت واستقر واستعلى باطنا

---

[1] الزخرف ٣٣

وصار به قرار الأرض فلم يرتفع ظاهرا للفرق بينه وبين جبل مكة كالفرق بين حرم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم والفرق بين القيام والركوع ، وإنما صار جبل أحد راسخا ثابتا إلى التخوم دون أبي قبيس لسر أن التوحيد لا يتم إلا بالنبوة ولذا كان مقام الركوع أعلى من مقام القيام ، ولأنه مقام جلال العظمة ولذا اختص الركوع بذكر العظمة سبحان ربي العظيم وبحمده .

ومنها جبل النجف الأشرف وهوأعظم من جبال الدنيا وهوالجبل الذي أوى إليه ابن نوح عليه السلام عند الطوفان لارتفاعه وعظمته وعلوه كما قال مولانا الصادق عليه السلام على ما في البحار عن أبي بصير أنه عليه السلام قال ((إن النجف كان جبلا وهوالذي قال ابن نوح ﴿ سَآوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ ﴾[1] ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه فأوحى الله عز وجل إليه يا جبل أيعتصم بك مني فتقطع قطعا قطعا إلى بلاد الشام وصار رملا دقيقا وصار بعد ذلك بحرا عظيما وكان يسمى ذلك البحر بحر ني ثم جف بعد ذلك فقيل ني جف فسمي بنيجف ثم صار بعد ذلك يسمونه نجف لأنه كان أخف على ألسنتهم))[2] وإنما تقطع هذا الجبل إلى بلاد الشام لأنها هي الأرض المقدسة وصار رملا دقيقا لظهور نور التجلي حتى تخلل بالاستيلاء والغلبة على كل جزء من أجزائه إلى أن عجز عن التماسك فإن التماسك لا

---

[1] هود ٤٣ [2] البحار ١١ / ٣٢١ ح ٢٩ ، علل الشرائع ٣١

يكون إلا بالأجزاء الأرضية المستجنة فيها الأجزاء الرطبة المائية والهوائية المشرق على ظواهرها النار ، وأما إذا تخللت النار في كل جزء جزء واستولت وغلبت تفككت الأجزاء وتفرقت وذابت لعظمة الله سبحانه إلى أن صارت بحرا ، وإنما كان اسم ذلك البحر (ني) لأنه اسم للسين الذي هو اسم محمد صلى الله عليه وآله كما في قوله تعالى ﴿ يسٓ ۝ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾[1] ولما كان كل حرف له اسم يخص به كان اسم السين هو الياء والنون وهما بيّناته فإن البينات اسم للزبر على ما فصّل في علم الحروف ، وقد اتفق في هذا الحرف خاصة تطابق الاسم والمسمى والزبر والبينات في القوة والعدد ، ولما كان علي عليه السلام هو آية رسول الله صلى الله عليه وآله ودليله وعصا عزّه وتاج فخره كان اسما له لأن الوسم وهو الدليل والآية ، فلما كان رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه السين كأسماء الله سبحانه بذلك فيكون بينات اسمه هو علي عليه السلام قال الله تعالى ﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾[2] ، ولاشك أن البينات مطوية ومخفية عند الزبر ، كذلك علي عليه السلام صامت عند ظهور النبي صلى الله عليه وآله ولما كانت المدينة منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله والنجف إلى علي عليه السلام فجرت المناسبة في الظاهر كما كانت جارية في الباطن فسمي ذلك البحر (ني) تسمية للنور باسم المنير ، ووجه التقطيع لما ذكرنا من وجه ارتفاع جبل أبي

---

[1] يس ١ – ٢

[2] العنكبوت ٤٩

قبيس على جبل أحد وانخفاض جبل أحد فاقتضى الحكم أن ينقطع هذا الجبل لأنه مقام السجود بالنسبة إلى الركوع في الصلاة وهومقام جلال القدرة ، ولذا اختص السجود بذكر سبحان ربي الأعلى وبحمده ، وأما جفاف البحر لإظهار النور وإبراز السرور وكونها أرض النشور ودار السلام ودار الحبور صلى الله على محمد وعلي وآلهما الطيبين الطاهرين .

وهذا الجبل هوالربوة التي في القرآن في قوله تعالى ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[1] فهناك وضع عيسى عليه السلام قال عليه السلام ((الربوة الكوفة والقرار المسجد والمعين الفرات))[2] وعنه عليه السلام مصرحا بالأمر ((إن الربوة نجف الكوفة والمعين الفرات))[3] ولذا اشتهر بين الخلق أن أرض النجف أعلى الأراضي كلها بكل معنى .

ومنها جبل طور سيناء وهو ربوة النجف ظاهرا وباطنا وما قيل أنه في الشام وهي الأرض المقدسة فالمراد به قطعة من جبل النجف الذي تقطع وصار قطعا قطعا إلى أرض الشام ، وأما في الحقيقة فهوهذه البقعة المباركة قال عليه السلام ((الغري قطعة من الجبل الذي كلم الله عليه موسى تكليما وقدس عليه عيسى عليه السلام تقديسا واتخذ عليه إبراهيم خليلا واتخذ عليه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حبيبا وجعله للنبيين مسكنا))[4] والوجه في الكل ظاهر لأنهم تبع فلا يخالف التابع المتبوع من حيث أنه تابع أبدا في المقامات كلها وجودا كان أم

---

[1] المؤمنون ٥٠   [2] معاني الأخبار ٣٧٣   [3] المزار ١٦   [4] المزار ٢١

ظهورا ، ولما كان الأنبياء متمحضين في الولاء مخلصين في ولاية سيد الأنبياء والأولياء ظهر لهم الحق سبحانه في محل ظهوره صفوة الأصفياء علي أمين الله في الأرض والسماء عليه سلام الله إلى ما لا نهاية له ولا وراء كرفع قائم في قولك جاءني زيد القائم ونصبه في قولك رأيت زيدا القائم وجرّه في قولك مررت بزيد القائم ، والقائم تابع لزيد في كل أحواله فكذلك الأنبياء تبعوا أمير المؤمنين عليه السلام في كل مظاهره وأحواله الظاهرة والصفات اللازمة ، وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فمن جهة أنه نفسه قال تعالى ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾[1] قال النبي صلى الله عليه وآله ((يا علي أنت نفسي التي بين جنبي)) ولكونه عليه السلام طائفا حول جلال القدرة والنبي صلى الله عليه وآله طائفا حول جلال العظمة وهذا الظهور عام كلّي في كل مقام بحسبه ورتبته ولا نفصل لما أشرنا سابقا لأهلها وهذا الكلام في مقام الجمع .

أما في مقام التفصيل فنقول مجملا قال شيخنا أطال الله بقاءه (أما الجبل الذي كلّم الله موسى عليه السلام تكليما هوجبل طور سيناء وجبل حوريث ، وأما الجبل الذي قدّس الله عليه عيسى عليه السلام تقديسا فهوجبل ساعير على المعاني كلها وقيل ساعير جبل في الحجاز يدعى جبل الشراء كان عيسى عليه السلام يناجي الله تعالى عليه) ، أقول إنما كان بالحجاز لأنه حرم الله وحرم

---

[1] آل عمران ٦١

رسوله ﷺ، قال سلمه الله (وعنده إجابة الدعاء وقيل ساعير قبة كانت مع موسى عليه السلام كالتخت للملك، وأما الجبل الذي اتخذ الله عليه إبراهيم عليه السلام خليلا يعني الذي ظهر له عليه فهوالربوة من منى في مسجد الخيف أو في إيليا وهي مدينة القدس أو في جبل فلسطين عند بئر شيع وهو البئر الذي حفره وبناه عنده مسجدا ، وأما الجبل الذي ظهر فيه لمحمد ﷺ وهو جبل فاران من جبال مكة بينه وبين مكة يوم كذا في الخبر عن الرضا عليه السلام ظهر فيه بربوات المقدسين فوق إحساس الكروبيين) انتهى كلامه أطال الله بقاءه، فوق غمام النور وفوق هذا الجبل كان ينبوع علم الجفر الأحمر والأبيض البقرة التي أتى بها جبرائيل من الجنة فذبحها علي عليه السلام وسلخ جلدها فأملا عليه رسول الله ﷺ وكتب ذلك العلم على جلد تلك البقرة التي اسمها الجفر، وهذه هي البقرة الصفراء فاقع لونها تسر الناظرين فجعلها عليه السلام ثمانية وعشرين جزء في ثمانية وعشرين ورقة في صفحتين في ثمانية وعشرين سطرا في ثمانية وعشرين بيتا في أربعة أحرف، وتلك البقرة ظاهر البراق الذي صعد به رسول الله ﷺ إلى عالم القدس وبلغ مقام قاب قوسين، وبين هذا الجبل ومكة التي هي حرم الله سبحانه يوم جرى الظاهر طبق الباطن فإن قلب المؤمن هوعرش الرحمن وهذه البقرة المذبوحة على جبل فاران مقام الروح عالم الظلال على شكل الورق الآس وبينه وبين

القلب مرتبة واحدة ، وهذه الثمانية والعشرون تطورات الوجود وضبط نسبه وأوضاعه وأحواله وصفاته وإضافاته وقراناته كما هومعلوم عند أهله ، وهـذه الجبال المفصلة كلها جبل واحد كما قال مولانـا الصـادق عليه السلام أنـها ((هـي نجف الكوفة)) إذ مرجع جميـع التجليـات الكونيـة والعينيـة بـل الإمكانيـة والأزلية الوصفية الظاهرة في الرتبـة الإمكانيـة كلـها إلى الولايـة قـال تعـالى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ ﴾[1] ، وما ظهر بالولاية العامة المطلقة الكليـة إلا مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طـالب عليه السلام وراثـة مـن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون محل ظهوره الخاص وموقفه محل جميع الأنبياء والمرسلين وهذا معنى مـا ورد أن جبرائيل ما كان يأتي رسـول الله إلا بـإذن علـي عليه السلام فافـهم فـإني كررت العبارة لتحظى بالإشارة.

فإذا عرفت هذا القدر من الكلام فاعلم أني أحـب أن أذكـر في هـذا المقام منشأ تكون الجبال وأسباب وجودها وعلّة تحققها على جهة الإجمال فـإن بعض المموّهين من أهل الضلال من النصارى قد أورد نقوضا علـى القـرآن لإبطال أمر الله وإطفاء نور الله وأبى الله إلا أن يتم نوره ويحكم أمره ، وكان مما قال خذله الله في النقض على قولـه عـز وجـل ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾

[1] هود ١٢٣

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[1] أن الأجسام من البسائط والمركبات لا شك أن لها مكانا طبيعيا إذا خليت وطبعها ما تطلب إلا إياه فلا تحتاج في طلب المكان الطبيعي إلى قاسر ومعين فإذا كان كذلك فلا معنى لقوله ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ فإن الأرض في مكانها الطبيعي لا تحتاج إلى الوتد، وهذا الكلام لو تأملته وجدته أن صاحب هذا القول ما ذاق من المعرفة شيئا ليس بناؤه إلا التمويه، لأنا نقول له إن الشيء في المكان الطبيعي لا يحتاج إلى معين أو إلى قاسر لو صح لكنك أثبت أولا هل الأرض في مكانها الطبيعي أم لا، فإن قلت أنها في مكانها الطبيعي قلت لماذا أخرجت قطعة منها عن الماء دون باقيها مع أن كل سافل مركز للعالي، ألا ترى الأفلاك فإنها محيطة على كرة النار في كل جوانبها والنار محيطة على الهواء كذلك وإلا لم تكونا في مكانيهما الطبيعيين بتقدير الله سبحانه، فيجب أن يكون الماء أيضا محيطا بالأرض في جميع جوانبها وإلا لاختل النظام الطبيعي، ومع أن الأمر ليس كذلك فإن الأرض قطعة منها بارزة عن الماء ليست في إحاطة الماء للبرهان الذوقي والسر الإلهي الذي ذكرنا سابقا في البحار، فخرجت الأرض عن مكانها الطبيعي بتسخير الله سبحانه الذي خضع له كل شيء وذل له كل شيء، ولما أن الله سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا على أسبابها لأنه هو مقتضى الحكمة وإظهار الأسماء الجلالية والجمالية وباقي الأسماء المتقابلة جعل لتلك القطعة أسبابا يمنعها عن الغوص

---

[1] النبأ ٦ – ٧

في الماء وإلا فهي بمقتضى ذاتها وطويتها وضعف اختيارها لبرودة القابلية وانحطاطها عن رتبة الصعود إلى الفاعل والمقبول فصارت تهوي إلى مركز سفلها إلا أن يمنعها مانع من إشراقات أنوار الفاعل وروابط آثاره المقتضية للصعود ، وأنت قد علمت ما ذكرنا سابقا أن النار هي ظهور الفاعل ومثاله في العالم الجسمي والهواء ظهور المقبول ومثاله في ذلك العالم ، فالفاعل بذاته يقتضي الرفع والصعود لأنه مركز الخفة وكذا المقبول لأنه جهته فصار مثاله أيضا كذلك فإذا ألقى الفاعل مثاله الذي هوالنار بواسطة المقبول الذي هوالهواء الرطوبة الذاتية المعتدلة في هوية القابل المفعول فإن كان ذلك المثال بالظهور أقوى من ماهية المفعول وإنيته فيظهر فعل الفاعل الظاهر من المثال من حقيقة المفعول كالحديدة المحماة بالنار ، وإن كانت الإنية والماهية أقوى فيتبع ذلك المثال مقهورا مضمحلا فانيا فيجري على المفعول مقتضى الماهية المجتثة الهابطة إلى أسفل السافلين قال سبحانه وتعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾[1] .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الله سبحانه لما خلق العالم كان طالع الدنيا السرطان وكانت الكواكب في أشرافها ، فكانت الشمس في التاسع عشر درجة من الحمل وأول وقت الزوال وقت فريضة الظهر ، والشمس قبل أن

---

[1] التين ٤ – ٥

تغيبها السحب والموانع وأول ظهور المبدأ كانت في كمال القوة من الظهور سيما إذا كانت في بيت شرفها ، فإن الكواكب في بيت الشرف أقوى تأثيرا مما إذا كانت في غيره سيما إذا كان بيت الشمس الحمل أول برج من البروج النارية الفاعلية ليس برج في البروج أقوى وأشد تأثيرا منه لأن الحرف المقابل له الألف وهو من الحروف النارية في مقام الرتبة ، فظهر الفاعل بكمال التأثير في بدء التدبير فمكن القابل من المقبول لحكم التسخير فاحترقت المياه التي كانت على الأرض القابلية المانعة من قبولها لتأثير الفاعل مما يحاذي منطقة البروج إذ الشمس إنما يكون سيرها عليها فوقعت أشعة الشمس وكواكب البروج النارية وسائر الكواكب لأنا قد قلنا سابقا أن الكواكب شعلات نارية كانت مستجنة في زبد البحر ، والأرض الظاهرة عن الماء المقابلة للكواكب في بدء ظهورها وفقدان الموانع المانعة كانت مهيأة للقبول ومستعدة له وهي الأرض الجرز وهي التي قال الله عز وجل ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[1] فلما وقعت أشعة الشمس الشعلات النارية الخارجة من قدح زناد مقابلة الشمس للأرض على الأرض حفظها الهواء برطوبتها ، وإلا فالشمس حارة يابسة والأرض باردة يابسة كانت تحترق ولم يبق لها قرار فاحتاجت إلى

---

[1] الحج ٥

ملين من جهة النار وملين من جهة الأرض لتحفظ تلك الأشعة عن اللحوق بالمركز وتظهر الأفاعيل حسب ما اقتضت المصلحة ، إلا أن الفاعل في البدء لما كان قوي الظهور فيكون ظهوره وبروز آثاره وأفعاله أقوى من غيره فظهرت الحرارة في الأرض واستجنت فيها وتلطفت الأرض بالتليين المائي من الأجزاء البخارية والهوائية وغلبت عليها الحرارة أي على الوجه المقابل للشمس والكواكب فلطفت وتخللت الحرارة في جميع الأجزاء الظاهرة المقابلة فتفككت ، فبعضها صعدت إلى الجو وهي اللطائف التي ذهبت إنيتها فشابهت أوائل عالمها فلحقت بمركزها بمقدار قوة المشابهة وضعفها وقلتها وكثرتها ، وبعضها بقيت على الأرض فهي في حال تفرقها لم يظهر لها تأثير تام بحيث يمنع الأرض عن اللحوق بمركزها فأرسل الله سبحانه ريح الدبور فحركت تلك الأجزاء المستجنة فيها الشعلات النارية وجعلها إلى ناحية من النواحي بأسباب يطول بذكرها الكلام ، فأرسل ريح الصبا فهبت عليها وأحدثت الرطوبة فيها فلانت الأجزاء ومالت بعضها إلى بعض ، فأرسل الله سبحانه ريح الجنوب الموكل به أعوان من جنود إسرافيل فمزجت بين تلك الأجزاء مزجا تاما بقوة الحرارة والرطوبة ، فأرسل الله سبحانه ريح الشمال الموكل به أعوان من جنود عزرائيل فعقدت تلك الأجزاء إلى أن انجمدت ، وعلى هذا القياس تراكمت الأجزاء الأرضية وانعقدت بإعانة الله سبحانه بتسبيب هذه الملائكة الأربعة الموكلة بالرياح الأربعة فتكونت

الجبال ، فهي بذاتها باستجنان تلك الأشعة النارية التي تقتضي الصعود إلى العلو وغلبة الأجزاء الأرضية عليها تقتضي الهبوط إلى السفل ، فالأجزاء النارية القوية تمنعها عن الهبوط والأجزاء المتراكمة الأرضية تمنعها عن الصعود فبقيت في مكانها في غاية الاعتدال ، ولما كانت القطعة الخارجة عن الماء متصلة بهذه الجبال ومرتبطة بها مع ما ظهر عليها أيضا من أنواع التسخينات بحفظ الجبال إياها لها ما هبطت فبقيت على الحال التي نرى فكانت أوتادا للأرض وأعمدة لتقومها فوق الماء ، وهذا الذي ذكرناه هومعنى ما قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الجبال خلقت من الأمواج والسماء خلقت من الدخان والأرض من الزبد كما روى الصدوق بإسناده عنه عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال ((قال : فمم خلق السموات قال أمير المؤمنين عليه السلام من بخار الماء قال : فمم خلق الأرض قال عليه السلام: من زبد الماء ، قال : فمم خلقت الجبال قال عليه السلام: من الأمواج))[1] ، يريد عليه السلام بالماء هوالمادة الجسمانية ، ويريد من بخارها لطائفها وصافيها كما هو الواقع ، ويريد بالزبد غلظتها وكثافتها وعدم ثبوتها وكونها على وجه الماء ، ويريد بالأمواج هي الشعلات المستجنة في المادة الجسمانية بواسطة أشعة الكواكب مع الأجزاء الكثيفة ، ولذا ترى أن المعادن كلها مادتها الكبريت والزئبق واختلاف أنواعها بلختلاف وقوع أشعة الكواكب عليها وتصفيتها وعدمها واعتدالها

---

[1] علل الشرائع ٥٩٣

وعدمه وغلبة بعض الطبائع وأمثال ذلك ، وهـذه الأحجـار الصلبـة الحمـراء والصفراء والسوداء وسـائر أقسـامها مـا تنعقـد إلا بحـرارة قويـة مـن أشـعة الكواكب وشرحها وتفصيلها مذكور في كتب القوم في المعـادن ومرادنـا هنـا الاقتصار بما لم يذكروا .

وبدن الإنسان أيضا كذلك كالشجرة فإن الروح تصعد بـه إلى العلـو والأجـزاء الأرضيـة تـهبط بـه فبقـي واقفـا مـائلا إلى العلومتصـلا بالسفل ، والإنسان استعلى رأسه ورقبتـه وصـدره لقـوة الحـرارة فكلمـا فيـه الحرارة أكثر هوأعلى إلى الرجـل المتصـل بـالأرض لمناسـبة الـبرودة ، فلـولا الروح لوقع ملقى علـى الأرض مـا يتحـرك كمـا نشـاهد عنـد نـزع الـروح عنه ، ولولا الجسد كان فوق الأفلاك بأربعة آلاف فرسخ ، فبـالأمرين تم خلـق الإنسان والحيوان في أحسن تقويم فالجسد جبل للطينة الحيوانيـة والإنسـانية وهكذا ، والتربة التي يأتي بها الملك فيمزجها بين النطفتين جبل ووتد لنطفة المرأة ولولاها لاحترقت بحرارة نطفة الرجل أو انجمدت حرارة نطفـة الرجـل ببرودة نطفة المرأة ذلك تقدير العزيز العليم .

قوله عليه السلام على تلاطم تيار

بيان لحقيقة الجبال ومادة تكونها، وبيان لتطورات البحار بالأطوار وشرح لما ذكرنا من الأنوار من أن الشيء من حيث الذوبان بحر ومن حيث الانجماد جبل، والانجماد لا يكون إلا بالذوبان فيكون الجبل موجا من أمواج البحر إلا أن موج كل بحر على حسبه، فالجسم جسماني والروح روحاني والنفس نفساني والعقل عقلاني والجامد منجمد والسيال جار وذائب، وأنت قد علمت سابقا أن البحر يطلق على الحقيقة على الشيء الواحد الصالح للشئون والأطوار الكثيرة كما دلت أخبار أهل العصمة عليهم السلام كبحر النار وبحر الظلمة وأمثال ذلك، والبحر له ثلاث مقامات.

الأول: مقام ما يتصاعد منه من الأبخرة وهذا ليس فيه موج محسوس وإن كان فيه موج بحسب مقامه، وإنما هوأجزاء لطيفة شريفة يخرج عن مركز السفل إلى مركز العلووالخفة.

والثاني: مقام سكونه واطمئنانه ومقام ذاته من حيث هو.

والثالث: مقام الموج والاضطراب والحركة والميل والأحوال.

فالمقام الأول فليس مما نحن فيه لأنها أمور تخرج عن البحر وتدخل في البحر الآخر فإن كان فيها حرارة إنما هي مكتسبة من أمور أخر .

المقام الثاني هومقام التكون وهوعلى قسمين .

أحدهما : سكون ليس فيه حركة أصلا بوجه من الوجوه ، وهذا السكون ليس ضدا للحركة إذ ليس فيه ذكر للحركة وأحد الضدين مذكور عند الآخر فلا يخرج من هذا البحر في هذا المقام شيء ولا يدخله شيء .

وثانيهما : مقام سكون عن الحركة أو عن صلوحها ، فإن الواحد وإن قيل أنه غير متكثر ولا متحرك ولكن فيه حركات ذكريه قلبية غير ظاهرة في الجوارح وعالم الحس في كل عالم بحسبه ، والبحر في هذا المقام مادة للأمواج وما يخرج منه إلى الأعلى فله في المقام الأول حركات شديدة واضطرابات عنيفة وميولات سريعة لكنها غير ظاهرة ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ﴾[1] .

وفي المقام الثاني حركات ظاهرة لأهل الإشارة يعرفها الملاحون وأهل السفينة العالمون بأحوال البحر واقتضاءاته فلا يتصور موج في المقامين إلا باعتبارات قريبة بعيدة ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾[2] .

---

[1] النمل ٨٨

[2] المعارج ٦ – ٧

والمقام الثالث مقام ظهور الحرارة لاستدعائها الحركة فلما تتزايد الحركة تتزايد الحرارة وكلما تتزايد الحرارة تتلطف الأمواج ، ولذا إذا نظرت إلى البحر المواج في الليل ترى الأمواج كأنها نيران اشتعلت على وجه الماء ، وتلك الحرارة هي المستجنة في البحر أظهرها داعي الحركة من العواصف أو الأدخنة أو غير ذلك ، فالأمواج محل النيران ومظهرها والنيران محلها الأفلاك فتميل إليها لكن لحقها ثاء الثقيل فبقيت في مكانها فكانت الجبال أوتادا على ما بينا سابقا وآنفا .

وأما الأمواج بالنسبة إلى البحار فاعلم أن أمواج بحر الأحدية هي هياكل التوحيد وسكان عرش الله المجيد وجبال التنزيه والتفريد ، وأمواج بحر الواحدية هي الأسماء والصفات ومواقع التجليات ومظاهر التعلقات وظهورالأسماء المتقابلة والصفات المتضادة المتباينة ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه))[1] كم غرقت هذه الأمواج سفنا كثيرة وكم كسرت مقامات عديلة ، ما يسير في هذا البحر عند التلاطم والتيار إلا أ هل الجزيرة الخضراء المخضرة من نور الزمردة الخضراء كتاب الأبرار ، لكنه في كون الكينونة لا كون البينونة وكون الإطلاق لا كون التقييد وكون النار ولو لم تمسسه نار لا كون الهواء يكاد زيتها يضيء فهم من فهم .

---

[1] الزيارة الجامعة الصغيرة

وأمواج بحر اللاهوت هي سطوات الجبروت واعتبار ظهورات قصبة الياقوت ومبدأ الكينونة الثانوية في الرحموت .

وأمواج بحر الجبروت ذرات الملكوت وأمواج بحر الملكوت هي الشئونات الشبحية والمقدارية .

وأمواج البحر الأبيض قريب الجزيرة الخضراء هي عالم الملك ، وأمواج هذا العالم على أنحاء كثيرة وأطوار غريبة عجيبة ، طور هي الأفلاك ، وطور هي العناصر ، وطور هي المتولدات ، وطور هي الجبال ، وطور هي المعادن ، وطور هي النبات ، وطور هي الحيوان ، لا إله إلا الله ذو الملك القديم والمن الجسيم له الكبرياء والقدس والعظمة سبحانه وتعالى عما يصفون .

قوله عليه السلام
رقيق رتيق فتق رتاجها فتغطمطت أمواجها

قال في مجمع البحرين (الرق في بالكسر من الملك وهوالعبودية وهومصدر رق الشيء من باب ضرب ومنه الدعاء ((سجدت لك يا رب تعبدا ورقا)) والرقيق يطلق على الذكر والأنثى والجمع أرقاء مثل شحيح وأشحاء وقد يطلق على الجمع أيضا فيقال ليس في الرقيق صدقه أي في عبيد الخدمة والرقيق خلاف الثخين والغليظ ومنه الثياب الرقاق وخبز رقاق بالضم أي رقيق الواحد رقاقة والرقة بالكسر ضد القوة والشدة والرقة بمعنى الرحمة من رق لهم رحمهم ومنه الحديث ((إن أصحاب أبي أتوه فسألوه عما يأخذه السلطان فرق لهم)))[1] .

(والرتق هوضد الفتق وهوالالتئام)[2] .

---

[1] مجمع البحرين ٥/ ١٧٢

[2] مجمع البحرين ٥/ ١٦٦

والفتق الشق والفتح (وفتقت الشيء فتقا شققته الفتق شق عصى الجماعة ووقوع الحرب بينهم وفتقت الثوب من باب قتل نقضت خياطته حتى فصلت بعضه من بعض فانفتق وفتقت بالتشديد مبالغة وتكثير)[1] .

الرتج في المجمع (في الحديث السماء تفتح فلا ترتج أي لا تغلق من أرتجت الباب أغلقته ، ومنه أمرنا النبي صلى الله عليه وآله بإرتاج الباب أي بإغلاقه وارتج على القارئ إذا لم يقدر على القراءة ، وفي حديث فاطمة بنت أسد وقد سألت من إمامها فارتج عليها فقال لها النبي صلى الله عليه وآله ابنك ابنك يعني استغلق عليها معرفته ، والارتتاج بتاءين مثناتين فوقانيتين بمعنى الانغلاق ، والرتاج بالكسر الباب العظيم)[2] .

وفي المنتخب غطمطم وغطم بحر عظيم .

أقول : إذا أخذنا الرقيق بمعنى الرقة ضد الثخين والغلظة يجوز أن يكون صفة للتلاطم والتيار وأن يكون صفة للجبال والبحار بالقول بتساوي المذكر والمؤنث في الفعيل بمعنى المفعول كقولك رجل جريح وامرأة جريح فيصح التوصيف ، أو بأن يجعل الصفة معنوية ليكون المراد من البحار هوالبحر الواحد الحقيقة الجامعة لكل الأبحر والجبال هوالجبل الواحد الشامل لكل الجبال ليكون المراد بالبحار هوبحر الأحدية لأنه جامع بين الكثرة والوحدة فهوالكل في وحدته على اعتبارين ، والجبال هوجبل قاف ومظهر

---

[1] مجمع البحرين ٥/ ٢٤٢ [2] مجمع البحرين ٢/ ٣٠٢

الكاف وسر العين وحقيقة اللام ولطيفة الميم ومثل هذا الاستعمال كثير في الكلام الكريم كما في قوله عز وجل ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[1] حيث ذكر السماء وهي في الظاهر مؤنث غير ذات الشعور فالمناسب إرجاع الضمير المؤنث اليها مع أنه أتى بالجمع المذكر وكقوله عز وجل ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[3] ، وأمثال ذلك في القرآن والأخبار كثير جدا فيجوز أن يأتي بالموصوف في الظاهر بصورة الجمع والصفة بصورة المفرد للإشارة إلى سر .

ولا يقال إن ذلك يستلزم عدم تطابق الموصوف مع الصفة المجمع على بطلانه ، لأنا نقول إن الموصوف في الحقيقة مفرد وليس بجمع وإنما أتى بالجمع من باب الحكاية والمظهرية لا بالاستقلال ولوأتي كذلك أيضا فلا يضر لأنه لا يوصف به وإنما الموصوف هوالحقيقة السارية في كل الأفراد ولا ضير في ذلك بل هذا هوالواقع الحقيقي والمطابقة الحقيقية موجودة لفظا ومعنى .

فعلى هذا الوجه يكون المعنى أن الله سبحانه خلق البحار والجبال وهي في أصل مبدئها وفطرتها في مقام الحل الأول والثاني في الحركة الأولى الطبيعية الذاتيه أو الثانية قبل انتشارها في الحركة العرضية الظهورية .

---

[1] البقرة ٣١   [2] يوسف ٤   [3] النحل ٤٨

رقيق مشابهة للمبدأ شباهة القشر مع اللب أو الأثر مع المؤثر اضمحلت عندها جهات الكثرة ورقت حجب الإنية وظهرت في مقام الوحدة لا الوحدة الحقيقية بل على حسب مقامها فكانت رتقا ، فالبحار بحر واحد والجبال جبل واحد فرتق الله سبحانه ذلك البحر بالبخار على ما فصل سابقا لكن مرجعها كلها إلى ذلك البحر ، وكذا الجبال وهو الجبل الذي عنده عروق كل جبال الأرض من الدنيا والآخرة فالبحار أمواج ذلك البحر الواحد وخلجان منه ، وكل موج بحر له أمواج متلاطمة متغطمطة كما قال عليه السلام قال ابن أبي الحديد :

يا فلك نوح حيث كل بسيط بحر يبور وكل بحر جدول .

فافهم .

فكان بحر الأحدية أوموجه رقيقا رتيقا فتق الله سبحانه رتاجه أي بابه وجهات ظهوراته فتموج ببحر الأحدية بسر الهوية ولب الألوهية ، وذلك الموج بحر تموج بالأسرار والأنوار والأطوار والأوطار والأكدار والأخيار والأشرار إلى ما لا نهاية له من الأكوار والأدوار ، ومن أسرار هذا البحر أمر النبي صلى الله عليه وآله بالاستزادة حيث قال سبحانه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] وهو صلى الله عليه وآله استزاد التحير وقال صلى الله عليه وآله ((اللهم زدني فيك تحيرا)) وكل البحار الموجودة في كل السموات والأرض أمواج من هذا البحر ، وكل موج

---

[1] طه ١١٤

بحر يحكي هذا البحر بعينه لسر المشابهة فلا نهاية لأمواجه وأمواج أمواجه وأمواج أمواج أمواجه وهكذا الكلام في كل موج من الأمواج إلى ما لا نهاية له ، ولوكان لك بصر حديد لرأيت بالعيان والمشاهدة فتق رتاجها وتغطمط أمواجها واضطراب ما لها وسرعة حركاتها ، ولرأيتها قبل الفتق حين الرتق وبعد الفتق ولرأيت أنها لا تزال مفتوقة مرتوقة ولا نفاد لهذا الفتق والرتق واضطراب الموج ، وموج الأجسام جبال وكل جبل معدن كنز ومفتاح باب غيب قال تعالى ﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1] وشرح حقيقة هذه الأحوال لا يسعه المجال .

وإذا جعلت رقيقا وبعده صفة للتلاطم والتيار فالمعنى كما ذكرنا إلا أنه في المقام الثاني من المقام الثاني للبحر كما مر من أن البحر له ثلاث مقامات فراجع ، إذ في ذلك المقام موج رقيق وتلاطم رقيق لا يحس ولا يدرك لكونه مقام السر المقنع بالسر والسر المستسر وإلا فالبحر مطلقا لم يزل في الحركة والتموج لاستجنان الحرارة الباعثة للشوق إلى التحرك نحوالمبدأ في الأجزاء الهبائية المختلطة بالأجزاء المائية وكمون الأدخنة ووقوف الماء ، فالحرارة

---

[1] الأنعام ٥٩

جاذبة ومحركة إلى العلو والوقوف والركود كما ذكرنا بجميع الشعلات النارية بكثرة وقوع الأدخنة والغبار فيميل إليها بالطبع والوصف واللون وتميل تلك الأجزاء إليه كذلك ولولا ذلك لم يبق ماء للاحتراق ، ولذا ترى إذا كان الماء قليلا تعدمه الحرارة في زمان قليل فتميل النار إلى الماء بتوسط الدخان والهباء بقي الماء على حاله في السيلان ، ويميل الماء إلى النار بتوسط تلك الأجزاء وجدت الحيوانات المائية والحركات الذاتية ودوام التموج إلا إذا غلبت جهة المائية ولم يمنعها مانع أقوى ، وظهور اشتداد التموج إنما هو بالأمور المؤيدة وزيادة الحرارة أو هبوب الريح العاصف من الرياح الأربعة وأمثالها ، وبهذه الأمور وأمثالها يفتق رتاج البحر حتى ظهر بالأمواج والتلاطم العظيم والحرارة ، وإن كانت جاذبة إلى العلو إلا أنها لما علقتها ثاء الثقيل فتحرك البحر وتموج وهو في مكانه ورتبته ، بخلاف الأجزاء البخارية فإنها قد صعد بها لكمال المشابهة وهذا الحكم كلي في كل عالم بحسبه .

والعبارة الواقعية في سبب الأمواج فاعلم أن الله سبحانه لما حكم أن يظهر آيات صنعه وعلامات قدرته في البر والبحر والسهل والجبل ليتبين للخلق أنه الحق خلقا في الكل ، خلقاً مختلف الصور ومختلف الهيئات والأشباح والهياكل والطبائع ليستدل بهذا الاختلاف والكثرة بالواحد القاهر للكثرات والعاد للأعداد ، ولما كان حكمه تعالى واحد والإيجاد لا يمكن إلا بحركتين حركة وجه المبدأ إلى المفعول وحركته إلى وجه المبدأ فوجب مزج آثار

تينك الحركتين واختلاطهما حتى صار معترك المرجين ومصلصل الخلطين منشأ خلق آخر ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1] ولما كان المزج في الحيوانات البحرية والمعادن ما لا يكون إلا بالبحر والمزج والتعفين لابد له من الحرارة والماء بطبعه مضاد لها والأجزاء الهبائية بحرارتها لا تقاوم برودة الماء فيأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بزجر البحر حتى يتحرك ويتموج حتى يحصل كمال المزج والنضج بضم بعض الأجزاء بقوة حرارة الحركة المعينة للحرارة المستجنة في الأجزاء الهبائية ، ولما كانت هذه الحركة مخالفة لطبيعة البحر من حيث أنه ماء وإنما هو بزجر الملك يسمع منه تلك الضجة والصوت الهائل ، وهذا الصوت ضجيج البحر وأنينه من شدة زجر ذلك الملك وخوفه منه لله سبحانه ، أو قل أن الله سبحانه يأمر الملك أن يلقي في البحر شعلات نارية موقدة من نوائر الكواكب السيارة والثابتة لتمام الخلقة قال تعالى ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[2] أو قل أن الأشياء كلها خاضعة لله وخاشعة له منكسرة ذليلة عنده فانية لعظمته سبحانه إلا أن الأشياء لما اختلفت مراتبها في الشدة والضعف واللطافة والغلظة والجمود والذوبان اختلفت مقامات تذللهم وانكسارهم لبارئهم وصانعهم ، فكلما إلى اللطافة أقرب خضوعه لله أكثر قال علي بن

---

[1] المؤمنون ١٤ [2] فاطر ١٢

الحسين عليه السلام ((أعلمهم بك وأفضل خلقك بك علما أخوفهم لـك))[1] في الصحيفة ، ولذا ترى الطائفة الشريفة الإنسـانية أشـد الأشـياء خضوعـا لله سبحانه في كل أحوالها وشـرحها يـؤدي إلى التطويـل ، ثـم الحيوانـات علـى مراتبها ، ثم النباتات على مراتبها ، وذلك عند التفاتها إلى ربها والتفاتها إلى نفسها وذلك إذا يبست أغصانها واصفرت أوراقها وغـار ماؤهـا وانقطعـت أثمارها فهنالك استشعرت عظمة الله سبحانه المذلـل لهـا كـل شـيء ، ثـم الجماد وهوعلى اختلاف مراتبه في الذوبان والانجماد فـالجدار إذا انشق قيـل لأبي عبد الله كيف تسبيح الجدار قال عليه السلام ((أما تراه يتشقق)) والتجارات إذا كسدت ، والعيون إذا غارت ، والنيران إذا خمدت ، والأبدان إذا مرضـت ، والبحـار إذا تلاطمـت وتغطمطـت ، ولا يكـون ذلـك الا إذا أتاهـا الملـك وأخبرها بها فهنالك تتلاطم وتضطرب وترتعد فرائصـه وتتغلغـل أحشـاؤه وجوارحه خوفا لله الواحد القهار ، فإخبار الملك هوفتق رتلجها فافهم .

أوقل تلاطم البحار وتغطمطها عند ذكر مصائب سيد الشهداء سـيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابـن أمـير المؤمنين عليه السلام وابن فاطمة الزهراء عليها السلام وأخ الحسـن الزكـي عليه السلام وأب الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين وذلـك أن مصيبتـه عليه السلام كـدرت صافي العيش لكل مخلوق من مخلوقات الله بقدر لطيفـة وجـوده ، فلـم يذكـره

[1] دعاء الإمام عليه السلام في يوم الأربعاء

أحد إلا وقد انكسر قلبه وتغير حاله في كل مرتبة من مراتب التكوين والتكليف ، فالبحار إذا ذكرت تلك اضطربت وارتعدت من خشية الله فلولا أن الله سبحانه يمسكها بقدرته لأغرق العالم من شدة هيجان ذاتها لأنها أثرت في الذوات لا الصفات ، ومصيبته عليه السلام ذاتية للخلق ولذا لا تنقطع وينقطع كل شيء ، وكذلك الهوائية إذا ذكرها يتحرك ويكون ريحا عاصفا فلولا إمساك الله إياها لأهلك العالم رقة على الحسين عليه السلام، سبحانك يا حليم عما يعمل الظالمون ترى عظيم الجرم من عبادك فلا تعجل عليهم تعاليت عما يعمل الظالمون علوا كبيرا .

ولا يقال أن البحار كانت متلاطمة قبل قتل الحسين عليه السلام، لأنا نقول قد بكى عليه عليه السلام كل نبي وكل وصي وكل الخلق وكل الملائكة قبل أن يخلق الله الخلق ، وبكى عليه كل شيء مما هوفي الوجود المقيد ويأتي شرح هذا وبيانه إنشاء الله .

واعلم أني لم أرد من الصفة من قولي أن رقيقا ورتيقا صفة البحار والجبال الصفة المصطلحة عند النحويين بل ما هويعمها وخبر المبتدأ فإن الخبر صفة للمبتدأ ، وأما إذا كان مشتقا وجبت مطابقته مع المبتدأ فإذا قرأتها بالرفع يكون خبر مبتدأ وهوالضمير وهويصلح لأن يرجع إلى البحار أو الجبال أو التيار والتلاطم ، وإذا قرأتهما بالجر تتعين الصفة .

ثم إعلم أن قوله روحي فداه هذا بشارة لأهل الإشارة من المؤمن الممتحن لما تكدر صافي العيش بغامض العبارة في قوله عليه السلام المتقدم ((وحبس في الجوسحائب مكفهرات)) فأشار عليه السلام بهذه الفقرات إلى قوله تعالى ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ ﴾[1] وأشار بقوله ((رقيق .. الخ)) ألا أن نصر الله قريب .

وأشار بالأول إلى قوله عز وجل ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾[2] وأشار بالثاني إلى قوله عز وجل ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾[3]

---

[1] البقرة ٢١٤ [2] الإسراء ٤ – ٧ [3] الإسراء ٧ – ٨

وأشار بالأول إلى قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1] وأشار بالثاني إلى قوله عز وجل ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[2] وأشار بالأول إلى مقام الحجاب ((إن شيعتنا يؤذوننا يزعمون أنا نعلم الغيب فوالله لقد هممت بضرب جارية مني فانحادت ولم أدر في أي زاوية من البيت هي))[3] وأشار بالثاني إلى كشف النقاب وفتح الباب ((فالكليم البس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة وشيعتنا الفئة الناجية والفرقة الزاكية وصاروا لنا رداء وصونا وعلى الظلمة البا وعونا ، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران تمام الم وطه والطواسين))[4] .

والإشارةإلى بيان ظاهر العبارة بلطيف الإشارة اعلم أن السحب لما اكفهرت وانعقدت وارتتقت وبلغت مبلغها ونالت من الكتاب نصيبها

---

[1] الأعراف ١٥٠ — [2] القصص ٥ – ٦

[3] لم نقف على هذه الرواية المذكورة في هذا الشرح الشريف ، ولكن وقفنا على ما يقرب منها ففي الكافي ١/٢٥٧ ح ٣ قوله عليه السلام ((يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي)) والرواية طويلة أخذنا منها مقدار الحاجة .

[4] البحار ٢٦/ ٢٦٤ ح ٥٠

أذابتها حرارة شمس العناية وأشعة اسم الله النور القابض الباسط فأفتقت فانعقدت من افتتاقها وجريانها وخضوعها لله سبحانه بارئها ومنشئها البحار ولذا ورد أن مياه الأرض كلها من السماء ، ولما أن الله سبحانه فتق أبواب السماء بماء منهمر يوم الطوفان وأمطر من غير كيل ووزن مقدر وفجر الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ، ولما حصل المقصود وبلغ الكتاب أجله أوحى الله سبحانه ﴿ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ ﴾[1] فلما أن الأرض لم تؤمر ببلع المياه السماوية لأنها فوقها ضمتها ولا تقدر على بلعها وما أمرت السماء بتصعيد مياهها فبقيت على وجه الأرض فكانت مياه الأرض كلها من بحارها وأنهارها وعيونها وآبارها من انفتاق السحاب المكفهر المحتبس في جو السماء قال سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2] وكذلك الجبال إنما انعقدت من افتتاق السحاب لأنها موج البحار على ما فصلنا سابقا ، فالبحار والجبال وإن انعقدتا وتمتا لكن السحاب المانع من إيصال الحرارة الإلهية النورية ومن هيجان الرياح العاصفة

---

[1] هود ٤٤

[2] النحل ١٠ - ١١

المهيجة للماء للتلاطم والتيار والماهية للجبال للمعادن والأنوار ، ففتق الله رتاجها عند طلوع الصبح ﴿ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾[1] ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[2] فتغطمطت أمواجها عند الظهر يوم الجمعة يوم عاشوراء يوم النوروز ، فأول موجة ظهرت انهدمت بها سفينة الظلم والجور الجاري على ماء زمزم ، وذلك البحر المواج هو بحر النار ﴿ تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3] وذلك هو الغاشية في قوله عز وجل ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾[4] وهو العذاب الواقع ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[5] وكلما ترتفع السحاب تشتد الأمواج وتغرق السفن العشقية المندرسة الضائعة وتقوى السفن الجارية في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها ، ثم ظهر بحر العزة بأمواجه المتلاطمة المتعاظمة المتغطمطة ثم بحر القدرة كذلك ، إلا أنه ما تمايزت أمواجه واختلطت بأمواج بحر العزة ، ثم البحور الأخر ظهرت بأمواجها وحيواناتها كبحر العظمة وبحر الهيبة وبحر الجبروت وبحر الرحمة وبحر القدس وبحر الكرامة وبحر المنزلة وبحر الرفعة وبحر السعادة وبحر الشفاعة ، ثم يظهر تأويل

---

[1] هود ٨١ [2] الإسراء ٧٨ [3] المرسلات ٣٢ – ٣٤ [4] الغاشية ١ [5] المعارج ٢ – ٣

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾[1] فاتصل الأول بالآخر والظاهر بالباطن قال تعالى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[2] وظهر قوله تعالى ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[3] وظهر سر الباء في بسم الله الرحمن الرحيم وانجلت الهاء من الكاف فظهرت الباء وبالمجموع ظهرت النون وبالجميع ظهرت العين فأثرت في الصاد بظهور المداد وبلوغ المراد فأشار إلى الأمرين في كلامه المجيد بقوله العزيز ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[4] فأشار إلى الأول مولانا القائم عليه السلام بأن الكاف إشارة إلى كربلاء والهاء هلاك العترة الطاهرة والياء إلى يزيد والعين إلى عطش أهل بيت النبوة والرسالة والصاد صبرهم على ذلك ، وهذا هو المراد من قوله عليه السلام ((وحبس في الجوسحائب مكفهرات)) .

وأشار إلى الثاني بباطن هذه الكلمة الشريفة من أن الكاف هي الكاف المستديرة على نفسها ، والهاء هي حرف ليلة القدر والمقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، والياء لأول ظهور الرتبة الثانية ، والنون ارتباط الهاء مع الياء ، والعين تمام كلمة كن ، والصاد هوالبحر الذي تحت العرش توضأ منه صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج لصلاة الظهر مع جميع الأنبياء والمرسلين أو وحده مع أخيه ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام وهذا

---

[1] الفرقان ٢٥ — [2] الأعراف ٢٩ – ٣٠ — [3] الإسراء ٧ — [4] مريم ١

هو المراد من قوله عليه السلام ((فتق رتاجها فتغطمطت أمواجها)) وجددت الأرض ابتهاجها وزينت السماء أبراجها وهنا إشارات غريبة يطول الكلام بذكرها .

قال عليه السلام وروحي فداه
أحمده وله الحمد وأشهد أن لا إلـه إلا هو

ابتدأ عليه السلام بالحمد واختتم به لسر ما قدم في الخطبة الشريفة وافتتح الكلام به تبعا لكلام الله سبحانه وتعالى حيث قال عليه السلام ((الحمد لله)) فأتى بلام الاختصاص وهويستلزم عدم ألان فكاك والانفصال وقد أوضح هذا السر وكشف في قوله الكريم ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[1] وقال تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2] فالذي له سبحانه عنده ، فإذا كان الله سبحانه أيضا عند الذي له هناك يتم ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[3] فالحمد لله وعنده والله عند الحمد لأنه ليس إلا صفته وظهوره والموصوف عند الصفة ظاهر بها وحاضر لديها بها ، ولما كان الله سبحانه أحاط بكل شيء وهوفي مكانه سبق الأولية والآخرية والقبلية والبعدية فلا يوصف بالقبلية إلا بعين البعدية والعكس

---

[1] الأنبياء ١٩ – ٢٠
[2] الرعد ٤٣
[3] الأنبياء ٢٠

بالعكس كان صفته مثال تجلي فعله فلو سبقته الأولية ولحقته الآخر ية لم يكن صفة له سبحانه وإنما هو صفة الممكن الفقير المحتاج وهذا خلف فلـم يكـن الله عنله بل ولم يكن عند الله وهذا خلف ، فوجب أن يكون الحمد قد سـبق النهايـة والبدايـة والأوليـة والآخــر يــة والقبليــة والبعديــة والظاهريــة والباطنية ، فإذا سبقها فهي تنتهي دونها فالأول عنده هوعين الآخــر والقبـل عين البعد كمـا هوحـال كـل عـالي بالنسبة إلى السـافل ، فـالحمد إذن سـبق النهايات والحدود فأحاط بالأشياء لم تجد شيئا إلا وتـراه حاكيـا لمثالـه وظـاهرا بنـوره ((يســبح الله بأسمائــه جميــع خلقــه)) ســبحان الله ذي الملـــك والملكوت ، فالحمد إما عين كينونة الشيء من حيث ربه أو سابق عليه وتلك الكينونة قبل الشيء ومع الشيء وبعد الشيء لأنه صفـة كمـال الله سـبحانه وهي لا تظهر إلا في جهة الله ، ولا شـك أن تلـك الجهـة متقدمـة علـى كـل الجهات كتقدم فعل الله على كل الأفعـال والتأثـيرات فتكـون الجـهات كلـها منحطة عن مقام الحمد كما كانت منحطة عن فعل الله سبحانه وتعالى ، لكن أهل الكثرة المتنزلين عن مقام النقطة الواقفين مقام الشئون المتمايزة المتضـادة لا يرون الاتحاد وسريان ذلــك الواحـد في الآحـاد فيجعلـون الحمـد أولا ثـم يبتدأون بالمراد ، وأما السالكون مسالك الوحــدة والقـاطعون مسـافة الكـثرة والواصلون مقام النقطة لا يرون شيئا إلا ويرونه شعبة من شعب الحمد ولمعة من أنواره فيبتدأون بالحمد ويختتمون به ويتوسطون به ، ولما كانت هذه الخطبة

الشريفة شرح حال للخواص وبيان مقام للخصيص ولا حظ للعوام في ذلك وهؤلاء هم أهل النقطة على مراتبهم المتفاوتة في معرفة تلك النقطة الإلهية فأجرى الكلام عليه السلام على مقتضى مقامهم لأنه يعطي كل ذي حق حقه ويسوق إلى كل مخلوق رزقه من الأرزاق الظاهرية والباطنية والغيبية والشهودية والحقية والحقيقية فابتدأ بالحمد لأنه المبدأ الأول السابق على كل لاحق، لأنه ظهور الله المطلق ونور الله الحق وقوام الخلق وطور النور وعين السرور وينبوع المعرفة وطمطام المحبة، ثم أبان عليه السلام عن مقامات الإطلاق وأشعة شموس الإشراق، ومبادئ الظهورات الأولية وحقائق الماهيّات المجعولة الابتدائية، والأكوان المطلقة المجملة الغير المفصلة إلا بالذكر والصلوح، وهي في الحقيقة أبواب يفتح منها ألف ألف باب من أحوال المبدأ والمآب.

فلما فرغ عن بيان هذا الطوروأجرى كلامه عليه السلام كما أجرى الحق سبحانه قلمه المتخذ من قصبة الياقوت عليه وأراد التفصيل وشرح حقيقة الحال وإظهار الوجوه المطوية في خلال المقال ابتدأ بالحمد لأنه مقام لواء الحمد الذي علي عليه السلام حامله بخلاف الأول فإن حامل اللواء الأول هورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا أتى بالجملة الآسمية وأطلق الحمد معرفا بلام الحقيقة في المقام الأول وفي المقام الثاني نسبة إلى نفسه الشريفة فقال عليه السلام ((أحمده حمدا .. إلخ)) ، ثم وصف بما وصفه لكونه مقام التفصيل وهومقام قوله تعالى

﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[1] ، وقد ظهرت في ولي الله سبحانه ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[2] وقال ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[3] وقال ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[4] فعلي عليه السلام هو ولي الله بذاته وهو لواء الحمد وهو مجمع الشئون المتمايزة والأسماء المتقابلة المظهرة لكمال من الكمالات وصفة من الصفات كما كان المقام الثاني مقتضيا لذلك .

فلما فرغ عليه السلام عن بيان هذا المقام على أكمل ما ينبغي على التفصيل التام والبيان العام اختتم الجهة العليا والمرتبة القصوى بالحمد والتوحيد وقدم الحمد على التوحيد ، ملاحظا لمقام الصعود فإن الحمد مقام الكثرة الآسمائية والصفاتية والجلالية والجمالية والقدسية والإضافية ، والتوحيد هونهاية المقصود والمأمور فرجع الأمر آخرا كما كان أولا ولهذا قال سيد الشهداء عليه السلام ((إلهي أمرتني بالرجوع إلى الآثار فأرجعني إليك بكسوة إلانوار وهداية الآستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن إلاعتماد

---

[1] الكهف ٤٤ ٢ البقرة ٢٥٦ ٣ البقرة ٢٥٧ ٤ الحج ٦٢

عليها إنك على كل شيء قدير))[1] وإنما خصّ الحمد عليه السلام بنفسه وأتى بالجملة الفعلية لما تقدم ولبيان سر ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[2] فكشف عند ذلك بقوله عليه السلام ((وله الحمد)) فإن ذلك اللواء لله سبحانه أعطاه إيّاه وحمله له ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[3] إلى الأكوان الوجودية والشرعية في الدنيا والآخرة ، فالحمد هو لله سبحانه وهو الكمال المطلق الظاهر في النقطة الواحدية الظاهرية الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم الظاهرة بالتفصيل الألفي في الرتبة العلوية عليهما السلام ، فذواتهم حقائق القدس وحظائر الأنس وصفاتهم مظاهر التفصيل ومراتب التعليل فعندهم الكثير والقليل ولديهم الحقير والجليل ، فذواتهم ذوات فكانت حمدا لله رب العزة لا لسواه ﴿ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾[4] وصارت فاعل فعل اللازم واتصلت وتخلّقت بالأخلاق السرمدية الأزلية الثانية ، فصارت ينبوع الكمالات ومعدن الحقائق والصفات ومخزن التجليّات والظاهر بالظهورات والشئونات لأنها له سبحانه فاتخذها أعضادا لخلقه وأشهادا عليهم وحفظة لهم وأبوابا لفيوضاتهم وإمداداتهم ، فأول ذلك ظهور الكينونات الأزلية الظاهرة في العوالم الإمكانية ، وثانيه ظهور الكمالات المنبئة عن الحمد بل هي نفس الحمد فكلما أظهر من أطوار الحمد وأحواله وجزئياته المتشعّبة في كل الخلق المنبئة

---

[1] دعاء عرفة للحسين عليه السلام [2] شرح النهج ٢٠/ ٩٦ [3] الأنعام ١٢٤ [4] طه ٤١

في كل الوجود فكلها لتلك الحقائق الشريفة إذ عنها صدرت ومنها بدأت فإليها تعود إذا رجعت وتلك الحقائق لله سبحانه ، فالحمد كان له بحقيقته وماهيته وأفراده وأجزائه وجزيئاته وجميع إضافاته ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1] ، وإنما قلنا الحقائق لبيان تشعب الظهورات وإلا فما هي إلا الأمر الواحد كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((نور أشرق من صبح الازل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره)) وتلك الحقائق والهياكل أربعة عشر كما يشهد عليه لفظ الحمد ، وإثنا عشر كما تشهد عليه حروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأن هذا هوقول سبحان الله الذي هوأول دعواهم كما قال عز وجل ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] وأشار إلى مجموع التسبيح والتحميد قوله الحق سبحانه ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]

---

[1] البقرة ١٥٦ [2] يونس ١٠ [3] الصافات ١٨٠ – ١٨٢

قال رسول الله صلى الله عليه وآله على ما أخبرني به شيخي وثقتي أطال الله بقاءه ((لا ينبغي أن أصغر ما عظّمه الله من قدري أوحى الله عز وجل إلي يا محمد فضلك على الأنبياء كفضلي وأنا رب العزة على كل الخلق))[1] وقال أيضا صلى الله عليه وآله ((أعطيت لواء الحمد وعلي عليه السلام حامله))[2] اجمع بين هذه الكلمات ولاحظ هذه الإشارات لتفهم منها ما لا تسعه العبارات ولا تحد بالإشارات .

واعلم بأن المراد من قوله عليه السلام ((أحمده وله الحمد)) إني أؤمن بالله سبحانه وبمحمد صلى الله عليه وآله إلى ما لا نهاية له في الأكوار والأدوار قبل اختلاف الليل والنهار وبعده في الإعلان والإسرار والأطوار والأوطار ، والحمد هومحمد صلى الله عليه وآله لأنه أول نقطة ظهور الكائنات ، والحمد ليس إلا ظهور الصفات بل نفس الكمالات لأنه الثناء البالغ وما تم ذلك الثناء إلا في تلك

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بالنص فيما لدينا من المصادر ولكن وجدنا ما يقرب منها في البحار ٩ /٣٠٨ ح ١٠ وهوقوله صلى الله عليه وآله ((ما كنت لأصغر ما قد عظمه الله تعالى من قدري ، بل قال ربي يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق أجمعين)) .

[2] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في الفضائل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أعطيت ثلاثا وعلي مشاركي فيها ، وأعطي علي ثلاثة ولماشاركه فيها ، فقيل : يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام ، فقال : لواء الحمد لي وعلي حامله ، والكوثر لي وعلي ساقيه ، والجنة لي وعلي قاسمها ، وأما الثلاث التي أعطيت عليا ولماشاركه فيها فإنه أعطي رسول الله صهرا ولماعط مثله ، وأعطي زوجته فاطمة الزهراء ولماعط مثلها ، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما)) .

الحقيقة المقدسة على ما قال سبحانه ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[1] وهوالذي استخلصه الله في القدم على سائر الأمم أقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء ، فهونفس الثناء ومظهر الثناء ومظهر الثناء وعلة الثناء وحقيقة الأسماء ، فالكمال البالغ والظهور المطلق والتجلي الحق إنما ظهر عنه ومنه وفيه وله وبه ، فالحمد حقيقة حقيقته ولذا اشتق له اسم من مادة الحمد محمد وأحمد على ما فصلنا سابقا ، فلا يحمد الله سبحانه أحد إلا بالتمسك بطور من أطوار ظهوراته صلى الله عليه وآله وسلم في جميع المراتب والأكوان من التكوينية والتدوينية والتشريعية فمن ولى الدبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم كان بقدر إدباره ذما ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه)) ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي يحبه الله ويهواه ويرضى به عمن دعاه ، فهو ثناء الله على نفسه لخلقه في خلقه ولا ثناء أعظم من ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[2] لأن ثناء الله على نفسه هوحقيقته فهو صلى الله عليه وآله وسلم في مقام حقيقته ثناء الله بلسان الله وفي مقام تعينه وعبادته مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3] مقر بالعجز عن ذلك المقام وهوكذلك ، وأما مقام الذات فانقطع الكلام ، وعلي عليه السلام أول من آمن به وأقر بنبوته في عالم اللانهاية واستغرق في ذاته وصفاته حتى صار مثله

---

[1] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١ — [2] شرح النهج ١/٥٩ — [3] الفاتحة ٥

وحامل لوائه عليه السلام، ولما كانت هذه الأولية هي عين الآخرية ظهرت تلك الشجرة الكلية الإلهية التي ليست شرقية ولا غربية في كل ذرّة من الذرات، وشاهدت كل الذوات والصفات وتعدت عنها وفنيت الأشياء عندها، فكانت آخرا بعين كونها أولا وظاهرا بعين كونها باطنا فصارت تدلج بين يدي المدلج من خلق الله في جميع الأحوال، وكانت أقرب إليها من أنفسها بلا نهاية بمقدار بعدها عنها بلا نهاية، فأحاطت بالأشياء أولا وآخرا وظاهرا وباطنا، ولا تستغرب هذا الذي سمعت في قدرة الله ولا تصغّر عظمة الله فإن الله سبحانه وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى فوالله ظهور مشيئة محمد صلى الله عليه وآله في مشيئة الله بقدر البعوضة تطير في هذا العالم ومشيئة علي عليه السلام في مشيئة الله بقدر الذبابة تطير في هذا العالم وأقل من ذلك بل لا شيء ولا نسبة سبحان الله العظيم وبحمده.

ولما كان ظهور ولاية محمد صلى الله عليه وآله إنما كان بعلي عليه السلام خاصة وبالطّيبين من أولاده سلام الله عليهم به عليه السلام أدى التحميد بالجملة الفعلية وصيغة المتكلّم الواحد على الفعل المضارع، فدل بالواحد على أنه هوالواحد الذي يظهر الحمد ويعلنه في كل العوالم من الألف ألف، وبالجملة الفعلية على التجدد، وبالمضارع على الاستمرار بمعنى أن هذا الإظهار ليس له حد القرار بل لا يزال متجدّدا وثابتا كلما تطول المداء تظهر طراوته وتجدده وفي القيامة إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ويظهر من ولاية

الله الظاهرة في القطب الأحمدي ﷺ بالإمدادات النعيمية الوجودية لأهل الجنة والتبعيدات الأليمية لأهل النار فوق الإحساس والإدراك ، وسيما في كل جمعة إذا أتوا أهل الجنة لزيارة الرب فيتجلى عليهم الرب ويفيض عليهم من تلك الولاية من التجليات وأنواع التنعمات والتلذذات من جهة القرب والمشاهدة من العلوم والمعاينة أو من المأكل والملابس الطيبة العالية ما لا يدخل تحت النهاية من أول وقوف أهل الجنة على الباب وأكلهم من كبد الحوت ثم من كبد الثور ثم من عين الحيوان ثم من عين السلسبيل إلى أن يأتوا مقام الكثيب الأحمر ثم مقام الرفرف ثم مقام أرض الزعفران ثم مقام الأعراف ثم مقام الرضوان ثم إلى ما لا نهاية له من الأطوار ، وكل ذلك إنما هومن آثار الحمد الظاهر في هذا الحامد الذي خص نفسه الشريفة فقال عليه السلام ((أحمده وله الحمد)) ، وهذه الإمدادات دائمة التجدد أبدية الفوران ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1] ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، فإني قد أسمعتك تغريد الورقاء على أغصان سدرة المنتهى والله الموفق والمؤيد والمسدد .

---

[1] ق ١٥

قوله عليه السلام
وأشهد أن لا إلـه إلا هو

هذه الشهادة شهادة عزم وثبات في الذات والصفات والاعتقاد والكينونات والقرانات والإضافات والأقوال والأعمال والعبارات والإشارات وأنحاء الظهورات والتجليات ، وهذه الشهادة هي الصراط المستقيم في كل العوالم ووجه الله في كل الأقاليم ، ففي عالم المحبة مقام أحببت أن أعرف بالفناء في البقاء ومحو السوى والقطع عن كل ما سوى الله شهود التوحيد بطرف الواحد الأحد وذلك الطرف لا يرى سواه قال الشاعر:

أعارته طرفا رآها به فكان البصير بها طرفها

وذلك مقام شهود الموحِّد بكسر الحاء ظهور الموحَّد بالفتح بظهوره وشهود الموحَّد بالفتح له بذلك الظهور ، فأحبه به وأحبه به فاجتمعت المحبتان والمشاهدتان في شيء واحد وليس هذا اجتماع اتحاد حاشاه عن ذلك بل اجتماع وحدة واتصال بل ولا اتصال بل ولا انفصال بل وصل بل ولا وصل بل فصل بل ولا فصل ولا وصل ، قال مولانا الصادق عليه السلام ((من عرف

الفصل من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد)) قال الشاعر وأجاد:

رأت قمر السماء فذكرتني ليالي وصلنا بالرقمتين

كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

وهذه الرؤية هي شهادة الله سبحانه له بأن لا إله إلا الله وبها يناديه إني أنا الله لا إله إلا أنا وهو يحكي عن الله بلسانه، فهذه الشهادة نفي الإضافات وسلب الصفات وقطع الإنيات وملاحظة الوحدة البحت البات، فشهادة الله سبحانه له عليه الصلاة والسلام في هذا المقام في مقام السر المستسر بالسر كما كانت شهادته تعالى لأخيه الطيب الطاهر عليه السلام في مقام السر المقنع بالسر، وهذه الشهادة في مقامات السر المقنع بالسر، وهذه الشهادة في مقامات هومن حيث المدلول والدال لا من حيث المطلوب والمقصود فإن ذلك في العماء الذي فوقه هواء وتحته هواء وقد سئل مولانا الصادق عليه السلام أين كان الله قبل خلق السموات والأرض قال عليه السلام ((كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء))[1] والعماء هو السحاب الرقيق وهوالسحاب المزجى قبل أن يتراكم، ويأتي زيادة شرح لهذا الكلام في ما يأتي إنشاء الله.

---

[1] عوالي اللآلي ١/ ٥٤

وفي عالم الجبروت محو الأغيار وصافي العيار والصافي عن الأكدار ومشاهدة نور الجمال والجلال وحذف القيل والقال والوقوف على ظهور الحي اللايزال في أول مقاماته ، مقام ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله معه وفي أعلى مقاماته مقام ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله وإليه يشير كلام مولانا الحسين عليه السلام في الدعاء ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هوالمظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكوم الآثار هي التي توصل إليك عميت عين لا تراك ولاتزال عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم تجعل من حبك له نصيبا))[1] وكلام مولانا علي بن الحسين عليه السلام ((أنت المعبود الذي ليس من لدن عرشك إلى قرار أرضك معبود يعبد سواك إلا باطل مضمحل غير وجهك الكريم))[2] وتوحيد أهل هذه المرتبة هوالتوحيد الشهودي هذا في الاعتقاد العلمي ، أما التوحيد العملي فمشاهدة النقطة السارية في كل الأكوان والأعيان ومستجنات سرائر الإنسان من الأناسي الثلاثة أي الكبير والوسيط والصغير وملاحظة أن العلم نقطة كثرها الجاهلون ومعرفة ما خاطبهم الله سبحانه في كتابه العزيز بقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ أي الأجسام أوالظواهر مطلقا في كل عالم بحسبه من العوالم الألف ألف ﴿ بُيُوتًا ﴾ أي

---

[1] دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام

[2] التهذيب ٣/١٤٣ ح ١

قواعد وكليات وهي مشاهدة الوحدة في الكثرة والمجمل في المفصل والواحد في الأعداد والمادة في قوابل الاستعداد﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ أي النفوس المتطورة بالأطوار المختلفة والمتشئنة بالشئونات المتباينة الراجعة إلى أصل واحد أو مطلق الغيب الذي هذا صفته وحاله ﴿ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[1] من أحوال الروابط الغيبية والشهودية والظاهرية والباطنية ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[2] وهوصرف تلك النقطة والوحدة في أطوار الكثرات من الصفات والذوات وسائر الشئون والإضافات بحيث لا يخفى عليه شيء من أحوالها وأوضاعها فيجعل كل شيء في محله ، وعلامة هذا الموحد وهذا التوحيد أن لا يجد في كتاب الله ولا في أحاديث آل الله تناقض ولا تعارض ولا اختلاف ولا بينونة وإنما يجد كلام الله الحق المبين وكلام ساداته الميامين عليهم سلام الله أجمعين إلى يوم الدين كلاما واحدا ساريا في العبارات المختلفة والوجوه المخفية الغائبة سريان الماء في النباتات من الأشجار والبقولات وأمثال ذلك ، فلو قصر عن تحصيل هذه المرتبة فهو ليس بموحد في هذا المقام وغير واصل إلى المقام الأول وإن كان موحدا في المقامات الأخر والمراتب الأخر وإلا لجرى عليهم تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[3] وكذلك من توحيد هذه الطائفة أن لا يلتفتوا إلى الرأس المنكوس إلى أسفل

---

[1] النحل ٦٨ [2] النحل ٦٩ [3] يوسف ١٠٦

السافلين علما وعملا قلبا ولسانا قولا وفعلا ، وجامع هذه العبارات أن لا يجد راجحا إلا أن يفعله وإلا لجرى عليه تأويل قوله تعالى ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] .

وفي عالم الملكوت توحيد الله سبحانه في المراتب الأربع توحيد الذات وتوحيد الصفات وتوحيد الأفعال وتوحيد العبادة ومعرفة الصفات الثبوتية والسلبية والقدسية والإضافية والخلقية والعدل والنبوة والإمامة والرجعة والمعاد والقيامة الصغرى والكبرى والميزان والصراط وغيرها مما جرت عليه الشريعة الحقّة على الصادع بها آلاف الثناء والتحية ، ومعرفة كل ذلك بالأدلة القاطعة والبراهين السادّة لجميع حجج الخصم وأقاويله وأباطيله على جهة المجادلة بالتي هي أحسن بأن لا يكون فيه إنكار حق واستدلال بباطل على الحق ولا بحق على باطل على جهة التمويه وإلا فالحق لا يستدل به على الباطل ولا العكس ، وكذلك من التوحيد أعمال الصالحات وترك المحرمات والاجتناب عن المكروهات وعقد القلب وثبات العزم وحسن السريرة وصفاء القلب عن الأكدار الشيطانية والوساوس النفسانية ، وعدم التصورات الباطلة الفاسدة والخطورات الغير المرضية ، وعدم الجدل وتصور الشبهات وإيراد الشكوك والتمويهات وإن كان لا يعتقدها ، وعدم البلادة والجربزة وعدم الميولات الغير الشرعية وعدم الالتذاذ بالصور الحسنة ليؤول

---

[1] الصافات ٣٥

أمره إلى العشق الذي يلهيه عن الله سبحانه ، ومراقبة النظر في ملكوت السموات والأرض وتصور العظمة والقهارية لبارئ السموات والأرض ومالك الرقاب ومسبب الأسباب والخوف منه ، وعلامة الخوف الهرب وعلامة الهرب أن لا ينكر حقا ولا يقول بما لا يعلم ولا ينكر ما لم يحط به علما ولايتوقف إذا ظهر له الحق لقاعدة عنده أو لأنسه بطائفة تخالف الذي ظهر له أو للعناد والعياذ بالله ، ولا يتكلف ما ليس له إليه سبيل ولا يستحقر طاعة ولا معصية وأمثال هذه من أنواع الاستقامات كلها أجزاء وحدود لكلمة لا إله إلا الله في هذه المرتبة ، فإن خالف شيئا مما ذكرنا دخل في قوله تعالى ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1].

وفي عالم الملك وعالم الشهادة عدم اتخاذه مع الله شريكا آخر قال تعالى ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[2] وعدم عبادة الأصنام وعدم إنكار ما علم من الدين ضرورة وترك المحرمات البدنية كالزنا واللواط والسرقة والغيبة وأمثالها ، وعدم التقول على الله ورسوله ، وفعل الواجبات كالصلاة والزكاة والحج والجهاد وأمثالها ، وكذلك فعل المستحبات في كمال التوحيد وعدم المخاصمة والمجادلة والمنازعة والمراء ، وكونه على أكمل الاستقامة في الخلقة بأن لا يكون معوج الخلقة ولا قبيح الصورة ولا طويلا مفرطا ولا قصيرا كذلك ولا مختلف الأعضاء في الاستقامة ولا زائدا لعضو

---

[1] الصافات ٣٥
[2] النحل ٥١

ولا ناقصا ولا صفراويا بالإفراط ولا سوداويا كذلك ولا دمويا ولا بلغميا بل يكون معتدل الطبائع ، أما الاعتدال التام كما كان فيهم عليهم السلام حتى خوطبوا بلسان الوحي ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[2] أو الإضافي بأن يأخذ جزء من السوداء وجزء من الصفراء والدم وجزءان من البلغم فيطبخ تسع طبخات حتى يكمل توحيده ويستقيم تنزيهه ويتم إيمانه ، ولا يكون ولد الزنا ولا ولد الحيض ولا ولد الحرام ولا ولد الشبهة ولا ما جعل صداق أمه من الحرام ولا أسود ولا أحمر ولا أبيض شديد البياض وإن كان الأخيران ممدوحين في بعض الأحوال ، بل يكون معتدل الوجه معتدل القامة معتدل الطبيعة معتدل اليدين والرجلين على أكمل وجه يتصور هذا في شهادة الإنسان ، وأما الحيوان فبأن يكون طيب اللحم غير مؤذ ولا نجس ولا حرام ولا كدر ومستوي الخلقة والطبيعة وتكون إلى البرودة والرطوبة والرطوبة والحرارة أقرب منهما إلى البرودة واليبوسة واليبوسة والحرارة ، وأما النبات فبأن تكون أشجارا طيبة معتدلة مستقيمة مونعة أثمارها بينة أزهارها حلوة لطيفة طيبة لا حامضة ولا مرة ولا غليظة ولا كثيفة ولا كدرة ولا مدوّدة ولا يابسة ضائعة وأمثال ذلك ، وأما الجماد فبأن تكون كلها معادن والمعادن كلها ذهبا والذهب كله إكسيرا وهنا نهاية الرتبة لأنه هنا مثال الفاعل وبلاغ مقام (أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن

---

[1] القلم ٤

[2] ص ٨٦

فيكون) ، وما بلغ إلى ذلك إلا بكمال العبادة والعمل ، والعمل لا ينمو أو لا يطيب إلا بالإخلاص والإخلاص لا يتحقق إلا بكمال التوحيد والتوحيد لا يتيسر إلا بقطع الالتفات وإزالة الإنيات وقد جمع الكل في الإكسير ولذا سماه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ((أخت النبوة وعصمة المروة))[1] والقوم سموه عبد الواسع عبد الكريم وإنما سميته تبعا لسيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام بعبد الله لكمال بلوغه في مقام التوحيد الجمادي ، لأن العبد هو العالم بالله البائن عما سوى الله الداني إلى الله بلا كيف ولا إشارة ، وهذا الذي ذكرنا مجمل مقامات توحيد عالم الملك وظهور شهادة أن لا إله إلا الله في هذا العالم ، فإن خالف أمرا من الذي ذكرت نوعه فيكون مصداق قوله عز وجل ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[2] .

وأما ظهور شهادة لا إله إلا الله في مقام القرانات والإضافات فهو الصلاة عند قرانه الحلم وعدمها عند قرانه الجنون وفعلها قاعدا عند قرانه المرض وقائما عند برئه منه وعلى الهيئات المتشتتة عند قرانه الخوف ولقاء العدو وعلى الهيئة المستقيمة مع التوجه إلى جهة الكعبة عند عدمه وشبهه ، والزكاة عند قران ما له النصاب ، والحج عند وجود الاستطاعة ، والجهاد عند الإمام عليه السلام وتمرد أهل الطغيان وقس على ما ذكرنا سائر العقود والإيقاعات والإلزامات مما هي مشروحة في محالها وكلها حدود لا

---

[1] المناقب ٢ / ٥٢

[2] الصافات ٣٥

إلـه إلا الله في ذلك العالم وأجزاؤها ومنها وجوب الكذب إذا توقف عليه نجاة المؤمن وحدّ الشهداء على الزنا إذا نقصوا عن أربعة وتنزيه المقذوف به عـن ذلـك قـال تعـالى ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[1] وأمثال ذلك ، ومنها التّقيـة لحفـظ الديـن والبـدن والنفـس مـن الظاهريـة والباطنية إن توقفت عليها ، والعمل بالظّن والعمل بمختلف الآراء وإمساك العلم عن الجـهلاء قـال تعـالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[2] ، ومنها سكوت الرئيـس المطلق عند منازعة المنافق وتحملـه وصـبره علـى الأذى ومتابعتـه ومشـاهدته لخلاف الحق ومزاوجة الكافرة ومباعلة المؤمنة وذكر الكلمـات المتشـابهة مـع الاقتدار على إزالة الكل وتعسكر العساكر للجهاد مع الملحد الكافر وتحمل الأذى من عساكره مـع اقتـداره بـانفراده علـى دفـع مـا أراد دفعـه بالعسـاكر والسكوت إذا لم يجد وليّا ناصرا مع أنه بنفسه يغني عن الكل والرضا بالقتل وسبي العيال ونهب الأثقال مع عدم الناصر وإن كان استخلاصه بقوة شوكته من غير تقية أو معها بالتسليم والمداراة كما فعل الأوائـل وسـكوت بعـض الرؤساء حتى عن الكلام ونطق البعض الآخـر بـالكلام والبيـان الواضـح الصريح أو المخفي أوالمرموز الملوح بالإشارة أو بـالمنطوق أو المفـهوم أو لحـن

---

[1] النور ١٣   [2] النساء ٥

الخطاب أو دليل الخطاب أو بالتقرير أو بالفعل أو بالترك أو بالسكوت أو بالإعراض أو بالإجمال أو بالكتمان أو بالإعلان أو بقول إياك أعني واسمعي يا جارة ولم يأت بصريح العبارة مع اقتداره عليها من غير وصول سوء إليه وكذلك حكم الغائب الخائف المترقب عجل الله فرجه وسهل مخرجه ، وإمساك الكون وأهله في ذواتهم وصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم ونومهم ويقظتهم وعلومهم ومعارفهم وكلها لهم وبهم ومنهم وإليهم وعنهم ولديهم وعليهم وعندهم بنوره وفاضل ظهوره على مقتضى قوله الحق ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾[1] وجعل بعضهم في مقام الظن والآخرون في مقام الشك وطائفة في مقام الوهم وطائفة في مقام الترديد وطائفة في مقام الإنكار وطائفة في مقام الجهل البسيط وطائفة في مقام الجهل المركب وطائفة مترددة بين الصافي والكدر وطائفة مضطرب الأمر مشوش الحال إما بلسانه وقلبه أو قلبه دون لسانه أو بأعماله أو بشئون تطورات أحواله وطائفة في مقام صافي العلم وطائفة في مورد اليقين وطائفة في شريع المصافاة والمحبة والمعرفة ، أما صافي هذه الثلاثة في الأحوال كلها أوفي بعضها دون بعض في بعض الأحوال فيوصل أهل الوصول إما بالقرائن والأحوال أوبالكشوف والإقبال بدواعي

---

[1] الكهف ١٨

مقتضيات الأعمال فيرى معاينة أنها منقوشة في ألـواح المحـو والإثبـات أي في اللوح المحفوظ الثابت الدائم البـاقي فيمـا لا يـزال أو بالمكاشـفات النوميـة والمشاهدات الطيفية والمعاينات الحقيقيـة في عـالم الرؤيـا أو بتصفيـة القلـب وتزكية اللب وتطهير السر فيقذف النور في قلبه قذفا مـن دون المراجعـة إلى حال من الأحوال أو غير ذلك من الأحـوال كلـها مـن حـدود لا إلـه إلا الله وأركانها وأجزائها ، فلوحاد منها أي مما أشرنا إلى نوعه لجرى قوله عـز وجـل ﴿ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] ولو أردنا بيان هـذه الأحـوال ووجـه كونها حدود لا إلـه إلا الله يطول علينا الكلام والإشارة كافية لأهلها والعبارة قاصرة عنها إنا لله وإنا إليه راجعون .

وأما ظهور لا إلـه إلا الله في الأكوان الوجوديـة في الـذّوات فاقتضـاء الأكوار الأربعة كل كور وكل دور أشرف مـا يقتضـي ذلـك الكـور في تلـك المرتبة فإذا نقصت عن ذلك كان استكبارا في قوله لا إلـه إلا الله على مراتبـه من القولي والعملي والاعتقادي وأمثالها ولما كـان علـي أمـير المؤمنـين عليه السلام وأولاده الأحد عشر الطيبون الطاهرون قد ظهروا بالمراتب كلّها مما ذكرنا ومـا لم نذكر سواء كان ذلك الظهور لذواتهم أولغيرهم فكملت شهادتهم في كل تلك المقامات سيّما علي عليه السلام فإنه أمير المؤمنين عليه السلام وقد قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقه ((يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت))[2] فكانت شـهادته هـي

---

[1] الصافات ٣٥ [2] تأويل الأيات

الشهادة الصادقة التي لا اعوجاج فيها أبدا بوجه من الوجوه لأن الاستقامة التي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بها هي ولايته والصراط المستقيم هي ولايته والصراط الممدود بين الجنة والنار هي ولايته عليه السلام فأفرد صيغة الشهادة إما لكون الأربعة عشر قصبة واحدة شهادة أحدهم عين شهادة الآخر كما قال عليه السلام ((كلنا محمد أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد وكلنا محمد)) صلوات الله عليهم أجمعين ، وأما لأن ظهور الشهادة التفصيلية ما تحقق بكمالها وحقيقتها إلا فيه عليه السلام وشهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وإن كانت أبلغ إلا أنها ما ظهرت في مقام الظهور مثل ما ظهر عنه عليه السلام حتى قالوا بألوهيته وربوبيته وتفضيله على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكونه عليه السلام طائفا حول جلال القدرة وكون رسول الله صلى الله عليه وآله طائفا حول جلال العظمة ولبيان أن شهادته عليه السلام هي الشهادة الكاملة البالغة وهي التي أرادها الله سبحانه وتعالى من خلقه حين خلقه كما قال عز وجل ((كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف)) وتلك المعرفة المستلزمة للشهادة ما كملت وما تمت وما اعتدلت إلا في حقيقته عليه السلام وكل المعارف بعده والشهادات دون شهادته عليه السلام ما تبلغ تلك المعرفة وتلك الشهادة لأن كلمة التوحيد حقائقهم وقد أشار سبحانه إلى ذلك بقوله الحق ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ

مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[1]
وهي كلمات التوحيد إن شئت عبّرت عنها بكلمة واحدة لها اثنا عشر حرفا وإن شئت عبرت عنها باثني عشر كلمة وكل الخلق في كل أحوالهم وأطوارهم ومقاماتهم ومشاعرهم وفيما يعرفون به معبودهم يقصرون عن معرفة تلك الكلم الطيب فلا تزيد معرفة الخلق على تلك المعرفة بل تبلغ جزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير من تلك المعرفة ، فليست الشهادة إلا من شهادته قال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ ﴾[2] فشاهدته عليه السلام هي عين شهادة الله لخلقه قال مولانا الصادق عليه السلام ((إن كنت تريد الله الذي ليس كمثله شيء فذلك لا يعلمه إلا نحن كما قال تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[3])) ، لأن شهادة الله لخلقه ما تظهر إلا بولاية الله وولاية الله لم تظهر ولن تظهر إلا فيهم صلوات الله عليهم فحقيقتهم شهادة الله بالوحدانية لنفسه لخلقه لأنهم نفس الله وعين الله قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ ﴾[4]، وقال تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ ﴾ وهم علم الله قال عز وجل ﴿ عِلْمُهَا

---

[1] لقمان ٢٧ [2] آل عمران ١٨ [3] الجن ٢٦ – ٢٧ [4] المائدة ١١٦

﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖ﴾[1] ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾[2] ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[3] ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ﴾[4] وهم ذات الله الظاهرة للخلق بالإحداث والإيجاد قال عليه السلام في النفس الملكوتية الإلهية أنها ((هي ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى من عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ظل وغوى))

وبالجملة هم ظاهر الله في خلقه وخليفة الله وبقية الله في بريته قال مولانا الباقر عليه السلام ((فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عباده))[5] ((إن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم))[6] فإذا كان كذلك فتكون شهادة الله لخلقه هي شهادة أمير المؤمنين عليه السلام لأنه عليه السلام صاحب التفصيل ومحل التأويل.

أونقول أنه عليه السلام لما أفرد الشهادة لبيان أن كل الشهادة التي صدرت عن كل الخلق من مبدأ الوجود المقيد إلى نهاياته ونهايات نهاياته إلى ما لا نهاية له كلها شهادته عليه السلام لربه بالوحدانية فإن الخلق كلهم من عكوسات

---

[1] طه ٥٢ — [2] يس ١٢ — [3] الأنعام ٥٩

[4] الحج ٧٠ — [5] البحار ٢٦/ ١٤ ح ٢ — [6] تفسير فرات ٥٥١ ، البحار ٧/ ٢٠٢ ح ٨٨

أنواره وأشعة آثاره ومظاهر أسراره وكلها تسبيحه وتقديسه وتنـزيهه عليه السلام لله كما أن الضوء المنتشر في البيت هوبعينه نور السراج وإنارة السراج الظاهرة ليست إلا نفس الأشعة ، فهو عليه السلام يسبح الله بأطواره كما أنك تسبحه بلسانك أوبجنانك أوبأركانك وأفعالك وأعمالك وحركاتك وسكناتك وآثارك وسائر أطوارك وكلها خارجة عن ذاتك وإنما هي شئونات لها وتسبيحك في عالم الظهور ليس إلا بها وتسبيحها ليس إلا تسبيحك لله بها ، وكذلك الحكم في الشهادة فإن شهادة كل أحد لله سبحانه هي شهادة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بلسانه أو بجنانه أو بأركانه فافهم فإني كشفت سرّا معمّى ورمزا منمنما فاشرب عذبا صافيا والله خليفتي عليك ، ولذا قال روحي فداه ((أشهد أن لا إله إلا هو)) وهذه الشهادة قد ثبتت وكملت ورسخت وأزالت الأغيار وصفّت الأكدار إلى أن ظهرت في هذه الدار فصار شهيدا عليه السلام فهوشاهد ومشهود ، وتلك الشهادة العليا والدرجة القصوى والرتبة الأسنى وإن ظهرت فيه عليه السلام إلا أنها قد ظهرت كمال الظهور بعظم النور مشروحة العلل ومبينة الأسباب في قرّة عينه وفلذة كبده وبهجته ومهجته سيد شباب أهل الجنة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وأرواحنا له الفداء فإن شهادته عليه السلام من تلك الشهادة أي شهادة أن لا إله إلا الله وقد أقرّ الله سبحانه له

بذلك حيث قال في كتابه الكريم ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[1] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[2] ونشير إنشاء الله تعالى في ما بعد إلى تفصيل هذه الأحوال ونكشف بعون الله تعالى حجاب الإشكال .

ولاإله إلا الله هي الكلمة الطيبة التي كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وتلك الكلمة قد التأمت من اثني عشر حرفا وهي إشارة إلى ظهور عين التوحيد بتوسط النبي ﷺ إلى اثني عشر مقاما وهومجمع الكون ومعدن العين وقد أشار سبحانه إليه في الباطن في قوله عز وجل ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾[3] وتلك العيون منبعها من عين واحدة قال أيضا سبحانه وتعالى ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾[4] ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾[5] ، وقال

---

[1] الإسراء ٧٨ [2] الإسراء ٣٣ [3] الأعراف ١٦٠
[4] الأعراف ١٥٩ – ١٦٠ [5] الأنبياء ٧٣

أيضا سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[1] وهذه الاثنا هي مثنى الستة العدد التام الذي تم خلق السموات والأرض وخلق كل شيء فيها ومثّناها تكرارها في عالم الغيب والشهادة وكل هذه المراتب عن منبع التوحيد لقد ظهر فيها على حسب ذلك المقام وتلك المرتبة ، وأشار إلى سر ما ذكرنا مولانا الجواد التقي عليه السلام في زيارة أبيه علي عليه السلام على إقبال الدنيا وسعودها ومن سئل عن كلمة التوحيد فقال أنا والله من شروطها ((السلام على شهور الحول وعدد السّاعات وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات))[2] وقد قال مولانا الحجة المنتظر عجل الله فرجه ((فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا الله))[3] فهم اثنا عشر هيكل التوحيد قد حصلت وصدرت عن منبع واحد ، فهم واحد في عين التكثر ووحدتهم حقيقة منبئة عن كمال التوحيد المستدعي لسلب الجهات ومحو الكثرات وإزالة الإنيات وقطع عالم الصفات وذل جبل الإنيات ، وذلك التوحيد ما يمكن بروزه وظهوره وانتشاره إلا في هذه الهياكل المقدسة المطهرة المنورة لما ذكرنا من سر المراتب ، وإنما خصّ الاثنا عشر من الحروف النورانية دون الأربعة عشر لأن ذلك مقام

---

[1] التوبة ٣٦ [2] البحار ١٠٢ / ٥٤ ح ١١ [3] دعاء مولانا الحجة عجل الله فرجه في رجب

التمام والأربعة عشر مقام الكمال ، ومقام التوحيد الظاهر مقام الولاية الظاهرة على جهة التكليف ومظهر هذه الولاية ما يمكن إلا باثني عشر دون الأربعة عشر لأن ذلك على نظم اقتضاء الكون الوجودي والتشريعي والحقيقي والصفتي والذاتي والإضافي ، لكن هنا شيء وهوأنه عليه السلام ما أتى بلا إله إلا الله ليكون ذلك تمام اثني عشر وإنما أتى بلا إله إلا هو وهو تمام العشرة الكاملة ويريد بذلك بيان سر تمام ميقات موسى في قوله عز وجل ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[1] وقوله عز وجل ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[2] ويريد بهذه العشر مجموع مراتب الأكوان التي ظهرت فيها تلك الهياكل الاثنا عشر التي تم بها التوحيد وكملت أركان العرش المجيد ، ووجه الإشارة أن هويشمل على اسم الله وزيادة هذه الدقة لأن هو روح الله وقوام ذلك الاسم ولذاقال سبحانه ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[3] فقدم الهوية على الألوهية فقوام الألوهية بالهوية فشمل على ما شمل به الله حين قولك لا إله إلاالله وزاد على ذلك بعشر لأن هوعدده أحد عشر وواحد يزاد على عدد الله في الحروف المقطعة ليتم إلى الاثني عشر وتبقى العشرة بعد ذلك إشارة إلى ظهور الاثني عشر في العشر ليكون تفصيلا لقول مولانا الحجة عجل الله فرجه ((فبهم ملأت سمائك

---

[1] الأعراف ١٤٣ — [2] الفجر ١ – ٢ — [3] الإخلاص ١

وأرضك حتى ظهر أن لا إلـه إلا أنت)) ، وقـال النـبي صلى الله عليه وآله وسلم ((الـذي مـلأ الدهر قدسه))[1] وهذا الذي ذكر عليه السلام بيان لكيفيـة الامتـلاء وسـريان نـور التوحيد السّاطع عنهم عليهم السلام في كل ذرّات السماء والأرض إلى ما لا نهاية لـه لأنها لا تخلوعن هذه العشرة وهـي القبضـات العشـر مـن الأفـلاك التسـعة والأرض وما يتعلق بهما من القرانات والمزاجات وكل شيء يتصوره المتصور أو يدركه المدرك لا يتقوم إلا بهذه العشرة ، فتمّ الوجود بسريان نور التوحيـد من هياكل التوحيد الاثني عشر وهوالمستفاد مـن كلامـه عليه السلام وروحـي لـه الفداء .

ثم أنه عليه السلام أراد بذكر هوالإشـارة إلى سـر آخـر وهوبـيان أصنـاف الموحدين وكل من ينطـق في التوحيـد مـن المحقّـين والمبطلـين ويجمـع الكـل بمراتبهم المتباينة المختلفة أحد عشر صنفا خمسة منهم مـن الضـالين المضلـين وهـم الذين نظروا إلى أنفسهم فعرفوا ربهم بما وجدوا في أنفسهم من حيـث هي .

فمنهم من قال أنه جسم من الشعب المختلفة .

ومنهم من قال أنه سبحانه صورة ومثال .

ومنهم من قال أنه مـادة وهيـولى لكـل الوجـود أي الموجـودات مـن العوالم .

---

[1] اليقين ٣٤٧

ومنهم من قال أنه طبيعة العالم .

ومنهم من قال أنه نفس العالم وروحه .

ومنهم من قال أنه معنى ، فهذا إن أشار إلى جهة المعنوية فهوكغيرهم من الهالكين الضالين المضلين ، وإلا فهي أدنى مقام التوحيد .

والخمسة الأخر درجات الفائزين ومقامات المقربين .

فالأول مقام الواقف في مقام الظاهر والحق والسر وهذا أدنى المقامات .

والثاني مقام الواقف في مقام سر السر وباطن الظاهر وحق الحق مقام الكلمة التامة .

والثالث مقام الواقف في مقام السر المستسر بالسر وباطن الباطن وحق الحق مقام الحروف العاليات .

والرابع مقام الواقف مقام السر المقنع بالسر وباطن باطن الباطن وحق الحق مقام الألف والنفس الرحماني الأولي .

والخامس مقام الواقف مقام السر المجلل بالسر وباطن باطن الباطن وحق الحق وحق الحق وهومقام النقطة ، وهي النقطة الإلهية وقطب الدوائر الكونية والإمكانية ومقام الوحدة المطلقة التي تنتهي إليها النهايات والبدايات وتدور عليها اللانهايات واللابدايات وهوالسر المكنون المخزون .

فـالألف يـدور علـى النقطـة دوران تعلّـم وإرشـاد وعطيـة واستمداد، والنقطة تـدور عليـه دوران إفاضـة وإمـداد وتفصيـل وانبسـاط وظهور والجماد، وكذلك الألف بالنسبة إلى الحروف وهي بالنسبة إلى الكلمة التامة وهي بالنسبة إلى الدّلالة التي هي آخر المراتب والمقامات وعليها تـدور رحى الكائنات وهذه الخمسة هي الهاء المتولدة مـن الكـاف المستديرة علـى نفسها المتولدة من البسملة المتولـدة مـن البـاء المتولـدة مـن النقطـة فافـهم وسأشرح لك إنشاء الله تعالى.

فقوله عليه السلام ((لا إلـه إلا هو)) إثبات وقوفه في مقامات الهـاء الـتي هي إشارة إلى تثبيت الثابت وتنـزيه الحق سبحانه عن دركات الـواو فيكـون الأصل في مقامه عليه السلام هوالهاء، والواو في هذا المقـام إنمـا حصلـت بإشـباع ضمة الهاء لكونها في محل الرفع ومقام الضم، فالواو ظهور الهـاء وإن شـئت قلت أنها ابنته المتولدة منها فلا تلاحظ معها ولا ترتبط بها، فالهـاء هـو روح هاء الله وهذه الهاء مثال لها وتلك الهاء سار في كل أطوار اسم الله ولذا تراهـا تحفظ نفسها في جميع مراتب التكعيب والـتربيع والتجذيـر وصـورة ظاهرهـا عـين صـورة باطنـها وهـي مـن حـروف ليلـة القـدر وهـي الليلـة المباركـة الـتي أخـبر الله سـبحانه بـها في كتابـه الكريـم وقـال ﴿ حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَـٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَـٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَـٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا

يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴾[1] قال عليه السلام ((حم هو رسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب المبين هو علي عليه السلام والليلة المباركة هي فاطمة عليها السلام وفيها يفرق كل أمر حكيم أي كل إمام حكيم بعد إمام حكيم))[2] وإنما أشير بها إلى فاطمة عليها السلام لأنها خمسة وهي عليها السلام خامسة أهل الكساء وخامسة النقباء النجباء بحسب الفضل والرتبة والمقام والشرف وإن كان بحسب القوس النزولي الحسين عليه السلام هو الخامس إلا أن المعتبر هو ترتيب الإيجاد على نظم الانوجاد بقابلية الآستعداد ، فالهاء هو السر القيومي في الخلق الكوني والعيني .

ثم أنه عليه السلام بذكر هو أشار إلى سر آخر وهو أن هو هو أعظم الأسماء ومتمم لها فإذا أضفته إلى التسعة والتسعين الاسم فإن لاحظته واحدا يظهر القاف الجبل المحيط بالدنيا على ما سبق وهو حم عسق قال عليه السلام ((حم

---

[1] الدخان ١ - ٤

[2] لم نقف على هذه الرواية بالنص ولكن وقفنا على ما يقرب منها ففي الكافي ١ / ٤٧٩ ح ٤ ، وفي تفسير الصافي ٤ / ٤٠٤ أن رجلا نصرانيا سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن تأويل هذه الآيات فقال عليه السلام ((أما (حم) فهو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هو الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف ، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأما الليلة ففاطمة عليها السلام ، وأما قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) يقول يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم ، فقال الرجل : صف الأول والآخر من هؤلاء الرجال ، فقال : إن الصفات تشتبه ، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديما ما فعلتم))

هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلم علي عليه السلام كلــه في عســق)) فـإن لاحظتـه بعـدد بسائط حروفه مع الأسماء الحسنى يظهر عدد الاسم الأعظم الأعظم الأعظـم الأعظـم الذي يحبه الله ويهواه ، فإضافة سائر الأسماء إليه إضافة المتقوّم بالمقوم ، وتلـك الأسماء ليست إلا ظهورات هو والدليل عليه أنه بنفســه مـن غـير ملاحظـة الأسماء مستقل في هذه الإفادة لأنك إذا نزلته في المرتبة الثانيـة يكـون الاسـم العلي العظيم قال الله عز وجل ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[1] فإن الهاء إذا أشبعتها يتولد منها الواو فيكون المجموع حرفان إشـارة إلى جـلال القدرة وجلال العظمة وإلى الطائف حول جلال القدرة والطائف حول جلال العظمة ومرتبة الولاية الكليّة ومرتبة النبوة الكليّة ومرتبة القدس والتنــزيه ومرتبة الإضافة ومرتبة الأحدية الظاهرة ومرتبـة الواحديـة ومرتبـة الألوهيـة ومرتبـة الرحمانيـة قــال الله تعــالى ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾[2] ثم العدد أحد عشر ، فإذا لاحظته في المرتبة الثانية تكـون العشرة تظهر في مائة لأنها النسبة الثانية للعشـرة الـتي هـي النسـبة الثانيـة للثلاثة التي هي النسبة الثانية للواحد الذي هوالنسبة الثانية للأحد فرجعت الإضافات إلى نفسها وفنيت وبقي الدوام والبقـاء الأبـد للأحـد وهوالوجـه الباقي بعد فناء كل شيء فإذا لاحظت نسبة العددين في المقام الثـاني تكـون

[1] الزخرف ٤
[2] الإسراء ١١٠

مائة وعشرة وهوعدد علي عليه السلام ولذاقال تعـالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[3] فرجعت تلك الإثنينية التي كانت في هو إلى الواحد فغاب الجمل في المفصـل والبـاطن في الظـاهر والعـرش في الكرسـي وهومعنـى قولـه صلى الله عليه وآله وسلم ((فلمـا وصلت إلى جلال العظمة خلق الله نور علي عليه السلام فكان نوري يطوف حـول جلال العظمة ونور علي يطوف حول جلال القـدرة)) وقـال الله تعـالى ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[4] فافهم الإشارة في التنـزيه ، واليمين هوعلي عليه السلام لأنه مائة وعشرة فالاسم العلي هوالاسم الأعظم لأنـه هـو في مقام المسمى وعلي عليه السلام في مقام الأسماء فجمعت الأسماء الحسنى كلـها مـع المسمى فما شذ عنـه ظـهور مـن الظـهورات في أقـاليم الأسمـاء والمسميات ومقامات الأسماء والصفات فذكر هوأعظم من ذكر الاسم الله فـإن الاسـم الله وإن كان يؤدي هذا المؤدى لكنه في مقام الظاهر على ما يعرفه العـوام لدلالـة ذلك الاسم المكرم ببيناته على محمد وعلي عليهما السلام لبيان أنهما عليهما السلام اسمان لله سبحانه فإن البينات اسم للزبر ، وأما هوفقـد أشـار بـه إلى مـا هـو الأعظـم

---

[1] البقرة ٢٥٧ [2] الزخرف ٤ [3] الحج ٦٢ [4] الزمر ٦٧

ولذاقال مولانا الرضا عليه السلام ((فأول ما اختاره لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأشياء كلها فمعناه الله))[1] فافهم راشدا موفقا واعرف حدود لا إله إلا الله واعلم أن الأمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[2] على المعاني الثلاثة كلّها أي بدلالتنا أوبترجمتنا ووساطتنا أو بمعرفتنا وهوقول مولانا الجواد عليه السلام المتقدم ((وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المسطرات))[3] .

ثم اعلم أن حروف لا إله إلا الله كلها بين ثلاثة أحرف والاثنان في أغلب المقامات واحد لأنهما معا حرف تعريف وهما الألف واللام وحرف التعريف هوالألف وحده إلا أن اللام إنما أتي بها إتماما لقابلية ظهور الألف وإنما خصّوا اللام لأنها جامعة لمراتب القابليات فأشار بحرف التعريف إلى قول علي عليه السلام المتقدم آنفا ((نحن الأعراف الذي .. إلخ)) ، وقوله عليه السلام في الزيارة ((من أراد الله بدأ بكم))[4] وذلك لأن الله سبحانه هوالمعروف الذي لا جهالة فيه والظاهر الذي لا خفاء فيه ، والوحدة جهة المعرفة والكثرة علّة النكرة ولما كانوا عليهم السلام محال معرفة الله فظهرت المعرفة والمعروفية والظهور المطلق فيهم عليهم السلام فهم عليهم السلام حقيقة الأعراف ومعروفية كل المعارف بفاضل معروفيتهم عليهم السلام ولذاأحاطوا علما بكل الوجود علم إحاطة لا علم إخبار

---

[1] معاني الأخبار ٢

[2] الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩

[3] البحار ١٠٢ / ٥٤ ح ١١

[4] الزيارة الجامعة الكبيرة

وعيان وقد أشار الله سبحانه إلى هذه الدقيقة اللطيفة والقيومية المطلقة والمعروفية الإلهية بقوله الحق في سورة الأعراف ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾[1] وهؤلاء الرجال هم البيوت التي ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾[2] وأول البيوت ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3] ولما كان مقام التوحيد مقام المعرفة لا مقام النكرة أتى بحروف المعرفة في اللفظ الدال عليه فجرى الظاهر اللفظي على طبق الباطن المعنوي ، لكنه ما أتى تلك الحروف على هيئة التعريف وجعلوا أولها مقام النفي لبيان أن هذه المعلومية عين المجهولية وهذا الظهور الذي بفاضل ظهوره ظهرت الأكوان والأعيان ومستجنات غيوب الإمكان هو عين الخفاء لشدة الظهور لأنه تجاوز عن مقام مدارك الخلق ومشاعرهم بما لا نهاية له فلذا وضع لفظ النفي من مادة حرف التعريف إلا أنهم قدموا اللام على الألف في النفي لبيان ما قال علي بن الحسين عليه السلام ((وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا

---

[1] الأعراف ٤٨ [2] النور ٣٦ [3] الأعراف ٩٦ – ٩٧

أن تحجبهم الآمال دونك))[1] واللام هي مقام الكثرة اللازمة للماهية التي ما شمّت رائحة الوجود فهي نفي وعدم ، ولما أن الكثرة ليست بشيء ولوجتثا وعدما إلا بالوحدة فأتوا بالألف بعد اللام لبيان أن النفي شيء لأن فيه من آثار الوجود وهوقول مولانا الصادق عليه السلام ((إن النفي شيء مخلوق))[2] ولما كانت جهة الوجود فيه ضعيفة تأخرت الألف ، وإنما أتى بالحرفين لبيان أن كل ممكن زوج تركيبي وإن العدم ماهية الوجود كما فصلنا في كتابنا اللوامع الحسينية عليه السلام فطابق اللفظ المعنى والاسم المسمى .

وأما إلاله فلما كان وضع الألفاظ على الحقائق الحقة الإلهية الأولية وجرت في الدعاوى المجتثة الباطلة الإفكية روعيت فيه جهة المناسبة الحقة فقدم الألف على اللام ، وأما الألف فلبيان الإثبات والتعيين والتعريف ، وأما اللام فلبيان ظهور ذلك التعريف في عالم الخلق من أحوال الكثرات وجهات الإنيات وبيان اكتسابها التعريف إذا جعلوا الألف الذي هومثال الوحدة تلجا لهم ومشوا على طريقة رشده وهدايته ظاهرا وباطنا وبينات الألف هوظاهر علي عليه السلام لأنها مائة وعشرة وزبره هوباطنه الذي سره عين علانيته كما يأتي ، واللام أيضا ظهوره عليه السلام محلا لاستواء الرحمن ومؤديا إلى كل ذي حق حقه من بحر الجود والامتنان ، ومثال ذلك القمر

---

[1] دعاء أبي حمزة الثمالي

[2] البحار ٤ / ٣٢٢ ح ١

الظاهر في فلكه الجوزهر المسبح لله باسمه المبين وهوصاحب التفصيل والعدد والحساب ومميز الصور ومستنطق الطبائع ومستظهر مستجنات السرائر ومنشأ الاختلاف وداعي رسم الإيمان والكفر والطيب والخبيث والمستقيم والمعتدل والحلووالحامض والمر والتفة وأمثالها، ولا يحصل الكل إلا في القمر والقمر يقطع الدورة ثلاثين يوما لحكم مستقر وأمر مقدر يطول بذكره الكلام، والقمر هومثال علي عليه السلام في الظاهر لأنه صاحب التفصيل وعلة الاختلاف قال سبحانه ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[1] وقال ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ۝ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما اختلف في الله ولافي وإنما الاختلاف فيك يا علي)) وقال عليه السلام ((ما لله آية هي أكبر مني وما لله نبأ هوأعظم مني))[3] فكانت اللام اسما له عليه السلام ولذاجعلت في اسمه الشريف إشارةإلى أنه الثلاثون ليلة لميقات موسى والياء بعد اللام إشارةإلى إتمام العشرة وهوأولاده الطيبون سوى الحسين عليه السلام وروحي له الفداء لكونه الفجر لا الليل قال تعالى ﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾[4] ومجموع اللام والياء هوالميم فصار في أول اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم زادوا الهاء في الإله بعد الألف واللام للإشارة إلى

---

[1] النبأ ١ – ٣   [2] ص ٦٧ – ٦٨   [3] تأويل الآيات ٧٣٣   [4] الفجر ١ – ٢

التوحيد كما كانت الألف واللام إشارتين إلى التعريف على الطريق المعلوم لأن الهاء خمسة إشارة إلى المقامات والعلامات الخمسة التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرف الله بها من عرفه لا فرق بينه وبينها إلا أنهم عباده وخلقه ، وتلك الخمسة في عالم ظهور الوحدة عين الوحدة ظاهرها في باطنها وباطنها في ظاهرها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ، ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى))[1] والهاء مثال لذلك لكون ظاهرها عين باطنها في الصورة الرقمية وسرّها عين علانيّتها واسمها عين مسماها وظهورها عين خفائها وأوليّتها عين آخريتها وقبليّتها عين بعديّتها ، وقد ظهرت هذه الصفات كلها في علي عليه السلام وروحي له الفداء كما قدمنا يسيرا منها في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال عليه السلام ((أنا باطن السين)) والسين من الحروف التي ظاهرها عين باطنها واسمها عين مسماها لا في الصورة الرقمية بل لقد طابقت زبرها بيّناتها ولفظها معناها ، والهاء إشارة إلى تثبيت الثابت وما ظهر هذا الثبات والإثبات البحت البات إلا في مولانا علي عليه السلام ولذا لما ظهر للخضر من قشور ذلك الثبات الحامل للثابت الذات قال في حقه عليه السلام ((كنت كالجبل لا تحركه العواصف))[2] والمشبه عين المشبه به عندنا في القرآن والأخبار ، والجبل هوجبل الأحدية الظاهرية

---

[1] معاني الأخبار ١٠

[2] أمالي الصدوق ٢٤١ ، كمال الدين ٣٨٧

على جبل الواحدية مع ما تقدم سابقا فتم اسم الإله طبقا لمسماه وظهر العبد دالا على مولاه فإذا أطلق على ما سواه فليس من باب الوضع الأول ولا المجاز بل هووضع محتثي ظلي من باب تناسب التضاد .

وأما الاستثناء فلما كان حصرا واختصاصا وذلك لا يكون إلا بنفي السوى أوتي لها بأل لدلالة الثبات والتعيين والتخصيص ، ولا الدالة على النفي لسلب الأغيار وتصفية الأكدار فأدغمت من جهة قران المثلين فكسرت الهمزة للمبالغة في التعيين والاختصار أو لئلا يشتبه بأن لا المدغمة لقران المتجانسين ، ولم يعكسوا لئلا يشتبه بأن لا الشرطية ، فالنفي تنزيه والإثبات توصيف والنفي فناء والإثبات بقاء والإثبات إشارة والنفي سلبها ولذا لا يتحقق إلا في مقام ذكر إثبات المخالف وإثبات المخالف مخالف للإثبات البحت ، وهذا الذكر في مقام الواحدية وما بعدها وما تحقق إلا بالولاية وما يمحى إلا بالولاية ، فحقيقة الاستثناء هي الولاية والولي المطلق فإن ظاهره التعلق والارتباط وباطنه وهوأل ، وباطنه التقديس والتنزيه الصرف وهو لا ، فلما كان هذا الظاهر والباطن في الشيء الواحد جرى الإدغام لخفاء أحدهما عند ظهور الآخر قال عليه السلام ((ظاهري إمامة وباطني غيب لا يدرك)) فالاستثناء حكم البرزخية بين الثابت البحت والنفي البحت فهو يثبت الحق وينفي الباطل ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ

زَهُوقًا ﴾[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار))[2] ومن هنا يظهر أن الأصل في الاستثناء الاتصال .

وأما الله فهوالاسم الجامع للاسمين الأعلين لأنه مركب في اللفظ من الألف واللامين والهاء ومن بينات المجموع يستنطق اسم علي عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله فمن بينات الألف يستنطق اسم علي عليه السلام ومن الباقي اسم محمد صلى الله عليه وآله لبيان أنهما اسمان لله سبحانه وتعالى فقدم اسم علي عليه السلام وكان بينات الألف لكونه عليه السلام ظهر بالولاية ومحمد صلى الله عليه وآله ظهر بالنبوة والنبوة ظاهر الولاية وعلي عليه السلام ظاهر الولاية الظاهرة بالنبوة ولذاكان جبرائيل عليه السلام إذا أراد أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله ما يأتيه إلا بأمر علي عليه السلام وإذنه وما عند علي عليه السلام وراثة عما عند الرسول صلى الله عليه وآله فافهم.

فلا إله إلا الله مقام النبوة ولاإله إلا هومقام الولاية ، ولما كان أمير المؤمنين عليه السلام حامل اللواء اختار اسم هوعلى الله فقال عليه السلام ((أشهد أن لا إله إلا هو)) .

ثم اعلم أن ما يتعلق بهذه الكلمة الطيبة في ظاهرها وباطنها من مراتب التوحيد التي هي مائة وستون وأحوالها وأحكامها وأصحابها وعلاماتها وظهوراتها ومقاماتها وسر اختلاف مراتب التوحيد مع وحدة

---

[1] الإسراء ٨١

[2] الفصول المختارة ١٣٥

الموحد وما يتعلق بكلمة هو من الأسرار والمعارف والمراتب والكرات والدوائر قد ذكرناها في تفسيرنا على آية الكرسي فلا نطول الكلام هنا بذكرها والذي ذكرنا هنا ذكرناها في مقام آخر من الأمور المتعلقة بهذه الخطبة الشريفة من أسرار أهل البيت عليهم السلام وإلا فكم من أمور مما يتعلق بالتأويلات وأنحاء البواطن والأسرار قد تركتها هنالك وهنا خوفا للتطويل وتقية من أصحاب القال والقيل قال الشاعر وأجاد:

أخاف عليك من غيري ومني ومنك ومن زمانك والمكان

فلوأني جعلتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفاني

قال عليه السلام وروحي له الفداء
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
انتجبه من البحبوحة العليا وأرسله في العرب العرباء

لما أظهر عليه السلام التوحيد بما لا عليه مزيد وأحكم مقامات التنزيه والتفريد وسد أبواب الشبهات وأزال أوساخ التوهمات ، وأبان عن مقام الجمال والجلال والعظمة والقدرة والقهارية والرحمانية والألوهية والواحدية والأحدية والقيومية ، وتفرده بالأحداث والإيجاد وعدم تحقق شيء في عالم الكون والفساد ، وأن كل شيء سواه من عالم الكون والفساد وسريان نور التوحيد في أفراد الكائنات وظهور الحق للخلق بأنحاء التجليات وظهور التجليات في مرايا الأسماء والصفات وتقابل الأسماء والصفات مجالي التعلقات وظهر بيان قول سيد الشهداء عليه السلام ((حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها))[1] وما قال هو عليه السلام ((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود)) ، ولما ظهر لنا من وصف كينونة الأزل الظاهر

---

[1] دعا عرفة للحسين عليه السلام

لنا بنا الذي هوحكاية الفاعل عدم استقلال نفسه للمفعول بالمفعول أن الذات الأزلية القديمة تعالى شأنه وتقدس في مقام قدسها وكينونة تنزهها منزهة عن الاتصال والاقتران وعن الظهور وعدمه فتكون تلك الظهورات إما بالإيجاد والإحداث أوبالصفات والأسماء أو بالقدرة والعظمة والكبرياء أوبغير ذلك ليست من حقيقة الذات البحت البات وإنما هي بظهور كينونات الصفات وتلك الصفات هي المتجلية في المخلوقات بالمخلوقات كما قال عليه‌السلام ((أقام الأشياء بأظلتها))[1] وقال عليه‌السلام ((كل شيء سواك قام بأمرك))[2] ولما كانت تلك الظهورات كلها متقومة بظهور واحد وتلك الشئونات متحصلة من شأن واحد والأوامر راجعة إلى أمر واحد والخلائق آئلة إلى مبدأ واحد وذلك هوالذي يبقى عند إزالة الشئون ويظهر عند سلب الاقترانات والإضافات حتى لا يبقى غيره سوى ربه ويعدم الكل عند ظهور نفسه لمشاهدة جمال ربه ، والجزئيات مثال للكلي والوحدة الظاهرة في الجزئيات شئون كثيرة للكلي ولما كان في الجزئي يبقى الواحد عند سلب الشئون وجب أن يكون في الكلي أيضا كذلك ، فرجعت الجزئيات إلى الكليات والكليات الإضافية إلى الكلي الحقيقي الذي سد دونه الأبواب وانقطع عنه الخطاب وهوالواحد الأحد الذي جمع لوحدته كل الشئون وظهر

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بالنص ولكن وقفنا على ما يقرب منها ففي التوحيد صفحة ٥٧ قوله ((وهو يمسك الأشياء بأظلتها))

[2] البحار ٩٠/١٤٨ ح ١٠

بصفته الكاف والنون ، وذلك هوالظــهور المطلـق والوجـود المطلـق والمثـل الأعلى والكلمة العليا ومبدأ الأسماء الحسنى ورتبة البرزخية الكــبرى ومقـام إلى ربك المنتهى ومنه نشأت الفيوضات وعنه تشعبت التعلّقات وبه أفيضت الإمدادات وبفاضل ظهوره ظهرت الصاد وبنور تجليه تحقق المـداد ، وبإشـراق نوره وجد القلم ، وببسط ظهوره انبسط اللوح ، وبشئون كينونته جرى القلم بالمداد في اللوح ، فلا انقطاع ولا جفاف إلى ما لا نهاية له من أحوال الذوات والصفات وسائر الاتصالات والقرانات والمفارقـات ، ولمـا كـان ذلـك الأمـر الذي قام به كل شيء وظهرت منه الظهورات وتجلت فيه الأسمـاء والصفـات محتجبا بحجب الغيوب ومقنّعا بالسر المستتـر بالسـر في غيـب الغيـوب أراد الإمام عليه السلام أن يظهر في هذه الخطبة الموضوعة لكشف الأسـرار ذلـك السـر ويبين ذلك الأمر ويشرح هذا المعمى ويكشــف ذلـك العمـاء برفـع الغطـاء ويستخرج الكنز من هــذا الطلســم ويصـرّح بحقيقـة الاسـم والرسـم فقـال عليه السلام ((وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)) وهوذلــك الأمـر والشـان وبحـر الامتنان ، والشجرة المباركة الزيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضـيء ولم تمسسه نار ، وتلك الشجرة في عالم اللا يتناهى اسمه المثل الأعلى وحامل لـواء إني أنا الله وهيكل التوحيد وحقيقة التجريد وصبح الأزل ومبدأ ظـهور كـن والكاف الظاهر عنها الهاء في كهيعص والنقطة العليا والكلمة الكبرى ، فلما نظر إلى مقام التناهي في مقام اللاّنهاية فذكرت النـهايات مـن حيـث المبادئ

لديه وحضرت من حيث الذكر الإلـهي عنده بملاحظة المتعلق بالكسر وقطـع النظر عن المتعلق والتعلق فهناك مادة الأسماء ومعنـى المسـمى ، واسمـه حينئـذ حمد ومجد وقدس وتنزيه قال صلى الله عليه وآله في خطبة يوم الغدير عنـد نصـب علـي عليه السلام للخلافة ((الذي ملأ الدهر قدسه))[1] وهوحينئذ البهاء وأبهاه والجمال وأجمله والجلال وأجله والعظمة وأعظمها والكمال وأكمله والأسماء وأكبرهـا والمشيئة وأمضاها والعلم وأنفذه والرحمة وأوسعها والقدرة التي اسـتطال الله بها على كل شيء إلى غير ذلك من الأركان المتقومة بها الأسماء ، ولمـا لوحـظ فيه جهة التعين والظهور وتغشيه بجلباب النور من حيث المتعلق بـالفتح دون المتعلق بالكسر إلا ضمنا وتلويحا وإرادة كـان اسمـه المـاء الـذي كـان العـرش عليه ، والهواء الذي خلقه الله قبل الخلق حين استوى الرحمن عليـه ، والصـاد الذي توضأ منه رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة المعراج لصـلاة الظـهر ، والمـداد الـذي امتد به القلم ، والنون وبحر المزن وبرزخ الوجود المطلق والمقيـد وبحـر النـور ومعدن السـرور وجنـة الصـاقورة والألـف اللينـة ونـور الكينونـة وهيـولى الهيوليات واسطقس الاسطقسات وذات الـذوات وبحـر الإمـدادات وخزانـة الكائنات وثاني الغيـب وأمـر الله اللاريـب وحجـاب الله المحتجـب بحجـب الغيب ومقام المصـدر وحقيقـة التـأكيد والحقيقـة المطلقـة وجوهـر الجواهـر ومنقطع الإضافات ومسلوب الرباطات والمنتهي إليه جميع التعلقات ، ومقـام

---

[1] الاحتجاج ٥٧

المعاني وعلة الأكوان والمباني والنفس الرحماني الثاني إلى غير ذلك من الأسماء في هذا المقام، ولما لبس لباس التّعيّن وتردى برداء العز والوقار وتسربل بسربال المجد والاقتدار وتقمص بقميص العظمة والفخار وقام بالعبودية بين يدي الملك الجبار وتنطق بإيّاك نعبد بالذل والانكسار ناداه الله سبحانه بلسان الاقتدار أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال الله عز وجل فوعزّتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إليّ منك ولا أكملتك إلا في من أحب، فاسمه الشريف في هذا المقام المنيف حبيب ومحبوب ومحبة وعقل وقلم وروح وروح القدس الذي ذاق من حدائق آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين الباكورة قال مولانا الحسن العسكري عليه السلام ((قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية)) إلى أن قال ((فالكليم ألبس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[1] وقال عليه السلام ((أول ما خلق الله القلم))[2] والقلم أول غصن أخذ من شجر الخلد وقال عليه السلام ((إن الله جل ثناؤه خلق العقل (من الماء العذب الفرات نورانيا) وهو أول خلق خلقه من الروحانيين عن يمين العرش))[3] وقال عليه السلام ((المحبة حجاب بين المحب والمحبوب)) وهو الملك الذي له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق ممن وجد ولم يوجد وسيوجد إلى يوم

---

[1] البحار ٢٦/٢٦٤ ح ٥٠   [2] تفسير القمي ٢/١٩٨

[3] الخصال ٥٨٩ وما بين الأقواس لا يوجد في الرواية فلعله شرح وبيان من المصنف أعلى الله مقامه.

القيامة وهوالنور الأبيض المشرق من صبح الأزل الذي منه البياض ومنه ضوء النهار وهوالعرش الثالث وهومخزن المعاني وهوينبوع المباني وأول العالمين ونورالله الذي أشرقت به السموات والأرض واليمين الذي كانت السموات مطويات به والقبضة التي كانت الأرض جميعا فيها وبها هكذا إلى غير ذلك من الإطلاقات المعصومية في هذا المقام ، ولما ظهر في عالم الشهود واستضاء به ثاني الوجود وظهر بصورة المظاهر وجمع المناقب والمفاخر ، وتكثرت الشئون وظهرت بكمال الظهور الكاف والنون كان اسمه محمد وأحمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ اسمه من مادة الحمد ليعلم أن هذا الآخر هوعين الحمد الأول إلا أنه كرر الحمد في اسمه الثاني كما كررت الشئون والإضافات في العالم الثاني ، وفي الثاني الذي هوالوسط كان اسمه الباء في بسم الله الرحمن الرحيم إشارة إلى الحمد فإن الباء إذا كررت تستنطق منه الدال والدال إذا كررت تستنطق منه الحاء والحاء إذا كررت خمس مرات تستنطق منه الميم فبالإجماع تحقق الحمد والميم كررت مرتان فجعلت إحداهما في الأول والثانية في الوسط ، فلما اجتمع المثلان جاء الإدغام فصار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فدل اسمه على شخصه وأن المسمى بحكم المناسبة الذاتية بين الاسم والمسمى نزل متكررا في ذاته تكرر الواحد في الأعداد وفي آثاره تكرر الشمس بظهورها في مقامات الأشعة ، وأحمد إشارة إلى مقامه الأعلى صلى الله عليه وآله وسلم لظهور الأصل فقد ظهرت الألف في العالم الأول للإشارة إلى ظهوره في العالم الأول كما نشير إليه فيما

بعد إنشاء الله ، فتكرر في الباء فأشار إليه ﷺ في العالم الثاني في البسملة ، فتكرر في الحمد إشارة إلى ظهورات الألف حاملة لكمال النقطة الأحدية في العوالم الثلاثة وهي الجبروت والملكوت والملك فالحاء إشارة إلى العالم الأول وهو وإن كان فيه وحلة إلا أن الحاء من الحروف الغيبية وفيها إشارة إلى حملة العرش الأعظم ، والدال إشارة إلى العالم الثاني لظهورالتربيع تاما مفصلا ممتاز الحكم مشروح العلل فيه ، والميم إشارة إلى العالم الثالث لكونه مقام الكثرة وهي من حروف عالم الشهادة كما كانت الدال من عالم الوسط المناسب للمشار إليه ولكونه مقام الاجتماع ومحل قران الأسباب بالمسببات وربط العلل بالمعلولات ولذاكان يومه يوم الجمعة ، ولما كان المراد من الحروف الثلاثة حكاية الظهور في العوالم الثلاثة من حيث هوظهور لا من حيث العالم كان الظهور في الكل متّحدا وإن اختلف من حيث العوالم ، ألا ترى الأجسام فإنها تتحرك إلى جهة على جهة الإطلاق بساطتها ومركباتها حتى الأفلاك التي ليس فوقها رتبة في الأجسام فتلك الحركات تكون زمانية جسمانية ولها حركات صدورية دائرة مستديرة على قطب مركزها وهو وجه مبدئها لا إلى جهة وتلك الحركة سريعة غير زمانية بل ولا دهرية وإنما هي حركات سرمدية استمدادية متساوية متحلة ، وكذلك حكم ظهور الحمد الذي هوالنقطة الكمالية الأسمائية والصفاتية من حيث هي في العوالم الثلاثة فالظاهر في الأول هوبعينه الظاهر في الثاني ، والظاهر في الثاني

هوبعينه الظاهر في الثالث ، فالألف هو بعينه الباء وهي بعينها الـدال وهـي بعينها الحاء وهي بعينها الميم ، فالحمد هوبعينـه محمـد صلى الله عليه وآله وسلم ومحمـد هوبعينـه حمد وأحمد ومحمود قال تعالى ((شققت لك من اسمي اسما فأنا المحمـود وأنـت محمد))[1] وهذا الاسم المشتق منه لا شـك أنـه حـادث ولا شـك أنـه موجـود وليس لله ذكر وظـهور محـدث إلا عنـده صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الأسمـاء مختلفـة حسـب الظهورات والانتسابات وتختلف الأحكام بالنسبة إليـها ، ألا تـرى أن الـذي يخرب الكعبة والعياذ بالله يكفر ويجب قتله والذي يخرب بيتا من بيوت سـائر الناس لم يكفر مع أنهما متساويان في أصل المادة والصقع في الظاهر إذ الاثنان من الجص والحجارة وليس هذا التفاوت العظيم إلا من جهة الانتسـاب قـال مولانا الصادق عليه السلام ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عـن الله عز وجل فقد عبد الله ، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليـس))[2] فافهم فقد أطلعتك على سر غريـب ، فـالمحمود هومشـتق مـن الحمـد وأحمـد مشتق من الحمد ومحمد مشـتق منـه وحـامد مشـتق منـه ، فـالمحمود هوالحمـد والحمد هومحمد ومحمد هوأحمد وأحمد هوالحامد والمجمـوع شـيء واحـد تـدور الأحوال عليها وترجع الأحكام إليها وتختلف الآثار لديـها كلـها بالإضافـات الخارجية والقرانات الإضافية ، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم محمود في المقام الأعلى في العـالم الأول ، ومحمـد في المقـام الثـاني عنـد التنـزل إلى السـبع المثـاني كمـا أن

---

[1] كفاية الأثر ١٥٢

[2] عيون أخبار الرضا ١ / ٣٠٤ ، البحار ٣٦/٢٣٩ ح ١

علياعليه السلام هواسم الله هو في المقام الأعلى في العالم الأول في الأزل الثاني وعلي في مقام التنزل إلى المرتبة الثانية مقام الأسماء والكثرات والإضافات قال الله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[2] على تفسير ظاهر الظاهر ، فالاسم أحمد إشارة إلى عالم فوق عالم الحمد لدلالة الألف القائم الذي حصل الحمد من تكرره مضاعفا فدل على الأصل ، والاسم الحقيقي هوالأول والباقي مواقع ظهوره فنسبة الحرف الأول إلى باقي حروف الاسم كنسبة المرّة الصفراء والسوداء والبلغم والدم إلى باقي البدن وكنسبة البدن وكنسبة الكواكب إلى كل أجزاء الفلك وقد قال الشاعر في وصف الروح :

حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها   من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت   بين المعالم والطلوع الخضّع

ولذاترى أهل الحروف يجعلون الزبر مسمى والبينات اسما له ، فدل ما ذكرنا أن أحمد في مقام فوق مقام الحمد إلا أنه ناظر إليه وهو حينئذ مشتق من اسم الله الأحد زادوا الميم لظهوره في مراتب الوجود كلها وهي تمام ميقات موسى قال الله تعالى ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[3] وهوالميم ، وأما محمد في مقام تحت مقام الحمد

---

[1] البقرة ٢٥٧   [2] الزخرف ٤   [3] الأعراف ١٤٣

فهوحينئذ مشتق من الحمد وزادوا الميم أيضا للدلالة على ظهور الحمد الذي هوظهوره ﷺ في جميع مراتب الوجود ، ولما كان ذلك مقام التنـزل تمايزت الكثرات فظهر مقام الغيب والشهادة فاستدعى تكرر الميم فإن الوجود في كل مرتبة أربعون كما حقق في محله ، فمحمد ﷺ هوالأول والآخر والظاهر والباطن ولاعجب في ذلك فإن هوالذي إذا تنزل يكون عليا هوالأول والآخر والظاهر والباطن لأن الهاء من عالم الغيب والواو من عالم الشهادة والهاء أول الحروف وأعلاها مخرجا ومقاما والواو أدنى الحروف مخرجا ومقاما فالهو هوالأول والآخر ، والاسم على طبق المسمى واللفظ على وفق المعنى والمتنزل إليه على حسب المبدأ لأن التنزل تفصيل بعد الإجمال ، ألا ترى أن الآحاد إذا تنزلت إلى العشرات تظهر الكسور التسعة على التفصيل منطقة وهي كانت في الآحاد لكنها ما كانت منطقة فظهر هنا ، فلما كان هو هوالأول والآخر والظاهر والباطن كان علي عليه السلام كذلك وقد أظهرت الشمس هذا السر لكونها عارفة بحقه عليه السلام لكونها مثاله آيته ودليله حيث سلمت على علي عليه السلام في الحديث المشهور وقالت ((السلام عليك يا أول ويا آخر ويا ظاهر ويا باطن))[1] وكان علي عليه السلام في محضر جمع من الأصحاب وكان الثاني معهم فأنكر هذا المعنى وأتى إلى النبي ﷺ وقال إن الشمس

[1] تأويل الآيات ٦٣٣

سلمت على علي عليه السلام بما لا يصلح إلا لله وقالت السلام عليك يا أول يا آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم إنها تريد بقولها يا أول أن عليا عليه السلام أول من آمن بي وهو آخر الأوصياء وهذا الجواب جواب واقعي حقيقي إلا أن الحمير ما فهم منه إلا الظاهر عند العوام ، انظر إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم أول من آمن بي وصدق بنبوتي وذلك كان اليوم الذي استخلصه الله في البحبوحة العليا كما يأتي إنشاء الله ، فعلي عليه السلام إنما كان ظهور هولكونه حامل اللواء وقد علمت أن اللواء لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فعلي عليه السلام إنما تشرف بشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتعلى بتعليته وتقوى بقوته واستعلى باسمه ، وعلي عليه السلام في الحقيقة اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا ترى في السجود المنسوب إليه عليه السلام تذكر الله باسمه الأعلى وتقول سبحان ربي الأعلى وبحمده وهومقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي الدعاء ((اللهم إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم وجدك الأعلى الأعلى الأعلى وبكلماتك التامّات))[1] الدعاء ، ويريد بالذكر هورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا ﴾[2] والاسم هوعلي عليه السلام وأشار الحق إلى الجميع بألطف إشارة بقوله الحق

---

[1] الإقبال ٣٢٧ [2] الطلاق ١٠ – ١١

﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[1] فجعل الأعلى منسوبا إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهـو صلى الله عليه وآله وسلم وهب ذلك الاسم عليا عليه السلام كما أنه حمله اللواء فأعطاه اسمه أيضا .

وبالجملة فإذا كان علـي عليه السلام هـوالأول والآخـر والظـاهر والبـاطن فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالطريق الأولى على النهج الأعلى ، لأن عليا عليه السلام حسنة مـن حسـنات محمـد صلى الله عليه وآله وسلم ، فمحمـد صلى الله عليه وآله وسلم هوحمـد الله والحمـد منســوب إلى الله ولاينتسب إلى غيره أبدا فهو وجه الله فلا يبلى ولا يفنـى ، فالوجـه لا يتنـاهى لكونه وجها ودليلا لما لا يتناهى ، ولايعرف المدلــول إلا بـالدليل فلوتنـاهى الوجه فيلزم منه تناهي ذو الوجه أو لم يكن وجها تعالى ربي عن ذلــك علـوا كبيرا ، فحمد الله هوالأول والآخر وهومحمــد صلى الله عليه وآله وسلم لكـون وجـوده الأقـدس سبق كل وجود وموجود ومفقود ومشهود فكلمـا يفـرض نفـرض كـل أحـد بمقدار وجوده ، ومعرفته وإدراكه بمقدار شهوده ووجوده ، إذ الشيء لا يتجـاوز ما وراء مبدئه ولا يقرأ إلا حروف نفسه فكلمـا يفـرض الأوليـة والآخـر يـة والظاهرية والباطنية والقبلية والبعدية والخفاء والظهور والغيبة والحضور كل ذلك من حدود نفسه فلا يلحق نفسه التي من عرفها فقـد عـرف الله وتلـك النفس لمعة من لمعات أشعة أنوار آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهــم عليهم السلام سـرج وأضـواء استنارت واستضاءت من السراج الوهاج وعين المحبة والابتهاج محمــد صلى الله عليه وآله وسلم

---

[1] الإنسان ٢٥

صاحب المعراج وهوالذي أراد الله من قوله عـز وجـل ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٌۚ ﴾[1] فتأمل بصافي طويتك وخالص فطرتـك إلى ما ذكرنا تجد مقاما أعلى مما ذكرنا وأرفع ممّا بيّنّا وأسنى مما قلنا ولا تنكر مـا ذكرنا فإنه إنكار قدرة الله لأنهم عباد وخلق أقدرهم الله تعـالى بقدرتـه وهـم بعـد بيـده ﴿ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ولا أنكـر لله قـدرة ولا أزعـم إلا مـا شـاء الله سبحان الله ذي الملك والملكوت يسبّح الله بأسمائه جميع خلقه .

وهذا الذي وصفنا وقلنا أنه الأول والآخر والظاهر والباطن والقبـل والبعد والمخفي والظاهر والآية والعلامة الـتي لا تعطيـل لها في كـل مكـان والذات المتقوّمة بها كل ما في الأكوان والأعيان ومستجنّات غيـوب الإمكـان ومظاهر قدرة الله الملك الديّان والمالئ بنوره المكان والزمان المدعو في السـماء بأحمد صلى الله عليه وآله وفي الأرض بمحمد صلى الله عليه وآله وعند الله بحبيب ومحبـوب وفي السـرمد بظل ممدود وماء مسكوب وفي العرش الصـاقورة العليـا بالشـاهد والمشـهود هوعبدالله وملك له وخلق له ورقّه في ملكه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، لكنه استقام في العبودية وأخلص له الطاعـة وأقـر

---

[1] غافر ١٥ – ١٦

[2] الأنبياء ٢٩

له بالربوبية والألوهية مخلصا صادقا في كل أحواله وأقواله وأعماله وأفعاله وذواته وصفاته وكينونات أشباحه وظهوراته في إيجاده وانوجاده حال الوحدة والانفراد وحال الكثرة والاتصال وحال الإضافة والاقتران وحالة المشاهدة والعيان ، وقد أشرنا إلى نوع تفاصيل بعض ذلك في لا إله إلا الله ، فالعبد في الحقيقة هواسم خالص له ولذا خصه إلى نفسه وقال عز من قائل ﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴾[1] وقال أيضا ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾[2] وقال مولانا الصادق عليه السلام وروحي له الفداء ((العبد ثلاثة أحرف فالعين علمه بالله والباء بونه من الخلق والدال دنوه من الله تعالى))[3] ، والأصل في ذلك أن الشيء إذا وجد وحين وجد لحقته نقائص الإمكان من حدود الزمان والمكان والجهة والرتبة والوضع والإضافة والاقتران والكم والكيف والأين ومتى وإذ ومذ وقد ومن وإلى وعلى وحتى ومهما وإذ ما وكيفما وإلا وأمثالها من شئون الكثرات وجهات الإنيات فلا يوجد الشيء إلا مصاحبا لهذه الأمور ولا يمكن انفكاكها عنه لأنها حدود القابلية والانوجاد ، فحينئذ يحصل له ثلاثة أنظار نظر إلى نفسه ونظر إلى الإضافات الخارجة من اللازمة والزائلة المفارقة ونظر إلى ربه ومبدأ وجوده وعلة كونه وعينه ، ولا شك أنه في الجهات الثلاث فقير محتاج إلى مدد ومقوم

---

[1] طه ٤١ — [2] البقرة ٢٣ — [3] مصباح الشريعة ٨

فهو بمسألة فقره دائما لائذا بباب الفناء ، فإن كان ملحدا في الأسماء والتفت إلى الإضافات والقرانات ونظر إلى الكثرات وجهات الإنيات في ما يحتاج إليه من شئونات فقره فهو الفقر الذي هو سواد الوجه في الدارين ومنكس الرأس في النشأتين والله سبحانه عند ظنّ كل امرئ أي يمدّه بحسب ظنّه من المعائش المكدّرة والأحوال الضائعة المنغصة قال تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1] ولا تتوهّم أن الضيق والضّنك منحصر في قلّة الأكل والشرب واللباس وأمثالها بل هذه عند أهل الله ليس ضنكا وإنما هي سعة وفرحة وقال الله عز وجل لموسى عليه السلام ((إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين))[2] بل الضنك والضيق هو ضيق القلب واحتصاره بإيراد الشكوك والشبهات والظلمات والتمويهات وهو دائما في الاحتصار وهذا الشخص لو كان عنده سلطنة العالم ما يلتذّ بها بوجه أبدا قال تعالى إشارة إلى هذه اللطيفة ﴿ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾[4] وهذا هو العيش المنغص والشرّب المكدّر فلا يرى الخير أبدا فهذا هو الظالم لنفسه على

---

[1] طه ١٢٤ — [2] شرح النهج ١٣ / ٢٦٦ — [3] الأنعام ١٢٥ — [4] النساء ١٥٥

الحقيقة والواقع وهوالظالم الذي يعض على يديه ويقول ﴿ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾[1] .

وإن كان الناظر ينظر إلى نفسه من حيث الشئون المختلفة والكثرات المتباينة ويرى كل شيء له سبب يسد فقره وخلته ويعلم أنها كلها من الله خالقه فقد يلتفت إلى الله وقد يلتفت إلى نفسه ، وهذا هوالفقرالذي كاد أن يكون كفرا لأن الالتفات إلى النفس يؤدي إلى الانقطاع عن الله سبحانه بالمكيلة لأن الطبيعة إلى الباطل أميل منها إلى الحق لمناسبتها مع الأول أشد من مناسبتها مع الثاني وقد أشار الحق سبحانه إلى هؤلاء بقوله الحق ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[2] وهؤلاء الذين تمسكوا بظاهر الأخبار والآيات وما التفتوا إلى البواطن والآيات البينات فحمدوا ووقفوا وترجوا من الله الفرج والمخرج وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر .

---

[1] الفرقان ٢٧ – ٢٨

[2] محمد ٢٥ – ٢٨

فالاثنان المتقدّمان ظاهرهما يخالف باطنهما وأعمالهما تخالف كينوناتهما وفعلهما يخالف قولهما وإن ادعيا في ظاهر الأمر العبودية فإنهما بالفعل يدّعيان الاستقلال والربوبية ، فإن العبد لا يخالف سيّده فإن خالف فحين المخالفة لا يرى نفسه عبدا وإن كان هوعبدا في الواقع ونفس الأمر ، فإن كان الناظر ينظر إلى ربه وينقطع إليه ويقطع عن كل ما عداه ويتبرّأ عن كل ما سواه ويلتفت دائما إلى ربه عالما بأنه ليس شيء في الوجود مستقلا ثابتا غنيّا غير مفتقر وغير مستند إلى أحد سواه سبحانه فعلمه يدعوه إلى أن يبين عن الخلق ويدنوعن الخالق ، وهذه البينونة والدّنولا يكون إلا بكثرة الالتفات والمراقبة بالأعمال والتوجه الخالص فكلما خلص عن الغرائب قرب إلى ظهور المبدأ المطلق ، إلى أن خلص كلّيا في جميع الأحوال فهناك يحكي المثال ظاهرا في مرآة الجلال والعظمة والكبرياء وهومقام (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها) وأخر هذا المقام مقام (أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء كن فيكون وأنت تقول للشيء كن فيكون وأنا حي لا أموت أجعلك حيّا لا تموت) ، قال عليه السلام ((المؤمن حيّ في الدارين)) ، ثم إن خلص عن هذا الشوب الذي هومشاهدة الأغيار المستلزم للأكدار وإن كانت هذه الأغيار من أعظم حسنات الأبرار لكن فيها ذكر للسوي وإن كان على وجه الاضمحلال والفناء لكنها من أعظم المعاصي عند آل الله فإنهم يرون أعمالهم سيئات قال

عليه‌السلام ((وإنك لا تحتجب عن خلقك إلا أن تحجبهم الإمال دونك))[1] لأن ذكر السوى حاجبة عن ذكر الله فهو بمقدار ما يذكر الغير غير مقابل لنور الجمال الأزلي الظاهر للخلق بالخلق فيتوجه إليه قول الإدبار وأنا أقرأ عليك دعاء علي بن الحسين عليه‌السلام في السجلة بعد الثامنة من صلاة الليل على ما رواه البهائي في مفتاح الفلاح فاعرف منه ما لا يمكن بيانه بالعبارة أكثر مما عبر وفعل عليه‌السلام حيث قال ((إلهي وعزتك وجلالك وعظمتك لوأني منذ بدعت فطرتي من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة في كل طرفة عين سرمد إلابد بحمد الخلائق وشكرهم أجمعين لكنت مقصرا في بلوغ أداء شكر خفي حق نعمة من نعمك علي ولوأني كربت معادن حديد الدنيا بأنيابي وحرثت أراضيها بأشفار عيني وبكيت من خشيتك مثل بحور السموات وإلارضين دما وصديدا لكان ذلك قليلا من كثير ما يجب من حقك علي ولوأنك إلهي عذبتني بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين وعظمت للنار خلقي وجسمي وملأت طبقات جهنم مني حتى لا يكون في النار معذب غيري ولا يكون لجهنم حطب سواي لكان ذلك بعدلك علي قليلا في كثير ما أستوجبه من عقوبتك))[2] ، تأمل في حدود هذه الكلمات تجد ما لا تسعه العبارة ، فالعبودية الكاملة هي أن لا يجد نفسه عند جلال عظمة ربه فيفنى في بقائه ويمحوفي صحوجماله الذي هوعين جلاله ، فهناك عين المثال ويظهر ما

---

[1] دعاء أبي حمزة الثمالي

[2] مفتاح الفلاح ٣١٥ - ٣١٦

قال في الإنجيل (يا بن آدم اعرف نفسك تعرف ربك ظاهرك للفناء وباطنك أنا) وهوقولهم عليه السلام ((لنا مع الله حالات هوفيها نحن ونحن فيها هو إلا أنه هوهو ونحن نحن)) فإذا بلغ هذا المقام يظهرله مقام الفاعل والخالق والرازق ومقام الآمر والناهي ، وهذا الفاعل هوالذي اشتق من الفعل كالضارب من ضرب فإن كان المفعول الخاص والعبد الجزئي تظهرالفاعلية الجزئية الخاصة كالضارب مثلا في ضرب والقائل في قال والناصر في نصر والمتكلم في تكلم وأمثال ذلك ، وإن كان المفعول المطلق العام الكلي يظهر الفاعل الذي هوجامع كل الشئون والظهورات على جهة الإطلاق والعموم فيحيط بكل الشئون قال تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾[1] وهذا معنى قوله عز وجل ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن))[2] إذ لا شك أنه تعالى ما يريد بقوله (لم يسعني) أي ذاتي وحقيقتي فإنّ ذلك مستحيل بضرورة المسلمين ، فالمراد به الظهور ، ولاشك أنه تعالى ما يريد به الظهور الجزئي فإن كل أحد بل كل شيء من الأشياء وإن صغر وضعف حامل ظهور من الظهورات الإلهية والشئونات الربانية فلا فخر للعبد المؤمن ، فيجب أن يكون هذا الظهور كليّا ، ولما أن الحكم تعلق بالوصف المشتق علم أن المبدأ هوعلة هذا الحكم فإيمان العبد هوالذي صار علة لهذه الوسعة والمؤمن كل المؤمن هوالذي امتثل أمر الله سبحانه والمخالف ليس بمؤمن على حسب

---

[1] الرحمن ٢٩ [2] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١

المخالفة ولما قال الله عز وجل ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1] وقال ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[2] وقال ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[3] علمنا أن الإيمان التام لم يتحقق إلا بالتزام مضمون تلك الآيات ، ولما كان غير المعصوم كلهم عصاة لم يثبت وصف الإيمان لهم دائما أبدا ولما كان أئمتنا سلام الله عليهم أشرف الأنبياء وذلك لا يكون إلا بقوة الإيمان والمعرفة فيكون إيمانهم بالله سبحانه أقوى من إيمان الأنبياء أجمعين ، ولما كان محمد صلى الله عليه وآله هوفخرهم وشرفهم وسيدهم علمنا أنه صلى الله عليه وآله أثبت في تلك بمعنى الكلام فالمؤمن الحقيقي الأولي الأصلي لا يكون إلا محمد صلى الله عليه وآله وقد قال الله سبحانه إشارة إلى إيمانه الكامل ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4] والإيمان هوتفاصيل إقرار العبودية فلما أقر صلى الله عليه وآله لله سبحانه بالعبودية المحضة الخالصة المنزهة عن جميع شوب السوى بكينونته وذاته وأعماله وصفته في مقام إدباره وإقباله وسع قلبه الشريف جميع الشئون الربوبية على الإطلاق لكونه مقتضى العبودية ، لأن الله سبحانه يتجلى بفعله فلما كانت مرآة عبوديته وزيت قابليته صلى الله عليه وآله صافية بالغة كاملة معتدلة منزهة عن شوب

---

[1] هود ١١٢ [2] الحجر ٦٥ [3] البقرة ١٥٢ [4] الأعراف ١٥٨

كدورة وغيرية وظلمة إنية حكت المرآة المثال على أكمل ما يكون في الإمكـان واستنار بمسّ النار المهيجة من شمس الأزل ، فسبق السابقون وفـاق الفـائقون فلم يلحقه الأولون والآخر ون والعـاملون المتـهجدون المجتـهدون ، فبفـاضل عبوديّتـه ظـهرت العبـادة والخضـوع ، وبفـاضل تذلـله لله سـبحانه ظـهر الانكسار ، فهو صلى الله عليه وآله وسلم أخضع الخلق لله وأخشعهم له وأخوفهم منه وأعبدهـم له فتمت فيه مقامات العبوديـة وهـي الاستقامة في دار المقامـة الـتي أمـر الله سبحانه إيّاه صلى الله عليه وآله وسلم بها في قوله ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1] .

ومجمل القول أن النور الإلهي والكينونة الأحدية الوصفية المخلوقة ما تظهر ولاتستقر في الوجـود الكونـي إلا بصـورة وحـدود هـي تكـون محلـها ومظهرها ، فإن كان صرف تلك الحدود اللاّزمة لها الغير المنفكـة عنـها الغـير المشوبة لما يضادها وينادها من الحدود المقابلة فتلك هي حدود العبودية وصور الاستقامة التي هي الصورة الإنسانية ، وتلك هي القيام بـأوامر الله ونواهيـه وعزم الانقياد في السريرة بصافي الطوية على البقاء على تلـك الحالـة وعـدم قصد ما يضّادها وصفا وذاتـا وقـولا وعمـلا ، والانزجـار لفعلـه والانكسـار والخضوع له فيما يطيع به ربه والتذلـل لـه وإعـدام نفسـه وإفنـاء شـخصه ومشاهدة حلول رمسه وهوقوله عليه السلام في الدعاء ((إلـهي كيـف أدعـوك وإنـا أنا وكيف لا أدعـوك وأنـت أنـت))[2] وهوقولـه تعـالى ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ

---

[1] هود ١١٢

[2] مصباح المتهجد ٣٤٨

وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾[2] وهذا الذكر وهذا الالتفات هوالاستقامة المأمور بها ، وتلك الاستقامة هي كمال المقابلة لفوّارة النور ، فلما حصلت المقابلة الكلية فينطبق على الفوّارة فيجمع الأنوار ويحتوي الأسرار فيسع قلبه كلّ الأوامر والفيوضات والإمدادات اللاّهوتية والجبروتية والملكوتية والملكية والذاتية الوصفية والأصلية والوضعية والحقيقية والمجازية والخلقية والأمرية لأن المقابلة الكلية تستدعي أولية التلبية حين نادى الحق خلقه بلسانه النّاطق فيهم بهم ألست بربكم وكان محمد ﷺ أول من لبى ذلك الخطاب ودخل ذلك الباب وشاهد المطلوب بلا حجاب فكان حجابا أعظما احتجب الله سبحانه به عن خلقه ، ولم تتحقق الحجابية إلا إذا استقرت واستقامت في العبودية وهذا أحد معاني قوله ﷺ عند قوله تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ ﴾[3] (شيبتني هذه الآية) ، والشيبة مقام الكمال وبلوغ الوصال والاستقرار على سرير الإقبال ، وهذه الشيبة عين الشباب وذلك المبدأ عين المآب وذلك الماء عين التراب حيث قال عز وجل في محكم الخطاب ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ ﴾[4] وذلك البشر هوأبوتراب ، فلما تم مقام العبودية وظهرت فيه ظهورات الربوبية قال مولانا الصادق عليه السلام ((العبودية جوهرة كنهها

---

[1] الحجر ٦٥ ٢ البقرة ١٥٢ ٣ هود ١١٢ ٤ الفرقان ٥٤

الربوبية))[1] وصار قلبه الشريف على جميع معانيه عرشا للرحمن أي النفس الرحماني الأولي وذلك في ظهورات النقطة قبل الألف واستدارتها على نفسها وحركتها حول مركزها لبيان (انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله) ، فاستجنّ في هذا العرش الكلي الأعظم على أعلى المقامات ، أو الماء الذي كان العرش عليه قبل خلق السموات على أحد الإطلاقات جميع ما ظهر ويظهر ويمكن من بديع السموات ذي العرش من علوم الكيفوفية وعلم البداء وعلل الأشياء وسر المحو والإثبات ومصدر الإصدار ومنبع الإيجاد ومعدن الحقائق وحقائق لطائف الخلائق وسر اللاهوت ونور الحي الذي لا يموت ، ودارت نقطة العبودية على نفسها فاستوت جميع نسبها ببارئها فصارت في كمال الاعتدال في الطوية والسريرة واللطيفة والكثيفة من الأحوال البشرية كما قال عز وجل ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[3] فهناك اقتضت الرسالة المطلقة الكلية والاستعانة الشاملة العامة في قوله تعالى ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بعد قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ وهذه الاستعانة استعانة استمدادية إلهية في جميع ما يمكن في الأكوان الخلقية من شرائط الإمداد والاستمداد ومتممات القابلية ومكملات الاستعداد فكان بذلك ﷺ رسولا مطلقا إلى جميع

---

[1] مصباح الشريعة ٧ [2] القلم ٤ [3] ص ٨٦

الكائنات والموجودات وهوقوله عز وجل ﴿ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[1] فبالعبودية بلغ مقام الرسالة وبالرسالة ظهرت العبودية المطلقة كما قال تعالى في حديث الأسرار ((وليس لحبتي غاية ولا نهاية ، وكلما رفعت لهم علما وضعت لهم حلما))[2] إذ الشيء كلما يخلص عن شئون نفسه تخف بنيته وكلما تخف بنيته يسرع سيره وكلما أسرع سيره بلغ مقام السبق وكلما بلغ مقام السبق سطع عليه نور العناية والقرب وكلما سطع عليه نور العناية والقرب استنار واستشرق وكلما طالت الاستنارة والاستشراق وخفت البنية وصفت الإنية وطابت الكينونة ظهر المثال وشهد ظهور الحال بصفة الإقبال ، وكلما ظهر المثال تجلى الممثل الموصوف بالوصف والمثال ، وكلما تجلى الممثل غاب المثال واضمحلت الصفة ، وكلما غاب المثال صفى ذكر الممثل إلى أن أتى مقام (هوفيها نحن ونحن فيها هو) ومقام (لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك) فقام مقامه في الأداء في كل العوالم وهوقوله عليه السلام ((فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)) فافهم وإلا فاسلم تسلم وهذا معنى قوله عليه السلام ((وأشهد أن محمدا عبده ورسوله)) .

والشهادة كينونية وذاتية وصفتية وظهورية وعملية وقولية ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم هوالمحمدية البيضاء في مقام الحجاب الأبيض الأعلى ، والعبودية هي

---

[1] الأنعام ١٢٤

[2] إرشاد القلوب ١٩٩

المطلقة الكاملة مقتضى الفقر الذي افتقر به إلى الله سبحانه وافتخر به في قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((الفقر فخري وبه أفتخر))[1] ، والرسالة هي الرسالة الواسعة العامة الشاملة لكل من ذرء وبرأ في تمام مقتضيات أحوالهم كما نذكر إنشاء الله .

---

[1] البحار ٧٢ / ٣٠ ح ٢٦

قوله عليه السلام ((انتجبه من البحبوحة العليا))

البحبوحة هي الوسط واللب والصفو والأصل قال الله عز جل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] وقال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل في بيان أحوال النفس ((والعقل وسط الكل))[2] وقال أيضا عليه السلام على ما في الخطبة الشقشقية ((لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهويعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى))[3] فالبحبوحة هي القطب والقطب هوالوسط وهوالأصل في الشيء يدور ذلك الشيء بجميع شئونه وأحواله وإضافاته وجهاته وحيثياته واعتباراته عليه وهوالمدبر لها والمسخر لها والمقدر لأقواتها والمتمم لقابلياتها وهوفي كل شيء من الأشياء ، فلكل نفس قطب تدور عليه أحوالها ، فتعددت الأقطاب بعدد نفوس الخلائق ولما كان القطب جهة الحق للخلق كان بذلك

---

[1] البقرة ١٤٣ — [2] البحار ٦١ / ٨٥ — [3] شرح النهج ١ / ١٥١

ظهوره لهم وهومعنى قوله عليه السلام ((الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق))[1] ويأتي تحقيق ذلك فيما بعد إنشاء الله فنقتصر على موضع الحاجة ونقول .

إن الأقطاب كلّها على قسمين ، أحدهما أن يكون نقطة واحدة قد انبسطت فتكثرت وتعددت كالنقطة فإنها قطب للألف والألف قطب للألف القائم وهوقطب للألف المبسوطة الذي هوالباء ، والباء قطب للدال ، والألف والباء معا قطب للجيم ، والباء والدال معا قطب للهاء ، وهكذا إلى آخر الحروف الكونية والحرفية ومرجع الكل إلى الواحد ، وذلك وجه استمداد الشيء بلواذ فقره وفاقته بباب استغناء الغني المطلق ، فالوجه السفلي للقطب وجه استمداد الشيء السافل والوجه الأعلى باب استغناء الغني فهوسبحانه يمده منه به إليه إلى انتهاء الوجود ، وهذا الوجه الذي هوالقطب يجب أن يكون وسطا ليتساوى نسبة الكرة إليه وإلا لم تكن الحركة مستديرة واختلفت نسبة العالي مع السافل وهومستحيل ، ولاشك أن القطب هو وجه العالي فيجري عليه حكمه وهذا ظاهر .

وثانيهما أن تكون الأقطاب متعددة لا بالعدد فلا يجمعها عدد إلا باعتبار المفهوم اللفظي ، وأما في الحقيقة فلأحدهما عدم بحت وفناء صرف بالنسبة إلى الأخرى بحيث لا ذكر للأخير عند الأول ولو إجمالا إلا بالذكر

---

[1] البحار ٦٧/ ١٣٧ ح ٧

الصلوحي التعلقي ، وهذه المراتب إنما تكون في السلسلة الطولية بمعنى أن المراتب السافلة معلولات للمراتب الأولى ، فالقطب في المرتبة الثانية شعاع المرتبة الأولى وأثرها وفعلها ، والكرات الدائرة عليه أحوال ذلك وشئوناته وظهوراته وقراناته ، فهي بما هي عليه متقومة بذلك القطب تقوم ركن وعضد وذلك القطب متقوم بالكرة الأولى تقوم صدور وحدوث ، فهو مثال للكرة الأولية من حيث الأحوال والشئون لا القطب الذي لتلك الكرة ، فمثال الأول هوالنار الظاهرة في السرج الكثيرة والظهور الواحد الظاهر في المرايا والنور المنبسط في الشعاع والكلي المتعين في الجزئيات والأفراد ، والمطلق الظاهر في المقيدات وأمثال ذلك .

ومثال الثاني هوالسراج الظاهر في الشعاع والنار الظاهرة في الحديدة والسراج والشاخص المقابل الظاهر في المرآة وأمثال ذلك فانحصرت مراتب الوجود بهذين القسمين ، ولما كانت السلسلة الطولية مما لا تنكر في الوجود والسلسلة العرضية من الضروريات والبديهيات ولا شك أن الطفرة في الوجود ضروري البطلان فيكون الأعلى والأشرف هوالأصل والقطب ، ولما دلت الأدلة العقلية والنقلية على أن الأنبياء أشرف وأكرم على الله سبحانه من كل المخلوقات من الجن والإنس والملائكة وغيرهم ثبتت لهم رتبة القطبية ، ولما كان أئمتنا المعصومون عليهم السلام قد بلغ الله بهم أشرف محل المكرمين وأعلى منازل المقربين وأشرف درجات المرسلين حيث لا

يلحقهم لاحق ولا يسبقهم سابق ولا يطمع في إدراك مقامهم طامع حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صديق ولاشهيد ولا عالم ولا جاهل ولادني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق في ما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمرهم وعظم خطرهم وكبر شأنهم وجلالة قدرهم كانوا بذلك قطب الأقطاب فصار يدور عليهم عليهم السلام كلما كان ويكون وما هوكائن إلى يوم القيامة وبعدها في الجنة والنار أبد الآبدين ودهر الداهرين فوق النهاية واللانهاية ، ولما كان السافل لا يصل إلى ذات العالي وإنما حظه ظهوره بكينونته في كينونته قال تعالى ((روحك من روحي وطبيعتك من خلاف كينونتي))[1] كان ظهورهم عليهم السلام في كل المراتب بتلك المراتب ، ألا ترى السراج فإنه لا يظهر في مقام الشعاع إلا بنفس الشعاع فالقطب للأشعة هونفس النور الواحد الساري المنبسط في كل أقطار الأشعة وهومثال السراج وآيته ودليله وأثره كما أن السراج مثال النار وآيتها ودليلها وظهورها ولكن الظهور لا فرق بينه وبين الظاهر فيه إلا أنه عبده وخلقه ، فكذلك ظهورهم عليهم السلام بالقطبية في العوالم كلها من عالم اللاهوت وعالم الأسرار وعالم الأنوار وعالم الأرواح وعالم الأشباح وعالم الطبائع وعالم المواد وعالم الأظلة وعالم الأجسام، ولما كانت العوالم كلها في حركاتها المستديرة لها حركتان حركة ذاتية أولية إلهية وحركة ثانوية ذاتية تبعية ، ولما كانت الأولى

[1] علل الشرائع ١٠ ، البحار ٥/ ٢٦٦ ح ٥

هي الحركة الجوهرية الحقيقية كان سيرها على القطب الحقيقي ، ففي عالم اللاهوت ظهور حقائقهم قطب لذلك العالم ، وفي عالم الأسرار ظهور عقولهم قطب له ، وفي عالم الأنوار ظهور أرواحهم النور الأصفر ، وفي عالم الأرواح ظهور نفوسهم الشريفة النور الأخضر ، وفي عالم الطبائع ظهور طبيعتهم الكلية النور الأحمر، وفي عالم المواد ظهور موادهم الجسمية ، وفي عالم الأظلة ظهور ظلهم من فاضل شعاع نورهم ، وفي عالم الأجسام ظهور أجسادهم الطيبة بفاضل تشعشع لمعان أنوارهم وهذا هوالحكم الكلي المجمل ، وفي عالم التفصيل ظهور وظهور ظهور وظهور ظهور ظهور وهكذا إلى آخر المراتب والأحكام منتهى المقام ، ولذا تسيخ الأرض بأهلها إذا فقد جسد الإمام عليه السلام عن عالم الأجسام كما دلت الأخبار ووقع إجماع الفرقة الناجية عليه ، إلا أن هذه الظهورات شبحية ولايسعني إلان بيان تفصيل الكلام وتبيان المرام بمقتضى المقام لئلا يرتاب المبطلون وإلا هنا لطائف وإشارات عجيبة .

وبالجملة فالبحبوحة التي هي الوسط والقطب كثيرة مختلفة متفاوتة المراتب بالعلو والسفل وهم عليهم السلام البحبوحة العليا والقطب الأعظم والعماد الأقوم وإليهم الإشارة بقوله عز وجل ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1] والشاهد على الناس لا يكون إلا المحيط بأعلاهم وأسفلهم وأوسطهم والناس أعمّ من الإنسان والأنبياء عليهم السلام والملائكة والجن وسائر المخلوقات كلهم لأن ما عدا الإنسان كلهم على هيئته وصورته كما قرر في محله ، ولما كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم أول من أجاب الحق سبحانه بظاهره وباطنه وسره وعلانيّته من بينهم سلام الله عليه فكان صلى الله عليه وآله وسلم منتجبا منهم ومصطفى فيهم فصار نبيهم وسيدهم وفخرهم ، وذلك الانتجاب إنما كان بتحمله صلى الله عليه وآله وسلم حرفا واحدا دونهم من أحوال المبدأ الحق سبحانه وتعالى خاصة في معرفة التوحيد وهو علة الانتجاب وسر الانتجاب فلم يبلغ أحد منهم عليهم السلام ذلك الحرف وهذا سر أولية الإجابة بقابلية الاستفاضة وطواف الأسبوع حول جلال القدرة في ثمانين ألف سنة من سني السرمد وهو القدم الذي استخلصه الله سبحانه فيه كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يوم الغدير في وصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((استخلصه في القدم على سائر الأمم على علم منه بأنه انفرد عن التشاكل والتماثل من أبناء الجنس وانتجبه آمرا وناهيا عنه أقامه في سائر عوالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولاتحويه خواطر الأفكار))[2] وهذا القدم هو البحبوحة العليا وهي الأزلية الثانية والقدم الثاني ، وهو صاحب الأزلية الأولية على

---

[1] البقرة ١٤٣

[2] الإقبال ٤٦١

الحقيقة الواقعية وأشار إلى هذا الانتجاب بقوله الحق جل وعلا ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾[1] لسر الاصطفاء ، فلما اصطنعه سبحانه لنفسه واصطنع الأشياء كلها له صار هو ﷺ علة للموجودات كلها ومجلى ظهور الواحدية والوحدانية والأحدية والصمدية ، فالنفس علة وقطب له وهوعلة وقطب الكائنات ، فالبحبوحة العليا كالقلب الذي هوالقطب للقوى والمشاعر والمدارك والآلات والأعصاب والعضلات ، وكالشمس للكواكب والأفلاك السبعة وفيما سواها كالشمس للأشعة والمقابل للصورة المنطبعة في المرآة ، وقطبه ﷺ هوالنفس الذي اصطنع لها وهذا النفس هوالمتجلي بالأحدية كما قال عليه السلام ((من عرف نفسه فقد عرف ربه))[2] ، ولما كان المتجلي إنما يظهر بالتجلي فيكون التجلي إنما يدور على المتجلي وهوالنفس فكان هذا التجلي هوالكاف المستديرة على نفسها والنفس هي نفس الله والكاف هي كلمة الله والاستدارة إمداد واستمداد وإفاضة واستفاضة وهذا هوحقيقة الانتجاب ومعنى قيامه مقام الله سبحانه في الانتساب ، ولما كانت تلك النفس هي جلال القدرة التي كان يطوف حولها قبل خلق علي عليه السلام فلما خلق علي عليه السلام بقي يطوف حول جلال القدرة وهو ﷺ يطوف حول جلال العظمة ظهرت تلك النفس في علي عليه السلام فكان هونفس

---

[1] طه ٤٣

[2] شرح النهج ٢٠/ ٢٩٢

الله ونفس رسوله وذات الله وذات رسوله كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ ﴾[1] ، ولا شك أن هذه النفس ليست ذات الله سبحانه إذ ليس فيها شيء لأنها صمد فتكون هي النفس المخلوقة ، وقد صرّح مولانا الصادق عليه السلام بذلك في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام برواية صفوان ((السلام على نفس الله القائمة فيه بالسنن))[2] وأما نفس رسوله صلى الله عليه وآله فكما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ﴾[3] ولانزاع بيننا وبين مخالفينا أن المراد من النفس في هذه الآية الشريفة هوعلي عليه السلام فهوعليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأما ذات الله فكما في قوله عليه السلام في النفس الملكوتية الإلهية هي ((ذات الله العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى من عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ضلّ وغوى)) ،وأما ذات رسول الله صلى الله عليه وآله فبقوله عليه السلام ((أنا محمد ومحمد أنا)) ، وقد أشار مولانا الباقر عليه السلام إلى هذه الذات بقوله روحي فداه ((اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عباده))[4] ((إن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم))[5] وهذه الذات هي أمير المؤمنين فإن أنوارهم عليهم السلام إنما اخترعت من نوره عليه السلام كاختراع الحروف من الألف وهوسر عدم جواز

---

[1] المائدة ١١٦
[2] البحار ١٠٠ / ٣٣٠ ح ٢٩
[3] آل عمران ٦١
[4] البحار ٢٦ / ١٤ ح ٢
[5] تفسير فرات ٥٥١ ، البحار ٧ / ٢٠٢ ح ٨٨

تسميتهم بأمير المؤمنين ، وتلك الذات وتلك النفس إنما كانت خاصة بمحمد ﷺ وهو الأصل والمستقل فيهما وإنما ظهرتا في علي عليه السلام لكونه حامل اللواء ومكلم موسى عليه السلام في الشجرة إني أنا الله أي الظاهر لموسى بموسى بنوره عليه السلام وهو رجل من الكروبيين فتجلى علي عليه السلام لموسى عليه السلام في الشجرة عين تجلي الله له فيها لأن تجلي الله الأولي هو محمد ﷺ وعلي عليه السلام هو نفس محمد ﷺ ومظهر آثاره وحامل لوائه وذلك الرجل الذي هو واحد من الكروبيين هو عين تجلي علي عليه السلام لموسى وذلك الكروبي هو نفس موسى عليه السلام لقوله عليه السلام ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها))[1] فافهم فإني أظهرت السر ولاتقل أنه غلا بل ولعمري ذلك عين التقصير أما سمعت ما قال مولانا الصادق عليه السلام لما سئل عن الكروبيين قال عليه السلام ((قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لوقسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ، ثم قال : أن موسى لما سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا وخر موسى صعقا))[2] وإذا علمت أن التجلي للشيء يمتنع إلا أن يكون بنفس ذلك الشيء يظهر لك صدق ما ذكرنا فافهم راشدا مهديا موفقا ، فمحمد ﷺ هو المنتجب من البحبوحة العليا وهي الأسماء الحسنى والأمثال العليا والكبرياء والآلاء

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٤٤

[2] بصائر الدرجات ٦٩

والعزة والقدرة والملك والسلطان فإن الأشياء من الأكوان والأعيان ومستجنات غيوب الإمكان إنما تحققت بها وهي جهات الظهور المطلق كما قال سيد الساجدين (ع) ((اللهم يا ذا الملك المتأبد بالخلود والسلطان الممتنع بغير جنود ولا أعوان والعز الباقي على مر الدهور وخوالي الأعوام ومواضي الأزمان والأيام عزّ سلطانك عزا لا حد له بأولية ولا منتهى له بآخرية واستعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين))[1] وذلك للقيومية المطلقة والقطبية العامة الشاملة والمنتجب من تلك الآلاء والأمثال والأسماء هوأكرم الأسماء إلى الله وأحبها إليه وأقربها منه وسيلة وأشرفها عنده منزلة وأجزلها لديه ثوابا وأسرعها في الأمور إجابة وهوالاسم الأعظم الأعظم الأعظم ، والمنتجب من هذا الاسم هوالاسم المكنون المخزون الأعظم الأعز الأجل الأكرم الذي يحبه ويهواه وهوالذكر الأجل الأعلى الأعلى الأعلى ، وهومقام ذكر السجود في الصلاة وهذا هوالاسم المكنون المخزون الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره فهوالمنتجب من البحبوحة العليا ، أو أن البحبوحة العليا هي الكلمة التامة التي انزجر لها العمق الأكبر وخضعت لها السموات والأرض وركدت لها البحار وجرت بها الأنهار ورست بها الجبال وتمت بها الغدو والآصال ، وهي الكلمات التي لا

---

[1] مصباح الكفعمي ٥٥ ، مصباح المتهجد ١٨٨

يجاوزهن بر ولا فاجر ، وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه وهي الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم فأتمهن فصار إماما ، وهي الكلمات التي لوكان ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، وهي الكلم الطيب الذي يصعد إلى الله سبحانه لا سواها ، وهي الكلمة الطيبة هي كالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وهي كلمة الله العليا ، وهي كلمة واحدة مشتملة على حروف كلها كلمة مستقلة ، فالجمع باعتبار جعل كل حرف كلمة على حدة ، والأفراد باعتبار جعل المجموع كلمة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنا الشجرة وعلي أصلها وفاطمة فرعها والأئمة أغصانها))[1] ففاطمة عليها السلام هي تمام الكلمة ولذا كان اسمها الشريف (الطاء) مع كماليها الظهوري الشعوري فالأول يستنطق (مه) والثاني (فا) فعند الاجتماع صارت فاطمة عليها السلام ، و (الطاء) مجمع مراتب الآحاد ومظهر تمام المبادئ في الأعدادمن الكونية والحرفية وكذلك هي صلوات الله عليها وقد صرح الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه العزيز بقوله ﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

---

[1] لم نقف على هذه الرواية ووجدنا ما يقرب منها وهو ما ذكر في إرشاد القلوب ص ١٤٥ ((أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا أغصانها))

حَكِيمٍ ﴾[1] وفسّره الإمام عليه السلام بالأئمة الطاهرين الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام فقال عليه السلام ((إن حم هورسول الله صلى الله عليه وآله والكتاب المبين هومولانا أمير المؤمنين عليه السلام إنا أنزلناه يعني عليا عليه السلام في ليلة مباركة وهي فاطمة عليها السلام))[2] لكون الليل منسوبا إلى القمر وهومربي الصور والهيئات والحدود والتعينات والحياة التي هي الأم مع أنه بارد رطب كطبع المرأة وهي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر وحرفها (الهاء) وقد ظهرت في آخر اسمها فيها يفرّق كل أمر حكيم أي في فاطمة عليها السلام يمتاز كل أمام حكيم بعد إمام حكيم ، وباقي الأئمة عليهم السلام حروف الكلمة على تفاوت مراتبها فإن الحروف تختلف بالشدة والضعف والجهر والهمس والإطباق والانفتاح والاستعلاء والتّسفّل وتختلف في المراتب والدرج والدقائق والثواني والثوالث والروابع والخوامس ، وهكذا اختلاف مراتب تلك

---

[1] الدخان ١ - ٤

[2] لم نقف على هذه الرواية بالنص ولكن وقفنا على ما يقرب منها ففي الكافي ١/٤٧٩ ح ٤ ، وفي تفسير الصافي ٤/٤٠٤ أن رجلا نصرانيا سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن تأويل هذه الآيات فقال عليه السلام ((أما (حم) فهو محمد صلى الله عليه وآله وهو في كتاب هو الذي أنزل عليه وهو منقوص الحروف ، وأما الكتاب المبين فهو أمير المؤمنين علي عليه السلام ، وأما الليلة ففاطمة عليها السلام ، وأما قوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) يقول يخرج منها خير كثير ، فرجل حكيم ورجل حكيم ورجل حكيم ، فقال الرجل : صف الأول والآخر من هؤلاء الرجل ، فقال : إن الصفات تشتبه ، ولكن الثالث من القوم أصف لك ما يخرج من نسله وإنه عندكم لفي الكتب التي نزلت عليكم إن لم تغيروا وتحرفوا وتكفروا وقديما ما فعلتم)) .

الحروف العاليات عليهم السلام وعلي أمير المؤمنين عليه السلام وهو الألف والنفس الرحماني الأولي والثانوي والثالثي والرابعي وهكذا ، فتشعبت تلك الحروف منه عليه السلام كتشعب الأغصان من الشجرة فهو أميرهم وسيدهم ومولاهم وفخرهم وشرفهم عليهم السلام ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو النقطة الحقيقية الدائرة عليها تلك الرحى وقد قال الشاعر :

قد طاشت النقطة في الدائرة ولم تزل في ذاتها حائرة

محجوبة الإدراك عنها بها منها لها جارحة ناظرة

سمت على الأسماء حتى لقد فوضت الدنيا مع الآخرة

وتلك النقطة هي حجاب الله الأعظم المنتجبة المختارة المصطفاة من الألف المختار المرتضى من الحروف المختارة من الكلمة المختارة عن كل ما عداها ، بل لا يقال للكلمة بالنسبة إلى الدلالة وما سواها من آثارها وأفعالها وشئونها اختيار وانتجاب لأن الوجود لا ينتجب من العدم فافهم ، ولذا خص الإمام عليه السلام الانتجاب في البحبوحة العليا إذ ليس لتلك البحبوحة بعضها مع البعض الآخر تأثير وفعل وانفعال وإنما هو كالضوء من الضوء ، فالانتجاب يتحقق فيما إذا كان في صقع واحد ومقام غير متعدد لا في أصقاع مختلفة بحيث كل صقع يعدم عند الآخر ، وهذاالانتجاب إنما صار علة دوران رحى الكائنات عليه ولذا لقب صلى الله عليه وآله وسلم بالمصطفى فإذا أطلق لا يراد به سواه كما لقب علي عليه السلام بالمرتضى فإذا أطلق لا يراد به سواه تفسيرا لقوله

عـز وجـل ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[1] والمرتضى من محمد صلى الله عليه وآله ليس إلا علي عليه السلام وهـذا الغيـب الـذي أظهره عليه عليه السلام هو الرسـول الـذي هو المصطفـى وهو المنتجـب في حجـاب الغيب ، وهذا الاصطفاء إنما نشأ من المحبة فـالمحبوب هو المصطفـى للحـب لا غير والمحبّة الكاملة المطلقة سيّما المحبة الإلهية المستدعية للاصطفاء لا تكون إلا بميل المحبة غراما ومحبة وصبابة وشغفا إلى جهـة المحبـوب فـلا يكـون المحبـوب محبوبا مطلقا إلا إذا كان محبا مطلقا ولا يكـون المحـب محبـا صادقـا إلا إذا كـان محبوبا فصار الأمر دوريا ، ولا تتم المحبّـة الكاملـة إلا إذا تخلـل المحـب في كـل جزئياته وأجزائه وقواه ومشاعره ويخلص عن كل ما سوى المحبوب ، فـإن بلـغ مقاما لا يستدعي في قوام كونه ووجوده كما كـان في وجدانـه وشـهوده سـوى ذكر المحبوب فهو منتهى المقام في المحبة وغاية المنى في المعرفة فـهو لم يـزل مـع المحبوب مؤثرا كلما سواه عليه في وجدانه ووجوده وإحساسـه وشـهوده ، فـإن كان المحبوب باقيا ببقاء الأبد فكذلك محبه لأنه مصطفـاه ومجتبـاه ، ولمـا كـانت المحبة هي علّة الخلق والإيجاد كما دلّ عليه ((فأحببت أن أعرف)) كانت المحبة أول ما ظهر ووجد ، ولو كانت المحبة الإلهيـة ليسـت ذاتيـة وإنمـا هـي خلقيـة كانت محبّته عين محبوبه وذلك أول ذكر الشيء وكونه والمحبوب الثابت له المحبة لا يكون كذلك إلا إذا بلغ مقام المحبّة ولا تصفو له المحبة إلا إذا بلغ مقام تلك

---

[1] الجن ٢٦ – ٢٧

النقطة فهناك يكون محبوبا ومحبا ومحبة فاتحدت الأمور في عين الاختلاف واختلفت في عين الائتلاف فيبلغ حينئذ مقام ((فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق)) الخاص بذلك الخلق المحب لله سبحانه ، ولما كان محمد ﷺ هو مبدأ الإيجاد وعلة الانوجاد وتخللت في كله محبة الله سبحانه بحيث استغرق في بحر مشاهدة جمال المحبوب وجودا ووجدانا ولذا قلنا أنه من الوجود المطلق كما قال سبحانه ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[1] فلا يستدعي شيئا سوى فعل الحق سبحانه في كينونة ذاته ووجوده فبلغ مقام المحبة بل ما نزل عن مقامها مذ خلق ﷺ فأحبه الله سبحانه فهو ﷺ محب ومحبوب ومحبوب ومحب وهو مقام ((فأحببت أن أعرف)) فلما بلغ نهاية المرتبة في المحبة وتعدى فيها مقام النهاية وبلغ إلى اللانهاية كما قال عز وجل ((ليس لمحبتي غاية ولانهاية))[2] سمي ﷺ حبيب الله ﷺ وهواسم المبالغة في الفاعل والمفعول والأمران مرادان حقيقة ، والمبالغة لبيان تعديها طور النهاية ولذا ترانا نعد من أسماء الوجود الوجود المطلق الاختراع والابتداع وعالم فأحببت أن أعرف والحقيقة المحمدية ﷺ، فلا يراد إذا أطلق الحبيب إلا هو ﷺ فهوالحبيب على الإطلاق بكل وجه وبكل معنى مما سطرنا وما لم نسطر ومما علمنا ومما لم نعلم ، فلما صفت المحبة بحقائقها وكل مراتبها على جهة

---

[1] النور ٣٥ ٢ إرشاد القلوب ١٩٩

الكمال له ﷺ اختص بالعقل الفعّال كما يـأتي إنشـاء الله في قولـه تعـالى ((ولا أكملتك إلا فيمن أحببت))[1] واختص أيضا بالاصطفاء والصفوة فكل مصطفى وصفيّ فإنما هوبفاضل اصطفائه وصفائـه وبقـدر قربـه منـه ، وهـو وأهل بيته صلوات الله عليهم عباد الله الذين اصطفى في قوله عز وجل ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾[2] ، وأما قولـه عـز وجل ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾[3] فإن أريد به آدم الأول ونـوح الأول وإبراهيـم الأول موسـى الأول وعيسى الأول والأولية الإجمالية أوالتفصيلية فصفى الأمر ، ومرادي بالإجمـال والتفصيل هوالمبدأ والمشتق فإن الملائكة الكروبيين الذين قد تقـدم ذكرهـم من أنهم قوم من شيعة أل محمدعليهم السلام عددهم عـدد الأنبيـاء وأسمـاؤهم أسمـاء الأنبياء فإن ذلك الرجل الذي تجلى لموسى فخـرّ موسـى صعقـا اسمـه موسـى وأظن أني رأيت خبرا خاصا ناصا بما ذكـرت مـن التسـمية وأمـا العمومـات فكثيرة وهذا هو مقام التفصيل فيكون ذلك الرجل آدم الأول والآخـر نـوح الأول وهكذا وهؤلاء هم الصفوة الحقيقيـة لأنـهم مثـال المصطفى الحقيقـي الغير المشوب بشيء من التعين والغيرية بل هونفس المثال مع قطع النظر من الحدود والأعراض ، والمثال ليس إلا حكاية الممثل ووصفـه وآيتـه وليـس إلا

---

[1] كنز الفوائد ١ /٥٧

[2] النمل ٥٩

[3] آل عمران ٣٣ – ٣٤

بيانه ودليله فهوعين الصفوة والاصطفاء ، وأما مقام الإجمال فسيأتي إنشاء الله شرح حقيقة الحال في قوله عليه السلام في هذه الخطبة المباركة ((أنا موسى وأنا عيسى)) وأمثال ذلك فترقب .

وإن أريد به الأنبياء المعروفون عليهم السلام فإنما اصطفاهم الله سبحانه لكونهم حملوا نوره وأدوا أمانته وثبتوا على المحبة والمودة وعزموا على العهد المأخوذ عليهم بالولاية وفرض الطاعة فجرى فيهم ما قال سبحانه في الحديث القدسي ((يا بن آدم أطعني أجعلك مثلي))[1] فافهم .

وأما آدم عليه السلام فهو وإن لم يعزم ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[2] لكنه لحمل ذلك النور الشعشعاني الذي اقتضى سجود الملائكة له بلغ مقام الاصطفاء بالتبعية .

وبالجملة فهو صلى الله عليه وآله وسلم المصطفى والمنتجب لكونه حبيبا ولا يصح إطلاق الاصطفاء والانتجاب والحبيبية على الحقيقة والإطلاق إلا عليه صلى الله عليه وآله وسلم وهذا الذي ذكرنا وجه من وجوه البواطن .

وأما مقتضى تلك البواطن من الظواهر فاعلم أنه عليه السلام وجعلني الله فداه أراد أن يبين شرائط الرسالة والنبوة والخلافة وصفاتها وأحوالها وأن كلها

---

[1] في إرشاد القلوب قال تعالى ((يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون)).

[2] طه ١١٥

على كمال ما ينبغي بل أشرف من ذلك وأتم وأكمل موجودة و ثابتة في نبينا ﷺ، وذلك لأن النبوة والرسالة هي خلافة الله والقيام مقام الله سبحانه في التبليغ والأداء إذ على الله البيان والإيضاح بالحجة والبرهان على جهة الفضل والامتنان لأنه خلق الخلق رحمة وتفضلا فلم يجعلهم في الحيرة والضلالة لينقص ما خلق ويضيع ما أوجد سبحانه سبحانه بل له الملك الكامل والفعل التام الشامل، ولما كان الحق سبحانه في الأزل منزّها عن الاقتران والحدوث والتنزّل إلى المقام الأدنى وورود الأحوال بالأعمال والأقوال، وشرط الأداء والتبليغ أن يكون في مقام المبلَّغ إليه وإلا لامتنع التبليغ والتأدية وجب أن يختص بذلك من عباده في عالم الإمكان من يصلح للظهورات المختلفة والبروز بالتطورات المتشتتة والتقلب في الصور العديدة حيث ما اقتضت المصلحة من أحوال الكينونة البشرية لأن حكم الله سبحانه على خلقه على مقتضى صفاتهم الكلية والجزئية وإلا فالذات من حيث هي هي لا حكم لها إلا حكم الإذعان والإقرار بالأحدية المطلقة ولم يتغير هذا الحكم ولم يتبدل، وأما الصفات والأطوار فمن جهة أنها مقتضى الحدود والصور فتختلف أحكامها كما قال الله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[1] والمبلّغ لو لم يظهر بتلك الصفة لما يصح التبليغ

---

[1] الرعد ١١

وامتنع التأدية ، فوجب أن يكون ذلك التبليغ ذاتيا في ذاته غير منجمد على صفة من الصفات واعتبار من الاعتبارات وحيثية من الحيثيات وإلا لاختص بتلك الصفة ولأجرى عليه حكما فإن كانت حسنة كاملة ولطيفتها زائلة يختص فيما فضل من تلك اللطيفة بالتبليغ والتأدية إلى المناسب لتك الصفة حسب عمومها وخصوصها في مرتبة مقامها فيكون مبلغا جزئيا لا كليا حقيقيا وإلا فيختص بنفسه ولايعم غيره ، وأما المبلغ الكلي فيجب أن يظهر في الوجود كعموم قدرة الله سبحانه ويكون متساوي النسبة مع كل الرعية في طبائعها وصفاتها وأحوالها ليعطي كل ذي حق حقه مما أودع الله سبحانه في سره من مكنون علمه ، ولا تتساوى هذه النسبة إلا إذا كان في ذاته معتدل الطبيعة ومستقيم البنية في الباطن والظاهر بحيث لا تزيد طبيعة على أخرى لتغلب ويجري عليه حكم الطبيعة الغالبة كما في سائر الخلق بل تكون العناصر فيه متساوية النسبة وتكون له طبيعة خامسة غير الطبائع الأربع ليجري حكم كل طبيعة عند اقتضاء المصلحة لذلك بالعوارض الخارجة ، ولا تتساوى نسبة الطبائع إلا إذا خلص وصفى ورق ولايكون هذا الخلوص والتصفية إلا إذا كان نظره مقصورا في عالم غير عالم الطبائع والمزج والتركيب ، إذ لوكان النظر مقصورا عليه ولا شك أنه عالم التضاد والاختلاف وعدم الائتلاف فلا بد من استيلاء أحدها على الآخر وإتيان حكم الغلبة لتحصيل المزاج ، ولذاترى الأطباء أحالوا تساوي الطبائع في

المركب لقصر نظرهم إلى عالم الكون والفساد وعالم التركيب والتضاد ، وأما الذي نظره قاصر إلى عالم البساطة ومقام اللانهاية ولم يزل مع الملك القهار الجبار المتكبر المؤلف بين المتعاديات والمفرق بين المتآلفات فيستولي عليه نور البهاء والكبرياء والعظمة فتتألف الطبائع والعناصر والقوى المتضادة بحيث لا تغالب لبعضها على بعض ولا تضاد في إظهار الأثر فيستوي الذئب والغنم في المرعى وهوقوله عز وجل ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[1] ، وهما الضدان الماء العذب الفرات والماء المالح الأجاج فاختلطا فالحاجز من قدرة الله سبحانه منع أحدهما على الغلب والبغي على الآخر والآخر عليه ليحصل من المجموع طبيعة أخرى وطعم ولون آخر أوتغلب إحدى الطبيعتين ، ومثاله فيك موجود فإنك تعصي وتطيع وإنك مركب من نور وظلمة لكن ما غلب النور على الظلمة في أصل التركيب لئلا يمكن أن يصدر منه الطاعة في الوجود العيني ولاالعكس لئلا يمكن العكس ، كما أن العسل ما يبرد أبدا وإن كان فيه من الطبيعة المائية لكنها مغلوبة ، والكافور ما يسخن أبدا وإن كان فيه من الطبيعة النارية ، وكذا ما امتزج النور والظلمة بحيث يحدث عن اجتماعهما أمر ثالث كتركيب الخل والعسل فيحصل من تركيبهما أمر ثالث يخالف طبيعته وفعله وقوّته الجزأين لأنه يقطع الصفراء بخلاف العسل فإنه يزيد مع ولو كان كذلك لوجب أن لا

---

[1] الرحمن ١٩ – ٢٠

يصدر من الإنسان إلا الطاعة المشوبة بالمعصية والمعصية المشوبة بالطاعة بـل لا تكون طاعة لأنها من اقتضاء النور ولا تكـون معصيـة لأنـها مـن اقتضـاء الظلمة بل يكون أمرا ثالثا لا طاعة ولا معصية وهوممتنع في حق الإنسان بـل كل شيء هذا صنع الله ، فإذا بلغت القدرة إلى أن يبقى مـع المـزج والـتركيب قوة الأجزاء على ما هي عليه قبل التركيب ويتم التركيب بذلك بحيث يصدق على المجموع اسم واحد ويجري عليه كل أحكام الوحدة مع بقاء صرافة حكـم الكثرات على ما هي عليه من الاقتضاءات فبأن يركب من الأجزاء المتسـاوية في الطبيعة والوزن والتقدير الطبيعي أخرى والقـدرة تتعلـق عليـه بـالطريق الأولى ، فلا معنى لإنكار الأطباء ذلك نعـم لـما لم ينظـروا إلى جهـة الربوبيـة والسـلطنة الكاملـة العامـة عظـم في نظرهـم ذلـك فصغـروا عظمـة الله سبحانه ،. فعلى ما قررنا وجب أن يكون المبلغ الكلي في أكمل مقام اعتـدال الطبيعة في كل المراتب من الاعتدال الحقيقي لا الاضافي وقد قلنا أن ذلـك لا يكون إلا إذا سطع عليه نور العظمة والجلال والبـهاء ويكـون صـاعدا مقـام الأسماء الجزئية والكلية فيتجلى عليه نور البساطة والوحدة إلى أن تفنى مقـام الكثرة الوجودية والوجدانية فيستولي عليـه نـور الجمـال والجـلال كمـا قـال الشاعر :

رق الزجاج ورقت الخمـر ... فتشابها وتشاكل الأمـــر

فكـأنما خمـر ولا قـــدح ... وكأنما قـــدح ولاخـمـر

ويسبح في لجة بحر الأحدية وطمطام يمّ الوحدانية فيحكي المثال فعند ذلك تكون الطبائع أحدها عين الأخرى تقول نار وماء وهواء وتراب لكن كل واحد منها عين الآخر فالتراب هوالماء والماء هوالهواء والهواء هوالنار والتعدد تعبيري لظهور آثارها في المراتب الكونية أي المبلغ إليها وهذا كمال مقتضى العبودية فيتجلى عليها أحكام الربوبية فلا يقال بشر لظهور أحكام الربوبية فيه ولايقال رب تعالى عن ذلك لأنه عبد مخلوق ونور مرزوق وقد قال الشاعر:

إن قلت ذا بشر فالعقل يمنعني وأختشي الله من قولي هو الله

وهذا معنى قوله تعالى في وصف الشجرة المباركة الزيتونة﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ ﴾أي ليست بقديمة لأنها حادثة مخلوقة مقترنة منظورة بالأطوار بل شجرة متفرعة على الغصون والأصول والأوراق والأثمار وليس هذا صفة القديم تعالى شأنه ﴿ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ أي ولاحادثة لأن الحادث مختلف متكثر متعددة جهاته وروابطه فان هنالك مضمحل وليست هذه المذكورات صفة تلك الشجرة لأنها وجه الله الذي لا يهلك ويد الله التي لا تغلّ ولا تفنى ونور الله الذي لا يطفى وعين الله الشاهدة على الورى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا ﴾ أي قابليتها للوجود﴿ يُضِيٓءُ ﴾أي يظهر في عالم الكون لكمال الخلوص والصفاء وعدم اقتضائها شرطا ومتمما ومكملا غير مصدره وموجده ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ

نَارٌ﴾[1] الإيجاد والنارمن تلك الشجرة والزيت أيضا من تلك الشجرة كما نص عليه الحق سبحانه في كلامه العزيز ، وهذا هو مقام البرزخية الكبرى وهومقام فاعل الفعل اللازم مع أن الفاعل معمول للفعل والفعل عامل فيه والعامل أشرف من المعمول كما بينا فراجع ونبين إنشاء الله فترقب .

فلما استوت قابليته واعتدلت طبيعته على ما وصفنا لك ظهر في البحبوحة الكبرى العليا وانتجبه الله منها وهذا الظهور في هذا المقام ما تحقق إلا بكمال العبودية والعبودية المطلقة تنافي الغفلة ولويسيرة ، لأنه في مقام الغفلة لا يرى لنفسه عبودية فضلا عن المخالفة فوجب أن يكون معصوما مطهرا من الذنوب مبرأ من العيوب من الظاهرية والباطنية والسرية والجهرية وتمت شهادة الله سبحانه له بذلك حيث قال﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] والأصل في ذلك هواعتدال الطبيعة وتصفية السريرة .

---

[1] النور ٣٥

[2] الأنبياء ١٩

[3] الأنبياء ٢٦ – ٢٩

ففي المقام الأول الذي هومقام النقطة الحقيقية المستديرة على نفسها لا كلام خوفا من فرعون وملئه ، وأما حال التنزل إلى مقامات الإرسال ولما كانت المادة الإلهية الأصلية في كمال النورانية والصفاء فوق مقام الحد والانتهاء ما غيرتها الحدود والتعينات والظهورات واستولت عليها آثارها فظهرت في كل عالم وكل مقام طيبة طاهرة حتى انتقلت إلى الأصلاب والأرحام فحفظت بفاضل نورانيته الآباء والأمهات عن مخالفة الحق سبحانه لأنه نور يطرد الظلمة بفاضل ظهوره ، وإن كان ظهوره بالظهور وإشراقه بالنور فكانت الطائفة المنسوبة إليه في كل زمان وأوان أشرف الطوائف لسريان ذلك النور إليها من جهة الانتساب فكان آباءه في عالم البشرية لاختلاص الصفوة البشرية المنسوبة إلى النور المشرق من صبح الأزل كلّهم طيبين طاهرين منزهين عن كل دنس ورجس ومن أهل التوحيد والتسليم لله سبحانه لبقاء ذلك النور في الأصلاب أكثر وأشد وتخلله في كل أجزاءه وقواه ومشاعره وفي الهضمات الأربعة فأثرت نورانية الجسد في الجسد والروح المتعلق به في الروح ، وأما أمهاته صلى الله عليه وآله وسلم فبقدر حملهن إياه صلى الله عليه وآله وسلم فهنّ معصومات بمقدار ذلك الزمان لإشراق النور الإلهي عليهن وهومعنى قوله عليه السلام في الزيارة ((أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها))[1] حتى

---

[1] زيارة وارث

انتهت مراتب الآباء والأمهات الظاهرية إلى أشرف الطوائف وأحسن القبائل اتفاقا وإجماعا من الناس، فإن العرب لم يزل أشرف من العجم من جهة النوع كما نبين إنشاء الله ، وأشرف طوائف العرب قريش كما هوالظاهر ولم تزل تفتخر قريش على غيرها من الطوائف وهم لا ينكرون ذلك حتى أن ابن أبي قحافة إنما احتج عليهم وتقمص بالخلافة على أنه من قريش فلا يترأس عليها أحد ، وأشرف طوائف قريش بنوا هاشم وعبدالله وأبوطالب من سادة بني عبد المطلب كما هوالمعلوم المذكور في كتب السير والتواريخ ، فهذه هي البحبوحة الكبرى العليا ولذاقال مولانا الرضا عليه السلام في وصف الإمام عليه السلام ((لا يسبقهم أحد في نسب ولايدانيهم في حسب البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرضا من الله عز وجل شرف الأشراف والفرع من بني عبد مناف))[1]

فلما انتجب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الطائفة الشريفة في عالم البشرية الظاهرية قطع حجة كل محتج وظهر بالحجة البالغة إذ لم يقدروا على إنكاره بالحسب ولا بالنسب ولا بالشرافة ولا بالسيادة ولا بالطهارة لم يعرفوا كمالا إلا وقد وجدوا عنده صلى الله عليه وآله وسلم أعلاه وأسناه ولم يتخيلوا مقاما إلا وقد وجدوا عنده أقصاه ، فعرفوا أنه خليفة الله فلم يبقى لهم إلا الإقرار به أو الإنكار له

[1] البحار ١٠٢/١٨٧ ح ٦

بعد المعرفة والجحود بعد العلم قال الله تعالى ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] وقال ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾[2] بخلاف ما إذا كان يعصي أولا يكون من الذروة الأعلى بل يكون من اللئام الأراذل فإنه حينئذ يكون الحجة عليه للعارف والجاهل ، أما الجاهل فإنه إذا وجد أنه من اللئام وليس من الطائفة الكرام تشمئز نفسه وتنبو طبيعته عن الإقرار به والانقياد له والاعتراف بالرقية والعبودية والطاعة له ويشقّ عليه انقياد ما هو في الحسب والنسب أشرف منه وهذا يبعده في أول الأمر عن الانقياد ، وكذلك إذا رآه يعصي في صغره أو كبره قبل نبوته أو بعد نبوته لم تطمئن نفسه عليه ولم يركن لقبول قوله والاعتقاد بما يخبر عن ربه وسكون القلب عند أقواله وأفعاله إذ له مناسبة مع الشيطان فلم يأمن من أن يتسلط عليه ويفسد عليه أمره ودينه وإيمانه ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾[3] ، ذلك وله أن يقول لو أن الله سبحانه جعل النبوة والرسالة في طائفة شريفة طيبة طاهرة معروفة بالخير والصلاح والسّؤدد والشرف وفي رجل طيب طاهر معصوم

---

[1] النحل ٨٣   [2] النمل ١٤   [3] الأعراف ١٧٥ – ١٧٦

منزه عن القبائح والفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أحسن وأوفق بالقبول وأحرى بالصواب والسداد ، ولا شك أن ذلك أمر ممكن والله سبحانه قادر عليه فلا يعدل عما هو الأحسن إلى الحسن لو فرضنا ذلك حتى لا يقال لو كان كذا لكان أحسن وكان في الواقع أحسن ولو لم يكن هنا مانع أقوى إلا العاجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فدل على أن الذي يدعي النبوة أو الولاية أو الخلافة وهويعصي أو كان كذلك أويكون من أرذل الطوائف وأخسها كاذب في دعواه مفتر في مدعاه ليس مبعوث من الإله الحي القيوم المنزه عن كل نقص ووصمة وعيب ، ورسوله وجهه وجهته ودليله فلوكان ناقصا ولوكان بوجه من الوجوه لدل على نقصان ذي الوجه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ، وأما العارف الناظر بنور الله المستدل بدليل الحكمة فيقطع بأن الرئيس في التبليغ هوالرئيس في التكوين والإيجاد وهوكان مبلغا ومترجما للوحي الوجودي في العالم الأول إلى أن ظهرت الصفات وتكثرت الشئون والإضافات فاقتضى كمال الصنع والإيجاد التكليف والتبليغ الوصفي والظاهر عنوان الباطن والصورة مثال الحقيقة ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[1] فلما كان الأمر كذلك وجب أن يكون ذلك المبلغ في كمال مرتبة النورانية وتكون نسبته إلى رعيته نسبة السراج إلى الأشعة فهومنزه عن كل النقائص والرذائل والكدورات التي في

---

[1] الملك ٣

الرعية بل عين كمالات الرعية ونورانيتهم هو بلوغهم مقام النور الإلهي الظاهر فيهم المشرق من إنية الأنبياء فأين توصف الأنبياء بالنقائص الموجودة في رتبتهم ، وذلك النبي إذا تنزل بنوره وظهوره في المراتب النازلة لتتميم الرعية وتكميلهم وتبليغهم إلى غاياتهم ونهايات كمالهم فهوفي كمال النورانية ، فيطهر آباءه وأمهاته وقبيلته وطوائفه وكل من ينتسب إليه في الجنس والنوع عن الرذائل والدناءات والكدورات والكثافات بفاضل نورانيته كما عرفت آنفا ، ومثل النبي الوصي لأنّ حكمهما واحد وأمرهما واحد ومقتضاهما واحد فإذا وجد أحدهما أو كلاهما من الطائفة الغير المعروفة أو اللئيمة والدنيئة أو أنهما أو أحداهما يعصي مثل سائر رعاياه في مقام البشرية بما هومعصية للرعية يقطع بأنه كاذب لئيم ومفتر خبيث لأن الأثر يدل على المؤثر وإليه أشار ابن أبي الحديد في قصيدته إلى أن قال :

فتى لم يعرّق فيه تيم بن مرة ولاعبد اللات الخبيثة أعصرا

وما كان معزولا غداة براءة ولاعن صلاة أمّ فيها فاخرا

وما كان يوم الغار يهفو جنانه حذارا ولا يوم العريش تسترا

قوله عليه السلام وأرسله في العرب العرباء

فأتى بعد الانتجاب المنتج من العبودية بذكر الإرسال لبيان قوله أقامه مقامه في سائر عالمه في الأداء ، وهذه الرسالة كلية عامة مطلقة شاملة لكل من ذرأه الله وبرأه من الأعراض والجواهر والماديات والمجردات والصفات والذوات وكينونة الاقتضاءات ، ولهذه الرسالة مقامات كثيرة ومراتب عديدة يضيق بذكرها الدفاتر إلا أني أذكر في هذا المقام إشارة إلى ذلك المرام ما ذكره شيخي ومولاي ومعتمدي وأستاذي أطال الله بقاءه وجعلني في كل محذور فداه في شرحه الشريف على الزيارة الجامعة الكبيرة عند قوله عليه السلام ((وموضع الرسالة)) فإن ما ذكره أطال الله بقاه وافية كافية لمن فهم الكلام وأنا أنقل كلامه الشريف بلفظه وهو وإن عمم الحكم ليشمل الأئمة الطاهرين عليهم السلام لكن الحكم واحد فإن الوصي بدل للنبي في كل الأحكام فالتبعية بدلية .

فقال سلمه الله تعالى (ولهم في محل الرسالة أربعة مقامات .

المقام الأول : مقام السر المقنع بالسر ، والثاني مقام المعاني وهو مقام سر السر ولثالث مقام الأبواب وهومقام السر والسفارة والوساطة والترجمة

والرابع مقام الإمامة وقد أشار الصادق عليه السلام إلى هذه المواضع الشريفة والمقامات المنيفة كم رواه محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات عنه عليه السلام ((إن أمرنا هوالحق وحق الحق وهوالظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهوالسر وسر السر وسر المستسر وسر مقنع بالسر))[1] فأشار إلى المقام الأول بقوله عليه السلام ((وسر المستسر وسر مقنع بالسر)) وإلى المقام الثاني بقوله عليه السلام ((وباطن الباطن وسر السر)) وإلى المقام الثالث بقوله عليه السلام ((وباطن الظاهر وهوالسر)) وإلى المقام الرابع بقوله عليه السلام ((وهو الظاهر)) وإلى الاخيرين بقوله عليه السلام ((وهوالحق)) وإلى الاولين بقوله عليه السلام ((وحق الحق)) وعنه عليه السلام ((إن أمرنا سر في سر وسر مستسر وسر لا يفيد إلا سر وسر على سر وسر مقنع بسر))[2])[3].

إلى أن قال سلمه الله (وفي رواية جابر الإشارة إلى الأولين، روي عن جابر بن عبد الله عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال ((يا جابر عليك بالبيان والمعاني، قال فقلت : وما البيان والمعاني، قال : قال علي عليه السلام أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئا، وأما المعاني فنحن معانيه ونحن جنبه ويده ولسانه وأمره وحكمه وعلمه وحقه إذا شئنا شاء الله ويريد الله ما نريده فنحن المثاني الذي أعطانا الله نبينا ونحن وجه

---

[1] بصائر الدرجات ٢٩ — [2] بصائر الدرجات ٢٨ — [3] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ١ / ٢٠

الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم فمن عرفنا فإمامه اليقين ومن جهلنا فإمامه السجين ولوشئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء وإن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم)[1] .

إلى أن قال سلمه الله (وذكر الإمام سيد الساجدين عليه السلام الإشارة إلى الكل على ما روي في كتابه أنيس السمراء وسمير الجلساء قال حدثني أحمد ابن عبد الله قال حدثني سليمان بن أحمد قال حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا إبراهيم بن محمد الموصلي قال أخبرني أبي عن خالد عن القاسم عن جابر ابن يزيد الجعفي عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل ((ثم تلى قوله تعالى ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[2] وهي والله آياتنا وهذه إحداها وهي والله ولايتنا يا جابر إلى أن قال عليه السلام: يا جابر أوتدري ما المعرفة ، المعرفة إثبات التوحيد أولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الأبواب ثالثا ثم معرفة الإمام رابعا ثم معرفة الأركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا وهوقوله عز وجل ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾[3] وتلى أيضا ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[4] يا جابر

---

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبير ١ / ٢١ [2] الأعراف ٥١ [3] الكهف ١٠٩ [4] لقمان ٢٧

إثبات التوحيد ومعرفة المعاني ، أما إثبات التوحيد فمعرفة الله القديم الغاية الذي لا تدركه الأبصار وهويدرك الأبصار وهواللطيف الخبير وهوغيب باطن كما سنذكره كما وصف به نفسه ، وأما المعاني فنحن معانيه وظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عباده)) الحديث ، وإنما ذكرته بطوله لما فيه من الأسرار وسنشير إلى بيان بعضها في ما بعد .

فأما المقام الأول المسمى بإثبات التوحيد وبالسر المقنع بالسر وحق الحق فالإشارةإلى بيانه من إلاحاديث المروية عنهم عليهم السلام كثيرة فمنها ما قال علي عليه السلام ((لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها)) وقال عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[1] ، أقول الذي يشير إلى هذا المقام من الحديث الثاني هوالوجه الثالث منه والمراد من هذا المقام الذي هو إثبات التوحيد هو معرفة الله بصفته التي وصف بها نفسه لعباده الذين أراد أن يعرفوه بها وهي صفة محدثة لا تشبه صفة شيء من المخلوقات وهي مقاماته وعلاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان أي في غيبتك وحضرتك من عرفها فقد عرف الله لأنها أمثاله وليس كمثله شيء وفي دعاء كل يوم من شهر رجب عن الحجة عجل الله فرجه ((فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانا لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك

---

[1] الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩

فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك)) الدعاء ، فبين عليه السلام أنهم معادن لكلماته يعني أنهم أعضاد لخلقه لأن العلة المادية لجميع الخلق هو شعاع أنوارهم فقد اتخذهم الله سبحانه أعضادا لخلقه يعني يخلق خلقه من شعاع أنوارهم والخلائق من الأسباب والمسببات كلمات الله كما قال تعالى ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[1] فهم عليهم السلام معادن لكلماته وجعلهم سبحانه أركانا لتوحيده لأن المقام الذي لا فرق بينهم وبين الله سبحانه إلا أنه عبده هو ظهوره للعبد بالعبد وهم عليهم السلام تلك المظاهر كما يأتي في التمثيل بالقائم فإنه لا فرق بينه وبين زيد إلا أنه ظهور زيد بالقيام فهو محدث به وركنه القيام فحقيقتهم عليهم السلام كالقيام وظهوره على تلك الحقيقة بها كالقائم والقائم هوالمقام الذي يعرف زيدا به من عرف زيدا أي لا يعرف زيدا إلا به ، والمراد أن الله سبحانه لا يعرف إلا بتلك المقامات وهي لا تتحقق إلا بهم وفيهم كما أن القائم لا يتحقق إلا بالقيام هذا معنى قول علي عليه السلام ((لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)) فهم أركان توحيده وآياته كذلك ومقاماته وكونها لا تعطيل لها لأنها وجه الله قال تعالى ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[2] وكون الإثبات لا يكون إلا بالخلق لأن ذاته تجل عن إدراك العقول وتوهم الأوهام لأن العقول والأوهام إنما تدرك أنفسها وتشير إلى

---

[1] آل عمران ٤٥

[2] البقرة ١١٥

نظائرها وما ذكرنا من المعرفة هي سبيل معرفتهم الـتي لا يعـرف الله إلا بـها ومثال المقام الذي هو رتبة التوحيد القائم كما مر قبـل هـذا فـإنك إذا قلـت القائم فهو صفة زيد وهو ظهور زيد بالقيام وليس هو زيد ولم يستتر ضميره فيه وإنما استتر فيه جهة فاعلية قيامه وتلـك الجهـة قائمـة بزيـد قيام صـدور وقائمة في غيب قائم قيام ظهور وقائم قائم بها قيام تحقق لأنها لا تظهر إلا في قائم وقائم لا يتحقق إلا بها لأنها مبدأ وجود قائم وهي حركـة أحدثـها زيـد بنفسها وليست زيدا وإنما هي حركته فالقائم مثال زيـد وظـهوره بفعلـه فـإذا أردت أن تعرف زيدا فإنما تعرفه بما أحدث لك مـن أمثالـه ووصفـه كالقـائم والقاعد والمتكلم وهذا أي المشار إليه والمسمى بزيد وما أشبه ذلك من أمثاله وصفاته وتوصيفاته فتعرفه بما وصف به نفسه وهو ما ظهر لك بـه مـن هـذه الأفعال والصفات وكلّها غيره وهي وإن كانت مثله بحيـث يكـون بينـهما في جهة التعريف والمعرفة مساواة لرجوع ذلك كله إلى الصفات ، والـذات عـن ذلك كله بمعزل إلا أنها محدثة به صادرة عنه لا منه وهوقوله عليه السلام في الدعـاء المتقدم ((لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك)) فافهم ، فقول علـي ابن الحسين عليه السلام في الحديث المتقدم ((وهـي والله آياتنـا وهـذه إحداهـا)) وذلك في بيانه لقوله تعالى ﴿ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[1] يشير إلى ما ذكرنـا وإنهم ذووا الآيات التي جحد بها الكافرون والمشركون وهم الذين نسـوهم

---

[1] فصلت ١٥

كما نسوا لقاء يومهم يوم القيامة وهذا المقام كله وهو مقام وإليه يرجع الأمر كله أحد الآيات وهي تلك الفعلة التي فعل بهم حين حرك الخيط الأصفر وهي ولايتهم إلا أن هذا أعلاها لأنه ليس له شبه كما قال عليه السلام ((أما البيان فهو أن تعرف الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء فتعبده ولاتشرك به شيئا)) أما أن ذلك ليس كمثله شيء فلأنه وصف الحق سبحانه نفسه للعباد فلا يشابه شيئا من الخلق ، وأما أنك تعبده فلأنك تعبد الله الظاهر لك به حتى أنه غيبه عن نفسه وعن المخلوقات فلا يتوجه العابد إلا إلى الذات مع أنه أبدا لا يجدها حيث لا يفقدها ولايفقدها حيث لا يجدها أبدا فهذا مقام السر المقنع بالسر وحق الحق وهوالبيان والتوحيد وهذا المقام لهم حيث لم يجدون أنفسهم شيئا ووجدوا الله ظاهرا في كل شيء قد جعله دكا ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها كان وحده ولا يسمع فيها صوت إلا صوته وهذا المقام لا يكون موضع الرسالة لأنه مصدر الإرسال فكيف يكون موضع الرسالة إلا باعتبار فرض المغايرة ولهذا اعتبرناه وجعلناه الأول .

والمقام الثاني مقام المعاني وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر على السر وحق الحق وهوكونهم عليهم السلام معانيه تعالى يعني علمه وحكمه وأمره .. إلخ ، يعني علمه الذي وسع السموات والأرض وحكمه على كل الخلق ونعمه على جميع خلقه وخيره الذي من به على جميع الخلائق وجنبه الذي لا يضام من التجأ إليه وذمامه الذي لا يطاول ولا يحاول ودرعه الحصينة

وحصنه المنيعة ورحمته الواسعة وقدرته الجامعة وأياديه الجميلة وعطاياه الجزيلة ومواهبه العظيمة ويده العالية وعضده القوية ولسانه الناطق وأذنه السميعة وحقه الواجب وهذا مثل قولك قيام زيد وقعوده وحركته وسكونه وتسلطه وأياديه وامتنانه ومعاقبته وأمثال ذلك فهذه معاني زيد ، فقولهم عليهم السلام ((نحن معانيه)) كما تقدم في حديث جابر يراد منه نحو ما أشرنا إليه لأن هذه المعاني بالنسبة إلى الذات ليست شيئا إلا بالذات فلا تحقق لها إلا بالذات ، وأما تذوتها بالنسبة إلى آثارها وأعراضها فهي بالنسبة إلى الذات أسماء معان بهذا المعنى وبالنسبة إلى آثارها أعيان وذوات قائمة على آثارها وأعراضها بما قبلت من إمداداتها ولا معنى بالذات والعين إلا هذا ، فهم عليهم السلام في هذا المقام أعلى مقامات موضع الرسالة إلا على الاعتبار الأول لأنه مطارح إرسالات مواد الحياة الوجودية من الماء الإلهي والنفس الرحماني الثانوي في إيجاد الشرعيات الوجودية وإيجاد الوجودات الشرعية وهذا هوالدواة الأولى وهو ن والقلم وما يسطرون والماء الذي جعل منه كل شيء حي والكتاب الأول ومفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهوأرض الجرز والزيت الذي يكاد يضيء ولم تمسسه نار .

والمقام الثالث مقام الأبواب وباطن الظاهر وسر لا يفيده إلا سرّ والسّفارة إلى الله وترجمة وحي الله ، وبيانه أنه إذا وقع الماء الأول على أرض

الجرز والبلد الميت ، وبعبارة أخرى إذا استضاء الزيت من النار ، وبعبارة أخرى إذا وقعت الدلالة من الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر على المعنى الميت في قلب العبد المؤمن ، ظهر على العبارة الأولى الزرع والنبات الطيب وعلى الثانية المصباح وعلى الثالثة المعنى ، والمراد من الزرع والنبات والمصباح والمعنى شيء واحد وهوالاسم الذي أشرقت به السموات والأرضون وهو المعبر عنه عند أهل الإشراق بالعقل الكلي وعند أهل الشرع بالقلم والعقل المحمدي ﷺ وقد يطلق عليه الروح من الروح المحمدية ﷺ، فلما استوى عليه الرحمن أودع فيه غيوب الأشياء وهي معاني جميع الخلق فهو باب الله إلى خلقه ولما أمر العقل فقال له أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل أخرج منه رقائقها وصورها إلى قوابلها فيما لا يزال فهو باب الله إلى خلقه ، ولما تهيأت القوابل لقبول حياتها وجميع ما لها من ربها وقبلت كان ذلك القبول بواسطته فهو باب الخلق إلى الله فلما أمرهم الله بطاعته وامتثلوا أمره قبل أعمالهم بواسطته والتوجه به إلى الله فرفع به أعمالهم فهو باب الخلق إلى الله وهذه الواسطة والترجمة والسفارة عامة في جميع الوجودات الشرعية والشرعيات الوجودية ، فهم عليهم السلام في هذا المقام موضع الرسالة بالنسبة إلى المقام الأول وهم محل وحيه ومهبط نوره ومسقط نجومه وهكذا بالنسبة إلى المقام الثاني هم حفظة شريعته وموضع رسالته الثاني من الأول ليترجموا لمن دونهم الإمدادات ممن هو فوقهم .

والمقام الرابع مقام الإمامة وهوالحق وهوالظاهر وهوالسر المستسر وهومقام حجة الله على خلقه وخليفته في أرضه افترض طاعته على جميع خلقه جعله الله قيّماً على العباد وحفيظا وشاهدا وداعيا إلى الله وهاديا إلى سبيله ووجهه الذي يتقلب في الأرض وعينه الناظرة في عباده، فكّاك الأزمات المعضلة وفاتح الحصون المقفلة والقصر المشيد والبئر المعطّلة، ملجأ الهاربين وعصمة المعتصمين وأمن الخائفين وعون المؤمنين، فالإمام في مقام الإمامة هذا هوموضع الرسالة)[1] انتهى كلامه أعلىٰ الله مقامه ورفع شأنه وأعلى كلمته إنما ذكرته بطوله لما فيه من الأسرار مما أردنا بيانه وقد ذكر أطال الله بقاه جميع أنواع الرسالة وفيما ذكره كفاية لأولي الفهم والدّراية.

ثم اعلم أن حكم الله سبحانه في الإيجاد على جهة الإطلاق لما كان على نهج التكليف وهو يستلزم الرسول ينقسم التكليف والرسول على قسمين تكويني وتشريعي والشريعة والكتاب أيضا كذلك والمجموع إلى قسمين عام وخاص، والعام إلى قسمين إضافي وحقيقي فأجر هذه المذكورات فيما ذكره شيخنا أطال الله بقاه من المراتب المذكورة ينتج لك المطلوب وتطلع على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وتفهم أن محمدا

[1] شرح الزيارة الجامعة ١ / ٢٢ – ٢٧، ولعل ما بين الأقواس شرح وبيان من المصنف أعلى الله مقامه لأنا لم نجد هذه العبارات في شرح الزيارة.

صلى الله عليه وآله وسلم في كل مقام وكل رتبة تفرض سيد السابقين وإمام الفائقين ولا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق ولا يطمع في إدراك مقامه طامع .

والإشارة إليه أكثر مما بين سلمه الله تعالى وبينا فصح بالحكمة قوله عليه السلام ((في العرب العرباء)) ، العرب هوالفصيح الكامل البالغ في الفصاحة الواصل كمال درجة التوحيد المحدود بحدود الإيمان المصور بصورة الإنسان البعيد عن جهة الطغيان ومقتضيات الشيطان ، ولذانزل القرآن باللغة العربية ولذاكانت لغة أهل الجنة العربية وقد قال الإمام الصادق عليه السلام ((إن شيعتنا العرب وعدونا العجم))[1] قال الله تعالى ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[2] ، وفي الحديث على ما رواه في المجمع أن (((من ولد في الإسلام فهوعربي)) وفيه ((الناس ثلاثة عربي وموالي وأعلج فأما العرب فنحن وأما الموالي فمن وإلانا وأما العلج فمن تبرأ منا وناصبنا)) وفي حديث آخر ((نحن قريش وشيعتنا العرب وعدونا العجم)))[3] وقد سمعت عن بعض المشايخ أنه قال أن أمرؤ القيس لما حضرته الوفاة كان يتكلم بالفارسية ويؤيده ما رواه في البحار عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام أخرج رجلا من قبره بعد موته حيا وكان يتكلم بالفارسية فسأله عليه السلام عن ذلك مع

---

[1] معاني الأخبار ٤٠٣ [2] الزمر ٢٨ [3] مجمع البحرين ٢/ ١١٨

أنه مات عربيا قال لما مت على غير موالاتك انقلب لساني إلى ما ترى))[1]

وقد ورد عنه عليه السلام على ما في العيون أن أهل النار يتكلمون باللغة المجوسية .

وبالجملة فالعرب هو الصفوة والمختار في كل عالم وهوالمؤمن الحقيقي الطيب الطاهر المحدود بالصورة الإنسانية في كل مقام بحسبه ، ففي النباتات الأشجار الطيبة ، وفي المعادن معادن الجواهر واليواقيت ، وفي الحيوانات هي النافعة الطاهرة الغير المؤذية بأنواعها ، وفي الإنسان هوالباقي على أحسن التقويم ، وفي العالم الكلي هي السموات ، وفي المجرّدات العقول والملائكة وهكذا مؤمنوا الجن ، وكل عالم على هذا الترتيب ، والعجم أضداد ذلك كله والأصل في ذلك أن الله سبحانه لما أقام الخلق في العوالم الأول في الذرات وكلفهم ألست بربكم فمنهم من قال بلى ومنهم من قال نعم ، فالأولون هم الأول والآخر ون هم الثاني ، أما الأول فمن جهة اللفظ والمعنى .

---

[1] لعل المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه ذكر هذه الرواية عن البحار بالمعنى ونحن نذكرها هنا بالنص ففي البحار ٤١ / ٢١٦ ح ٢٩ روي أنه عليه السلام كان يطلب قوما من الخوارج فلما بلغ الموضع المعروف اليوم بساباط أتاه رجل من شيعته وقال : يا أمير المؤمنين أنا من شيعتك وكان لي أخ وكنت شفيقا عليه فبعثه عمر في جنود سعد بن أبي وقاص إلى قتال أهل المدائن فقتل هنالك فأرني قبره ومقتله ، فأراه إياه فمد الرمح وهو راكب بغلته الشهباء فركز القبر بأسفل الرمح فخرج رجل أسمر طويل يتكلم العجمية ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لم تتكلم بالعجمية وأنت رجل من العرب ، قال : إني كنت أبغضك وأوالي أعداءك فانقلب لساني في النار ، فقال : يا أمير المؤمنين رده إلى حيث جاء فلا حاجة لنا فيه ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ، ارجع فرجع إلى القبر ، فانطبق عليه)) .

أما الأول فلأن العرب هوالظهور والفصاحة والمعرفة وهذا شأن المقربين ، لأن الله سبحانه هو الظاهر المعروف الذي لا خفاء فيه ولا نكارة بوجه من الوجوه ، فكل من تخلق بأخلاقه وسلك سبيله ذللا أجرى عليه حكمه كما قال ((أطعني أجعلك مثلي)) ، ولما كانت الألفاظ بينها وبين معانيها مناسبة ذاتية وجب أن يكون الموسومون بهذا الاسم كذلك ، والعجم عدم الفصاحة والبكم في مقابلته فيجب فيه في المعنى أيضا حكم المقابلة .

وأما الثاني فلما ذكرنا من الأخبار الدالة على أن المؤمن هوالعرب وأن أهل الجنة يتكلمون باللغة العربية ولما سنذكر إنشاء الله ، فلما أجابوا في العالم الأول فأمد الله سبحانه المقرين المطيعين بالطينة العليين ومن الماء النازل من شجرة المزن المغروسة تحت بحر الصاد ، وأمد المنكرين الكافرين بطينة السجين ومن الدخان المتصاعد من شجرة الزقوم طلعها كأنه رؤوس الشياطين المغروسة فوق بحر الطمطام قعر السجين أسفل السافلين نعوذ بالله من ذلك ، ثم كسرهم الله سبحانه تحت الحجاب الأحمر ورجعهم إلى الطين ومزج بين الطينتين وأنزلهم إلى هذا العالم الجسماني حصل لطخ وخلط فيهما فصارت طينة سجين اختلطت لطخا لا أصلا بطينة عليين وبالعكس فظهر مقتضى ذلك اللطخ والخلط في الطينتين على مقدارهما في اللطخ فمن طيب في الذات طاهر في الطوية والجبلة ظهرت عليه باللطخ آثار العجمية كالمعاصي والشرور والسيئات في الأعمال التشريعية والتكوينية ، فظهر في

التكويـن علـى صـور معوجّـة وهيئـة منقلبـة غـير مسـتقيمة ومــن ذلــك اللسان واللغة الغير العربية فإنها منبئة عن اعوجاج الفطرة إما ذاتا أو لطخا وخلطا، لكن الغالب في الغالب آثار العربيـة كالإيمـان والصـلاح والتقـوى وأمثال ذلك، ومن خبيث في الذات وباطل في الطوية والجبلة قـد ظـهر فيـه مقتضى اللطخ الطيب الطاهر وهي الآثـار العربيـة مـن الصـورة الإنسـانية واستقامتها وحسنها وجودة تركيبها وكونه على اللغة العربية فإنها منبئة عـن حسن الفطرة والطويّة إما باللطخ أو بالذات فتبقى أحكام هذا اللطـخ علـى مقدار قوته وضعفه، إلى أن تصفوالطّين بفتح الياء إمـا بـالموت الظـاهري أو الباطني فيرجع كلّ إلى أصله من العربية والعجمية، فرجوع العرب إلى الجنة ورجوع العجم في النار فلا يفتخر إذاً الذي عنده اللغة العربية أونسبه إليـها على الذي عنده اللغة العجمية إذ قد يكونان عرضيين في الاثنين، فالفخر في الفقر إلى الله والتوكل عليه وملازمة التقـوى والبـذل علـى الفقـراء والجـود والسخاء فهذه هي الصفـات العربيـة ومقابلـها الصفـات العجميـة، وأمـا اللسان فإنه ينقلب إذا حان حينه وبلغ الكتاب أجله، وأما النسبة ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[1] أما سمعت قوله تعالى ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[2] أمـا سمعـت مـا قــال مولانـا

[1] المؤمنون ١٠١

[2] هود ٤٦

الكاظم عليه السلام في علي بن يقطين إنه ولدي مع أن بني أمية من ورد عليهم اللعن قاطبة خصوصا يقطين قد لعنه الصادق عليه السلام وما تولد منه وقد أجمل الله تعالى القول في كتابه فقال ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1] .

فإذ قد علمت شرافة العرب بالنوع وأنهم بيت الشرف والسؤدد وبيت الحمية والمروة وبيت الوفاء والسخاوة وبيت الاستغناء وعدم الدناءة ، فاعلم أن آل محمد صلى الله عليه وآله لما ظهروا في الكينونية العليا وفازوا بالنصيب الأوفى والحظ الأعلى وبقوا في كل مقام صفة الله إلا أنهم في مقام ارتفعوا بالفاعلية وفي الآخر انتصبوا بالمفعولية وأما الكسرة فما اتصفوا بها لأنهم ما انخفضوا وما ولوا إلا لأفعال التي لا تعمل إلا الرفع والنصب وأما الجر فلا تعمله إلا بحرف الجر إما مذكورا أومقدرا ، فهم عليهم السلام ما ولوا الحروف الجارة أبدا فما انخفضوا وما انكسروا ولم تزل ألوية ضمهم بالله ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾[2] ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك على العالمين مرفوعة وأعلام نصرهم وفتحهم على جبال الهدى منصوبة ، فهم عليهم السلام وصف الله وصفة الله ودليل الله ونصر الله ولسان الله في كل مقام من المقامات ، فظهروا في كل مقام حاكيا لظهور الربوبية المستدعية للخلافة

---

[1] الحجرات ١٣ [2] النساء ٨٠

والولاية الكلية ، ولما كان ما ينسب إلى الحق سبحانه في كل عالم يجب أن يكون أشرف ما في ذلك العالم بحيث لا يتصور أشرف منه وكانوا سلام الله عليهم نسبة الرب وصفته والمنسوبين إليه سبحانه وجب أن يظهروا في كل عالم وفي كل مقام أشرف ما في ذلك العالم ، فظهروا سلام الله عليهم في العالم الجسماني في أشرف الصور في الصورة الإنسانية وفي أشرف البيوت بيت العرب وفي أشرف طوائفها قريش وفي أشرف طوائف قريش بني هاشم في أشرف أولاد عبد المطلب عبدالله وأبي طالب ، فهم عليهم السلام العرب العرباء أي الخالص عن الشوائب العجمية بجميع أنحائها ومراتبها دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها وهذا الخلوص ما تمحض فيه أحد سواء عليهم السلام كما شهد لهم الحق بذلك وقال ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[2] وهذا الفتور حكم عام يشمل التكوين والتشريع والذوات والصفات والأفعال وسائر الأدوات وهم الذين صرفوا ما خلق الله لأجل ما خلق الله وما فتروا فكانوا بذلك صفوة المرسلين في ظاهر البشرية تكوينا وتشريعا علما وعملا ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وهذا معنى كلام أهل الصناعة الفلسفية إن العرب لا تحمل الصخور وهي الغرائب والأعراض المضادة للطبيعة التي يجب على الإنسان أن يدفعها

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٩

[2] الأنبياء ١٩ – ٢٠

ويرفعها كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((فإذا فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد)) .

فالعرب العرباء عندهم هي المياه الخمسة التي هي الماء الأبيض الرقيق ذو الوجهين وذو جسدين كوكب عطارد أو زحل أو مريخ والماء الأبيض الغليظ ظهر أشبه الأشياء بالزئبق وهي هرمس الحكيم والشيخ العليم والوصي الكريم والماء الأصفر البراق المتلألئ اللامع فاقع لونها تسر الناظرين وذلك عند ظهور الحرارة المشوبة بالأجزاء المائية والماء الأحمر الصافي الحار الذي يغلي وهوالفتى الكرشي وظاهر المريخ والماء الأحمر الصبغ الشمسي الذي عليه مدار رحى العمل وهذا هوالأصل والحاكم الرئيس على المياه كلها والمتولي لدائرتها ، فالماء الأبيض الأول إشارة إلى الليلة المباركة إنما كانت ماء لسرعة قبولها إلى طاعة ربها وأن بها الحياة التي من الماء الذي به كل شيء حي وعندها التفصيل والتقدير قال تعالى ﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾[1] هي فاطمة الزهراء عليها السلام على أبيها وبعلها وبنيها وعليها آلاف التحية والثناء ، ولذا أتى سبحانه وتعالى بالقمر والليل والصبح القريب بهما في الحكم والتأثير ولذا أشير إليها بالماء الأبيض لأن البياض من البرودة والرطوبة وهي طبيعة القابلية وهي عليها السلام علتها

---

[1] المدثر ٣٢ - ٣٧

ومنهانشأت ، وإنما كان الماء ذا الوجهين وجه إلى الشـمس ووجـه إلى القمـر لأنها عليها السلام كذلك لها وجه إلى النبوة وهي الشمس البازغة ووجه إلى الولاية وهي القمر المنير فهي فلذة كبد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرّة عين الـولي منـه خلقـت وعلى هيئته استقامت وعلى طبيعته وطويته نشأت واستولت عليها السلام.

والماء الأبيض الغليظ إشارة إلى الولي وإلى الكتاب المبـين وإلى الإمـام المبين ولذا يعبرون عنه بيوشع بن نون ، وإنما كان ماء لنفوذه وسريانه في جميع أقطار الوجود في الغيبة والشهود والرطوبة الحاملة لأثر نـار الإرادة الناضجـة للقوابل والأكوان لقبولها فيوضات الإحسان وإمـدادات الامتنـان ، ولـما كـان لإصلاح القابلية فالمناسب لإصلاحها الماء البارد الرطـب كمـا تقـدم ، فظـهر الولي بصفة الماء في فلك القمر على فلكـه الجوزهـر وأشـار بغلظـة المـاء إلى الحرارة الكامنة المحفوظة فيه التي بها قوام الأكوان والأعيـان وقـد أشـار إليـه مولانا الباقر عليه السلام بقوله ((أن القمر له سبع طبقات طبقـة مـن نـور النـار والأخر ى من صفاء الماء)) فالطبقة الظاهرة منه المقابلة للعالم من صفاء المـاء ولذاظهرت البرودة بواسطته في العالم وأما هوفي الباطن ففيه مـن نـور النـار بعكس الشمس وهذا سر غلظة الماء الزئبقي .

والماء الأصفر هو إشارة إلى سيدنا ومولانا الحسن بن علـي بـن أبـي طـالب عليهم السلام فإنـه عليه السلام ظـهر بأحكـام النـور الأصـفر حيـث حقـن دمـاء المسلمين وأحياهم بفاضل نوره ومن أحيا نفسا فكأنما أحيا الناس جميعا ولأنـه

عليه السلام تجرع مرارات الغصص حيث غلبت في دولته وخلافته الظلمة فكان يرى حكم الله مبدلا وكتابه منبوذا وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله متروكة وشرائعه محرفة ويمنع عن منع الظلم وسد الثلم وإصلاح الفاسد وكسر المعاند وإحياء السنن حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وهوشهيد وهوالسر في أن لونه الشريف عند وفاته عليه السلام مال إلى الخضرة وقصره عليه السلام في الجنة من زمردة خضراء لأن النور الأصفر له جهتان جهة إلى النور الأبيض والأخر ى إلى النور الأخضر ولذا كني عليه السلام بأبي محمد إشارة إلى النور الأبيض فإنه ورث سؤدد الرسول صلى الله عليه وآله والتمكين والوقار المنبئين عن قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[1] ليظهر أمره عليه السلام لظهور الأمر في زمان جده صلى الله عليه وآله من حكم الاغتشاش والاختلاط وكني علي عليه السلام بأبي الحسن إشارة إلى النور الأخضر فإن عليا عليه السلام هوأبو تراب فعند انتساب النور الأصفر إليه يتحقق النور الأخضر وهذه التكنية لبيان قعوده عليه السلام عن الحرب أولا كالحسن عليه السلام ثانيا أي بعد القيام فقعد علي عليه السلام عن الحرب لكونه أبا الحسن فذو القعلة منسوب إلى مولانا الحسن عليه السلام ، وقام عليه السلام بالأمر ظاهرا لأنه له الحجة البالغة والولاية الكاملة لكونه أبا تراب وشهره

[1] النساء ٧٧

ذو الحجة فاستشهد عليه السلام لا في معركة القتال بل على الخديعة والاحتيال لكونه أبا الحسين عليه السلام وتحمّل الأذى في جنب الله وتجرع مرارات الغصص لكونه أبا الحسنين عليهما السلام وأنشد هذه الخطبة وأمثالها مما يشابهها ويشاكلها لكونه أخا لرسول الله وابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم فافهم ما أشرنا عليك من السر والحق والكبريت الأحمر ، فأجر كل هذه المراتب في الباطن لأن ظاهرهم طبق باطنهم وسرهم عين علانيتهم ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا .

والماء الأحمر إشارة إلى مولانا سيد الشهداء وسند الأصفياء جعلني الله فداه عليه آلاف التحية والثناء من الله الرب الأعلى وهو عليه السلام مهيج نوائر الأشواق وباعث دواعي الأذواق ومستنطق سرائر الفساق والمالي بنور بركة ظهوره كل الآفاق والمقرب للشمس الحقيقية إلى أفق الظهور لظهوره على الدين كله بالإشراق وهوالصبح المشهود الظاهر بحمرة الشفق قال الله تعالى ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[1] وقال مولانا الصادق عليه السلام ما معناه أن سورة الفجر سورة الحسين عليه السلام من واظب عليها في فرائضه أونوافله حشره الله تعالى مع الحسين عليه السلام وقد دلت أحاديثنا وكلام مخالفينا كالشافعي وأمثاله أن الحمرة الظاهرة في الأفق لم تكن قبل قتل الحسين لعن الله قاتله فهو

---

[1] الإسراء ٧٨

عليه السلام النور الأحمر الذي منه احمرت الحمرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((حسين مني وأنا من حسين)) وهو عليه السلام الشمس كما نبين إنشاء الله والغالب عليها الحرارة واليبوسة لأنها مرتبة للمواد ومفلحة لأراضي الاستعداد وأشار صلى الله عليه وآله إلى هذا المعنى بألطف إشارة ((إني أعطيت الحسين غيرتي وشجاعتي)) والشجاعة هي القوة الحرارة الغريزية في الإنسان في غاية الاعتدال وحسن الحال ، والحرارة الغريزية هي وجه فاعلية الله سبحانه الظاهرة في في الكواكب الظاهرة بها في القلب الظاهر في الحرارة الغريزية والفاعلية طبعها ولونها طبع النار ولونها قال الله تعالى ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ ﴾[1] فافهم الإشارة ، والصبغ الأحمر إشارة إلى المشمس المشرقة والنار المحرقة والأزلية الثانية وهي الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله قال تعالى ﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾[2] والشجرة هي الشجرة المباركة التي على سواء جبل طور سيناء ولذا ليست بشرقية ولاغربية تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وهي صبغة الله التي في القرآن ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[3] وهومادة الإكسير الأحمر وكل تلك المياه إنما هي متفرعة عنه ومأخوذة منه فلما أخذت تلك المياه المطهرة يبقى الثفل الذي هوالأرض المقدسة منتنة كثيفة نجسة ملوثة بدرن معاصي القوم

---

[1] النور ٣٥ — [2] المؤمنون ٢٠ — [3] البقرة ١٣٨

الجبارين وهي الصخور التي لا يقدر أن يحملها العرب فوجب تطهير تلك الأرض لأن تستقر تلك المياه فيها ليظهر مقام الفاعلية وتظهر أخت النبوة وعصمة المروة فيعالجون في تطهيرها بإرسال الأبيض الغربي إليها مرآة عديلة إلى أن تطهر وتصير كسحالة الذهب فهناك تسقى بالمياه ليظهر القمر ثم إلى أن تطلع الشمس ، وكذلك الأمر في باطن الصنع لما سُلّت تلك الصفوة الطاهرة من طين العليين النازلة من قطرات شجر المزن عن الأرض ، ففي عالم الأجساد هذه الأرض المعروفة ، وفي عالم الأجسام أرض النفوس ، وفي عالم العقول البلد الميت ، وفي عالم الإمكان الأرض الجرز وأرض الإمكان الراجح ومقامات الوجود المطلق ، وتلك الأرض المقدسة التي سُلّت منها تلك الأنوار الطيبة والمياه الطاهرة المطهرة الجارية من بحر الصاد أي جنان الصاقورة تحت العرش الواردة على تلك الأرض المقدسة وهي وإن كانت واحدة إلا أنها ظهرت في خمس أماكن أرض مكة وأرض المدينة وأرض الكوفة وحائر سيدنا الحسين عليه السلام وأرض بيت المقدس التي هي أرض الشام ، وهذه الأراضي الطيبة كالقطب السائر في جميع الأراضي وكلها منوطة بها ومتفرّعة عليها ، وهذه الخمسة هي كفّ الحبيب ويد الله العليم وأرض العرب ، لكنه لما سُلّت منها تلك الأنوار الطيبة ظهرت نتن إنيّتها التي كانت مستهلكة زائلة مضمحلة عند استجنان تلك الأنوار والمياه الطاهرة والقوى الفعالة فصارت أنتن الأراضي وأقلها نفعا ومسكنا للقوم الجبارين ، ولذا

ترى ما في تلك الأراضي الطيبة إما غور المياه ويبس الأشجار وعدم نضج الأثمار وملوحة الماء وسباخة الأرض وحرارة المحل وقساوة الأهل وخباثة الوالي ، وقد ظهرت شناعة أهل الشام ورذالتهم ودناءتهم وخباثتهم وكفرهم بالله وإيذائهم لآل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بما ملأ الأصقاع وخرق الأسماع وليس لأحد من أهل الحق والباطل في ذلك نكير ، ومع ذلك كله ورد عن مولانا الصادق عليه السلام في حديث وجدته في نسخة قديمة عتيقة من مؤلفات بعض أصحابنا وأنا أشهد بحقيقته لما ظهر لي من قرائن الصدق فيه أن أهل الشام أحسن من أهل مكة ، وأهل مكة أحسن من أهل المدينة وأهل مكة يكفرون بالله في كل يوم سبعين مرة وأهل الشام ولم أذكر الآن لفظ الحديث ، ويكفي أهل الكوفة ذما وخسرانا ما قال فيهم أمير المؤمنين عليه السلام ((لوددت والله أن معاوية صارفني بكم الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلا منهم))[1] ولا ذم أزيد من ذلك ،وأما أهل حائر الحسين عليه السلام فأسوأ حالا وأشنع أعمالا وأقبح أقوالا وهؤلاء هم القوم الجبارون وهم ريش الغراب في قولهم أزل ريش الغراب ليكون عقابا ، ولما كان موسى عند محاربة القوم الجبارين بعث وصيه يوشع بن نون إليهم ، وكذلك الصبغ الأحمر بعث وصيه وهومادة الصبغ الأبيض الماء الأبيض الغليظ البراق الشفاف اللامع المتلألئ إلى تلك الأرض مسكن الأوساخ والكدورات التي هي القوم

---

[1] شرح النهج ٧/ ٧٠

الجبارون لتطهيرها وتصفيتها وإصلاحها وذلك أيضا عبارة عن قوم موسى عشرة أيام تتميما لأربعين يوما ، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر عليا عليه السلام والطيبين من أولاده بالإمساك وتطهير تلك الأرض المتوقفة عليها كل الأراضي في عالم الإمكان بالهون والبرودة والرطوبة أو الحرارة والرطوبة لا النار التي هي الحرارة واليبوسة وإلا لاحترقت وذابت وانعدمت وهوقوله تعالى حكاية عن هارون ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾[1] وهذا معنى أخذ موسى بلحية هارون وجره إليه وقوله له ﴿ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾[2] فافهم الإشارة فإن الكلام في هذا المقام عجيب قال الشاعر:

ضاع الكلام فلا سكوت معجب

فهؤلاء الصفوة عليهم السلام هم العرب العرباء بكل معنى في كل عالم مما أشرنا إليه وما لم نشر إليه ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول إلى الخلق فيهم ومن بينهم لما فيه من السر المعنوي والحرف الغيبي الذي لم يطلع عليه بسرائرهم وضمائرهم بصافي طويتهم وجبلّتهم ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3] وهو صلى الله عليه وآله وسلم المنتجب منهم فهو صلى الله عليه وآله وسلم صفوة صفوة الصفوة وبهذا حاز مقام

---

[1] طه ٩٤ [2] الأعراف ١٥٠ [3] الأنعام ١٢٤

السبق وتفرد في الوسيلة على المرقاة الأعلى الأعلى الأعلى ووقف علي عليه السلام تحته بمرقاة صلى الله عليه وآله وسلم .

قال عليه السلام وروحي له الفداء ابتعثه هاديا مهديا حلاحلا طلسميا ، فأقام الدلائل وختم الرسائل نصر به المسلمين وأظهر به الدين صلى الله عليه وآله الطاهرين

قوله عليه السلام ((ابتعثه)) إشارة إلى قوله عليه السلام في الحديث ((فاستنطقه)) وقد أشار إلى هذا الاستنطاق والانبعاث مما من الله ومما منه عليه السلام أشار إلى بيانه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام على ما في كتاب الأنوار لأبي الحسن البكري أستاذ الشهيد الثاني عنه عليه السلام أنه قال ((كان الله ولاشيء معه فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسموات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربع مائة ألف عام ، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي الله عز وجل واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول يا عبدي أنت المراد والمريد وأنت خيرتي من خلقي

وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت آلاف لاك من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته فتلألا نوره وارتفع شعاعه فخلق الله منه اثني عشر حجابا أولها حجاب القدرة ثم حجاب العظمة ثم حجاب العزة ثم حجاب الهيبة ثم حجاب الجبروت ثم حجاب الرحمة ثم حجاب النبوة ثم حجاب الكبرياء ثم حجاب المنزلة ثم حجاب الرفعة ثم حجاب السعادة ثم حجاب الشفاعة، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله ﷺ أن يدخل في حجاب القدرة فدخل وهويقول سبحان العلي الأعلى وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول سبحان عالم السر وأخفى أحد عشر ألف عام ثم دخل في حجاب العزة وهويقول سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام ثم دخل في حجاب الهيبة وهويقول سبحان من هوغني لا يفتقر تسعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الجبروت وهويقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام ثم دخل في حجاب الرحمة وهويقول سبحان رب العرش العظيم سبعة آلاف عام ثم دخل في حجاب النبوة وهو يقول سبحان ربك رب العزة عما يصفون ستة آلاف عام ثم دخل في حجاب الكبرياء وهويقول سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام ثم دخل في حجاب المنزلة وهو يقول سبحان العليم الكريم أربعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الرفعة وهويقول سبحان ذي الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام ثم دخل في حجاب السعادة وهويقول سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول ألفي عام ثم دخل في

حجاب الشفاعة وهويقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف عام ، قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إن الله تعالى خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم عشرين بحرا من نور في كل بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى ثم قال لنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم انزل في بحر العز فنول ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياء حتى تقلب في عشرين بحرا فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى يا حبيبي ويا سيد رسلي يا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخرّ النور ساجدا ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبيا من الأنبياء ، فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما يطوف الحجاج حول بيت الله الحرام وهم يسبحون الله ويحمدونه ويقولون سبحان من هو عالم لا يجهل سبحان من هو حليم لا يعجل سبحان من هو غني لا يفتقر فناداهم الله تعالى تعرفون من أنا فسبق نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل الأنوار ونادى أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك رب الأرباب وملك الملوك فإذا بالنداء من قبل الحق أنت صفي وأنت حبيبي وخير خلقي أمتك خير أمة أخرجت للناس ، ثم خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم جوهرة وقسّمها قسمين فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة

فصار ماء عذبا ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح وخلق من نور اللوح القلم وقال له اكتب توحيدي فبقي القلم ألف عام سكران من كلام الله تعالى فلما أفاق قال اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب لا إله إلا الله محمد ﷺ رسول الله فلما سمع القلم اسم محمد ﷺ خر ساجدا وقال سبحان الواحد القهار سبحان العظيم الأعظم ثم رفع رأسه من السجود وكتب لا إله إلا الله محمد ﷺ رسول الله، ثم قال يا رب ومن محمد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك، قال الله تعالى له: يا قلم فلولاه ما خلقتك ولاخلقت خلقي إلا لأجله فهوبشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشق القلم من حلاوة ذكر محمد ﷺ، ثم قال القلم: السلام عليك يا رسول الله فقال الله تعالى: وعليك السلام مني ورحمة الله وبركاته، فلأجل هذا صار السلام سنة والرد فريضة، ثم قال الله تعالى اكتب قضائي وقدري وما أنا خالقه إلى يوم القيامة، ثم خلق الله ملائكة يصلون على محمد وآل محمد ويستغفرون لأمته إلى يوم القيامة، ثم خلق الله تعالى من نور محمد ﷺ الجنة وزينها بأربعة أشياء التعظيم والجلالة والسخاء والأمانة وجعلها لأوليائه وأهل طاعته، ثم نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فذابت فخلق من دخانها السموات ومن زبدها الأرضين، فلما خلق الله تبارك وتعالى الأرض صارت تموج بأهلها كالسفينة، فخلق الله الجبال

فأرساها بها ثم خلق ملكا من أعظم ما يكون في القوة فدخل تحت الأرض ثم لم يكن لقدمي الملك قرار فخلق الله صخرة عظيمة وجعلها تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله له ثورا عظيما لم يقدر أحد ينظر إليه لعظم خلقته وبريق عيونه حتى لو وضعت البحار كلها في إحدى منخريه ما كانت إلا كخردلة ملقاة في أرض فلاة فدخل الثور تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه واسم ذلك الثور لهوتا ثم لم يكن لذلك الثور قرار فخلق الله له حوتا عظيما واسم ذلك الحوت بهموت فدخل الحوت تحت قدمي الثور فاستقر الثور على ظهر الحوت فالأرض كلها على كاهل الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق عن الذي تحت الظلمة ، ثم خلق الله تعالى العرش من ضياءين أحدهما العدل والثاني الفضل ، ثم أمر الله تعالى تلك الضياءين فانقسما قسمين فخلق منها أربعة أشياء العقل والعلم والحلم والسخاء ، ثم خلق الله تعالى من العقل الخوف ومن العلم الرضا ومن الحلم المودة ومن السخاء المحبة ، ثم عجنها كلها بطينة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام والمؤمنون ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة من نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلما تكاملت الانوار سكن نور محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحت العرش ثلاثة وسبعين ألف عالم ثم انتقل نوره إلى الجنة فبقي سبعين ألف عام ثم انتقل إلى سدرة المنتهى

فبقي سبعين ألف عام ثم انتقل نوره إلى السماء السابعة ثم إلى السماء السادسة ثم إلى السماء الخامسة ثم إلى السماء الرابعة ثم إلى السماء الثالثة ثم إلى السماء الثانية ثم إلى السماء الدنيا فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله تعالى أن يخلق آدم عليه السلام))[1] الحديث .

وما ذكره عليه السلام هو مجمل كيفية الابتعاث في المجمع (بعثه وابتعثه بمعنى أرسله)[2] وأشار الإمام عليه السلام بذكر الابتعاث بعد ذكر الإرسال لبيان المقام الثالث من مقامات الرسالة كما ذكرنا نقلا عن كلام الأستاذ أطال الله بقاءه ، وفي هذا الحديث المذكور قد شرح عليه السلام جميع مقامات ومراتب هذه الرسالة في التكوين فلما استنطقه فقال له أدبر فأدبر فابتعثه إلى الحقائق الكونية ليبلغهم عن الله سبحانه ألست بربكم ومحمد صلى الله عليه وآله نبيكم وعلي أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من ولده الأحد عشر الطيبون الطاهرون عليهم السلام أولياؤكم ، فأول ما نزل رسولا في التكوين وقف في الحجاب الأبيض الأعلى مقام القلم فبلغ إلى القلم من أسرار المعاني الكونية الحقيقية الجوهرية من مداد النون وعلمه القيام بأمر الله ونهيه والوقوف بين يديه سبحانه منتصبا قائما خاضعا خاشعا ذليلا وقرأ عليهم القرآن وعلمهم بواطن أسرار الملك الديان ودعاهم وهداهم إلى سبيل الله وهو ولاية علي

---

[1] الأنوار في مولد النبي ٥ – ١٠ ، البحار ١٥/ ٢٨ – ٣١

[2] مجمع البحرين ٢/ ٢٣٦

أمير المؤمنين عليه السلام كما قال مولانا الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1] قال عليه السلام ((سبيل الله هو علي عليه السلام والقتل في سبيل الله هو القتل في سبيل علي عليه السلام))[2] .

أقول والحشر إلى الله هو الحشر في زمرة علي عليه السلام لأنه وجه الله الذي يتقلب في الأرض والسماء ولا تعطيل له في كل مكان ، فمحمد صلى الله عليه وآله يدعو إلى سبيل علي عليه السلام وعلي عليه السلام يوصل إلى صراط محمد صلى الله عليه وآله قال تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[3] قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((أنا المنذر وعلي الهادي))[4] ورسول الله صلى الله عليه وآله سبحانه يهدي بعلي عليه السلام فهو عليه السلام هداية رسول الله صلى الله عليه وآله قال تعالى ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[5] فالله هو الهادي ومحمد

---

[1] آل عمران ١٥٧

[2] لم نقف على هذه الرواية بعينها ولكننا وجدنا ما يقرب منها في معاني الإخبار ص ١٦٧ في باب معنى سبيل الله عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن هذه الآية في قول الله عز وجل (ولئن قتلتم في سبيل الله أومتم) قال ، فقال : أتدري ما سبيل الله ، قال قلت : لا والله إلا أن أسمعه منك ، قال : سبيل الله هو علي عليه السلام وذريته ، وسبيل الله من قتل في ولايته قتل في سبيل الله ، ومن مات في ولايته ما في سبيل الله)) .

[3] الرعد ٧ [4] المناقب ٣ / ٨٤ [5] الشورى ٥٢

صلى الله عليه وآله هو الهادي وعلي عليه السلام هو الهادي والهداية واحدة، والله الهادي بمحمد صلى الله عليه وآله وهو صلى الله عليه وآله هاد بعلي عليه السلام فيرجع حقيقة الهداية إلى علي عليه السلام، والمثال التقريبي قولك أنا ضربت ضربا فأنا مثال هداية الله وضربت مثال هداية محمد صلى الله عليه وآله وضربا مثال هداية علي عليه السلام، فالهادي حقيقة أي ما يستند إليه الفعل أولا هو علي عليه السلام كما تقول إن الضارب هو عين الضرب وتسند إلى زيد الضاربية التي في الضرب فالضرب هو ضاربية زيد فافهم ضرب المثل ولذا قال عز وجل ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴾[1] على أحد المعاني.

والهداية هي إيصال السالكين والمسافرين إلى منزلهم الحقيقي ومسكنهم الواقعي الذي حبه من الإيمان وبغضه من الكفر وهو الإيصال إلى اللانهاية وقطع مسافة النهاية، أو الإيصال إلى المنازل المقدرة للمسافر حين يخرج من بيته بتيسير الأعمال والأقوال والاعتقادات الكونية والوجودية وإيصال مقتضى الأسباب أي المسببات بها وإيصال المعلولات إلى عللها والعلل إلى المعلولات والملزومات إلى اللوازم والشرائط إلى المشروطات وبالعكس، وسائر المشخصات والروابط والقرانات وهي إيصال الأعالي إلى الأسافل والأسافل إلى الأعالي في ملتقى البحرين ومجمع العالمين، وإيصال

---

[1] الرعد ٧

الكفار إلى الأليم المقيم والمؤمنين إلى النعيم المقيم وهكذا من أحكام المشيئة الحتمية .

أوالهداية هي إراءة الجمال الذي هوعين الجلال لأهل الكمال وإراءة نور الجمال لطالبي الكمال ، ففي الأول تجلى له بنفسه وفي الثاني تجلى له بنور نفسه وهويته التي هي عين اللاهوتية التي هي مرتبة اللاهوتية ، فيعبر عن الأول بالتوحيد الحقيقي والثاني بالشهودي ، أو إراءة الألواح الجزئية أوالكلية ، والثانية بالنسبة إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام في مقامي الثالث والرابع بمقاميهم الأول والثاني ، والأولى بالنسبة إلى ما عداهم إلا أنها تختلف بالإضافية وعلمها وتلك الألواح هي الطين بفتح الياء والكينونات بأشباحها أو بحقائقها منتقشة في الكتاب المبين الذي هو أم الكتاب في اللوحين المحفوظين أحدهما لوح العليين وهوكتاب الأبرار قال تعالى ﴿ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴾[1] ، وثانيهما لوح السجين وهوكتاب الفجار لفي سجين قال تعالى ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[2] وهومعنى قوله عز وجل ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[3] وهذه الإراءة والهداية عبارة عن التكليف وظهور نور التكليف ، وذلك النور هواللطيفة الإلهية السارية في كينونات الخلائق سريان الروح في الجسد حتى

---

[1] المطففين ١٨ — [2] البلد ١٠ — [3] الإنسان ٢ – ٣

ظهر ذلك النور بالنور اللفظي كقوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[1] وهذا النور سار في عمل المكلف من موافقته وقبوله تحدث الصورة الإنسانية وهي الإيصال إلى المطلوب وبإنكاره تحدث الصورة الشيطانية ، فذلك النور في الصورة الإنسانية يزيد بهاء وشرفا ونورانية وفي الصورة الشيطانية بعكس ذلك

كقطر الماء في الأصداف در وفي بطن الأفاعي صار سما

وذلك النور هو هداية محمد صلى الله عليه وآله وهوقول ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم والأئمة من ولده أولياؤكم يعني هذه عبارة ذلك وقوام الموجوادت كلها بذلك النور وهوأمر الله الذي قام به كل شيء قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾[2] قال مولانا الصادق عليه السلام ((كل شيء سواك قام بأمرك))[3] وذلك الأمر هوالتكليف والخطاب وهوالقدر الذي قال مولانا علي بن الحسين عليه السلام ((القدر في الأفعال كالروح في الجسد)) ، ولما كان المشبه والمشبه به في القرآن والأخبار هوعين الآخر أي أحدهما عين الآخر كان القدر هوالروح حقيقة والعمل جسده والروح يجري في الجسد على حسب الجسد لا على حسب الروح ولذا تختلف أحوال الإنسان بالصحة والمرض والانقباض والانبساط والفرح والحزن

---

[1] البقرة ٤٣ [2] الروم ٢٥ [3] البحار ٩٠/١٤٨ ح ١٠

بالأدوية والعقاقير وقد قال الله عز وجل ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي ﴾[1] وقد علمت أن بالأمر قد قامت السموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما وذلك هوالروح وذلك الروح هوالأمر والأمر هوالتكليف والتكليف هوألست بربكم ، والهداية ليست إلا البيان الذي هوعين التكليف أو الإيصال الذي هوعين وقوع المكلف به على المكلف بالتكليف ، وقد قلنا لك سابقا أن المصدر واسم الفاعل واسم المفعول أحدهما عين الآخر فيكون الإيصال هو عين البيان وقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا الروح من أمر ربي)) وقد قلنا أن ذلك الروح هوالأمر الذي هوالنور الذي هوالتكليف الذي هوالهداية فيكون علي عليه السلام هو هداية الله في مقامات أنفسهم بذاته وفي مقامات غيرهم بنوره ، فالسموات والأرض إنما قامتا بنور الأمر الأول ولما كان المصدر هواسم الفاعل كان هوالهادي لكل قوم وكل شيء فعلى هذا فافهم ما سبق منا إن الله هوالهادي ومحمد صلى الله عليه وآله هو الهادي وعلي عليه السلام هوالهادي فقوله عليه السلام ((ابتعثه هاديا)) كقولك أعطيته قائما يعني انبعث وأرسل محمدا صلى الله عليه وآله بعد انتهاء سيره إلى جلال العظمة وخلق مولانا علي عليه السلام وسيره وطوفه حول جلال القدرة وطوف نور محمد صلى الله عليه وآله حول جلال العظمة فالسائر الطائف حول جلال العظمة يكون هاديا بالطائف حول جلال القدرة فمادة

[1] الإسراء ٨٥

الهداية وأصلها ومنشؤها من محمد عليه السلام وظهورها وصورتها وبروزها مشروحة مفصلة من علي عليه السلام فبهما معا تحققت الهداية ، ولما كانت الأسماء تدور مدار الصور وعلي عليه السلام مبدأ العلة الصورية كانت الهداية منتسبة إليه ومتحققة ، فالهادي هوالرحمن وعلي عليه السلام حامل هذا الاسم والخالق هوالله ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم مظهر هذا الاسم وحامل له ، فأرسله الله سبحانه في التكوين هاديا إلى سبيله فهدى العقل الأول إلى الله سبحانه بواسطة اسم الله البديع والنفس إليه سبحانه بواسطة اسمه الباعث والطبيعة الكلية إليه سبحانه باسمه تعالى الباطن وهدى المادة إليه سبحانه بواسطة اسمه الآخر وهدى الصورة إليه سبحانه باسمه الظاهر وهدى الجسم الكل إليه سبحانه باسمه الحكيم وهدى العرش محدد الجهات إليه سبحانه باسمه المحيط وهدى الكرسي إليه سبحانه باسمه الشكور وهدى فلك البروج إليه سبحانه باسمه الغني وغني الدهر وهدى فلك المنازل إليه سبحانه باسمه المقدر وهدى فلك زحل إليه سبحانه باسمه الرب وهدى فلك المشتري إلى سبيله سبحانه إليه باسمه العليم وهدى فلك المريخ إلى سبيله باسمه القاهر وهدى فلك الشمس إلى سبيله باسمه النور وهدى فلك الزهرة إلى سبيله باسمه المصور وهدى فلك عطارد إلى سبيله باسمه المحصي وهدى فلك القمر إلى سبيله باسمه المبين وهدى كرة النار إلى سبيله باسمه القابض وهدى كرة الهواء إلى سبيله باسمه المحيي وهدى كرة التراب إلى سبيله باسمه المميت وهدى الجماد أول المركب من العناصر الأربعة

إلى سبيل ربه باسمه العزيز وهدى النبات إلى سبيل ربه باسمه الرزاق وهدى الحيوان إلى سبيل ربه باسمه المذل وهدى الجن إلى سبيل ربه باسمه اللطيف وهدى الملك إلى سبيل ربه باسمه القوي وهدى الإنسان إلى سبيل ربه باسمه الجامع وهدى الجامع إلى سبيله باسمه رفيع الدرجات وهوقوله تعالى ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾[1] وهذه الأسماء كلها جهات اسم الرحمن إذ الكثرة الاسمية التعلقية ليست في اسم الله وإنما هي في الرحمن وهذه الأسماء كلها أسماء للرحمن وصفات له والرحمن اسم وصفة لله ، وقولي هدى العقل باسمه البديع وهكذا إلى آخر الأسماء أريد به أن ذلك الاسم هو ترجمان الهداية وهو هداية الله سبحانه له بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم به ، وإذا كان هوالهداية الإلهية فالله سبحانه ورسوله إنما يهديه بذلك الاسم فذلك الاسم هوظهور الله وظهور رسوله وظهور مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وظهور نفس ذلك الاسم في مقام الأنبياء وذلك الظهور هو الكروبيون الذين هم أرباب الأنبياء بالله سبحانه كما قال تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ ﴾[2] ، وهو رجل من أولئك على ما روي عن مولانا الصادق عليه السلام في بصائر الدرجات ، وتحت مقام الأنبياء يتربع الظهور والرابع هوظهور الكروبيين وهذا معنى قول مولانا الكاظم عليه السلام لمن يعقل ويفهم لذلك الراهب ((إن الاسم الأعظم هو أربعة أحرف الأول لا إله إلا الله والثاني

---

[1] غافر ١٥ [2] الأعراف ٤٣

محمد رسول الله ﷺ والثالث نحن والرابع شيعتنا)) ولما كان السؤال إنما وقع من الاسم الأعظم الظاهر في تلك الطبقة أجابه كما سمعت ، ويريد بالشيعة شيعتهم من الخلق الأول الذين جعلهم الله سبحانه خلف العرش بحيث لوقسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ولما سأل موسى ربه ما سأل أمر رجل منهم فتجلى له بقدر سم الإبرة فدك الجبل وخر موسى صعقا فافهم .

فالهداية هي أول مذكورية الشيء عند ربه في مقام الخلق وليس ثمة اختلاف قال تعالى ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1] وتلك معرفة النقطة التي كثرها الجاهلون ، ولما كانت معرفة النقطة إنما هي بها لا غيرها فإن الشيء لا يعرف إلا بما هوعليه لا بغيره هوعليه ليتحد العلم والمعلوم والإراءة ، والإيصال لا يكون إلا بذلك الشيء فإن الشمس لا توصل الأشعة إلى غاياتها ونهاياتها إلا بنفسها لا بذاتها كانت تلك النقطة هي عين الهداية وتلك الهداية كما ذكرنا هي قول ألست بربكم وهي أول ما ذكر الشيء ولذا ترى في أم الكتاب التي هي فاتحة الكتاب جعل الله سبحانه أول مقام الخلق وأول ذكرهم الهداية فإنه ذكر سبحانه أولا مقام الربوبية إذ مربوب بقوله الحق ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾

[1] البقرة ٢١٣

﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ثم ذكر مقام البرزخية الكبرى ورتبة الشـجرة الزيتونـة التي ليست بشرقية ولا غربية بقولـه الحـق ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ثم ابتدأ بذكر الخلق فجعل أول ذلك دعاءهم وطلبـهم الهدايـة بقولـه الحـق ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[1] ولما كانت الهداية هي جهة الله سبحانه والدعاء والسؤال جهة الخلق كانت الهداية مقدمة على كل ذكر الخلق لأنّ مـا مـن الله متقدم على ما من الخلق ، ولما كان ما من الله ليس فيه كثرة واختـلاف وتعـدد ونقص وشوب باطل كانت الهداية على جهة الوحدة والبسـاطة وهـي تلـك النقطة فهي مادة كل الخلق ، فرسول الله صلى الله عليه وآله على هذا المعنى هـاد بالأصالـة والذات لأن مواد الموجودات كلـها كائنـة مـا كـانت وبالغـة مـا بلغـت منـه صلى الله عليه وآله لأنه حامل لواء الألوهية ولذا قـال صلى الله عليه وآله ((مـا اختلـف في الله ولا فيّ وإنما الاختلاف فيك يا علي)) ، ولـما ظـهرت الموجـودات مـن بـاء بسـم الله الرحمن الرحيم بعدما كانت مطوية مذكورة في الألـف القـائم كـانت أنـواع الهدايـات ومراتبـها ومقاماتـها إنمـا ظـهرت مختلفـة الآثـار والأحكـام بعلـي عليه السلام لأن صور موجودات كما مرّ كائنة ما كانت منه عليه الصـلاة والسـلام لأنه حامل لواء الرحمانية قال تعالى ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾[2] قال عليه السلام ((ما لله آية هي أكبر مني وما لله نبأ هوأعظم

---

[1] الفاتحة ١ – ٦ [2] النبأ ١ – ٣

مني))[1] وإذا أتقنت النظر ودققت البصر علمت أن جميع مراتب الموجودات ما اختلفت في الذوات والصفات والاقتضاءات إلا بهداية رسول الله صلى الله عليه وآله بمعنى الإراءة في الخلق الأول المعبر عنه بالحل الأول وهداية علي عليه السلام بمعنى الإيصال في الخلق الثاني المعبر عنه بالحل الثاني والعقد الثاني والمجموع نقطة واحدة ترجع تلك الشئون إليها لأن عليا عليه السلام هو الرجل الذي سلم لرجل فليس فيه اختلاف وإنما هو على الصراط المستقيم على ما قال عز وجل ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ﴾[2] وهذا الصراط إنما ظهر في علي عليه السلام بل هو نفسه عليه السلام كما قال تعالى ﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[4] وهذا الصراط وإن تكثرت شئونه وظهوره إلا أنها كلها ترجع إلى أمر واحد كما قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا

---

[1] تأويل الآيات ٧٣٣ [2] الأنعام ١٢٥- ١٢٦ [3] الحجر ٤١ [4] الأنعام ١٥٣

لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[1] وهذا الجمع هوتفاصيل ذلك المفرد فلا فرق بينهما إلا بالإجمال والتفصيل ألا إلى الله تصير الأمور .

وأما بيان سر سريان هذه النقطة باقتضاء هيكل التوحيد إلى المراتب العالية والنازلة والنورانية والظلمانية والفلكية والعنصرية في التكوينية والتشريعية فمما يطول به الكلام مع ما في بيانه من فصيح الحكمة وريبة الجهال واستنطاق سرائر أهل العناد وقالوا عليهم السلام ((لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، وليس كل ما تسمعه نكرا أوسعته عذرا))[2] .

وقد أشار عليه السلام بقوله عليه السلام ((هاديا)) إلى تمام رتبة النزول على ما فصل في الحديث المتقدم وهوقوس أدبر فأدبر وإن كان في الصعود التكويني فإنه صلى الله عليه وآله وسلم هاد في الصعودي والنزولي ولما كانت الهداية المتعلقة بالغير مستلزمة للارتباط فهي نزول للهادي ، وإن كانت صعودا للمهدي لحكم الارتباط والنسبة المستلزمة للأغيار المستلزم للأكدار ، وأما سلب هذه النسب والشئونات فهو مقام الصعود ولا يكون ذلك إلا بمراقبة النظر ومداومته في

---

[1] العنكبوت ٦٩

[2] لم نجد الرواية كما هي في هذا الشرح المبارك ، ووجدنا هذه الرواية ((إياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك لأن توسعه عذرا)) البحار ٧١ / ٢٢٩ ح ٦ .

عالم الربوبية وهومقام كونه مهديا فأول هذا النظر في عالم الأسماء والصفات وأول النظر فيها إلى اسم رفيع الدرجات ذوالعرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده ، ثم إلى الجامع ثم إلى اللطيف ثم إلى القوي ثم إلى المذل ثم إلى الرزاق ثم إلى العزيز ثم إلى المميت ثم إلى المحيي ثم إلى الحي ثم إلى القابض ثم إلى المبين ثم إلى المحصي ثم إلى المصور ثم إلى النور ثم إلى القاهر ثم إلى العليم ثم إلى الرب ثم إلى المقدر ثم إلى الغني ثم إلى الشكور ثم إلى المحيط ثم إلى الحكيم ثم إلى الظاهر ثم إلى الآخر ثم إلى الباطن ثم إلى الباعث ثم إلى البديع ثم إلى الرحمن ثم إلى القيوم ثم إلى الواحد ثم إلى الله ثم إلى الاسم الله ثم إلى الاسم هو ثم إلى الهاء منتزعة عن الواو ثم إلى آخر مقامات الهاء وهي الظهور أي الدلالة ، ثم إلى الظاهر من حيث هوظاهر ، ثم إلى الباطن من حيث هو باطن ، ثم إلى الباطن ، ثم إلى نقطة ظهور الكينونة ، ثم إلى غيب الهوية ، ثم إلى ظهور اللاهوية فانقطع الكلام وانعدم المقام فلا حس ولا محسوس رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى نفسه وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، فطابق وجوده صلى الله عليه وآله وسلم وجدانه فهومهدي في الوجدان والوجود دون سائر الخلق من الأولين والآخرين من الماضين والغابرين فإن وجدانهم يخالف وجودهم وروابط إنياتهم ، فهم يسلبون الإنية وجدانا لا وجودا وأما هو صلى الله عليه وآله وسلم فمن الوجود المطلق الذي قال

الله عز وجل في حقه ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[1] فلا يفتقر إلا إلى موجده ومصدره خاصة من دون ارتباط واشتراط آخر غير حقيقة ذاته وبهذا الفقر يفتخر صلى الله عليه وآله، ولذا تمحض في الوجهية وحيا بحياة الله وبقى ببقائه﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[2] وقد قال مولانا علي بن الحسين عليه السلام في دعاء الحريق ((وأن كل معبود مما دون عرشك إلى قرار أرضك السابعة السفلى باطل مضمحل ما خلا وجهك الكريم فإنه أعز وأكرم وأجل وأعظم من أن يصف الواصفون كنه جلاله أوتهتدي القلوب إلى كنه عظمته))[3] وهو صلى الله عليه وآله الوجه وهوالجلال وهوالعظمة وهوالمطيع لله الذي قام مقامه وحكى مثاله قال تعالى (أطعني أجعلك مثلي) فهومهدي تكوينا وتشريعا ذاتا وصفة هداه الله سبحانه إلى توحيده ومعرفة أسمائه وصفاته وتجليات ظهوراته فأثبت الإمام عليه السلام بقوله((ابتعثه هاديا)) مقام النزول وقوس أدبر فأدبر وبقوله عليه السلام ((مهديّا)) قوس الصعود ومقام أقبل فأقبل ، فإن وقفت على سر باطن الباطن وتأمّلت بصافي النظر علمت أن هذا إشارة إلى مقام واحد فالهادي هوالمهدي وقد علمت أن الهادي هوعلي عليه السلام في قوله عز وجل ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[4] فهوالهادي على الإطلاق ولذا أنزل الله عز وجل يوم إظهار وجوب إطاعته وولايته يوم الغدير في عالم الأجساد

---

[1] النور ٣٥ ٢ القصص ٨٨ ٣ مصباح المتهجد ٢٢٠ ٤ الرعد ٧

وهواليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام وعالم الأشباح وهوذلك اليوم فيه وعالم الأظلة وعالم الرقائق وعالم العقول وعالم أرض القابليات وما بينهما من المراتب والعوالم أنزل الله في كل عالم على طوره ﴿ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1] وهذا الإكمال لمن رضي به إماما وسيدا وسندا وكهفا وذخرا فهوالهادي عليه السلام وتلك الهداية ظهرت في المهدي عليه السلام لأنه عليه السلام صاحب الفتح وناشر راية الهدى وإليه يشير قوله تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾[2] فجمع عليه السلام جميع أوصياء محمد صلى الله عليه وآله بهاتين الكلمتين بذكر مبدئهما ومنتهاهما فهوالهادي بعلي أمير المؤمنين عليه السلام وروحي له الفداء ومهدي بمولانا القائم الحجة بن الحسن عليه السلام وهوقوله عليه السلام ((ابتعثه هاديا مهديا)) بأوصيائه وخلفائه فلولا ذلك لبطلت النبوة وفي ذلك بطلان النظام وفناء الأحكام ولذا قال الله تعالى مخاطبا له صلى الله عليه وآله ((لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا علي لما خلقتك)) فلما أشار إلى الأول والآخر تثبت الباقي إذ لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .

---

[1] المائدة ٣ — [2] النصر ١ – ٢

وأما سر باطن الباطن فبأن تقول إن الهادي هو عين المهدي والصفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حيث نفسه لا بالإضافة إلى أوليائه وخلفائه الراشدين عليهم السلام وحينئذ يكون الهادي هو عين المهدي فإن الله سبحانه وتعالى هداه به كما قال عليه السلام ((بل تجلى لها بها))[1] ، فكون الله سبحانه هاديا إنما ظهر بالمهدي ولولاه لم يظهر ، ولما كان الهادي ظهور الحق سبحانه بالهداية وهذا الظهور إنما ظهر وقام بالمظهر والمظهر لوكان له جهة غير جهة الظاهر لكان بتلك الجهة حاجبا لا مظهرا ، فتحقق أن الظاهر هو عين الظهور الذي هو عين المظهر ، وأما الذات البحت فمنزّهة عن كل ذلك سبحان ربك ربّ العزة عما يصفون .

فعلى هذا فالهادي هو النار والمهدي هو الشجرة أي زيتها ، وأنت قد علمت أن النار أيضا إنما ظهرت من الشجرة كالزيت في النار كمثل قولك حين تقرأ القرآن ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴾[2] وكقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ ﴾[3] ، والزيت كقولك لبيك وسعديك يا رب في الآية الثانية وبلى يا رب أنت الله لا إله إلا أنت في الآية الأولى فافهم المثال واعتبر بالمثال ودع عنك القيل والقال فإن العلم نقطة كثرها الجاهلون وهو قول علي المفضال عليه سلام الله الملك المتعال

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٤٤

[2] طه ١٤

[3] النساء ١

((انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته)) هذا على القول بأن المهدي اسم المفعول كما هومقتضى صيغته ، وأما إذا اعتبرناه بمعنى اسم الفاعل فالمعنى كما ذكرنا ، واعتبار اسم الفاعل لكثرة المباني الدالة على كثرة المعاني والمبالغة فيه إلا أنك لاحظ ما ذكرنا ينكشف لك الحال .

قوله عليه السلام حلاحلا طلسميا

والحلاحل بالضّم هوالرئيس والكبير في القوم كما في منتخب اللغة وقد أشار الحق سبحانه إلى ذلك بقوله الحق ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] وقال أيضا سبحانه وتعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[3] وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الرئاسة المطلقة بقوله عليه السلام في خطبته

---

[1] النور ٦٢ – ٦٣ [2] الحجرات ١ [3] الحجرات ٢

يوم الغدير ويوم الجمعة ((وأشهد أن محمدا عبده ورسوله انتجبه آمرا وناهيا عنه أقامه في سائر عالمه في الاداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار))[1] والأصل في ذلك أنه المعني في قوله عز وجل ﴿مَا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2] فإذا كان هو محمد ﷺ في مقام الاسم الأعلى المذكور في السجود آخذا بناصية كل دابة مما يدب في الأرض أرض القابليات والاستعداد فيكون هو الرئيس الحاكم على الكل وهو وجه الله الذي لا تعطيل له في كل مكان والخلق بأسره إما شئون ذاته أوآثاره وأفعاله وأثار آثاره وشئون شئوناته ﷺ وهكذا ، وإليه أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله ((أنا الذات وأنا ذات الذوات أنا الذات في الذوات للذات)) وهذا إنشاء الله ظاهر مما قدمنا ونذكر إنشاء الله .

وأما الطلسم فالمشهور في معناه على ما نقل أقوال ثلاثة .

الأول : الظل بمعنى الأثر فالمعنى أثر اسم .

الثاني : لفظ يوناني ومعناه عقد لا ينحل .

الثالث : أنه كناية عن مقلوبه يعني مسلط .

وهذه المعاني الثلاثة كلها في المقام صحيحة بل مرادة سواء قلنا إن في أحدها حقيقة والباقي مجاز أو حقيقة في المجموع فإن استعمال المشترك في أكثر

---

[1] الإقبل ٤٦١

[2] هود ٥١

من معنى واحد يجوز ، وكذا استعمال اللفظ في المعنى الحقيقي والمجازي بإرادتين فيهما لا إرادة واحدة والمسألة مذكورة في علم الأصول .

أما المعنى الأول فلأنه صلى الله عليه وآله أثر الاسم المكنون المخزون الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره ، وذلك هو الاسم الأعظم الذي تفرد به الله جل شأنه دون خلقه من الأسماء العظمى الثلاثة والسبعين ، وذلك الاسم هوالبحر المواج المظلم كالليل الدامس كثير الحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطّلع عليها إلا الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في ملكه ونازعه في سلطانه وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ، فهو صلى الله عليه وآله مستمد من هذا الاسم الأكبر ومتوجه إلى الله عز وجل به ، وإنما قال أنه أثر لأنه صلى الله عليه وآله بقي على ظهور ذلك الاسم وحكى مثاله وظهر بظهوره فيما لا نهاية له وهو في كل مقام من مقامات عالم الكثرة ما ألهته التجارة والبيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فلم يغير خلقة الله وبقي صلى الله عليه وآله على الكينونة العليا من اليوم الذي خلقه الله على ما خلقه الله ، ولذا كان على خلق عظيم وكان لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علّمه شديد القوى ذو مرة ، هذا على تقدير الإضافة اللاّمية في أثر الاسم ، وأما إذا جعلناها بيانية فيكون هوالاسم المكنون المخزون الطهر الطاهر المطهر وهواسم الله الأكبر ونور الله الأزهر يضيء بنوره السموات العلا والأرضون السابعة السفلى وهوالاسم الذي قام به كل شيء وخضع له

كل شيء وذل له كل شيء ، قال عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة ((يسبح الله بأسمائه جميع خلقه)) قال الصادق عليه السلام ((نحن والله الأسماء الحسنى الذين لا يقبل من أحد إلا بمعرفتنا قال : فادعوه بها))[1] وهو صلى الله عليه وآله الأكبر الأجل الأعظم على ما ذكرنا فراجع وما نذكره إنشاء الله فترقب .

وأما المعنى الثاني فلأنه صلى الله عليه وآله عقد لا ينحل لا تهتدي العقول إلى كنه عظمته ويعجز الواصفون عن بيان صفات ظهوراته وآثاره وشئوناته وهوالسر وسر السر وسر المستتر بالسر والسر المقنع بالسر وقد قال صلى الله عليه وآله ((ولا عرفني إلا الله وأنتِ))[2] وذلك لأنه عليه السلام نفسه وهما من حقيقة واحدة وطينة واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض ، ومع ذلك كله فلا يصل عليه السلام إلى الحرف الواحدِ الذي كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله من سر التقديم وظهور الواحد في النقطة الحقيقية الغير المفصلة ، ونسبة الحسن والحسين عليهما السلام إلى أبيهما عليه السلام كنسبته عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله لأن أباهما خير منهما ونسبة القائم عجل الله فرجه إليهما عليهما السلام كنسبتهما إلى أبيهما عليهم السلام ونسبة سائر الأئمة الثمانية عليهم السلام إليه كنسبته إليهما وإليهم ونسبة فاطمة عليها السلام إليهم كنسبتهم عليهم السلام إلى القائم عجل الله فرجه وكل واحد منهم عليهم السلام يفضل على الآخر بحرف واحد فكلهم لا يحيطون برسول الله

---

[1] تفسير العياشي ٢ / ٤٢

[2] تأويل الآيات ١٤٥

ﷺ علما ولا ينالون كنه إنيته ومائيته لأنه ﷺ في مقام النقطة وهم في مقام الألف والحروف وإن كان الجميع في صقع واحد وحقيقة واحدة وطبيعة واحدة ، فإذا كان علي عليه السلام الذي هو نفس رسول الله ﷺ لا يحيط به علما وكذلك الطيبون من أولاده وأحفاده فما ظنك بسائر الخلق الذين هم أشعة من عكوسات أنوارهم وظهور من بروق لمعات إشراقات أسرارهم وقد قال الله تعالى فيهم ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾[1] ، قال الكاظم عليه السلام ((نحن الكلمات التي لاتدرك فضائلها ولاتستقصى))[2] ، والأشجار هي الزروع والثمرات والنباتات الحاصلة من وقع الورق على الأرض الجرز قال الله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾[4] وكان أول من ذاق تلك الثمار روح القدس وهو العقل الكلي ، فأول الأشجار هو العقل الكلي وآخرها آخر الوجوات المقيدة إلى ما لا نهاية له وكلها ناطقة بالثناء على محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ومظهرة لفضلهم ومعلنة لمجدهم وعلو مقدارهم ولم تبلغ من ذلك

---

[1] لقمان ٢٧   ٢ المناقب ٤ / ٤٠٤   ٣ السجدة ٢٧   ٤ الأعراف ٥٧

جزء من مائة ألف جزء من رأس الشعير مما هم عليه من الفضيلة والمنزلة الجليلة والوسيلة وقد قال عز وجل ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] والإمام عليه السلام هو نعمة الله تعالى قال تعالى ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] أي من العلم بمحمد وآله عليهم السلام وقال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[3] والعلم هو آل محمد عليهم السلام لقول الباقر عليه السلام ((وأما المعاني فنحن معانيه ونحن علمه ونحن حقه)) على ما تقدم ، وما شاء الله من ذلك العلم هو لطيفة وجودات كل ذي علم إلى ما لا نهاية له كما قال عز وجل ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[4] قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾[5] أي بمحمد صلى الله عليه وآله لأن حامل ظهور اسم الله الحي هو محمد صلى الله عليه وآله كما أن حامل ظهور اسم الله القيوم علي عليه السلام، وقولي حامل مجاراة ومداراة بل اسم الله الحي هو محمد صلى الله عليه وآله والاسم القيوم هو علي عليه السلام ولذا دلت الأخبار الكثيرة على أن الاسم الأعظم هو الحي القيوم ، والاسم لا تذوت له إلا بالمسمى والاسم غير المسمى (فمن عبد

---

[1] إبرهيم ٣٤ [2] الإسراء ٨٥ [3] البقرة ٢٥٥ [4] يوسف ٧٦ [5] طه ١١٠ – ١١١

الاسم دون المسمى فقد كفر ولم يعبد شيئا ومن عبد الاسم والمسمى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه فذاك التوحيد)[1] .

وبالجملة فهم عليهم السلام عقد لا ينحل وإليه الإشارةبقول الحجة عجل الله فرجه في دعاء شهر رجب ((والبهم الصافين)) إذ ليس لأحد طريق ولا لقاصد سبيل إلى حقيقتهم كما هم عليه وإنما عرفوا من رشحات أنوارهم ما ظهرت في حقائقهم أي الخلق من المثال ومثال المثال وحكاية الحال في المبدأ والمآل ، فرسول الله صلى الله عليه وآله هوالطلسم الأعظم وعقد لا ينحل ولا يحتال فيه بوجه من الوجوه صلى الله عليه وآله.

وأما المعنى الثالث فلأنه صلى الله عليه وآله له هيمنة وتسلط على كل من اكتسى حلة الوجود وذاق ثمرة الشهود وتوجه إلى المعبود بالركوع والسجود لأنه الاسم الأعلى في السجود أما سمعت ما قال صلى الله عليه وآله ((لا ينبغي أن أصغر ما عظمه الله من قدري ولقد أوحى الله إلي أن فضلك على الأنبياء كفضلي وأنا

---

[1] ٦ اقتبس المصنف أعلى الله مقامه هذا المعنى من قول مولانا الصادق عليه السلام على ما في التوحيد ٢٢٠ والبحار ٤ / ١٦٥ ح ٧ أنه قال عليه السلام ((من عبد الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائر أمره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقا)) .

رب العزة على كل الخلق))[1] لأنه الاسم الذي خضع له كل شيء وذل له كل شيء ، وفي الزيارة ((طأطأ كل شريف لشرفكم وبخع كل متكبر لطاعتكم وخضع كل جبار لفضلكم وذل كل شيء لكم وأشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم)) و ((بكم فتح الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبكم ينفس الهم وبكم يكشف الضر))[2] الزيارة .

وذلك لأنهم أبواب رحمته ومفاتيح خزائنه ومقاليد رضوانه ، فالواقف على الباب مادته نور الباب وإلا لم يكن بابا بل كان أصلا وذلك النور هوألست بربكم على ما مرت الإشارةإليه ، فالباب هوالمنير ونوره عضد للواقفين اللائذين به أي مادة لهم ، والمادة لها هيمنة وتسلط على الشيء بحيث لا يقوم الشيء بحال من الأحوال إلا بها ، وهم عليهم السلام العلل المادية للأشياء كلها بأشعة أنوارهم لا بحقائقهم وذواتهم والشعاع لا شيء عند المنير والمنير مسلط عليه ومهيمن عليه ، أو لأنهم عليهم السلام مقامات الله وعلاماته لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه لا فرق بينه وبينها إلا أنهم عباده وخلقه فتقها ورتقها بيده بدؤها منه وعودها إليه أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وبهم

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها وإنما وقفنا على ما يقرب منها وهذه هي : قال صلى الله عليه وآله ((قال ربي يا محمد إن فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق أجمعين)) البحار ٩/٣٠٩ ح ١٠

[2] الزيارة الجامعة الكبيرة

يملأ الله سماواته وأرضه حتى ظهر أن لا إلـه إلا الله هو وهومعنى قولـه تعـالى خطابا لهﷺ ((فضلك على الأنبياء كفضلـي وأنـا رب العـزّة علـى جميـع الخلق)) لأنهم عليهم السلام ولاية الله وهم سلطان الله وهم ملك الله وهـم عظمـة الله وهم جلال الله وهم قدرة الله وهم سطوة الله ومظهر قهاريتـه ورسـول الله ﷺ فخرهم وسيدهم ورئيسهم والواسطة بينهم وبين ربهم فيكـون محمـد ﷺ هوالسلطان المسلط المهيمن على كل من ذرأه الله وبرأه وأوجده وأحدثه نواصي الكل بيله وهوالمعـني بقولـه عـز وجـل ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[1] وهوﷺ حامل ظهورات الإلهية علـى مـا قال عز وجل ((لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبـدي المؤمـن))[2] وهو ﷺ ذكر الله واسم المهيمن المسلط على كل شيء قال تعـالى ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4] ألم تر كيف افتتح الله سـبحانه كتابـه الكريم بالآسم الأعظم بسم الله الرحمن الرحيم وقدم الآسم الله على الرحمن والرحيـم فافـهم و ثبّـت فـهوﷺ المـهيمن المسـلط والسـلطان المتفـرد في المقامات كلها أي البيان والمعاني والأبواب ومقام ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ

---

[1] المؤمنون ٨٨ [2] البحار ٥٨/٣٩ ح ٦١ [3] الإسراء ١١٠ [4] الزمر ٦٧

أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾[1] وإليه يشير قول مولانا سيد الساجدين زين العابدين عليه السلام في الصحيفة ((عز سلطانك عزا لاحد له بأولية ولا منتهى له بآخرية واستعلى ملكك علوا سقطت الأشياء دون بلوغ أمده ولا يبلغ أدنى ما استأثرت به من ذلك أقصى نعت الناعتين))[2] .

فظهر أنه صلى الله عليه وآله الطلسم الأعظم على المعاني كلها ، فأثبت بالمعنى الأول عصمته وطهارته وأنه نبي الله ودليله وآيته لأنه أثر الاسم والأثر بما هو كذلك لم يزل يدل على المؤثر ، وبالمعنى الثاني أنه الاسم المكنون والمخزون في خزائن الغيوب لم يطلع عليه أحد إلا الله وإثبات أنه العلة الأولى لإيجاد الأرض والسماء على المعاني كلها ، وبالمعنى الثالث أثبت ولايته وظهور قيومية الحق فيه وكونه صاحب اللواء ومكلم موسى في الشجرة عن الله إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني قال تعالى ﴿ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[3] قال مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام ((شاطئ الواد الأيمن الذي ذكره الله تعالى جل جلاله في كتابه هوالفرات والبقعة المباركة هي كربلاء والشجرة هي محمد صلى الله عليه وآله))[4] وورد في قوله تعالى ﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي

---

[1] الكهف ١١٠ [2] الصحيفة السجادية في دعائه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل

[3] القصص ٣٠ [4] المزار ١٥

ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[1] (أن من في النار هوعلي عليه السلام ومن حولها موسى) فافـهم الإشارةبلطيف العبارة .

[1] النمل ٨

قوله عليه السلام فأقام الدلائل

إنما جمعها عليه السلام لأن الدليل ثلاثة كما قال الله عز وجل مخاطبا لنبيه وحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1] أما دليل الحكمة فهوالمشاهدة والمعاينة والمعرفة الذوقية الوجدانية ، وملاحظة الأمور عن مبادئها العالية الكلية والجزئية ، ومعاينة ظهور النقطة الأحدية في كل المراتب الكونية ، والوقوف على ما حده الله سبحانه له في الألواح والكتب المحفوظة في العوالم العلوية والسفلية من الآفاقية والأنفسية والظاهرية والباطنية ووجدان مآخذ الأسرار الباطنية والتأويلية في مراتبها السبعة أو السبعين والاستدلال بالدليل اللمي في المطالب كلها والدليل الإني على ما قال مولانا الصادق عليه السلام ((العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية قال الله تعالى ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ

---

[1] النحل ١٢٥

﴿ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1]))[2] وهذا وإن كان إنيّا إلا أنه بوجه آخر لمي وهذا الدليل معرفة أسباب الشيء وعلله ومعداته وشرائطه ومقومات وجوده ومكملات ظهوره ومتممات قابليته على اقتضاء كينونته وطلب ماهيته على نهج متسق ونظام مضبوط لم يجد فيه اختلافا ولا انتقاضا بل يرى الأشياء بعضها يشرح الآخر ويبينه ويفصله ليظهر للمستدل قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾[3] ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[4] ويكون نظره إلى قوله تعالى ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[5] ويرجع كل انقلابات العالم واضطراباته وتغيراته كلها عنده إلى شيء واحد فيعرف مأخذها وعلتها ووجهها وعللها وسبب رفعها ورجوع الأمر إلى الوحدة ويظهر هناك معنى قول الصادق عليه السلام في الاستدلال على وحدة الصانع ((اتصال التدبير وتمام الصنع)) ، وبالجمله هذا الدليل للخصيصين وأصحاب باطن الباطن وأهل المشاهدة والمعاينة وليس هنا جهل وشك وارتياب ووسوسة وحديث النفس والاحتمالات الباطلة أو المرجوحة بل كلها معرفة وإنكار قال تعالى ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا

---

[1] فصلت ٥٣ ‏ ‏ [2] مصباح الشريعة ٧ ‏ ‏ [3] القمر ٥٠ ‏ ‏ [4] النساء ٨٢ ‏ ‏ [5] الملك ٣

﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] وهذا الدليل يبطل عنده القياسات الاقترانية والاستثنائية والنقيض وعكسه والمستوي ودليل الخلف ودليل الافتراض وأمثال ذلك من الأمور والأوضاع ، إذ ليس هنا إلا معاينة الواقع فما من فرض ولا خلف ولهذا الدليل شرط ومستند ، والشرط على قسمين ، قسم لتحقق هذا الدليل والقسم الآخر لميزان حقيته وبطلانه فإن المنكرين المعاندين الذين يلبسون الحق بالباطل كثيرون كالصوفية وأتباعهم من سائر الملاحدة فلا بد من ميزان حق يعرف المحق من المبطل ويتميز بين الصادق والكاذب وهذا أحد قسمي المستند ، والقسم الآخر منه الآلة والقوة التي بها يدرك الإنسان ذلك الدليل ويستدل على المطلوب وهي الفؤاد وهو حقيقة الإنسان وذاته من غير نظر إلى شيء من الأشياء وهو وجهه من ربه وهو مقام بساطته وهو عين تدرك الواحد والأحد والعلل والوسائط والشرائط من غير كيف ولا إضافة ولا وضع بل ينقطع دونها الكيف والكم والزمان والمكان والجهة والرتبة والشخص حينئذ يسير في العوالم السرمدية سيرا حثيثا ولا غاية لذلك ، وهناك يستخرج اللآلئ والكنوز والدفائن في صدور المؤمنين الممتحنين ، وهناك محل معرفة الأمر بين الأمرين ومعرفة البداء والنسخ وكيفية إيجاد العالم وأمثال ذلك من الأمور المشكلة والأخبار المعضلة وهذا

---

[1] النحل ٨٣

المستدل من المرحومين بقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾[1] وهو وأمثاله المرحومون بفضل الله سبحانه وهوالمراد من قوله عز وجل ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] وإلى هذا الدليل أشار الحق سبحانه بقوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾[3] والكتاب المنير هو هذا الدليل ، وهو الكتاب الذي كتبه الله بيده والهيكل الذي بناه بحكمته ومجمع صور العالمين والمختصر من اللوح المحفوظ والصراط المستقيم والصراط الممدود بين الجنة والنار والشاهد على كل غائب والحجة على كل جاحد ، وذلك الكتاب هوملكوت السموات والأرض التي أمر الله سبحانه بالنظر إليها والتأمل فيها كما قال ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾[4] وهي التي أراها الله سبحانه خليله إبراهيم ليكون من الموقنين كما قال ﴿ وَكَذَٰلِكَ

---

[1] الدخان ٤٢ [2] البقرة ٢١٣ [3] الحج ٨ [4] الأعراف ١٨٥

نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾[1] ، ولهـذا الدليل مقاماتٍ وللمستدلين به في كل مقام مواقف قد شرحنا قليلا من كثيرها في شرح بعض كلمات الأستاذ أمد الله ظلاله على رؤوس العباد في أول رسالته الفوائد ولا نطول الكلام هنا بذكرها .

وأما دليل الموعضة الحسنة فهوالوقوف على حد اليقين والاحتراز من الشبهات والاحتمالات والشكوك والأوهام قال مولانا الكاظم عليه السلام ((فما ثبت لك برهانه أثبته وما خفي لك بيانه نفيته))[2] وهو أخذ طريق السلامة وطريق النجاة الذي ليس معه هلاك كما استدل مولانا وإمامنا الصادق عليه السلام لعبد الكريم بن أبي العوجاء ((إن كان الحق كما يقولون وهو كما يقولون فقد نجوا وهلكتم وإن كان الأمر كما تقولون وليس كما تقولون فأنتم وهم سواء فأنتم إن اتبعتم المسلمون ناجون على القطع واليقين سواء كان الحق معهم أو معكم وإلا ففيه احتمال أن يكون الحق معهم فهناك ينجون وأنتم تهلكون فمتابعتهم طريق السلامة على كل حال)) ومن هذا القبيل قول مؤمن آل فرعون كما أخبر الله سبحانه عنه ﴿ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ

---

[1] الأنعام ٧٥

[2] لم نقف على هذه الرواية بعينها ولكن وجدنا ما يقرب منها في المعنى وهو ما روي في الاختصاص ص ٨٥ وهو قوله عليه السلام ((ما ثبت لك برهانه اصطفيته ، وما غمض عليك صوابه نفيته)) .

رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فأشار إلى الدليلين الحكمة والمجادلة ثم قال

﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى

يَعِدُكُمْ ﴾[1] فأشار إلى الموعظة الحسنة لأنكم إن أطعتموه فأنتم على رآستكم وملككم وسلطنتكم لا ينقص من دنياكم شيء سواء كان صادقا أو كاذبا وإلا ففي صورة احتمال صدقة يصبكم التوعيد الذي يوعدكم به وإن لم يصب الكل لحكم المحو والإثبات فلا أقل من البعض لأنه القدر المعين لأن الله سبحانه لا يدحض حجّته ولا يخصم برهانه ، وشرط هذا الدليل إنصاف العقل بمعنى أن لا يظلمه فيما يستحقّه .

وأما دليل المجادلة بالتي هي أحسن فهو ما هو مذكور في كتب العلماء في الكتب المنطقيّة والأصولية وما يتكلّمون ويتعاطون من بحث الألفاظ والمفاهيم والقياسات والبراهين المستخرجة من الصغرى والكبرى المستخرجتين من الكليات والجزئيّات على ما هوالمعروف المشهور عندهم بل لا تكاد تجد غيره بل لا يعرفون الدليلين الأولين ولا يرونهما دليلا ولا يدرون وجه الاستدلال بهما وإذا أوردت عليهم شيئا من غير المجادلة يقولون إن هذا قول بلا دليل ، وهذا الدليل للعوام خاصّة .

---

[1] غافر ٢٨

ولكل من هذين الدليلين مواقف ومقامات وللسائلين الواقفين بباب الحق اللائذين بجنابه في تلك المقامات مقامات خصوصا أهل المجادلة فإن لهم عشرين مقاما كليا تختلف جهات الاستدلال فيها وفي كل مقام ثلاثة مقامات مقام القشر وقشر القشر وقشر قشر القشر ، فالأول مقام الوبر والثاني مقام الصوف والثالث مقام الشعر قال تعالى ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1] ، وهذه المراتب كلها مراتب ظاهر الجلد إلا أنها تختلف باللطافة والكثافة ، وهكذا أحوال المستدلين بدليل المجادلة أعلى مقاماتهم الصور المجردة وأسفل دركاتهم الترب الموصلة وبينهما متوسطات فالأقرب الأقرب والأبعد الأبعد ، فدليل المجادلة للعوام والموعظة الحسنة للخواص والحكمة البالغة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا للخصيص ، والأول للظاهر وأهله والثاني للباطن وأهله والثالث لباطن الباطن وما وراءه وأهله ، وتنحصر مراتب الكائنات في السلسلة العرضية إلى هذه الثلاثة .

وأما في السلسلة الطولية تنحصر في ثمانية أولاها وأعلاها وأشرفها وأسناها الحقيقة المحمدية ﷺ، و ثانيها الملائكة الكروبيون ، وثالثها الملائكة المقربون ، ورابعها الملائكة الصافون الحافون حول العرش الكريم حوامل

---

[1] النحل ٨٠

التدبير من الذاريات والحاملات والجاريات والمعقبات والنازعات والمرسلات والصافات وأمثالها من المدبرات أمرا ، وخامسها الملائكة الناريون المخلوقون من مارج من نار ، وسادسها الملائكة الخاضعون الذليلون الخاشعون المنقادون لأمره العاملون بإرادته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وسابعها الملائكة القائمون بعبادة الله سبحانه الواقفون بباب إرادته المنتظرون لأمره ، وثامنها الملائكة الساجدون لله سبحانه المعدمون أنفسهم عند ظهور معبودهم وسيدهم ، وتحت هذه المراتب سبعة أخرى وإن كانت ثمانية إلا أن الأولى الأعلى لجلّها عن البيان والتبيان أحدهما الأنبياء المرسلون أو غيرهم ، والثانية رتبة الإنسان من الرعايا المؤمنين المأمومين ، والثالثة رتبة ظهورات العقل الكلي في مراتب تشأن تطوراته للرتبة الإنسانية ، والرابعة مقام الجان المخلوقة من مارج من نار ، والخامسة رتبة الحيوانات من البهائم والحشرات ، والسادسة رتبة النباتات ، والسابعة مقام الجمادات ، وتحت هذه المراتب ثمانية أخرى سفلية الأولى الجهل الكلي الظاهر في ظل ذي ثلاث شعب ، الثانية الشياطين المتعلقة بالكفار والمنافقين والأشرار الذين كانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويفسدون في الأرض أولئك هم الفاسقون ، الثالثة الشياطين المتعلقة بعصاة الشيعة وفرقة المؤمنين الممتحنين ، الرابعة هي الشياطين الذين هم تطورات الجهل الكلي في مقامات تدابير العوالم الظلمانية قال تعالى ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ

مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[1] وهذه العوالم إنما تدبر بتلك الشياطين وهم من أظلة الكروبيين وهم الجنود الخمسة والسبعون التي للجهل على ما في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام، الخامسة هم الشياطين المتعلقة بالجان المغوون لهم عن الإيمان وقد تبعوهم كفارهم واقتفوا آثارهم وهؤلاء الشياطين سيئة من سيئات الأولين ، السادسة الشياطين الذين تبعتهم الكلاب والخنازير والقردة وسائر أنواع البهائم المؤذية التي قد حرمت لحومهم ، السابعة الشياطين الذين يمنعون الأشجار وسائر أقسام النباتات عن ذكر الله فيبطل تركيبهم أو تتقبح هيئاتها وصورها أو تمر أثمارها أوغير ذلك من المفاسد الظاهرة في الأثمار المعلولة لغفلتهم عن ذكر الله الواحد القهار المعلولة بإلقاء الشياطين وخصماء رب العالمين فافهم ، الثامنة الشياطين المانعين للأحجار أن تنعقد معتدلة صافية بإلقاء الغرائب والأعراض المعلولة عن الغفلة عليها فيخرجها عما هي عليها ويكدر صافيها ويغير خلقة الله تعالى كما قال تعالى حكاية عن إبليس ﴿ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾[2] ، ثم في كل مقام من هذه المقامات سبع مقامات أخر وهي الأيام

---

[1] النور ٤٠ [2] النساء ١١٩

الستة الكلية التي خلق الله فيها السموات والأرضين ، ويوم السبت الذي هو يوم كمالها وظهورها مشروحة العلل مبينة الأسباب تامة التأثير كاملة الفعل والتدبير ، وفي كل مقام من هذه المقامات السبع سبع سماوات وسبع أرضين ونجوم وبروج وكواكب وأقطاب وبيوت وأشراف وثوابت وسيّارات والعرش والكرسي إلى آخر ما ترى في العالم الجسماني آخر العوالم ، وفي كل سماء وأرض من خلق الله ما لا يعلمه إلا الله وإني أجمل لك الكلام بما أجمله الإمام الهمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حيث قال ((لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين))[1] على ما رواه الصدوق في الخصال في آخره ، وفي كل عالم من خلق الله ما لا يعلمه إلا الله .

ولما كان خلق العالم ليس عبثا وهباء وإنما هو لأجل إيصال النفع إليهم ولا يكون ذلك إلا بالتكليف وإلا لكان عبثا ووضعا للشيء في غير موضعه أو يكون جبرا واضطرارا لا يتعقل ولا يتصور إلا في محض التلفظ وجب التكليف ، فإذا وجب التكليف تحققت أمور وهي المكلف والداعي والمدعو والدعوة والدليل ، لأن التكليف لا يكون إلا بالمكلَّف وهو لا يكون إلا بالمكلِّف وكلاهما لا يكونان إلا بالداعي وهو لا يكون إلا بالدعوة فها هنا خمسة أمور ، الأول المكلِّف وهوالفاعل والآمر وهوظهور الذات بالفعل

---

[1] الخصال ٦٥٢

وهومقام البيان لأهل المعاني وهوالبيان في ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾[1] قال أمير المؤمنين عليه السلام ((أما البيان فهوأن تعرف أن الله واحد ليس كمثله شيء فتعبده ولا تشرك به شيئا)) فافهم الإشارة ولا تحجبك العبارة ، والثاني الداعي وهو رسوله صلى الله عليه وآله سبحانه إلى خلقه وترجمان وحيه من الوجودي والتشريعي في كل مقام بحسبه لأن الخلق لا يمكنهم أن يأخذوا من الحق سبحانه من غير واسطة وسفير وذلك هو الرسول ، والثالث المدعو وهو المكلف بفتح اللام والقابلية الموجودة حين الوجود السائلة المجيبة ، والرابع المدعو إليه وهوالسبيل قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾[2] وهوجهة الحق سبحانه في الشرعيات الطاعات والعبادات الموصلة إلى الحق وفي الوجوديات لها مراتب ومقامات حسب مقامات المكلفين والقول الجامع هوالذي ذكرناه في الشرعيات ، والخامس المدعو به وهو الدليل لأن الداعي لو لم يكن له دليل لم يقبل منه وذلك لعدم تمكين القابلية فالدليل من تمكين القابلية والإيجاد التكليفي والتكليف الإيجادي متوقفان عليه ، وهذه المراتب الخمسة في كل موجود في كل مقام من المقامات المذكورة والغير المذكورة يجب أن تكون موجودة وإلا لاختل النظام وما استوى على العرش الرحمن إذ الخلق في كل أحوالهم وأطوارهم هم السائلون الواقفون بباب الحق الكريم

---

[1] الرحمن ٣ – ٤ [2] النحل ١٢٥

والفقراء اللائذون بجنابه يقرعون باب رحمته ويستمدون من فضله وعطائه ولهم مقامات وسؤالات وإجابات وتكليفات ودلائل وفيها لهم درجات ومواقف .

الموقف الأول في الحجاب الأبيض الأعلى ومقام السر المقنع بالسر ومقام الظاهر من حيث الظهور بالظهور ، السائلين الواقفين ببابه الفقراء اللائذين بجنابه في هذا الموقف والمقام مراتب ومواقف ومقامات .

المقام الأول في المقام الأول أول المقامات والعلامات وهوالباطن الظاهر بأول الظهور الذي هونفس الظاهر الذي هونفس الظهور وهو الصبح الصادق الطالع بعد كشف ظلمة العماء عن شمس الأزل في عالم الظهور الإمكاني .

المقام الثاني في المقام الثاني ثاني المقامات والعلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان وهوالباطن من حيث الظهور لكونه تأكيدا للباطن من حيث البطون .

والمقام الثالث هو ثالث المقامات والآيات هوالظاهر وهو العماء وهو باطن الظاهر وحق الحق .

والمقام الرابع في المقام الرابع رابع المقامات وهوالظاهر من حيث هو ظاهر والحق والسر المقنع بالسر .

وفي هذه المواقــف والمقامـات كلـف الله سـبحانه واقفيـها ومقيميـها بأنفسها ففيها المكلف والمكلف والداعي والمدعـو بـه والمدعـو إليـه واحـد بالإجمال ، أما في المقام الأول فواحــد بـلا فـرض تعـلد واعتبـار مغـايرة ، وفي المراتب الأخر كل واحد بالآخر ، والتفصيل والبيان لا يحسن أزيد مما ذكرنـا إلا أن المجموع من طينة واحلة ونور واحد وسـنخ واحـد والأول نـبي عليـهم ورسول من الله إليهم بأمرهم ويبين لهم الوحي بيان المعلم للمتعلـم لا بيـان السراج للأشعة ويستدل عليه بدليل الحكمة .

الموقف الثاني في المـداد الأول وقـد أمـر الله سـبحانه نبيـه ﷺ أن يجيب السائلين الواقفين ببابه والفقراء اللائذين بجنابه في ذلك أي يدعوهـم إلى سبيل ربهم بالحكمة ، فالمكلف والآمر هوالله سبحانه بظـهوره في المظـاهر والمقامات ، والداعي هو رسول الله ﷺ ، والمدعو هم الواقفـون في ذلـك المقام وهو المداد والوجود المقيد وبحر الصاد وشجر المزن ، والمدعو إليه الـذي هو السبيل هو نفسه لأن الفاعل إنما ظهر له به فهو سبيل ربه إليــه وسـبيل نفسه إلى الله ((بل تجلى لها بها وبها امتنع منــها وإليـها حاكمـها))[1] وهـذا الموقف من الموقف الأول ، ودليلهما واحد وهو دليل الحكمة الذي هو أعلـى الدرجات وأقوى الدلالات لكن الثاني طور وراء طور الأول يعرفه من كـان سنخيا وسائر الناس به جاهل .

---

[1] شرح النهج ١٣ / ٤٤ ، البحار ٤ / ٢٦١ ح ٩

الموقف الثالث في الدرة البيضاء والحجاب الأبيض الثاني والكون الجوهري والطور والقلم وأول غصن أخذ من شجر الخلد وأول من ذاق الباكورة في جنان الصاقورة ، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يجيب السائلين الواقفين ببابه والفقراء اللائذين بجنابه في ذلك يعني يدعوهم إلى سبيل ربهم بدليل الموعظة الحسنة وأقام لهم الدليل الحق بلسانهم بلباس الموعظة الحسنة لأن أهل هذا البلد لا يعرفون لغة البلد الأعلى لأنه عالم البساطة وهذا عالم التركيب فيجب أن يترجم لهم تلك اللغة بلغتهم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾[1] وهو ﷺ مبعوث على كافة من ذرء الله وبرأه فالمكلّف والآمر هوالله الظاهر في الخلق بالخلق في المقامات والعلامات كما تقدم ، والداعي هو نبينا محمد ﷺ والطيبون من أولاده عليهم السلام ، والمدعو أهالي ذلك المقام وهم رجال لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعليهم ثياب بيض كلهم قائمون بطاعة الله سبحانه لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وكيفية دعائه وإقامة الدليل ﷺ لهم إلى سبيل ربهم هوما قال مولانا العسكري عليه السلام ((وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة))[2] فافهم ، والمدعوالذي

---

[1] إبراهيم ٤

[2] البحار ٢٦/ ٢٦٤ ح ٥٠

هوالسبيل المداد وهوالوجود الصادر عن المشيئة والماء النازل من السحاب المتراكم الذي به كل شيء حي وهو أمر الله الذي به قامت السموات والأرض وهوالذي قدر الله السير في منازله ومقاماته بقوله الحق ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾[1] قال الباقر عليه السلام ((نحن القرى التي بارك الله فينا والقرى الظاهرة شيعتنا))[2] ، قال مولانا علي عليه السلام ((أنا الذات أنا ذات الذوات أنا الذات في الذوات للذات)) وقال عليه السلام ((فإنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا))[3] وأنت إن أتقنت النظر فيما تقدم من بيان موضع الرسالة ينكشف لك المراد هنا وعلمت الفرق بين المقامات قال مولانا الصادق عليه السلام ((من عرف الفصل من الوصل والحركة من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد)) فافهم إنشاء الله وإلا فأسلم تسلم.

---

[1] سبأ ١٨

[2] لم نقف على هذه الرواية بعينها ولكن وجدنا ما يقرب منها وهو ما روي في الاحتجاج ٣٢٧ حيث قل عليه السلام ((فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عز وجل ، فمن أقر بفضلنا حيث بينهم وبين شيعتهم القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة ، والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا إلى شيعتنا)) .

[3] شرح النهج ١١ / ١١٣

الموقف الرابع في الحجاب الأصفر وعالم الأظلة وورق الآس وقد أمر الله سبحانه أن يجيب السائلين الواقفين في هذا المقام ببابه والفقراء اللائذين بجنابه وأن يقيم لهم الدليل ويدعوهم إلى سبيل ربهم بالدليلين لأن أهل هذا البلد صنفان صنف لهم ربط إلى البلد الأعلى ومجانسة ومشابهة معهم فيعرفون لغتهم ويفهمون لسانهم وصنف مالوا إلى البلد الأسفل الذي هوالموقف الخامس على ما سيجيء فلا يفهمون لغات البلد الأعلى ، والنبي ﷺ دعى الصنف الأول وأقام لهم الدليل بدليل الموعظة الحسنة التي هي لغة أهل البلد الأول ودعى الصنف الثاني وأقام لهم الدليل بلغة أهل البلد الخامس ، فالآمر هوالله والداعي ومقيم الدليل هومحمد ﷺ والمدعو ما ذكرنا والمدعو إليه الذي هو السبيل هو القلم الأول والمدعو به هو الموعظة الحسنة كما دريت فافهم.

الموقف الخامس في الحجاب الأخضر والزمردة الخضراء والذر الأول أو الثاني أو الثالث واللوح المحفوظ والكتاب المسطور وظهور النقطة في باء بسم الله الرحمن الرحيم مقام ظهور الكثرة ((ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)) على ما رواه ابن جمهور الإحسائي في المجلي ، وقد أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يجيب السائلين الواقفين ببابه الفقراء اللائذين بجنابه في هذا المقام مقام النقش والارتسام يعني يدعوهم إلى سبيل ربهم ويقيم لهم الدليل دليل المجادلة بالتي هي أحسن لأن أهل ذلك المقام أدنى

وأسفل مرتبة من أهالي المقام الأول فيجب أن يدعوهم بلغتهم ويترجم لهم تلك اللغة بلسانهم ليعرفوا المراد ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ، فالآمر هو الله سبحانه والداعي هو رسول الله صلى الله عليه وآله والمدعو أهل تلك البلدة والمدعو به دليل المجادلة بالتي هي أحسن والمدعو إليه الذي هو السبيل القلم يفيض إلى اللوح وإلى ما سواه وهو العرش الثالث الذي استوى عليه الرحمن برحمانيته فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه وهو إشارة إلى تنزلات العقل إلى المراتب السفلية إلى آخر المراتب التي هي مرتبة الجماد ثم أخذ يصعد بتوفيق الله ومدده إلى المراتب العالية إلى آخر درجات العلو في التكوين إلى أن انتهى إلى رتبة الجامع عليه السلام ثم أخذ في الصعود إلى الأسماء من رفيع الدرجات إلى اسم الله البديع فتم العرش ودارت الدائرة فهو قطب لها تستمد منه وهوقول أمير المؤمنين عليه السلام ((أنا قطب رحى الإسلام)) وقوله عليه السلام ((أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى))[1] وقوله عليه السلام ((سر القرآن في الحمد وسر الحمد في البسملة وسر البسملة في الباء وسر الباء في النقطة وأنا النقطة تحت الباء)) فالعقل سبيل الله إلى الخلق في الإيجاد والانوجاد وإيصال المدد إليهم من رب العباد وسبيل الخلق إلى الله في صعود الأعمال والأفعال والاعتقادات إليه تعالى ، وقد أشرنا إلى الأول النازل بأحاديث يتعلق

---

[1] شرح النهج ١ / ١٥١

وجهها الأوسط بهذا المقام، وأما إلى الثاني الصاعد فالإشارة إليه كما في قوله تعالى ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾[1] وقوله عليه السلام ((تدلج بين يدي المدلج من خلقك))[2] وقول مولانا علي عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا))[3] وقوله تعالى ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[4] قال الباقر عليه السلام ((سبيل الله هو علي عليه السلام والقتل في سبيل الله هو القتل في سبيل علي عليه السلام)) وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قتلة وميتة وبيان ذلك ما تقدم لك من الكلام وكذلك الكلام في المواقف الأخر من العوالم الألف ألف فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقام الدلائل من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في كل مقام في التكوين والتشريع، أما التكوين فكما عرفت وأنا الآن أذكر مثالا حتى يتبين الأمر واضحا.

فأقول إن النار لما تعلقت بالدهن وأثرت فيه بمسها له وجدت الشعلة التي هي السراج، ولما وجدت الشعلة ظهرت الأشعة، فالمؤثر هو النار الظاهرة فيها والقابلية هي الدهن والمقبول مس النار للدهن أي الأثر الحاصل من التعلق، والشعلة هي الشيء المركب منها، والأشعة هي آثار ذلك المركب وظهوراته وتطوراته، وهذه المراتب كلها متقومة بالنار ومستملة

---

[1] سبأ ١٨ [2] البحار ٨٧/ ١٨٩ ح ٥ [3] الكافي ١/ ١٨٤ ح ٩ [4] آل عمران ١٥٧

عنها وهي دائما تمدها بالتكليف والدليل وتدعوها إلى السبيل وسبيل النار إلى المس نفسه وسبيله إلى الأشعة المس وسبيلها إلى الأشعة الشعلة ، فالنار تدعو المس إلى سبيلها بدليل الحكمة وتدعو الشعلة إلى سبيلها بالموعظة الحسنة وتدعو الأشعة إلى سبيلها بدليل المجادلة بالتي هي أحسن ، ولك أن تجري هذه الأدلة في كل مقام فلنمثل بالأشعة لأنها أظهر لأن السراج يدعو النار الواحد المنبسط على جميع أعيان الأشعة وأقطارها بالحكمة ، ويدعو ذلك النور من حيث ارتباطه بالأشعة وبقاء وحدته الواحدية في تلك الارتباطات والكثرات إلى سبيل النار بدليل الموعظة الحسنة ، ويدعو ذلك النور أيضا من حيث صيرورته أشعة مختلفة متكثرة محتجبة عن مشاهدة ذلك النور الواحد إلى سبيل النار بدليل المجادلة بالتي هي أحسن .

وأما التشريع فاعلم أن عليا عليه السلام هو السبيل الأعظم للخلق إلى الله ولله إلى خلقه ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعو إلى ولاية علي عليه السلام الذي هو حامل لولاية محمد صلى الله عليه وآله الذي هو حقيقة ولاية الله فأقام الدلائل على الولاية ودعاهم إليها ، فقد دعى أهل الحكمة إلى سبيل ربهم الذي هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأن يفنوا في ذاتهم وحقائقهم التي هي مثال ربهم ويوحدوا الحق سبحانه بالتوحيد الحقيقي وينسوا أنفسهم وجهة إنيتهم ولا يروا لهم تذوتا وتحققا على ما يناسب مقامهم ونهاهم عن الالتفات إلى الغير وإثبات السوى وملاحظة شيء سوى الله حتى الملاحظة وقطع النظر وحتى المحبة قال

مولانا الصادق عليه السلام ((المحبة حجاب بين المحب والمحبوب)) قال أمير المؤمنين عليه السلام الحقيقة ((كشف سبحات الجلال من غير إشارة)) ، فأهل الحقيقة هم الكاشفون لسبحات الجلال من غير إشارة فإن ارتكبوا ما نهوا عنه فقد عصوا وتردّدوا وشكوا في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخالفوا الدليل فإنه فؤادهم وحقيقتهم والنور الظاهر فيهم من نور ربّهم سبحانه الذي ظهر هناك من غير حيث وكيف ، واستغفارهم هو المتلقّي بالكلمات والتسليم له بإمرة المؤمنين ألم تسمع قول أمير المؤمنين عليه السلام في سبب شكّ أيوب عليه السلام قال عليه السلام ((لما كان عند الانبعاث عند المنطق شكّ وأيوب وبكى في ملكي فقال هذا خطب جليل وأمر جسيم فأوحى الله تعالى إليه يا أيوب أتشكّ في صورة أنا أقمته إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبت له وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين فأنت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتي لأذيقنّك من عذابي أوتتوب إليّ بالطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام، قال عليه السلام ثم أدركته السعادة بي))[1] وهذه التوبة والاستغفار والطاعة لأمير المؤمنين عليه السلام هوالرجوع إلى مقامهم الحقيقي ومنزلهم الواقعي وأهل هذا المقام يستغفرون من هذه الجهة لأنه التقصير العظيم الذي لا يتصوّر فوقه قال الشاعر :

لقد قلت ما أذنبت قالت مجيبة   وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

---

[1] تأويل الآيات ص ٤٩٤ – ٤٩٥

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الموعظة الحسنة إلى سبيل ربهم بفعل جميع المستحبات والواجبات وأن لا يلاحظوا إلى الشيء لا من حيث الأثرية ويقفوا مقام (ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله أو معه) وأن يوحدوا الحق سبحانه بالتوحيد الشهودي كما قال مولانا الحسين عليه السلام ((أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هوالمظهر لك))[1] ، ونهاهم عن جميع المكروهات والمحرمات وملاحظة الأسباب وعما ينافي التوحيد الشهودي من الاستدلال بالدليل الإني لأن مقامهم (إن الله أجل أن يعرف بخلقه بل الخلق يعرفون به) فإذا ارتكبوا المكروه فضلا عن الحرام ولم يفعلوا المستحب فضلا عن الواجب فقد عصوا وشكوا وترددوا في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، واستغفارهم هوالتلقي بالكلمات التي تلقى بها آدم من ربه وهي ((اللهم إني أسألك بحق محمد وأنت المحمود)) إلى آخر الدعاء والتسليم له عليه السلام بإمرة المؤمنين ، ومعنى هذا التسليم الرجوع إلى الله والندم على ما سلف من الذنوب بالنسبة إليه ، وإن يونس عليه السلام لما قبل الولاية وأقر بها أخرجه الله من بطن الحوت وكان هذا القبول هوقوله عليه السلام في بطن الحوت كما أخبر الحق سبحانه عنه بقوله تعالى ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ

---

[1] دعاء عرفة لمولانا الحسين عليه السلام

إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] المقرين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام .

ودعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل المجادلة بالتي هي أحسن إلى سبيل ربهم بفعل جميع الواجبات وأن لا يشركوا مع الله أحدا في الذات والصفات والأفعال والعبادة ، ونهاهم عن المحرمات وعما ينافي التوحيد العوامي من إثبات التعدد والقول بقدم الماهيات والحقائق والتكلم في ذات الله سبحانه أو في إحدى الصفات الذاتية أو كلها كالعلم والقدرة الذاتيتين ، والقول بأن علم الله مستفاد من العلوم ، وأن الله ليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وأن مشيته وإرادته عين ذاته سبحانه ، وأن صفات الأفعال مباديها ذاته تعالى ومتعلقاتها حادثة ، وأن شريك الباري يتصور ويتعقل وأمثال ذلك من الأمور التي ورد النهي الصريح في الشرع ويدل عليها العقل السليم ، فإن ارتكبوا ما نهوا عنه وعصوا فقد أنكروا ولاية أمير المؤمنين وشكوا وترددوا فيها ، واستغفارهم هو أن يقولوا تلك الكلمات بظاهرهم وباطنهم بظاهرها وباطنها ويسلموا له بإمرة المؤمنين على المعنى الذي ذكرنا .

وجعل عليه السلام من إشاراته وتلويحاته وتصريحاته في أقواله وأفعاله وأعماله دليلا عليه في التكوينيات والتشريعيات بحيث لن تجد شيئا إلا وتجد

---

[1] الأنبياء ٨٧ – ٨٨

فيه دليلا واضحا وبرهانا لائحا من إرشاداته عليه السلام على حقيته وبطلانه وصحيحه وفاسده وحسنه وقبحه ومخالفته وموافقته يطلع الفقيه العارف على ذلك الدليل القائم على كل شيء في كل شيء في كل أحواله من التوحيد والتمجيد والنبوة والرسالة والإمامة والولاية وسائر أحوال البدء والعود من الشرعيات التكليفية لا يضيق الأمر على الماهر المتتبع العارف الفقيه باللغة العربية الحقة الحقيقية والظاهرية وإن خفي على غيره ، ثم إنه ما يظهر الأمر لأحد من تلك الدلائل التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل شيء سيما في الأحكام التكليفية التشريعية إلا إذا أراد صلى الله عليه وآله وسلم وليس كل من طلب وجد ولذا قالوا عليهم السلام ((ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة))[1] وقالوا عليهم السلام ((إنا لا ندخلكم إلا فيما يصلحكم)) فلا يمكن أن يوجد شيء مهمل الحكم ومهمل البيان ولا يمكن أن لا يذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام ذلك في كلماتهم وإشاراتهم ولا ينصبوا له دليل حق من إرشاداتهم وإلا لم يكونوا حجة بالغة ولم يكمل الدين ، ولا يمكن أن يحتاج إلى شيء أحد من الرعية فمنعوه عنه لأنهم أعضاد للخلق وأركان للبلاد وأدلة رشد للعباد ، ولا يمكن أن لا يقتدروا على التبليغ عند اختفاء أشخاصهم وأبدانهم وهياكلهم البشرية عن أعين الحق للمستحقين لأنهم أيدي الله الباسطة بالإنفاق ونوره المالئ كل الآفاق ، وعلى هذا لجاز لأحد أن يقول إن الله لم يقدر أن يعطي كل ذي حق

---

[1] الكافي ١/٥٩ ح ٤

حقه لاختفائه عن الأبصار تعالى ربي عن ذلك ، وهم عليهم السلام وجه الله لكل ذرة من ذرات الكائنات لا تعطيل لهم في كل مكان كما مر غير مرة فما بقي إلا كما قال عليه السلام ((أقام الدلائل)) على جهة العموم كما يدل عليه الجمع المحلى باللام ، فأقام لكل شيء دليلا على كل شيء بحيث لا يخفى على المتتبع الماهر العارف باللغة ، وهذا الاختلاف في أرباب الملل والأديان أغلبه من جهة إعراضهم عن ذلك الدليل الذي أقامه صلى الله عليه وآله ، وأما الناظرون المتمسكون بالدليل فأغلبهم ما توقفوا للتمسك الكلي فلذا ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ﴾[1] والمتمسكون على الحقيقة أيضا من جهة مصلحة كينوناتهم لبقاء أشخاصهم وأنواعهم أوقعوا الخلاف بينهم فأخفوا عليهم السلام بعض القرائن عن بعض وأظهروها لآخرين فلوأظهروا للأولين ما

---

[1] البقرة ١٧ – ١٩

ظهر للآخرين لارتفع الخلاف من البين إلا أن ذلك لا يطابق كينونة الوجود في الحكم الثانوي كما قال لعبيد بن زرارة ((راعيكم الذي استرعاه الله أمر غنمه أعلم بمصالح غنمه إن شاء فرق بينهما لتسلم وإن شاء جمع بينها لتسلم))[1] وهذا الاختلاف غيب في هذه السفن الجارية في اللجج الغامرة لئلا يتسلط عليها الملك الذي من ورائهم يأخذ كل سفينة غصبا، فهذا الاختلاف أيضا منهم نشأ ودليله قام بهم عليهم السلام وأدلتهم عليهم السلام ظاهرة وأعلام حجتهم باهرة وأنوار براهينهم في كل كلي وجزئي ساطعة وشموس بياناتهم على أراضي قلوب شيعتهم مشرقة ما أمسكوا عن بيان شيء وما أبهموا أمرا من الأمور وما أحوجوا رعاياهم إلى غيرهم، كيف وقد ﴿ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وليس من العطف والرحمة والرأفة أن يجعل المنقطعين إليه والقارعين بابه والمنيخين بفنائه في ظلمة بهماء حاشا وكلا بل

---

[1] لم نقف على هذه الرواية بعينها فيما عندنا من المصادر ولكن وقفنا على ما يقرب منها وهي ما رواه في البحار ٢/٢٤٦ ح ٥٩ ((راعيكم الذي استرعاه الله خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها)).

[2] التوبة ١٢٨

أدى الرسائل وأقام الدلائل وأتم الحجة وأوضح المحجة إلا أن الأعمى لا ينتفع بمصباح الهدى ولا تنكشف عنه ظلم الدجى قال الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس عن رمد

وينكر الفم طعم الماء من سقم

وروى الكليني في روضة الكافي ما معناه ولم أحفظ لفظه أن مولانا الصادق عليه السلام قال لواحد من أصحابه وأظن أنه المفضل ((كيف بكم إذا أتاكم زمان هرج ومرج فبكى الرجل قال عليه السلام والله إن أمرنا أبين من الشمس الظاهرة))[1] وهو كما قال عليه السلام، فلنقبض عنان القلم خوفا من التطويل وصونا من أصحاب القال والقيل قال الشاعر:

وإياك واسم العامرية إنني	أخاف عليها من فم المتكلم
أخاف عليك من غيري ومني	ومنك ومن مكانك والزمان
فلو أني جعلتك في عيوني	إلى يوم القيامة ما كفاني

---

[1] ذكر المصنف أعلى الله مقامه هذه الرواية بالمعنى ونحن نذكرها هنا بالنص تيمنا ففي الكافي ١ / ٣٣٦ ح ٣ عن المفضل بن عمل قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول إياكم والتنويه ، أما والله ليغيبن إمامكم سنينا من دهركم ولتمحصن حتى يقال مات قتل هلك بأي واد سلك ، ولتدمعن عليه عيون المؤمنين ، ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه ، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرى من أي ، قال : فبكيت ، ثم قلت فكيف نصنع ، فنظر إلى شمس داخلة في الصفة ، فقال يا أبا عبدالله : ترى هذه الشمس ، قلت : نعم ، فقال : والله لأمرنا أبين من هذه الشمس))

قوله عليه السلام وختم الرسائل

الختم إشارة إلى البدء قال الله عز وجل ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] وقال أيضا سبحانه وتعالى ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[2] وقال عليه السلام في الدعاء لمحمد وآله ((وأدخلهم مسجدك عودا كما دخلوه أول مرة)) وبيان حقيقة هذا المطلب وسره ومنشئه وأصله يحتاج إلى بحث طويل وفيه أيضا بيان ما لا يحسن بيانه لعدم إتيان أوانه .

ومجمل القول فيه هوأن كل شريف يجب أن يكون في عالم الظهور أخيرا وكل كثيف يجب أن يكون في عالم الظهور أولا ، فكل شريف مقدم في الوجود مؤخر في الظهور وكل كثيف مؤخر في الوجود مقدم في الظهور ، وذلك لاجتثاث الكثيف والباطل واستقامة الحق و ثباته وإظهار مستجنات السرائر ومطويات الضمائر ، ولما كان الله سبحانه خلق الخلق والسموات والأرض في ستة أيام يوم العقل وهو يوم الأحد ويوم النفس

---

[1] الأعراف ٢٩   [2] الإسراء ٧

وهو يوم الاثنين ويوم الطبيعة وهو يوم الثلاثاء ويوم المادة وهو يوم الأربعاء ويوم الصورة والمثال وهو يوم الخميس ويوم الجسم وهو يوم الجمعة وفيه جمعت المراتب وخفيت وماتت ، ثم أظهرها في ستة أيام أخر يوم النطفة وهو يوم الأحد ويوم العلقة وهو يوم الاثنين ويوم المضغة وهو يوم الثلاثاء ويوم العظام وهو يوم الأربعاء ويوم اكتساء اللحم وهو يوم الخميس ويوم أنشأناه خلقا آخر وهو يوم الجمعة فهناك اجتمعت المراتب كلها ظاهرة ، ويوم السبت يوم كمالها وظهورها مشروحة العلل مبينة الأسباب فتمام الشيء في الستة وكماله في السبعة وهومقام ظهور العقل ، فالعقل أول ما وجد في القوس النزولي فاستنطقه الله ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال أدبر فأدبر عن الخلق فأخذ يصعد فأول ما ظهر في النطفة ثم في العلقة ثم في المضغة ثم في العظام ثم في اكتساء اللحم ثم في الروح القديمة وهي النفس الحيوانية الحساسة الفلكية ثم في مقام الرضاع ثم في مقام العظم ثم في مقام الصبى ثم في مقام التمرين ثم في مقام المراهقة ثم في مقام البلوغ الذي هومقام ظهوره في مقامه ثم أخذ يصعد في تمامية الظهور وقوته ونموّه شيئا فشيئا إلى الثلاثين فهناك يتم نموّه ثم يأخذ في الكمال في رتبته ومقامه إلى الأربعين فهنا نهاية الترقي ونهاية الظهور ، وهذا حكم جار في كل مراتب التكوين والتشريع في الكلي والجزئي والذاتي والصفتي والعلوي والسفلي ، ثم يأخذ في النزول فيضعف شيئا فشيئا على ترتيب قوته حتى يناله نصيبه من الكتاب ويبلغ الكتاب

أجله فهناك تنهدم البنية وتنكسر الصيغة ثم تصاغ جديدا ، فأول صعـوده في المحشر أوأول نزوله إلى مقامات صعوده إلى أسفل السافلين أعاذنا الله منه ، ثم في ما إذا سقي من عين الكافور ثم عند سقيه من عـين السلسبيل ثـم عنـد أكله كبد الثور ثم عند أكله كبد الحوت ثم عند وقوفه في الكثيب الأحمر ثـم عند وقوفه في الرفرف الأخضر ثم عند وقوفـه في أرض الزعفـران ثـم عنـد وقوفه في مقام الأعراف ثم عند وقوفه في مقـام الرضـوان وهـذا ختـم المقـام فيترقى في هذا المقام إلى ما لا نهاية له ، ولما كان العالم الجزئي على مثال العالم الكلي جرت هذه الأحكام كلها في العالم الكلي حرفا بحرف ، ولما كان القلب الذي هوالقطب في العالم الجزئي قد تطور في ظهوره مترقيا في ستة أطوار من النطفة والعلقة وغيرهما إلى أن ظهر بالظهور المطلق وكانت تلـك الشئون أطوار ظهورات القلب فعند كل طور كان يقتضي حكما من الأحكـام إلى أن يظهر في مقام الحياة ، فكذلك العـالم الكلـي إنمـا تم ظـهوره في هـذه الأطـوار الستة على حسب قواه الكلية ولما كان كل طور يقتضي حكما كليا خلاف مـا كان يقتضي الطورالأول لزوال المقتضى عند زوال المقتضي فيقتضـي الحكـم الكلي الثانوي وزوال الأولي والله سبحانه لا يغير ما بقـوم حتـى يغـيروا مـا بأنفسهم ، جعل الله سبحانه لكل طور من هذه الأطـوار السـتة حكمـا كليـا خاصا به وذلك الحكم هوالشـريعة الخاصـة بـأهل ذلـك الوقـت وكينونـات أحوالهم من الشريعة الوجودية في تلطيف بنيتهم وأبدانهم وعدمـه ورقتـهم

وغلظتهم واعتدال هوائهم وعلمه وقلّة معرفتهم وكثرتها وأمثـال ذلـك مـن الأحوال الجارية عليهم على مقتضى ذواتهم وصفاتهم وأعيانهم وأكوانهم مما جرى في علم الغيب مـن بـدء شـأنهم ، ومـن الشـريعة التكليفيـة العمليـة الوصفية من طهاراتهم وصلواتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، ولما كان كل طور من هذه الأطوار قشور مقام أنشأناه خلقا آخر ومعدات سـيالة لظـهور ذلـك المقام كانت أطوارهم وأوطارهم وأحوالهم قشورا وظواهـر لمقتضـات أطـوار ذلك المقام وأوطارهم فكانت شريعتهم قشـورا وظواهـر للشـريعة المختصّـة بذلك المقام ، فكانت الأنبياء الحاملون لتلك الشـرائع قشـورا وأمثـال للنبي الحامل لتلك الشريعة إذ السلسلة في القوس الصعودي تترقى مـن الأسـفل إلى الأعلى فلما انقضت ملّة مقتضيات كل طور نسخت الشريعة الخاصة بـه وأتت الشريعة الخاصة بالآخر إلى أن أتى الطورالثابت المستقل مثـل مقـام الحياة فظهرت تلك الشريعة وظهر الأصل الحامل لها ومحيت آثار غيرها لأنـها قشور تفنى وتعدم عند ظهور اللب والأصل فرجع الآخـر إلى الأول والأول إلى الآخر ، فلما كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هوصـاحب الشـريعة السادسـة كـان صلى الله عليه وآله وسلم هوالخاتم لأنـه كـان هوالفـاتح لأن المقـام السـادس لا فنـاء لـه ولا زوال ولا اضمحلال فتبقى أحواله ومقتضياته ، نعم هو يضعف ويقوى شيئا فشـيئا إلى أن يبلغ مقام البلوغ فإن العلقة إذا ظهرت وتحققـت بطلـت أحـوال النطفـة وأحكامها ومقتضياتها وكذا المضغة إذا ظهرت وتحققت بطلـت آثـار العلقـة

وأحوالها بالكلية وأما الروح إذا ولجت في البدن وحيي البدن فلا تفنى ولا تبطل، والروح هي القطب المستدير المدبر للبدن كله وتلك المراتب المتقدمة كلها إنما هي لإظهارها، نعم هي في أول ظهورها وبروزها ضعيفة فتقوى شيئا فشيئا فهنالك تختلف الأغذية التي تغتذي بها، وكذلك شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لأن ظهوره صلى الله عليه وآله وسلم كالروح المحيية للبدن فحيي العالم بظهوره صلى الله عليه وآله وسلم واستنارت القلوب ومحيت الظلمات ومنعت الشياطين عن استراق السمع وذلك لغلبة النور المستدعية لنفي المناسبة أو قلتها، لكن في أول بعثته وأوان ظهوره صلى الله عليه وآله وسلم ما أظهر أسرار شريعته واقتصر على القشور والظواهر ثم طرأ على بعض الجزئيات أحكام النسخ ووقع الاختلاف كل ذلك لضعف بنية المكلفين وقلة ثباتهم في اليقين وعدم رسوخهم في الدين وغلبة الظلمة باستيلاء الشياطين عند ظهور النفس الأمارة بالسوء إلى أن يأتي أوان بلوغ العالم الأكبر وهوإذا خرج مولانا القائم عليه السلام وهو إشارة إلى أول ظهور العقل الذي هوالقائم في الذات في الجزئي، ولذا أول ما يظهر العقل في البدن تراه ضعيفا ليس له ناصر والبدن قد تصرفت فيه النفس الأمارة بالسوء، وكذلك مولانا القائم عليه السلام عجل الله فرجه لا يظهر حتى إذا امتلأ العالم جورا وظلما فيملأه عدلا وقسطا إنشاء الله وهوأول النشاط وغلبة ظهور العقل والأمر الإلهي يترقى فيأخذ في الصعود والترقي إلى أن يظهر مولانا الحسين عليه السلام ويرجع بعد الوفاة ويظهر الأرض إلى أن يرجع سيدنا ومولانا علي عليه السلام في

الكرّة الثانية ويقاتل إبليس فينزل رسول الله صلى الله عليه وآله ويقتل إبليس فتبقى الأرض طاهرة مطهرة نقية زكية ، وهذا بلوغه إلى ثلاثين سنة التي هي تمام النشاط والقوة هنالك محل ظهور خاتم الرسالة بالظهور الأولي البدئي وفي الرسالة التكوينية والتشريعية ، ومقام ظهور ليظهره على الدين كله كما كان في البدء كذلك فإن الأنبياء عليهم السلام عنه صلى الله عليه وآله أخذوا وبه في الأحكام الإلهية استندوا وبشريعته عملوا وعلى الكتاب المنزل عليه حكموا فهم ﴿ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[1] لأنهم عنده صلى الله عليه وآله كالشعاع للمنير ، فالمنير يحيط بجميع أحوال الأشعة علما لا يخفى عليه شيء من أحوالهم مما بين أيدهم وما خلفهم لأن الكروبيين الذين إذا ظهروا بقدر سم الإبرة من نورهم لا يطيق أولوا العزم من الرسل التثبت عنده والتحمل لديه فخر مغشيا عليه واحد من رعايا محمد وآله عليهم السلام وشيعتهم خلقوا من شعاع أنوارهم ولذا قال تعالى في باطن التفسير ﴿ يَعْلَمُ ﴾ أي محمد صلى الله عليه وآله ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي الأنبياء ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ دينه بولاية الولي عليه السلام على المعاني الكثيرة في التكوين والتشريع ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ ﴾ أي من خشية الله الحاصلة من نور العظمة الظاهرة في محمد صلى الله عليه وآله والطيبين من

---

[1] الأنبياء ٢٦ – ٢٨

آلــه عليهم السلام ﴿ مُشْفِقُونَ ﴾ أي حــذرون ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي الأنبيــاء ﴿ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ ﴾ أي يصــل إلي الفيـض والمـدد أو أنـي أبلـغ وأبيـن وأترجم للرعايا حكم الله سبحانه من دون توسط محمــد صلى الله عليه وآله وسلم والأخـذ منـه والتسليم له والإقرار بذل العبودية الرقية لله سبحانه بطاعتـه صلى الله عليه وآله وسلم وولايـة الطيبين من أولاده وأحفاده عليهم السلام كما رواه محمد بن جرير الطبري من العامـة وأخطب خوارزم منهم في تفسير قوله تعالى ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾[1] عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ((ليلة أسري بي إلى السماء فاجتمعت مع الأنبياء في المسجد الأقصى فأتاني جبرائيل وقال يا محمد : اسأل الأنبيـاء بمـاذا بعثتـم فسألتهم فقالوا بعثنا بشهادة أن لا إلـه إلا الله وبنبوتك وبولاية علي بن أبي طـــالب عليه السلام)) ، ﴿ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقهم والملحدين في أسماء الله .

وبالجملة فلما كان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم في البدء هوالأصــل والقطـب لأكـوار الوجود وأطواره والشرائع كلها شرائعه والأديان كلها دينه والملل بأسرها ملته والنواصي كلها بيده ومصادر الأمور عنه ومواردها إليه في العوالم العلوية وفي السفليات أظهروا أطوارهم وأشباحهم المحتجبون بها عن الخلق ، فالعارفون لم

---

[1] الزخرف ٤٥

[2] الأنبياء ٢٩

يزالوا على يقين في أمر ربهم ونبيهم لا تلهيهم التجارة ولا البيع أي الكثرات الظاهرة والأسباب الواردة عن ذكر الله وهومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وإقام الصلاة وهي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام والطيبين من أولاده وإيتاء الزكاة وهوالتبرّي من أعدائهم ومخالفيهم ، والجاهلون في مقام الفرق والكثرة متحيّرون ، والمعاندون لخبائث بواطنهم وقبائح سرائرهم مظهرون إلى أن ظهر سر ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] فتشعشعت الأنوار الأحمدية وظهرت إشراقات شمس الحقيقة المحمدية فاستنارت العوالم وحييت قلوب بني آدم فكانت بتلك الإشراقات بصفي قوابل الاستعدادات وتلطف أراضي القابليات لتصعيدها إلى السماء لإلقاء مثال الكينونة وإظهار جلال الربوبية إلى يوم قتل إبليس لعنه الله فهناك ظهرت الأراضي الكلية والجزئية واستنارت وتلألأت ، تجلى لها النور المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم فأشرقت وطالعها فتلألأت فألقى في هويتها مثاله الجسمي فاستنارت فيكون العود الدنياوي كالبدء الدنياوي من اليوم الذي خلقت السماوات وكان طالع الدنيا سرطان والكواكب في أشرافها وهومعنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئة يوم خلق الله السموات والأرضين))[2] ، كان بدء بعثته صلى الله عليه وآله وسلم أول الاستدارة وعند قيام القائم عليه السلام وظهور الاستدارة وعند ظهور مولانا علي

---

[1] الأعراف ٢٩

[2] الخصال ٤٨٧

عليه السلام في الكرة الثانية تمام الاستدارة وعند نزوله صلى الله عليه وآله وسلم لسر الخاتمية كمال الاستدارة ، ولذا تظهر الجنتان المدهامتان في ظهر الكوفة وما ورائها إلى ما شاء الله ، ثم لما جاء أمر الآخرة وانقضت ملة الدنيا صعد الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء فيبقى أهل الأرض في هرج ومرج أربعين يوما ثم ينفخ إسرافيل نفخة الصعق ﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وهم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شاء الله أن لا يصعقوا لأنهم وجه الله الذي لا يهلك أبدا ولا يفنى سرمدا وهذا موت العالم الأكبر فيبقى ميتا أربعمائة عام ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[1] وهوبعث العالم الأكبر ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[2] وهومحمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم عادوا كما بدؤوا في الظهور وإلا فهم لم يزالوا في حالتهم وكينونتهم ومقامهم المحمود فأشرقت أرض المحشر بهم وهم نور ربهم ، وجيء بالكتاب والنبيين وهذا بيان لإشراق نور الرب والكتاب هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهوالكتاب الذي ينطق بالحق أعمال كل أحد قال تعالى ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا

[1] الزمر ٦٨

[2] الزمر ٦٩

﴿نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] ورد أن ذلك هوعلي عليه السلام ، وأحاديث عرض أعمال الخلق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام كادت أن تبلغ حد التواتر ، والنبيين هومحمد صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[2] أن المراد بالنبيين هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم والصديقين هوعلي عليه السلام والشهداء هوالحسين عليه السلام وحسن أولئك رفيقا هوالقائم عليه السلام .

وبالجملة في المحشر هورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الوسيلة وهي المعروفة في الأخبار وعلي عليه السلام تحته بمرقاة فيأتى بلواء الحمد ظاهرا كما كان باطنا ويعطى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيعطي عليا عليه السلام ثم يأتى بمفاتيح الجنة والنار فيؤتى إياه فيعطي عليا عليه السلام ثم يرد إليهما أمر الخلائق في الحساب والميزان والصراط وإليهما عليهما السلام الإشارة في قوله تعالى ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[3] ، فظهر العود كالبدء كما أن الخلق بهما

---

[1] الجاثية ٢٨ – ٢٩ [2] النساء ٩ [3] ق ٢٤ – ٢٦

وجدوا وبنورهما تأصلوا فرجع في العود أمرهم إليهما وإلى الطيبين من أولادهما ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] فلختتم بهم كما افتتح بهم ((بكم فتح الله وبكم يختم))[2]، ثم إذا أدخلوا أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وجازوا كل أحد بميزان القسط من أعمالهم كانوا ظهور الحق سبحانه لأهل الجنة وتجليه لهم فهم ملوك الجنة ويأتي أهلها كل يوم جمعة لزيارتهم وهي زيارة الرب التي وردت في الأخبار إذ القديم سبحانه منزه عن أن تنال إليه أيدي الأبصار والعقول تعالى ربي عن ذلك علوا كبيراً ، فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم هوالخاتم لأنه هوالفاتح وهوالفاتق لأنه هوالراتق وإليه المرجع لأنه منه البدء وإليه يرجع الأمر كله قال الصادق عليه السلام ((إن الضمير في إليه يرجع إلى الولي عليه السلام فاعبده والضمير فيه يرجع إلى الله سبحانه)) يعني اعبدوا الله بهذا الاعتقاد ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصل الولاية وحقيقتها فهو صلى الله عليه وآله وسلم ختم الرسائل الوجودية والشرعية في المراتب كلها فليست بعده رسالة ولا نبوة إذ المقتضي دائم الاقتضاء والمانع دائم الارتفاع ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[3].

---

[1] الأعراف ٢٩ [2] الزيارة الجامعة الكبيرة [3] يس ٣٨

قوله عليه السلام نصر به المسلمين

أتى بالجمع المحلى باللام ليفيد الاستغراق ، فكل مسلم من أول الإيجاد إلى آخر نهايات الانوجاد في عالم الذرات وخلق النسمات إلى ما لا نهاية له في التكوين والتشريع إنما نصرهم الله سبحانه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والطيبين من آله وأولاده وأحفاده عليهم السلام روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ((لم تجد عند أحد حقا إلا بتعليمي وتعليم علي عليه السلام))[1] هذا معنى الحديث .

أما المسلمون في التكوين فكما بينا سابقا عند قوله عليه السلام ((أشهد أن لا إله إلا هو)) وقد أشار مولانا الرضا عليه السلام إلى ذلك بقوله ((وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السموات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزين بها العرش ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة فزينها بالبيت

---

[1] ذكر المصنف أعلى الله مقامه وأنار الله في الدارين أعلامه هذا الحديث بالمعنى ، ونحن نورده هنا بالنص تيمنا كما ورد في البحار ٢٦ / ٣٤٥ ح ١٨ ((وكل شيء يسبح لله ويكبره ويهلله بتعليمي وتعليم علي عليه السلام)) والحديث طويل وجليل أخذنا منه موضع الحاجة فمن أراد الزيادة فليراجع ،

المعمور ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزينها بالكواكب ثم عرضها على الأرضيين فسبقت إليها مكة فزينها بالكعبة ثم سبقت إليها المدينة فزينها بالمصطفى محمد صلى الله عليه وآله ثم سبقت إليها الكوفة فزينها بأمير المؤمنين عليه السلام وعرضها على الجبال فأول جبل أقر بذلك ثلاثة أجبال العقيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر وسبقت إليها جبال أخر فصارت معادن الذهب والفضة وما لم يقر بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئا ، وعرض في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذبا وما أنكر صار ملحا أجاجا ، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلوا طيبا وما لم يقبل صار مرا ، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحا مصوتا وما أنكر صار أخرس مثل اللكن ، ومثل المؤمنين في قبولهم ولاء أمير المؤمنين عليه السلام في يوم غدير خم كمثل الملائكة في سجودهم لآدم ، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير مثل إبليس ، وفي هذا اليوم أنزلت هذه الآية ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]))[2] .

فأشار عليه السلام إلى بعض وجوه نصرة المسلمين من الموجودات العلوية والسفلية والأصل في ذلك ومجمل القول فيه أن نصرة الشيء بإعطاء مادتة

---

[1] المائدة ٣

[2] الإقبال ٤٦٥ ، البحار ٢٧ / ٢٦٢ ح ٥

وصورته وتهيئة أسباب قوابله وشرائط ترقياته ومكملاتها ومتمماتها وإيجاد الدّواعي والبواعث والميولات الذّاتية الحقيقيّة إلى الخيرات والكمالات على حسب القابليات ونهج الاستعدادات وتيسير المسبّبات بالأسباب وتمكين القوابل والماهيّات ورفع الموانع والعوارض عن مقابلة فوّارة النور والرجوع إلى عالم السرور، وهذه الأمور وأمثالها إنما ظهرت وانتشرت ووجدت وتحقّقت في الأشياء كلّها تحت الحجب والسرادقات إلى ما لا يزال بمحمد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام فلا يصل إلى مخلوق فيض مادّي أو صوري إضافي أو وضعيّ رابطيّ أو أصليّ إلا بهم ومنهم وعنهم عليهم السلام لأنّهم أبواب الإفاضة والاستفاضة في كل شيء قال مولانا وسيّدنا الصّادق عليه السلام ((إنّ الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخ المؤمن لأبيه وأمّه أبوه النور وأمّه الرّحمة))[1] فالنّور هومادّتهم والرّحمة هي صورتهم، لأنّ النّور مدخول من وكلما هو كذلك في مقام الصنع فهوالمادة كما تقول صنعت الخاتم من الفضّة وصنعت السرير من الخشب، والرحمة هي الصّبغ وهي الصّورة، وهذا النّور هونور محمّد صلى الله عليه وآله لأنّ النّور في قوله تعالى ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾[2] هومحمّد صلى الله عليه وآله كما دلّت عليه الرّوايات الكثيرة، وظهر ذلك النّور في العرش الذي هومحدّد الجهات ومنه ظهر في الشمس وهي تربّي المواد أي مواد الأجسام وحقائقها ولذا يرى فيها

---

[1] بصائر الدرجات ٨٠ [2] النور ٣٥

الأنوار الأربعة إذا نظرت إليها في البلور أو تحت حجاب أسود وهو دليل على أنها مثال العرش وصفته ودليله ووجهه لأن العرش مركب من أربعة أنوار كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن علي بن الحسين عليه السلام، فيقتضي أن تكون الشمس ظاهر النبي صلى الله عليه وآله لأن النبوة مقام الوحدة والإجمال والبساطة والكلية ولذا يعبرون عنها بالشمس، فظهر أن النور الذي هو مادة الأشياء من المؤمنين وعكسه وظله مادتها من الكافرين هو نور محمد صلى الله عليه وآله ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله ((أنا وعلي أبوا هذه الأمه))[1] وهو قوله عليه السلام ((أبوه النور)) فنور النبي صلى الله عليه وآله هو العله المادية للأشياء كلها ونور علي عليه السلام هو العله الصورية لأنه عليه السلام هو الرحمة الواسعة التي ظاهرها من قبله العذاب وباطنها الرحمة المكنونة وهو باب المدينة قال تعالى ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾[2] ، فأصل وجود الشيء متقوم بمادته وصورتة وهما قد عرفت أنهما من فاضل نور محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وكل الأحوال والامدادات والصفات إنما هي متقومه بهما ومتفرعة عنهما أي المادة والصورة، وقد دلت الآيات والروايات على أن الله سبحانه وتعالى اتخذهم أعضادا لخلقه كما يشير إليه مفهوم قوله تعالى ﴿ ۞ مَّآ

---

[1] علل الشرائع ١٢٧

[2] الحديد ١٣

أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1] فأشار إلى أنه سبحانه اتخذ الهادين عضدا وصرّح بهذا المفهوم مولانا الحجة عجّل الله فرجه في دعاء رجب ((أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)) فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هوالعضد القوي للخلق لأنّ مواد كلّ الموجودات من مسلمي أهل التّكوين من نوره ، وذلك النّور الواحد قد تشعّب بالشّعب الكثيرة ظهر بتلك الشّعب جهات الشّيء ومداركه وإحساسه وقواه وحياته فصار الشّخص بذلك سميعا بصيرا كاملا ، لأنّ الله سبحانه خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ياقوتة حمراء فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وصارت بحرا واحدا فخلق من زبده الأرض ومن بخاره السّموات ، والسموات كانت رتقا ففتقها إلى سبع سموات وعرش وكرسي فجعلها مدارا للموجودات فكلّ موجود من الموجودات لم يظهر في الوجود إلا مصاحبا لقبضة من السموات والأرض والعرش والكرسي ، ولمّا كانت تلك المراتب كلّها في الإنسان ظاهرة مشروحة العلل تقول إنّ فؤاد الإنسان المؤمن قطرة من شجرة المزن الواقعة تحت العرش الأكبر جنان الصاقورة التّي خلقت ووجدت من فاضل فاضل نور محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وقلبه خلق من العرش الثالث الذي هومن شعاع الملائكة العالين الذين هم

---

[1] الكهف ٥١

خدام محمد ﷺ والأئمة عليهم السلام وصدره خلق من الكرسي وعقله ودماغه خلق من الفلك السابع وعلمه خلق من الفلك السادس ووهمه خلق من الفلك الخامس ووجوده أي مادته الثانوية خلق من الفلك الرابع وخياله خلق من الفلك الثالث وفكره خلق من الفلك الثاني وحياته خلقت من الفلك الأول وجسده خلق من الأرض فتمت قوى الشيء وجهاته واعتباراته بإتمام هذه المراتب وموادها كلها من شعاع نور محمد ﷺ ، ولما قلنا مواد الموجودات كلها من نوره ﷺ فلا بأس إلى أن نشير إلى تمايز المواد في كل مرتبة على ما ذكر شيخنا أطال الله بقاءه في شرح الفوائد .

فنقول هي في عالم العقول نور مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة الجوهرية والمثالية ، وفي الأرواح نور مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية والصورة النفسية ، وفي النفوس كذلك إلا أنه ليس مجرد عن أعلى الصورة الجوهرية ، وفي الطبيعة نور أحمر بسيط ذائب مجرد عن متممات قوابل الأجسام وعن المواد العنصرية ، وفي جوهر الهباء أي المواد المجردة عن الصورة المثالية نور منعقد لم تلزمه الصور المثالية ، وفي المثال أبدان نورانية لا أرواح لها أي ليس لها مواد جوهرية ولا جسمانية ، وفي الأجسام والزمان والمكان أنوار منعقدة لزمتها صورها ومدد تصوره مقدرة وفراغات محدودة ، وفي العناصر طبائع متزاوجة ، وفي المعادن أصول من لطائف العناصر

متآلفه، وفي النباتات لطائف أغذية نامية، وفي الحيوانات شعلات فلكية حساسة، وفي الصفات هيئات ذاتية وحركات فعلية وصور ظلية وأمثال ذلك.

هكذا نصر الله سبحانه به المسلمين حيث خلقهم من أعلى عليين وكتب في قلوبهم الإيمان بإملاء محمد صلى الله عليه وآله وكتابة علي عليه السلام وشرح صدورهم للإسلام بالتمسك بمتابعة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وأعطاهم حسن الصورة وصفاء الطوية بقبول التوحيد الواصل إليهم من سيد المرسلين ومنحهم عز الدارين بمتابعته صلى الله عليه وآله في الدين وشرفهم بالعلم والمعرفة لسلوكهم سبيل محمد صلى الله عليه وآله باليقين وطيب مولدهم ومسكنهم ومضجعهم لاهتدائهم به إلى الحقّ المبين، وما بلغ أحد مرتبة ومقاما ودرجة وقربى ومكانة عند الله إلا به من الأولين والآخر ين، فإن الأنبياء والملائكة به صلى الله عليه وآله وبآله عليهم السلام اهتدوا وهدوا إلى الله سبحانه بحسن اليقين وعنه أخذوا معالم الدين لأنه صلى الله عليه وآله كان نبياً وآدم بين الماء والطّين، وأمّا الكفار فهم أيضاً به صلى الله عليه وآله تأصلوا وبظلّ نوره تذوتوا، ألا ترى السراج فإنّ النّور والظلّ متقوّمان به يمدّ النّور بالنّور ويمدّ الظّلمة بالظّلمة قال تعالى ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1] وذلك العطاء وحامل ظهور المعطي هومحمد صلى الله عليه وآله بعليّ عليه السلام، لأن الله سبحانه لما أراد أن يخلق

---

[1] الإسراء ٢٠

الكافر خلق فؤاده وحقيقته من الماء المهين من شجرة الزقوم التي تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤوس الشياطين تنبت في سجين طينة خبال أرض الجحيم أصلها الأعلى قرار ، فأول نبات ورقها تحت الثرى الذي لا يعلمه إلا الله وتتم تلك القطرة في الثرى فتصلصل قطرها في الطمطام ويتصاعد كالأبخره بين معرك تلك المركبات الخبيثات فتأخذ في إدبارها صاعدة لتلاطم أمواج بحور تلك المركبات إلى أن تصل إلى الحوت الذي على البحر فخلق منه قلبه وذلك الحوت ظل العرش وعكسه وضده متقوم به كتقوم الظلمة بالنور ثم إلىالنور الذي هو ظل الكرسي ، فخلق الله بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام صدره ، ثم إلى الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة ظل الفلك السابع فخلق منها دماغة ، ثم إلى الأرض السادسة أرض الإلحاد فخلق منها علمه أي جهله المركب ، ثم إلى الأرض الخامسة أرض الطغيان فخلق منها وهمه ، ثم إلى الأرض الرابعة أرض الشهوه خلق منها وجوده ، ثم إلى الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله ، ثم إلى الأرض الثانية أرض العادة خلق منها فكره ، ثم إلى الأرض الأولى أرض النفوس وأرض الممات خلق منها جسده ، وخلق من السماء الدنيا حياته ، وهذه المراتب كلها متقومة بتلك المراتب المتقدمة وتلك المراتب ومقتضياتها كلها متقومة بمحمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم فانتهت المراتب كلها إليه صلى الله عليه وآله وسلم ، فالعالم والأكوان كلها قد نصرها الله سبحانه به صلى الله عليه وآله وسلم وإنما خص عليه السلام المسلمين بها لأن النصرة

إعانة وإمداد ولا يستحقها الكفار وفيهم تخلية وخذلان ، مع أنه عليه السلام أشار بالكناية فإن خذلان الكفار وتعذيبهم في النار تابع لنصرة الأبرار وتنعيمهم في دار القرار فذكر الأصل المتبوع المقصود لذاته وترك المقصود بالعرض لسر نسوا الله فنسيهم فافهم راشداً موفقا مؤيداً إنشاء الله.

وفي مقامات النّصره وبيانها وكيفيتها ومراتبها ودرجاتها كلمات كثيرة أغلبها لم أعط لها عبارة ، ومنها ما لا يجوز بيانه لأنه يعسر برهانه ومنها ما لا تتحمله العقول فطويتها لقوله عليه السلام ((لا تتكلم بما تسارع العقول إلى إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، وليس كل ما تسمعه نكرا أوسعته عذرا))[1] ، ثم إن ما ذكرنا هنا كلها مستخرجة ومستنبطة من كلام الله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام محكماتها فإن وجدت بعض الأخبار تعارض بظاهرها ما ذكرنا فاعلم أنه لا تعارض فيه بوجه وإنّما هو بيان مقاماتهم عليهم السلام حسب ترقياتهم في القوس الصعودي وظهور تنزلاتهم في النزولي كل ذلك حسب أفهام السائلين والمخاطبين وفي كل ذلك إشارة للعارفين إلى ما كتبنا من الحق اليقين فلوأردت أتعرّض لبيان هذه الأمور الجزئّيه لطال علينا الكلام ولا محصّل فيه إلا للعوام وليس وضع هذا الشرح لهم وإنما هوللعارفين البالغين وحظّ

---

[1] لم نجد الرواية كما هي في هذا الشرح المبارك ، ووجدنا هذه الرواية ((إياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك لأن توسعه عذرا)) البحار ٧١/٢٢٩ ح ٦ .

العوام في هذا التسليم والقبول وإلا فقد أنكر قدرة الله في أوليائه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث المعرفه بالنورانيه .

قوله عليه السلام وأظهر به الدين

وهو المعرفة وشئوناتها وأحوالها وصفاتها ومقتضياتها في قوله عزّ وجّل ((كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف))[1] فمحبته سبحانه للإيجاد إظهار دينه المشتمل على ظهور ألوهيته المقتضية لتوجّه الخلق بصلق العبوديه إليه سبحانه وتعالى كما قال عزّ وجّل ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] فالمعرفة والعلم هي العبادة والعبادة هي العلم والمعرفة ، فإن المعرفة عمل الفؤاد واليقين والاعتقاد عمل القلب والعلم عمل الصدر والنفس والصلاة والصوم والحج والجهاد وباقي العبادات هي عمل الجسد ، فمعرفة الجسد والبدن لله سبحانه ليست إلا فعل تلك العبادة ، كما أنّ معرفة القلب ليس إلا ثبوت ذلك الاعتقاد ، ومعرفة الفؤاد ليست إلا الإقبال والتوجّه بغير كيف ، فالعلم عمل والعمل علم والدين

---

[1] البحار ٨٧ / ٣٤٤ ح ١٩

[2] الذاريات ٥٦

هو الجامع هذا العلم والعمل قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] .

والإسلام ينقسم إلى قسمين تكويني وتشريعي ، وكلاهما على قسمين مقتضى المشيئة الحتمية ومقتضى المشيئة العزمية ، ففي مقتضى المشيئة الحتمية لا يقابله الكفر ولايقبل الكفر ولا يتطرق إليه أبدا بوجه من الوجوه وهو قوله عليه السلام ((لا يخالف شيء منها محبتك))[2] وقوله عليه السلام ((كلهم صائرون إلى حكمك وأمورهم آئلة إلى أمرك))[3] ، وأما مقتضى المشيئة العزمية فيقابله الكفر فحينئذ ينقسم الكفر كالإسلام على قسمين كفر تكويني وكفر تشريعي .

وأما الإسلام فقد قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في بيانه وتفسيره ونسبته كما في الكافي عنه عليه السلام أنه قال ((لأنسبن الإسلام نسبة لا ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلا بمثل ذلك ، إن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء ، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه ، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله

---

[1] آل عمران ١٩ — [2] مصباح الكفعمي ١١٠ — [3] مصباح المتهجد ٣٦٩

فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم فاعتبروا إنكار الكافرين والمنافقين والكافرين بأعمالهم الخبيثة))[1] .

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال((قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروءته العمل الصالح وعماده الورع ، ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبنا أهل البيت عليهم السلام))[2] .

وفيه عن عبدالعظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له ناصرا ، فأما عرصتة فالقرآن وأمّا نوره فالحكمة وأما حصنه فالمعروف وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا ، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم فأنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة فهوعندهم وديعة إلى يوم القيام ، ثم هبط إلى الأرض فنسبني لأهل الأرض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمتي فمؤمنوا أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلوأنّ الرجل من أمتي عبد الله عزّوجلّ عمره

---

[1] الكافي ٢/٤٥ ح ١

[2] الكافي ٢/٤٦ ح ٢

أيام الدنيا ثم لقى الله عز وجل مبغضا لأهل بيتي وشيعتي ما فـرج الله صـدره إلا عن النفاق))[1] ،

وهذا الإسلام وفروعه وشعبه وأحواله واقتضاءاته هوالدين الخـالص لله عزوجل والدين هوالماء الذي كـان العـرش عليـه قبـل خلـق السـموات والأرض كما ورد عنهم عليهم السلام ، وهذا الماء هو بحـر الصـاد الـذي ظـهر مـن العين المستنطق من الكاف والهاء والياء ، والعين هوالعرش المحمول على الماء وهذا الماء هوبحر المحبة في قوله تعـالى((فـأحببت أن أعـرف)) ، وهـذه المحبـة الإلهية أي محبته للخلق ومحبة الخلق له سبحانه لما ظهرت وانبسطت في مرايـا القوابل اقتضت أنحاء الشرعيات من الاعتقاديـات والعمليـات وكلـها عـين لحقيقة المحبة ، والدين هوعين الماء الذي هوعين المحبة التي قد تشـعبت في كـل عالم بطور ونهج والمآل إلى واحد ، وجميع مراتب تلك المحبة بأنواعها وأقسامها ما ظهرت مفصلة إلا في محمد وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام فـهم الصـلاة وهـم الزكاة وهم حج بيت الله وهم بيت الله وهم صوم شهر رمضـان وهـم شـهر رمضان وهكذا باقي العبادات ، وهذه العبادات المنتشرة بين كافـة الخلـق مـن الأنبياء وأممهم إلى هذه الأمة إلى يوم القيامة كلها فروع لتلك العبـادات الـتي هي دين الله ودين الله هوالإسلام والإسلام اسم محمد صلى الله عليه وآله فإن زبر الإسلام يطابق بينات محمد صلى الله عليه وآله والبينات اسم للزبر والزبـر هوالمسـمى ، فحقيقـة

---

[1] الكافي ٢/٤٦ ح ٣

الإسلام اسم وصفة لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كما أن حقيقة الإيمان اسم وصفة لعلي عليه السلام لأن زبره عين بيّناته عليه السلام ، ولذا نسب الإسلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في قوله عليه السلام ((نصر به المسلمين)) ، ولما كان من هذه الصفة يظهر أن كل من أقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هوالمسلم وإن لم يقرّ بولاية علي عليه السلام فإنه هناك مؤمن مع أن الإقرارين متساوقان ومتساويان لا ينفكّ أحدهما عن الآخر رفع الحق سبحانه هذه الشبهه ونسخ هذه الإلقاء من الشيطان بقوله الحق ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾[1] وقوله ﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] بعد ما قال عزّوجلّ ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[4] فارتفعت الواهمة فإن الإسلام الخالص الذي هوالدين الخالص لا يكون ولا يتحقق إلا بالإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فالإيمان والإسلام مقترنان متفقان بل متحدان لا يفارق أحدهما عن الآخر ، نعم قد يجري في الحكم الظاهري إثبات الفرق توسعة للمكلفين ، وإبقاء لهذا السر وجريا على حكم الله في التكوين فإن الله سبحانه قد خلق بعض الكلاب والخنازير والقردة في الباطن على الصورة الإنسانية للإقرار الظاهري الكذب وأما إذا عادت الأشياء إلى مبادئها ترجع

---

[1] الزمر ٣ [2] غافر ١٤ [3] البينة ٥ [4] آل عمران ١٩

الأغلاط والأخلاط كلها إلى أصولها ومبادئها ،ا فالدين هوالإسلام والإسلام هوالإيمان والإيمان هوالإخلاص والإخلاص هوالتوحيد والتوحيد إثبات الهوية ومحوالأغيار ، وكمال التوحيد نفي الصفات ونفي الصفات يستلزم ظهور الهاء في هو بنفي الواو ، وظهور الهاء لا يكون إلا في ذلك الماء الذي كان العرش عليه الذي هوالدين فرجع الأمر دوريا واتصل الأول بالآخر والآخر بالأول والقبل بالبعد والبعد بالقبل فارتفعت الأولية والآخر ية والظاهرية والباطنية والقبلية والبعدية ، وهذا الدين ما ظهر في أكوار الوجود وأدواره وأطواره إلا بمحمد وآله عليهم السلام فكلما في الوجود على دين محمد صلى الله عليه وآله ومنه أخذوا وإليه استندوا في كل مقام من مقاماتهم ومرتبة من مراتبهم ودرجة من درجاتهم في التكوين والتشريع إلى ما لا نهاية له .

إلا أن هذا الدين على قسمين ، قسم على مقتضى الهياكل الإنسانية في كل درجاتها ومقاماتها وترقياتها وتنزلاتها إلى مقامات أجسامها وأعراضها وقراناتها وأمثالها الغير المشوبة بشيء من مقتضيات الهياكل الشيطانية ، وقسم على مقتضى المزج والشوب بين الهيكلين وعدم بقاء واحدة منهما على صرافتهما إذ حين الصرافة في الثانية وعدم ذكر الأولى تقتضي إعدام الكون وإفناء الوجود واضمحلال العالم ، لأن العالم لا يدور على الباطل لأنه مجتث لا أصل له فلا يصلح للقطبية الدائمة الباقية ، وفي صورة الصرافة في الأولى تنزل السماء بركتها وتخرج الأرض نباتها وعشبها

ويستدير الزمان كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ، وفي صورة المـزج لا يصـح الإبطـال لوجـود الحـق ولا يصـح الإعطـاء الكـامل لوجـود الباطل ، فالشريعة والطريقة والحكم تتغير في الموضوع لأن المراد إبقاء الهياكل الإنسانية عند المزج خاصـة ، فـإذا توقـف هـذا الإبقـاء علـى إجـراء بعـض مقتضيات الهياكل الشيطانية وجب إجراؤه لبقاء تلك الهياكل الطيبـة وصونـا لها عن التلف المستلزم لخراب الكون والوجود فإن الله سبحانه خلـق الخلـق ليبقيهم لا ليهلكهم ، ألا ترى تعاقب الليل والنهار وتقدم الليل على النهار وتقدم الظلمة على النور مع أن الظلمة متقومة بالنور والليل متقوم بالنـهار والنهار متأصل في الإيجاد والوجود ، ووجود العقاقير المـرّة المنـتنة والسـموم القاتلة وغيرها والحيوانات المؤذية وغير ذلك كل ذلك لبقاء النوع الإنسـاني والنـور الإلهـي ، لأن الله سـبحانه أبـى أن يجـري الأمـور إلا بالأسـباب وإلا فهوسبحانه فعال لما يشاء لا راد لقضائه ولا مانع لحكمه .

والأصل في ذلك أن الله سبحانه لمـا خلـق العقـل مـن المـاء العـذب الفرات نورانيا وهوأول خلق من الروحانيين عن يمين العرش ثم قال له أدبر فأدبر فنزل في إدباره إلى عالم الأجسام مظهر اسم الله المميت فخلق الجهل من الماء المالح الأجاج ظلمانيا ، ثم قال له أدبر فـأدبر وأخـذ في إدبـاره صـاعدا إلى الطمطام إلى السجين إلى جهنم إلى نار السموم إلى ريح العقيم إلى الماء المـالح الأجاج إلى الحوت إلى الثور إلى الأرضين إلى أرض الدنيا التي هي بـإزاء سمـاء

الدنيا ، فمزج آثار العقل والجهل في هذه الأرض في نقطة الإلتقاء فصارت أحكام أحدهما سرت وجرت في الآخر فانكسرت سورة نورانية العقل وظلمانية الجهل في هذا العالم فاقتضى الاختلاف وتعاقب الليل والنهار وامتزاج الحلو والمر والسم والترياق واختلفت الأمزجة وخرجت عن الاعتدال ، فطائفة غلبت عليهم الصفراء والأخر ى البلغم والأخر ى الدم والأخر ى السوداء أو المركب عن أحدهما مع الأخر ى ، ولما كانت القوى والمشاعر الروحانية تظهر في الأجسام على مقتضى حكم الأبدان والأجسام فاختلفت الميولات والشهوات والمدارك والأفهام واللا هوية وغير ذلك ، فاقتضت اختلاف الأديان والملل واختلاف الآراء والأهواء في كل ملة واختلاف المذاقات في الرد والقبول والجرح والتعديل ووجوب التقية والكذب على الله ورسوله عند الضرورة والحاجة والقول بغير العلم والعمل بمجرد الظن وفي بعض المواضع لمحض الشك وكل ذلك من دين الله الذي أنزله على رسوله ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم فيجريها على مقتضى القوابل والاقتضاءات من الإنسانية والشيطانية من أحكام النسخ والبداء وذكر المتشابهات من المجملات والمطلقات والعمومات وغير ذلك من سائر الإضافات والأوضاع والقرانات ، إلى أن تتفرق النقطتان ويتمايز البحران ويبطل المزجان فتذهب النقطة الظلمانية نازلة إلى أسفل السافلين والنقطة النورانية صاعدة إلى أعلى عليين ، فتعود الأحكام إلى الصرافة الإلهية ويخلص الدين لله سبحانه

لمقتضى الهياكل الإنسانية وتلحق الأحكام الشيطانية بأصلها ومبدئـها ، وأول مقام التمايز عند خروج مولانا القائم عجل الله فرجه وسهل مخرجه وجعلـني الله فداه وصلى الله عليه وعلى آبائه الهداة ، وكمال التمايز الدنياوي في آخـر الرجعات بعد قتل إبليس وطهارة الأرض عن كل رجس نجس وخبث في عالم التشريع وكمـال التمـايز في العـالمين عـالم التشـريع وعـالم التكويـن في القيامة ، فينقطع الليل وكل ما لا تهوى الأنفس ويعود العـود كـالبدء ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[1] فديـن الله سبحانه وتعـالى واحـد هومحمـد ﷺ والحكم الجاري على المخلوقات هو من فروعه وشعاعه يجري في الموضوعـات جريان الماء النـازل مـن السـماء في عـروق النباتـات فيتكيّـف بكيفيـة تلـك النباتات على حسب تلك الأرض فمنه نبات طيب ومنه نبات مرّ منتن .

كقطر الماء في الأصداف درّ ... وفي بطن الأفاعي صار سما

قـال الله عزوجـل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[2] فكل الأديان دينه وكل الشرائع شريعته وكل الملل ملته وهو واحد يجري فيها كجريان الماء في النبات كما مرّ آنفا ، فحقها من موافقته ومتابعته وباطلها من خذلانـه لتقويـة الحـق وتسديده وتأييده كل شيء عنده بمقدار وقد قـال الله ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ

---

[1] يس ٣٨
[2] الرعد ١١

رُقُودٌۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ ﴾[1] والصيغة إما متكلم معه غيره أو معظم لنفسه وليس مع الله وعنده إلا محمد وأهل بيته عليهم السلام لقوله تعالى ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾[2] ، قال مولانا الصادق عليه السلام ((الذين في السموات هم الملائكة والذين في الأرض هم الجن والإنس ونحن الذين عنده)) وقال عليه السلام ((لنا مع الله حالات)) الحديث ، وليست عظمة الله الظاهرة في المخلوقين إلا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كما في الدعاء ((وبعظمتك التي ملأت كل شيء))[3] قال الحجة عجل الله فرجه في دعاء رجب ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت)) فعلى كلا التقديرين فالضمير في نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال يرجع إليهم كما قالوا عليهم السلام ((إن إلينا إياب هذا الخلق ثم إن علينا حسابهم))[4] عن الباقر عليه السلام ، وقالوا عليهم السلام في قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[5] ((هي والله آياتنا وهي والله ولايتنا)) الحديث عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام، فافهم راشدا ما ألقينا عليك من السر الحق والكبريت الأحمر إذ ما

---

[1] الكهف ١٨ — [2] الأنبياء ١٩ — [3] دعاء كميل بن زياد

[4] تفسير فرات ٥٥١ — [5] فصلت ١٥

تسمعه من غيرنا إلا إذا ورد ماءنا وأكل زادنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بقي هنا شيء وهوقوله عليه السلام ((نصر به المسلمين)) فإن قال قائل كيف نصر الله المسلمين به صلى الله عليه وآله مع أنهم في ذل شديد ومحكومون لكفار ويجري عليهم حكم الأغيار ويتقون من الفجار ويصدقون الباطل ويكذبون الحق خوفا من الأشرار مع ما هم عليه من عدم التصفية والتزكية وشيوع المعاصي عندهم وخيانة الأمانات وكسالتهم في الطاعات وقعودهم عن الخيرات واشتغالهم بالشهوات وتوغلهم في الكدورات وليس ذلك إلا لتمكن المخالفين فيهم وإصابتهم من لطخهم .

قلنا : إن جواب ما ذكر يعرف مما ذكرنا لأن ذلك كله إنما هولبقاء كينونتهم وحفظ ذواتهم وإنيتهم ولو لم تكن معهم نسبة مع الكفار والفجار وهم أهل الغلبة لأخذوا برقابهم ولأهلكوهم عن آخرهم وهذه الأمور كلها نصرة لهم ، كالطبيب الذي يسقي المريض شرابا مرا وليس ذلك إلا لنصرته لا لعداوته وهوكما فعل الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقال ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[1] وذلك الملك الجائر المسلط الكافر هو مخالفونا فافهم في الظاهر ﴿ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾[2] ﴿ وَلَا

---

[1] الكهف ٧٩ [2] الكهف ٣٤

يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1] قال مولانا الصادق عليه السلام لعبيد بن زرارة حين لعن أباه زرارة قال عليه السلام ((إني أردت بذلك ما أراد الله حكاية عن الخضر ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾[2] وإنه لمن أفضل السفن الجارية في اللجج الغامرة)) إلى أن قال عليه السلام ((ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعان توافق الحق ولوأذن لنا لعلمتم أن الحق في الذي أمرناكم فردوا إلينا الأمر وسلموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها والذي فرق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه وهوأعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فإن شاء فرق بينها لتسلم ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها))[3] وهذا اختلاف الأنظار وتعاقب الليل والنهار وظهور الأشرار والفجار إنما هولنضج بنية المسلمين واستئهالهم لدوام إشراق الحق المبين وتخلصهم عن شوب نسبة الشياطين وكل ذلك نصرة لهم قال عز وجل في الحديث القدسي ((إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر فلو أغنيته لأفسد عليه دينه وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى فلو أفقرته لأفسد عليه دينه وإن من عبادي

---

[1] آل عمران ١٧٨ [2] الكهف ٧٩ [3] البحار ٢ / ٢٤٦ ح ٥٩

من لا يصلحه إلا المرض فلو صححته لأفسد عليه دينه وإن من عبادي من لايصلحه إلا الصحة فلو أسقمته لأفسد عليه دينه))[1] فافهم وتفهم .

---

[1] لم نقف على هذا الحديث بعينه وإنما وجدنا ما يقرب منه في المعنى ففي البحار ٧١ / ١٤٠ ح ٣١ قال تعالى ((إن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفاقة ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أمرضته لأفسده ذلك .. إلخ))

قوله عليه السلام صلى الله عليه آله الطاهرين

لما أبان فضل محمد وآله عليهم السلام بما لا مزيد عليه وذكر فيهم مما لا طاقة للعقول لتثبته وتحمله وأبان أن بيدهم ملكوت السموات والأرض وعندهم مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله وكل ما سوى الله مما اكتسى حلة الوجود منهم وبهم وعنهم وإليهم ولهم لا تذوّت لهم إلا بهم وكلهم واقفون ببابهم لائذون بفقرهم بجنابهم وإليهم مردهم وإيابهم وفيه رائحة من التفويض على ظاهر ما يعرفه العوام، أراد عليه السلام أن يزيل هذه الشبهة ويرفع تلك الواهمة ويثبت الأمر ويحقق الحق ويبين أنهم عليهم السلام لا تذوّت لهم إلا بالله ولا شيئية ولا تأصل ولا حكم لهم إلا بمدده وليسوا شيئا إلا بفيض فضله وظهور أمره بأن دعى لهم وسأل لهم من الله سبحانه المعونة والعطية ليعلم أنهم ليسوا بمستقلين وليسوا أيضا كالوكلاء بأن الله سبحانه أمرهم فهم يعملون ورفع يده عنهم كالسيد إذا أعطى عبده أربعة دنانير بأن يشتري له من السوق الشيء الفلاني فذهب العبد عنه فإن هذا كفر وزندقة وخروج للحق سبحانه من السلطنة، ولذا ورد النهي عن ذلك وكذّب مولانا الصادق عليه السلام من

زعم لهم أنهم فاعلون بأمر الله بل إنما هـم كالسـراج بالنسـبة إلى النـار وإلى الأشعه فإن نواصي الأشعة كلها بيد السراج وليست شيئا إلا بالسراج في كل أحوالها متقومة بالسراج ومتحصلة عنه إلا أنه ليس شيئا إلا بالنار فلو قطعت النار مددها عنه لهلك وفنى وبطل فهولا يزال مستمد من النـار ومتقـوّم بـها ومستمد عنها فلا استقلال له بوجه فهو حين ما يفيض إلى الأشعة بيـد النـار بل السراج يد النار الباسطة بالإنفاق على الأشعه وأذنه الواعية ، والنار هـي فعل الله سبحانه وتعالى والسراج مثال العقل الكلي المقبـل المدبـر والدهـن المكلّس البخاري أي الدخاني هوالحقيقة المحمدية ﷺ فحينئذ يتوجه الدعـاء لهم عليه السلام والاستمداد لهم من الله سبحانه كما أمر بذلك بقوله الحـق ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] ، فهم دائما أبدا سرمدا في الاستزادة والاستمداد من العلم فإن الوجود علم وما مـن الله سـبحانه معرفـة وذلـك العلـم يتقـدر بتقديـر العمل ، فالعلم من الله سبحانه والعمل من العبد بإعانته وتسديده ، بل كـل ذرة من الذرات لما كانت على مثال مبادئها وجواهر أوائل عللـها جـرى فيـها حكم الاستزادة الدائمة فلا وقوف للفيض ولا تعطيل للمـدد كمـا قـال عـز وجل في حديث الأسرار ((وليس لمحبتي غايـة ولا نهايـة ، وكلمـا رفعـت لهـم علما وضعت لهم حلما))[2] .

---

[1] طه ١١٤

[2] إرشاد القلوب ١٩٩

وإنما اختار في مقام الدعاء الصلاة لأنها الدعاء الكلي لأنها صورة ولايتهم التي هي هيكل التوحيد التي هي عين الفقر إلى الله سبحانه ، فإنه لا ينال مقام ولا مرتبة إلا بالخلوص في الافتقار وكل من تمحض في الفقر ظهر فيه نور الكبرياء بقدر تمحضه فيه والاستغناء عن الخلق والإقبال بفقره وذله إلى الخالق قال تعالى ((أنا عند المنكسرة قلوبهم))[1] ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم ((الفقر فخري وبه أفتخر))[2] فأعظم الدعاء في حق المرء أن يشعره الله سبحانه فقره ثم يديمه عليه كما قال تعالى ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ﴾[3] ، فإذا بقي الفقر واستدام وتخلل في كل أجزائه وجزئياته يكون خليلا فإذا غلب التخلل بحيث كان عين الفقر كان حبيبا ، فالصلاة إما مشتقة من الوصل أو من الصلة أومن الصلوان .

فعلى الأول يكون المعنى وصل الله حبله بحبلهم كما تقول ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[4] ونوره بنورهم وحبله بحبلهم وحكمه بحكمهم وقوله بقولهم وولايته بولايتهم بمعنى أن يجعل حبله عين حبلهم كما فعل تعالى كما

---

[1] منية المريد ١٢٣ [2] البحار ٧٢/ ٣٠ ح ٢٦ [3] الأعراف ١٧٥ - ١٧٦ [4] الفاتحة ٦

قال ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1] وحبل الله هو التمسك بهم وبولايتهم وأقوالهم وأفعالهم فإنه حبل الله وسبيله وطريقه ودليله ، ويجعل نوره عين نورهم لا نور لله سبحانه ظاهرا في الخلق سواهم قال مولانا علي ابن الحسين عليه السلام ((اخترعنا من نور ذاته))[2] أي المخلوقة وقال تعالى ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾[3] فالنور هو محمد صلى الله عليه وآله وهذه الآية لبيان مثل نور محمد صلى الله عليه وآله الذي هو عين نور الله ، ألا ترى أنه ليس للنار نور ظاهر للأشعة إلا السراج ، ويجعل حكمه تعالى عين حكمهم عليهم السلام كما قال مولانا الباقر عليه السلام ((أما المعاني فنحن معانيه ونحن علمه ونحن حكمه)) قال تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[4] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[5] ويجعل ولايته عين ولايتهم عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[6] وقال عز وجل ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[7] ، ويجعل معرفته تعالى عين معرفتهم كما أشار إليه مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ((نحن الأعراف الذي لا يعرف الله

---

[1] آل عمران ١٠٣ — [2] البحار ٢٦/٢٤ ح ٢ — [3] النور ٣٥ — [4] النساء ٨٠

[5] الفتح ١٠ — [6] الكهف ٤٤ — [7] الأنفل ١٧

إلا بسبيل معرفتنا))[1] على المعنى الثالث وقال الحجة المنتظر عجل الله فرجه في دعاء رجب ((بمقاماتك وعلاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك)) إلى أن قال عليه السلام ((فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت))[2]، ألم ترى أن لا إله إلا الله إثنى عشر حرفا والوجه أربعة عشر حرفا وهكذا سائر أحكام الربوبية، فدعاوه عليه السلام لهم بذلك الوصال والاتصال إبقاء ذلك لهم فيما لا يزال من الخلق والصوغ الجديد قال عز وجل ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[3] وكل شيء دائم التجدد في الصوغ والكسر ولا غاية لهما على مقتضى الحركة الجوهرية، فالدعاء بأن يصيغهم الله سبحانه في كل صوغة هكذا ويستمر لهم مقام الوصال إلى ما لا نهاية له، فلعمري لقد استجاب الله لهم هذا الدعاء فهم أهل الوصال دائما في الدنيا والآخرة وفيما لا نهاية له في التكوين والتشريع، فهم الساكنون وهم المتحركون وهم المحركون وهم المتصلون وهم المنفصلون فصل في عين الوصل ووصل في عين الفصل حركة في عين السكون وسكون في عين الحركة محركون في عين متحركيتهم ومتحركون في عين محركيتهم قال مولانا الصادق عليه السلام ((من عرف الفصل من الوصل

---

[1] الكافي ١ / ١٨٤ ح ٩ [2] دعاء مولانا صاحب الأمر عجل الله فرجه في رجب [3] ق ١٥

والحركه من السكون فقد بلغ القرار في التوحيد)) وقد أشار إلى هذه الدقيقة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته كما مر غير مرة ((أقامه في سائر عالمه في الأداء مقامه إذ كان لا تدركه الأبصار ولا تحويه خواطر الأفكار))[1] وهذا القول إشارة إلى جميع مراتب الوصل فإن هذا الوصل له مراتب كثيرة يضيق صدري لبيانها ولا يضيق لكتمانها .

وعلى الثاني يكون المعنى وهبهم الله تعالى وأعطاهم من كرمه وجوده وفضله ما أغناهم عن كل ما سواه سبحانه من أنحاء الشرائط واللوازم والمتممات والمكملات الذاتية في التكوين والتشريع ويكونوا بذلك في صقع الوجود المطلق وصار زيت قابليتهم ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾[2] فكانوا بذلك نور على نور فيهدي الله لنوره من يشاء ، فأول من هداه إلى ذلك النور بعدما وهبهم وأكملهم الأنبياء ثم الأوصياء ثم الإنسان أي المؤمنين ثم الملائكة ثم الجن ثم البهائم ثم النبات ثم الجماد هذا في التكوين ، وكذلك في هذه المراتب في التشريع لكن لكل مرتبة في مراتب التشريع مقامات كثيرة يطول بذكرها الكلام .

ولكل رأيت منهم مقاما   شرحه في الكلام مما يطول

وعلى الثالث يكون المعنى كما أشار إليه عليه السلام في الحديث في المعراج إلى أن قال ((يا محمد لقد وطأت موطأ ما وطأه ملك مقرب ولا نبي

---

[1] الإقبال ٤٦١   [2] النور ٣٥

مرسل قف فإن ربك يصلي ، قال ﷺ : كيف يصلي ، قال : يقول سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح)) وهذه الصلاة بمعنى الصلوان فيصل النبوة بالولاية والولاية بالنبوة .

فلما استجاب الله سبحانه لهم هذا الدعاء بهذه المعاني الثلاثة كانوا أولياء الله من العز ، ولما كان المحدث دائم التجدد والسيلان زمان بقائه هو عين زمان وجوده وجب على كل الخلق أن يدعوا لهم بالصلاة ليستقر الكون وينتظم الوجود وإلا لبطل واختل ، لأن نظام الوجود مقوم بهم من حيث كونهم أولياء الله وظهور المعاني الثلاثة التي للصلاة فيهم وليسوا إلا هذه فلو فقد واحدة من هذه الثلاثة لانعدم الوجود وفسد النظام وبطل القوام ولذا صلى الله عليهم وأمر الملائكة بالصلوة عليهم وأمر المؤمنين بذلك فقال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1] فإنه سبحانه يعطيهم هذه الثلاثة والملائكة والمؤمنون يسألون الله إياها لهم ولذا خص الصلاة فافهم .

قال شيخنا أطال الله بقاءه (معنى اللهم صل على محمد وآل محمد ﷺ ظاهرا بأن نسأل الله تعالى لهم أن يرحمهم وأن يرحم بهم وأن يصلهم برحمته وأن يمدهم بمدده الذي استوى بها على عرشه بجميع خلقه بهم من

---

[1] الأحزاب ٥٦

جميع رحمانيته التي غيبت العرش بظهوره لها عليه ، وباطنا بأن يكون يريد من قولنا اللهم صل على محمد وآل محمد هوأن نسالك يا ربنا الصلاة عليهم إجابة لما أخذت علينا من العهد المؤكد لهم بأن نعبدك بحبهم وبالقيام بحدود فروعهم وأوامرهم ونواهيهم التي ندبتهم بها إلينا وندبتنا إلى إجابتهم في دعوتهم إليك في كل ما دلوا عليه كما أشار إليه موسى بن جعفر عليه السلام قال قال الصادق عليه السلام ((من صلى على النبي وآله فمعناه إني أنا على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله ألست بربكم ، قالوا : بلى))[1] رواه في مختصر بصائر الدرجات سعد الأشعري .

إلى أن قال (معنى هذا الباطن تعاهد منا لما أخذ علينا من الميثاق لهم بالقيام بجميع التكاليف التي هي صورة ولايتهم وهياكلها وأداء منا لتلك الأمانة فقولنا اللهم صل على محمد وآل محمد من ذلك ، والطهارة من الحدث الأصغر والأكبر الظاهرين والباطنين من ذلك ، والطهارة الترابية أيضا من ذلك في مواضعها المشروعة ، والصلوة بجميع أصنافها ظاهرة وباطنة من ذلك ، والزكاة ظاهرة وباطنة من ذلك ، والصيام ظاهرا وباطنا من ذلك ، والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأحكام الله في جميع أبواب الشريعة من ذلك ، وآداب الله في جميع فرائضه وسننه وما دعى إليه من معرفته بصفاته التي وصف بها نفسه لعباده ومعرفة أنبيائه ورسله وحججه

[1] معاني الأخبار ١١٥

وكتبه وملائكته وآياته وأمثاله والنظر في عجائب مصنوعاته في الآفاق وفي الأنفس بل جميع ما لله فيه رضى من اعتقاد واجتهاد وعمل وقول وحال وفعل من أفعال الدنيا والآخر ة من ذلك)[1] انتهى كلامه أعلى الله شأنه .

والصلاة المعداة بعلى بمعنى الصلاة المعداة باللام فلا يرد الاعتراض المشهور من أن الصلاة بمعنى الدعاء والدعاء إذا عدي بعلى يكون معنى الضرر وهو خلاف المقصود ، والصلاة هي الدعاء وهي هيئة العبادة المطلقة وأول ظهورها في مقام ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ والعبادة ليست إلا الطلب الذي هوالعمل الذي هوالقابلية ، فكلما في الوجود المطلق في عالم الفرق والوجود المقيد كلها طلب واستدعاء من الله سبحانه وكل هذه الطلبات صور وأوعية للفيوضات والامدادات ، فكل عبادة دعاء حقيقة لا مجاز ا ، ولماكانت العبادات تختلف مراتبها ومقاماتها في الطلب والدعوة كان إطلاق لفظ الصلاة والدعاء عليها من باب التشكيك ، فالصلاة التي هي ذات الأركان دعاء حقيقة والدعاء المعروف صلاة حقيقية وهي ذات الأركان ولكن تحقق الدعاء في الصلاة التي هي صورة الولاية باطن وعام في ذات الأركان ، وتحقق الصلاة في الدعاء المعروف باطن وخاص يعني أن معنى الدعاء في ذات الأركان باطن وعام كمعنى ذات الأركان في الدعاء المعروف إلا أنه خاص ، فكان المعنى من مدلول لفظ الصلاة يوجد في ذات الأركان قويا شاملا لكل خير وكل طلب

---

[1] شرح الزيارة الجامعة الكبيرة ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣

وفي الدعاء ضعيفا خاصا ببعض الخير والمطلب فلذا كان الوضع فيها من باب التشكيك فافهم فإن هذا الموضع ليس مقام استقصاء ثبوت الحقيقة الشرعية وفيما أشرنا إليه كفاية لأهل الدراية وتعيها إذن واعية .

قوله عليه السلام ((وآله الطاهرين)) أما الآل فمستغن عن الكلام إذ لا كلام بين الفرقة المحقة أنهم الأئمة المعصومون عليهم السلام أي علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة الخلف القائم المنتظر صلى الله عليهم أجمعين ، إنما ذكرت أسماءهم الشريفة مع أنهم في الظهور كالشمس في رابعة النهار في مقام الإعلان والإظهار تيمنا وتبركا ولما أجد فيه من الراحة لأنه المسك ما كررته يتضوع ، وإنهم طاهرون من كل الأكدار إذ الأكدار من ملاحظة الأغيار وهم لم يزالوا ولا يزالون عند الله ومع الله وعن الله ولله ووجه الله فمن أين تلحقهم الكدورة لا في تكوينهم وذواتهم وصفاتهم وسائر كينوناتهم وهم حقيقة الاستقامة وعلى خلق عظيم وهومعنى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] فإن إرداة الله هي عين فعله وإيجاده لقول الرضا عليه السلام ((فإرادته إحداثه لاغير ذلك لأنه لا يروي ولا يهم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق فإرادة

---

[1] الأحزاب ٣٣

الله الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه لا كيف لـه))[1] وليس عند الله مستقبل وحال وماض إذ ليس لربك زمان فكل إرادته واقعة ، فلما كانت الإراده في الأزل الثاني أي في عالم السرمد كان المراد معها هناك لقوله عليه السلام ((لا تكون الإرادة إلا والمراد معها)) ولما كان المراد ذهاب الرجس لمحض الصلاحية والذكر لا للوجود والكون فكانوا عليهم السلام في ذلك العالم في تلك الطبقة مطهرين ومنزهين بتطهير الله وتقديسه وتنزيهه فكانوا وصف تطهير الله وتنزهه وتقدسه عن جميع الشوائب الإمكانية لأن الله سبحانه إنما أراد تطهيرهم ليتخذهم بابا وعضدا لخلقه ، ولما كان الباب مترجما لا أصلا والظاهر من الترجمان هوالترجمة التي هي صفته ووصفه لكنه حامل لصفة الأصل ودليله الظاهرة في الترجمان الظاهر بالترجمة فحكم الترجمان حين الترجمة حال الأصل المترجم عند لا فرق بينه وبينه إلا أنه وصفه ودليله ولذا كان الفاعل في قام زيد مرفوعا معمولا للفعل مع أنه ما يتوجه به إلا إلى الذات مع قطع النظر عن الفعل ، ولذا اشتهر عند الناس أن الفاعل أصل في الفعل مع أنهم مجمعون أن الأصل في العمل هوالفعل والعامل أشرف من المعمول .

[1] الكافي ١/١٠٩ ح ٣

فلطهارتهم عليهم السلام مقامات كثيرة ففـي مقـام ﴿ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾[1] مطهرون عن كل المعاصي والسيئات من المحرمات والمكروهات من الظاهريـة والباطنية والحقيقية والمجازية في مقام الشريعة ومقـام الطريقـة ومقـام الحقيقـة فلا يلتفتون إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم عـاملون بمقتضى قولـه تعـالى ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾[2] وقولـه عـز وجـل ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[3] وشهد الله لهم بذلك حيث قال ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[4] ثـم ملحـهم بذلـك فقـال ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[5] ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾[6] والإيمـان الحقيقـي هوالإقـرار والإقرار هوالعمل ومما في الكتاب ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ وما أمر هـو قولـه تعـالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[7] فـالذي يعصـي ليـس بمخلص وليس بمؤمن لقوله عز وجـل ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ ﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ

---

[1] الكهف ١١٠ ٢ الحجر ٦٥ ٣ هود ١١٢ ٤ الأنبياء ١٩

٥ الأعراف ١١٠ ٦ آل عمران ١١٩ ٧ البينة ٥

﴿ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾[1] فجعل الإيمان مقابل الفسق والفسق هو العصيان حقيقة لأن العاصي بأي وجه كان ولو صغيرة يصدق عليه أنه فسق عن أمر ربه فحينئذ ما آمن بالكتاب كله ، فلما طهرهم الله سبحانه وهم تطهروا وشهد لهم بذلك ومدحهم على ذلك ثم ألزم الخلق محبتهم وولايتهم في قوله تعالى ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[2] والله سبحانه لا يأمر بمودة العاصي حينما يعصي وفيه وإن كان إشارة إلى الخلافة إلا أنها لا تظهر إلا للخواص فصرح في الأمر في قوله الحق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[3] وكيف يكون العاصي صادقا مع أنه أخلف الله وعده حين أخذ عليه الميثاق عند قوله ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[4] فأقروا له بالوفاء ، والمعصية ليست من أمر الرب وإنما هي من أمر الشيطان وقال عليه السلام ((من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله عز وجل فقد عبد الله ، وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس))[5] فالعاصي حين المعصية يعبد الشيطان فما صدق في قوله بلى يوم ألست بربكم ، فالله سبحانه أمر بالكون مع الصادقين الذين أوجب مودتهم وهم ذوو القربى

---

[1] الحجرات ١١ ٢ الشورى ٢٣ ٣ التوبة ١١٩

٤ الأعراف ١٧٢ ٥ عيون أخبار الرضا ١ / ٣٠٤

الذين هم أهل البيت الذين طهرهم الله من الرجس ، وهذه الآية وإن كانت أصرح مما قبلها في إثبات ولايتهم ووجوب متابعتهم لإتيانه سبحانه بلفظ الأمر الدال على الوجود لكنها ليست ناصة بقطع حجة الخصم فأوضح الأمر وصرح بوجوب المتابعة في قوله عز وجل ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] والأمر هوالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي تقدم في الآية ﴿ كُنْتُمْ ﴾ إلى أن قال ﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾[2] فتعين أن أولي الأمر هم الصادقون الطاهرون ثم أبان الحق سبحانه عن عدد أولي الأمر في قوله عز وجل ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾[3] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((كلما كان في الأمم الماضية والقرون السالفة يكون في هذه الأمة حذوالنعل بالنعل والقذة بالقذة))[4] وقال تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ

---

[1] النساء ٥٩ ٢ الأعراف ١١٠ ٣ الأعراف ١٥٩

٤ لم نقف على هذه الرواية بعينها فيما لدينا من المصادر ولكن وجدنا ما يقرب منها في المعنى ففي البحار ٢٥ / ١٣٤ ح ٦ قال رسول الله صلى الله عليه وآله ((يكون في هذه الأمة كلما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)) .

طَبَقٍ ﴾[1] ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[2] ، فيكون القوم الهادون في أمة محمد ﷺ اثنا عشر ويجب أن يكونوا أسباط الأنبياء فانحصر أولوا الأمر في ذوي القربى وهذه الآية وإن كانت صريحة في نفي المخالفين المدعين للقرابة لعدم كونهم أسباطا لكن فيه نوع خفاء يمكن أن يدلسوا على الجهال فأظهر الأمر سبحانه وتعالى لتعيين ذوي القربى لئلا يدعي كل من له نسبة مع رسول الله ﷺ وإن كانت عرضية فقال سبحانه ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[3] فهذه الأولوية ليست إلا في الولاية التي أثبتها للنبي ﷺ ، والولاية هي الأولوية في التصرف لقوله ﴿ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فأخرج المهاجرين عن هذه الولاية أجمع وأثبت الأمر في أولي الأرحام فخصص ذوي القربى بهم فبطل الذين كانوا متمسكين بالقرابة السببية من المناكحة والمزاوجة ، ثم أولوا الأرحام أيضا ما دخلوا كلهم لقوله تعالى ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ والأمر في الحقيقة وإن ظهر في هذا المقام لأن أولي الأرحام بعد رسول الله ﷺ ما كان إلا العباس وأمير

---

[1] الانشقاق ١٩ [2] الفتح ٢٣ [3] الأحزاب ٦

المؤمنين ، والعباس قد عرف الخلق كلهم بعدم استيهاله لهذا الأمر وكذلك باقي بني هاشم ، لكن الله سبحانه تأكيدا للأمر وإتماما للحجة وإكمالا للنعمة صرح بالأمر ونص عليا عليه السلام بهذا الأمر بما لا يحتمل الخلاف بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾[1] وما اجتمعت الصفتان إلا في علي عليه السلام لأن العباس وغيره من بني هاشم وغيرهم كانوا نسبا ولم يكونوا صهرا وعثمان وإن كان صهرا على ظاهر دعواهم لكنه لم يكن نسبا وليس النسب والصهر إلا مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه فقوله تعالى ﴿ فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه جعله كذلك واختصه نبيه صلى الله عليه وآله فهونسب واقعي إلهي قد جعله الله لمحمد صلى الله عليه وآله وارثا إذ ما كل نسب في الظاهر وأولي رحم هونسب وأولي رحم في الباطن والحقيقة وأحكام النبوة والولاية والمودة الإلهية للنسب الواقعي الإلهي الأصلي لا الظاهري ألم تر إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[2] وحكم النجاة ما شمل ابن نوح الشامل لكل أهله لأنه ابنه في الظاهر ولم يكن ابنه في الباطن ، ولما شهد الحق سبحانه لعلي عليه السلام بالقرابة الواقعية والمناسبة الذاتية المجعولة من الله سبحانه ولم يشهد لغيره علمنا أنه لمزية عنده ليست لغيره فيكون هوالمناسب لرسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره بأن زوجه الله سبحانه

---

[1] الفرقان ٥٤ ٢ هود ٤٦

ابنة محمد ﷺ فشهد لها بالطهاره وعلوالقدر والمقام إذ الله سبحانه ما يختار للنبوة والرسالة أهل الباطل وأهل المعصية مردة الشيطان وفعلة الطغيان والعصيان وإنما يختار الطيب الطاهر لأنه سبحانه هوالطيب الطاهر ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾[1] فما ينسب إلى الله سبحانه وتعالى يجب أن يكون أشرف وأولى وأطهر من كل أحد مما لم ينسب إلى الله سبحانه وتعالى، فلما اختار محمدا ﷺ بالرسالة والنبوة علمنا أن ذلك لجليل شأنه عنده وعظيم خطره لديه وكبر محله وقرب منزلته منه، فلما اختار من بين المنتسبين إليه واحدا وأثبت له القرابة والنسب دون الآخرين علمنا أن ذلك ليس لمجرد النسبة الظاهرية وإلا لكان لغوا بل لمناسبة حقيقية ذاتية ليست في غيره خصوصا عند قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾[2] مع أن البشر كلهم خلقوا من التراب قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[3] فلوكان المراد الماء الذي جزء العناصر فالكل كانوا مشتركين في هذا الحكم مع أن ذلك لا يصح فإن الحكم على الجزء الغالب لا الجزء المغلوب ولذا شاع وذاع أن الإنسان خلق من التراب والجن من النار والملائكة من النور مع أن هذه

---

[1] النور ٢٦   ٢ الفرقان ٥٤   ٣ الروم ٢٠

الثلاثة في الكل موجودة ولا يقال أن الملائكة خلقوا من النار أو من التراب أو الجن خلقوا من التراب أو من النور أو البشر خلقوا من النور أو من النار أو من الهواء فكذلك من الماء، فتحقق أن الله سبحانه يريد في هذه الآية بيان حقيقة مناسبة هذا الخلق مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يشبه غيره من أولي القربى وأهل النسب فإنهم خلقوا من التراب أي من فاضل الجسد البشري وأما هذا الخلق عليه السلام فهو من الماء، والماء هو الذي به كل شيء حي فهو مادة الحياة والخلق من هذه المادة إشارة إلى وجودها وتحققها فيه وإلا لكان عبثا، يعني أن حياته الأبدية ذاتية فطرية إلهية ليست كسائر الخلق بالاكتساب والاختلاط الترابي وإنما هو حياة صرف ونور بحت، والحياة هي العلم والإيمان والتقوى والعمل الصالح والطهارة ولذا كان الماء طهورا لقوله عز وجل ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ فجعل الجاهل والكافر ميتا لقوله ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ وهي السواد الذي طبعها بارد يابس الذي هو طبع الموت وقال تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾[1] .

فإذا أثبت الحق سبحانه أن عليا عليه السلام هو مادة العلم ومنشؤه وحقيقته وفطر على اليقين والتقوى في أصل خلقته لحسن قابليته، وأن النبوة

[1] فاطر ٢٢ – ٢٣

ليست حكم القالب البدني الترابي وإنما هو حكم القالب البدني المائي الذي هو آثار رحمة الله يحيي بها أراضي القلوب الميتة وعلي عليه السلام مناسبة في هذه الحقيقة فيرد الأمر من المناسب إلى المناسب لا البائن ، ثم لما أراد الله سبحانه إظهار ذوي القربى وحملة النبوة والولاية جعل هذا الطيب الطاهر المخلوق من الماء الذي هونسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صهرا حقيقيا بأن زوجه ابنته الحقيقية التي لها مناسبة ذاتية مع ذلك البشر المخلوق من الماء فتكون هي أيضا مخلوقة من الماء لحكم المناسبة فهي أيضا عين العلم ومعدنه ومنبعه وما كانت مخلوقة من الجسد البشري وإنما هي مخلوقة من الماء الإلهي الذي به حياة كل شيء حي نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتولدت منه على الواقعي الحقيقي لا الظاهري المحض ، فلما قارن السعدان والتقى البحران أخرج الله سبحانه منهما اللؤلؤ والمرجان وهما الحسنان عليهما السلام فورثا حكم الله واستودعا أمر الله إذ من الطيب والطيبة ابنة الطيب ما يظهر إلا الطيب فالمناسب للمناسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مناسب له ، فذوي القربى ولاة الأمر يجب أن يكونوا من نسل هذين الطيبين الطاهرين وإليه أشار مولانا الحسين عليه السلام في يوم كربلاء إلى أن قال عليه السلام :

لا لشيء كان مني قبل ذا غير فخري بضياء الفرقدين
بعلي الخير من بعد النبي والنبي القرشي الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي ثم أمي فأنا ابن الخيرتين

فضة قد خلصت من ذهب فأنا الفضة وابن الذهبين

من له جد كجدي في الورى أو كشيخي فأنا بن القمرين

فاطم الزهراء أمي وأبي قاصم الكفر ببدر وحنين

إلى آخر الأبيات .

فكان أئمتنا سلام الله عليهم مأخوذين من تلك الصفوة ومن تلاقي ذين البحرين المخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فهم ليسوا من نسبة هذا التراب البشري المحض وإنما هم من نسبة الماء الذي به كل شيء حي ولما كان المعاند قد يلتبس الأمر على بعض العوام المستضعفين على أن السبط والذرية إنما هي من جهه الأب لا الأم إلا الجزئي على ما قال شاعرهم :

بنونا بنوا أبنائنا ، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

والأئمة سلام الله عليهم منسوبون إلى رسول الله من جهه الأم لا من جهة الأب فلا يقال لهم ابن رسول الله إلا مجازا أبطل هذه الشبهة ورفع هذه الواهمة في سورة الأنعام بإثبات أن عيسى عليه السلام من ذرية نوح عليه السلام ولا ريب أنه من جهه الأم لا من جهه الأب .

وبالجملة براهين طهارتهم واضحة وحجج ولايتهم ظاهرة لا ينكر طهارتهم إلا خبيث المولد خبيث الذات خبيث الصفات خبيث الأفعال المشرك المرتاب ، اللهم صل على محمد وآل محمد وثبتنا على دينك ودين

نبيك ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وهذا مقام طهارتهم عليهم السلام في المقامات البشرية ، وأما طهارتهم في مقام الوجهية فمما يقصر الكلام لبيانها ويحسر اللسان لأدائها إذ فيها مقام ارتياب الجهال وفتنة أصحاب القيل والقال إلا أني فيما مثلت لك من أمر الفاعل ومعموليته للفعل واشتقاقه منه وهيمنة الفعل عليه مع نسيان الفعل وعدمه عند وجود ذكر الفاعل يظهر المقصود فيظهر لك أن أقصى مقامات التنزيه وأعلى درجات التقديس بالنسبة إلى الطبقة الإنسانية أدنى درجات تنزيه آل محمد وتقديسهم وإن أقصى مقامات تنزيه الأنبياء وتطهيرهم الحق سبحانه عن كل ما سواه جزء من سبعين ألف جزء من رأس الشعيره من تنزيههم عليهم السلام وهكذا ، وأنا أذكر لك حديثا تعرف منه ماذكرنا ظاهرا وباطنا إن وفقت لذلك ، روى الصدوق رضوان الله عليه بأسانيده عن عبد السلام ابن صالح الهروي عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا ، يا علي الذين يحملون

العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده وتمجيده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظمت أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون وإنه منزه عن صفاتنا فسبحت الملائكه بتسبيحنا ونزهتة عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وإنا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا لاإله إلا الله، فلما شاهدوا كبر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن ينال عظيم المحل إلا به، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من العزة والقوة فقلنا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لتعلم الملائكة أنه لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يسحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمدلله، فبنا إهتدوا إلى معرفه توحيد الله عز وجل وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا وإكراما وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراما وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم

أجمعون))[1] ، تأمل في هذا الذي ذكر الرسول صلى الله عليه وآله فإنه تمام الأمر لكنه لـوح صلى الله عليه وآله لأهل التلويح إلى ما ذكرنا فإن قوله صلى الله عليه وآله قلنـا ((لا إلـه إلا الله .. إلى آخره)) هو ما كتبوا في حقائقهم من وصــف عـدم تذوتـهم وهوالفـاعل في ضرب زيد عمروا الذي هو معمول الفعل بل لا يكـون الفـاعل إلا معمـول الفعل أبدا فتكون طهارتهم سلام الله عليهم هي طهارة الله وتقديسه وتنزيهه فافهم راشدا موفقا إنشاء الله .

---

[1] عيون أخبار الرضا ١ / ٢٦٢ - ٢٦٣

فهرس

